جليلة رضا

شاعرة اللحن الباكي

حياتها وشعرها

تقديم

محمد رضوان



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اســـم الكتاب : **جليلة رضا.. شاعرة اللحن الباكي**

حياتها وشعرها

تقـــــــــديم : محمد رضوان

الطبعة الأولى 2017

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميـــدان حليـــم خلـــف بنـــك فيصــــل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

■■ جليلة رضا .... شاعرة اللحن الباكي !

بقلم : محمد رضوان [1] .

تعد الشاعرة جليلة رضا (1915 ــ 2003) مـن أبـرز الشـاعرات المصـريات والعربيـات المجددات التي كانت صوت مصر الذي تردد في أفق الحياة العربية ، رمزًا لموهبة مبدعة ، وناي شجي ، طالما غنى وجدان الشعب ، ومشاعر الناس ، وأحاسيس المرأة والطفولة ، كما صورت الشاعرة أحلام الرومانسـيين ، وخيـالات المحبـين ، ومشـاهد الكـون والوجـود ، والطبيعـة في لوحات رائعة ، وميزة شعرها أنه عكس فلسفتها الشاعرة وتجاربها الذاتية الصادقة ، ومضـامينها التي تنفرد بها وفلسفتها ورؤاها العميقة لأسرار الطبيعـة ، ومشـاهد الحيـاة والكـون والوجـود ، لأنها ببساطة حملت رسالة المرأة الشاعرة نحو نصف قرن من الزمان أبدعت فيه مـا أبـدعت مـن روائع القصيد في الحب والطبيعة والوطنية والعروبة ، وعرف الناس فيها لحنها المتميز ، ودنياها المتفرد ، وموسيقاها الهامة ، وصورها الحالمة الحية ويكفي أنها كانت صادقة في كل مـا كتبـت وأبدعت فلم تموه عاطفة ، ولم تزيف شعورًا ، فجاء شعرها تعبيرًا صادقًا عن عواطفها ومشاعرها الذاتية ، فاستلهمت في كل ما كتبت وجدانها الصادق فاتسم إبداعها بالذاتية العميقة .

ولدت جليلة رضا في الإسكندرية في الحادي والثلاثين من ديسمبر 1915 لأب مصـري وأم تركية ، وكانت أصغر أخواتها ، وكان والدها يعمل في سلك المحاكم الأهلية ويتنقل بحكم عمله بين المدن والقرى في صعيد مصر، فبدأت تعليمهـا الأولي في مدرسـة الفشـن الأوليـة ، وعنـدما رجعت الأسرة إلى الإسكندرية لحقت بمدرسة العروة الوثقى الابتدائية ، ثم انتقلـت إلى القـاهرة فلحقت بالقسم الداخلي بمدرسة الراعي الصالح الفرنسية بشبرا ، ومن هنا كانت فرصتها لإتقان اللغة الفرنسية إلى جانب اللغة العربية ، وتوغلـت في قـراءة الأدب والشـعر الفرنسـيين فظهـرت ميولها الأدبية .

---

[1] محمد محمود رضوان : ولد بالدقهلية في 15 سبتمبر 1948 وتخـرج في كليـة دار العلـوم جامعـة القـاهرة (1971) وعمل كاتبًا صحفيًا بمجلة الهلال (1972) ، أديب وناقد ، من مؤلفاته : شاعر الجندول ، علي محمود طه – شـاعر النيل والنخيل ، صالح جودت ، اعترافات شاعر الكرنك ، أحمد فتحي ، مأساة شاعر البؤس عبـد الحميـد الـديب ، جمع وحقق عددًا من دواوين الشعراء المعاصرين مثل: عبد الحميد الـديب ، صـالح جـودت ، أحمـد فتحـي ، عـلي محمود طه .

وتزوجت محمد مصطفى الدرديري الذي كان يعمل في سلك القضاء وأنجبت منه ابنة «ثريا» وابناً «جلال» أصيب بمرض عقلي لازمه طول حياته حتى توفي عام 1984 فأضفى ذلك على شعرها الحزن والأسى ، وبعد أن انفصلت عن زوجها توجهت بكل مشاعرها إلى إنتاج الشعر العربي وكانت قد بدأت بنظم مجموعة من الأغاني، وحدث أن جمعتها الصدف في مرضها سنة 1951 بطبيبها الشاعر د. إبراهيم ناجي واطلع على شيء من أشعارها فتهلل وقال وهو يكاد يقفز فرحاً: هذا شعر ناجي الصغير! ومن هنا كانت بدايتها ورحلتها في عالم الشعر ، وساعد على ذيوع شهرتها التقاؤها بالشاعر محمد الأسمر فنشر لها عدداً من قصائدها في «صحيفة الزمان» ، وفي سنة 1952 رحل د.إبراهيم ناجي عن الحياة فطلب منها شقيقه الأكبر محمد ناجي أن تلقي قصيدة في رثائه في رابطة الأدب الحديث ، ومن أهم الجمعيات التي اشتركت فيها: ندوة شعراء العروبة التي أسسها خالد الجرنوسي ، رابطة الأدب الحديث ، اتحاد الكتاب ، لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب، لجنة الشعر القومي ، وهكذا غشيت المحافل الأدبية لتسهم فيها بأشعارها مما لفت إليها أنظار كبار النقاد ، فقال عنها شيخ النقاد مصطفى السحرتي : «إنها مفخرة بين لداتها من شاعرات المشرق العربي، وقال الأستاذ علي الجندي : «إنها أشعر شواعر الإقليم الجنوبي ، ويقصد بالإقليم الجنوبي مصر حيث إن هذا الحكم صدر أيام أن كانت الوحدة قائمة بين مصر وسوريا» ، كما قرر كمال النجمي : «إن الشعر المصري المعاصر كانت بدايته عائشة التيمورية وقد بلغ غايته عند جليلة رضا» ، وقال أنيس منصور : «لقد تأخرت جليلة في نشر اعترافاتها كما تأخرنا كثيرًا في تقديرها حق قدرها فهي بكل المقاييس كبرى شاعرات العرب ، هذا وقد تأثرت جليلة بالثقافة الفرنسية خاصة ، ومن أهم من تأثرت بهم : فكتور هوجو ـ لامارتين ـ رامبو ـ بودلير ، وقد ترجمت كثيرًا من القصائد الفرنسية إلى العربية .

بعد انفصالها عن زوجها ورحيله عن الحياة عام 1967 تزوجت من الشاعر عبد الله شمس الدين زواجًا لم يستمر طويلًا ، وفي عام 1960 تزوجت الصحفي محمد السوادي (1904 ـ 1978) وظلت معه حتى توفي ثم عاشت بقية حياتها وبجانبها كريمتها «ثريا» .

ومن مؤلفاتها دواوين : اللحن الباكي ، الأجنحة البيضاء ، أنا والليل ، صلاة إلى الكلمة ، العودة إلى المحارة ، لمن أغني ؟ ودراسات : وقفة مع الشعر والشعراء جزآن ، ومسرحية شعرية : خدش في الجرة ، ورواية : تحت شجرة الجميز ، هذا وقد حصلت الشاعرة على جائزة الدولة التشجيعية سنة 1983 ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عن ديوانها «العودة إلى المحارة» .

كما سجلت سيرتها الذاتية في كتاب «صفحات من حياتي» صدر عام 1996 .

توفيت في 3 مارس عام 2003 .

كانت جليلة رضا شاعرة رومانسية حالمة متألقة نسجت شعرها من وجدانها ومن ذاتها ومن طابع الحياة المصرية وواكبت الأحداث الوطنية في مصر والأمة العربية ، فكانت بحق شاعرة الوجدان العاطفي والوجدان الوطني والقومي الصادقة في المشاعر والتعبير .

وقد اشتملت موضوعات شعرها كل الموضوعات الخاصة والعامة فتناولت في شعرها : الحب والغرام ، شعر الغربة والألم ، شعر الطبيعة ، الشعر الإنساني ، شعر الأمومة ، الشعر الوطني ، شعر الرثاء ، الشعر الديني .

وكان أهم ما يميز شعرها هو عمق الإحساس بكل ما كتبت ، وحسن التعبير عن أحاسيسها ومشاعرها الذاتية والعامة .

وجماع شعر جليلة رضا كان يتجلى في شعرها الذاتي ثم في شعرها الواقعي وفي كل هذا الشعر كان القارئ يشعر بصدقها في التعبير وسلاسة تعبيرها حتى يحس أنها تبوح له بما يكمن في نفسها من مشاعر وأحاسيس وتروي له ما يمر بها من تجارب وأحداث في لغة شعرية شفيفة معبرة مموسقة .

***

وقد ظلمت الشاعرة جليلة رضا منذ رحيلها ، فقد أصدرت دواوينها الشعرية المتوالية أثناء حياتها وملأت المنتديات الثقافية بشعرها الوجداني وأصدرت بجانب ذلك قصصها ومسرحياتها ومترجماتها وسيرتها الذاتية ولكن منذ أن رحلت عن الحياة في الثالث من مارس عام 2003 أسدلت على حياتها وشعرها ستارة التجاهل والنسيان من قبل القائمين على مؤسسات النشر ويكفي أن ابنتها الوفية السيدة ثريا مصطفى تقدمت بأعمالها الكاملة إلى الهيئة العامة للكتاب لمديرة النشر وظلت عدة سنوات مهملة في أحد الأدراج لأن تلك المسئولة كانت من أنصار قصيدة النثر ولا تبالي بالشعر الأصيل والشعراء الملتزمين بأصالة الشعر العربي وقواعده الرصينة .

ولعل الإنصاف الأكبر هو رسالة الماجستير التي نالها الدكتور أحمد محمد أمين الصواف عن رسالته «شعر جليلة رضا» التي قدمها لكلية اللغة العربية جامعة الأزهر عام 1990 .

واليوم إذ تبادر مكتبة جزيرة الورد بنشر شعر جليلة رضا فإنما تسدي للشعر والأدب العربي خدمة كبرى لأن هذه الشاعرة من أبرز الشاعرات العربيات في النصف الأول من القرن العشرين وكانت أكثرهن صدقًا في التعبير عن مشاعرها وأحاسيسها .

وستظل جليلة رضا قيمة كبرى بشعرها وإبداعها ويكفي أنها سجلت لنا حياتها وسيرتها بصدق وأمانة في كتابها «صفحات من حياتي» الذي أصبح أحد أكثر كتب السيرة الذاتية صدقًا في الأدب المعاصر .

***

هكذا كانت جليلة رضا فيضًا من المشاعر الصادقة والأحاسيس المرهفة ، والقلب الخفاق بالحب والصدق لمصر والعروبة والإنسانية ، فاستحقت أن يطلق عليها الشاعرة الإنسانة الملهمة ، فكانت خير معبر عن الأجواء الذاتية والواقعية وخطرات النفس وأسرار الحياة والوجود ، فعبرت وأنشدت وأبدعت روائعها الشعرية الصادقة وهي اللحن الباكي (1954) ، اللحن الثائر (1956) ، الأجنحة البيضاء (1959) ، أنا والليل (1961) ، صلاة إلى الكلمة (1975) ، العودة إلى المحارة (1982) ، لمن أغني (1997) .

وفي النهاية فإن جليلة رضا هي شعرها وشعرها يعبر عن جليلة رضا المبدعة والإنسانة ، وبحسبها ذلك من صدق تعبير وذاتية تصوير فكانت بحق بحسها المرهف ومشاعرها الرومانسية المحلقة ، وتجاربها المؤسية في الحياة ، هي «شاعرة اللحن الباكي» .

محمد رضوان

القاهرة يوليو 2017



(1)

اللحن الباكي

(1954)



إهداء

إلى من لا يدرك أنني أمه

ولكن حياتي وقفت عليه ... !

إلى ولدي الوحيد

أهدي الشيء الوحيد

الذي وجدت فيه عوضًا عنه .

جليلة رضا

أيها القارئ الكريم

يسعدني أن أقدم إليك هذا الديوان الجديد «ديوان السيدة جليلة رضا» الشاعرة الأولى لرابطة الأدب الحديث ورئيسة جماعة النهر الخالد في الشعر ، وقد كان المرحوم الشاعر ناجي يستمع إلى أبياتها هذه فيدق الأرض بقدمه ويصيح : «مرحى ... مرحى» هذا ناجي الصغير .

والواقع أن هذا الديوان الجديد امتداد لمدرسة ناجي الثقافية الشاعرية التي بذر بذورها في حياته وها هي ذي قد أينعت وأثمرت وأترك لصديقنا رامي أو كما نسميه «أخي رامي» مهمة التصدير والتقدير الفني لهذا الديوان وأترك للقارئ الكريم بعد ذلك فسحة الإعجاب به والإقبال عليه .

محمد ناجي

رئيس رابطة الأدب الحديث

مقدمة

رأيتها أول مرة وهي تلقي قصيدة في حفل تأبين الشاعر العزيز إبراهيم ناجي رحمه الله ، وكانت تقف خاشعة ، مطرقة الرأس غائمة العين ترسل أبياتًا من الشعر ترتلها في صوت خافت يذوب أسى وحزنًا ، وأطلت النظر إليها أسمع هذا اللحن الحزين ينساب من فمها صلاة طاهرة على الراحل الحبيب فأخذني فيها ذلك الإيمان الذي كان يفيض من عينيها الساجيتين ويبدو في وقفتها وهي خاضعة للقدر الذي أصابها في زميل عزيز .

وانتهى الحفل فتقدمت إليها شاكرًا ذلك الشعور النبيل وما كنت أدري أن ناجيًا كان ينزلها منزلة الشاعرة الملهمة ، ويعتز بها في عالم الشعر الحديث ، وسرني أني وفقت إلى معرفتها فقد بدا لي كوكب جديد في سماء الشعر أنا الذي أطرب إلى كل لحن جديد .

ودعتني بعد ذلك إلى دارها في جمع من الشعراء والأدباء فأخذنا نتحدث في الأدب ونتناشد الأشعار وأتيح لي في هذه الجلسة أن أسمع منها شعرًا في غير الرثاء وإن كان كل بيت منه يفيض كذلك أسى وحزنًا ، وعلمت من بعض الأحاديث التي دارت أنها تعيش وحيدة إلا من بنت لها وولد رماه القدر في عقله فأصبح بين نور الهدى وظلام الحيرة ، وهنا علمت سر ذلك الأسى الذي يشيع في وجهها ، وينطق في شعرها الحزين وأدركت أني أمام شاعرة تحس ما تقول وتعبر عنه في شعر رقيق هو أقرب في خياله إلى شعراء الغرب .

نشأت صاحبة الديوان في المدارس الفرنسية فقرأت وحفظت من الشعر الفرنسي طائفة كبيرة كانت ترتل بعضها مع أخواتها في المدرسة وكانت روحها منغومة فكان لهذا الترتيل أثر بليغ في نفسها وسمعها وهي ثالثة أختين نالا قبلها من حنان الوالدين ما نضب معه معين العطف عليها ، فذاقت طعم الحرمان وهي في أول عهدها بالحياة .

وحدا بها نغم تلك التراتيل إلى النظم فصاغت قطعًا من الزجل لأنها لم تكن قد درست من اللغة العربية في ذلك العهد ما يمكنها من النظم باللغة الفصحى .

ثم مالت إلى قراءة الشعر العربي فالتمسته أول الأمر في المجلات الأدبية التي تصدر في مصر والشرق الأدنى والمهجر ثم قرأت كتب المختارات من الشعر القديم والحديث حتى إذا اتسق لها النظم باللغة الفصحى أخرجت قصائد وثنائيات ورباعيات من الشعر العربي نشرت بعضها في تلك المجلات التي كانت تقرأها وتود أن تنشر شعرها في بعض ما تنشر .

وعرفت ناجي وكأنهما توأمان في تلك اللهفة على العمر والخوف من الآجل والحيرة في الحياة والهيام في الطبيعة ، وقرأ ناجي شعرها فكأنما عثر على كنز جديد، راقه خيالها فأعجب به وشاقته معانيها فظل يرددها وبهره منها ذلك الحزن الذي كان يسيل في شعرها كأنه اللحن الباكي في سكون الليل ، واعتز بها وسماها «ناجي الصغير» وساجلها الشعر فكان ذاك مدعاة إلى إقبالها على النظم والانقطاع إلى دراسة العروض فعرفت أبحر الشعر ومالت إلى بعضها فأكثرت من النظم فيه حتى لتكاد تحس ذلك وأنت تقرأ هذا الديوان .

هذه لمحة قصيرة من حياة هذه الشاعرة إن دلت على شيء فإنما تدل على روح حزين من أول عهدها بالحياة وانفتاح قلبها وعينها لمجاليها.

أما الديوان فهو حياة حافلة بالأحاسيس والمعاني في شتى نواحي الشعور ، تقرأه فكأنما تنصت إلى لحن حزين أو تنظر إلى شمس غاربة أو تودع شراعًا مصفقًا يغيب في ثنايا الموج ، وهي في كل قصائدها ترسل نفسها على سجية فطرية تصور ما يدور في خلدها وما يجيش به صدرها وما تتمتم به شفتاها : كل ذلك في أسلوب سهل واضح لا تحس فيه تلمس الألفاظ أو عرقلة التراكيب هو شعر يكاد أن يكون نجوى غريب أو شكوى حبيب فيه من الحنين إلى الماضي لفتة العين في إثر الراحلين وفيه من الأمل من اللهفة على الحبيب ما يفزع الموصول من الهجر وهو في نعمة الرضا وهي شاعرة مؤمنة ، والإيمان أخص صفات الشاعر لأنه أفطن إلى جمال الوجود وأميل إلى اجتلاء الحسن وأكثر تذوقًا لنعم الله وتحدثًا بها ... والإيمان أول مراتب الرضا والتسليم فهي ترسل شكواها صاخبة ثائرة ثم ترتد إلى نفسها تائبة منيبة راضية بما قسم لها في هذه الدنيا ، اسمع ما تقول في قطعتها «صلاة» :

أنـــت يـــا رب شـــعلة مـــن ضـــياء　　　تسـكب الـدفء والحنـان بنفسـي

أنـــت يـــا رب نظـــرة مـــن صـــفاء　　　وهـــدوء تجتـــاح ثـــورة يأســـي

أنـــت روح الوجـــود ســـر وجـــودي　　　وخيـــال الرجـــاء ســـاعة رمســـي

رب إن الحيـــاة كـــأس عـــذاب　　　فـــأعني عـــلى تنـــاول كأســـي

وهي حيرى من أمر الحياة شأن كل شاعر يفكر في سر الوجود ويحاول اكتناه خافيه ، حتى إذا تعب في البحث عاد إلى نفسه راضيًا يسأل ربه الحنان والرحمة ، وهذه شاعرتنا تقول في دعاء :

إني عـلى طـول الطريـق كمـا أنـا　　　أمضـي وأعثـر في ذيـول هـواني

وحـدي أداعـب في الظـلام كـآبتي　　　وأمـــدها بالصـــبر والإيمـــان

ورنـين أقـدامي يسـابق في الـدجى　　　خطـوى كـأن الخطـو طيـف ثـان

وأمـد أجنحتـي عـلى طـول المـدى　　　عـلى أضـم الكـون في أحضـاني

وعـلى جـدار الـلا نهايـة أرتمـي　　　حيـرى أسـائل مـن أنـا مـا شـاني

يـا رب فيضًـا مـن حنانـك في دمـي　　　وظـــلال آمـــال عـــلى أجفـــاني

وتمتد بها الحيرة حتى لترى السكون خاليًا من كل ما يؤنس أو يسعد ، وتجد الحياة جوفاء لا معنى لها يختلط فيها الخير والشر ويمتزج فيها الحلو المر حتى ليكاد يختلط فيها النور بالظلام ، وهذه هي تقول في قطعتها «استسلام» :

ويسـأل أيـن الليـل والليـل حولـه　　　ويبحـث في الآفـاق عـن أثـر الفجـر

فلا الريح بـالأنواء والليـل بالـدجى　　　ولا الشمس بالأضواء والروض بالزهر

خلا الدهر من طيف الأحبة والمدى　　　فلم يبق مـن خيـر عـلى الـدهر أو شـر

وتقول في قطعتها «نحن بشر» :

أترانا كالطيور   سوف نقضي في غرور

فترة العمر القصير   فوق أفنان الشجر

أم ترانا كالشموع   نتلظى بالدموع

ثم نذوي في خشوع   دون ظل أو أثر

فإذا اشتدت بها الحيرة وتاهت في بيداء الحياة ودت لو يغيب رشدها وتظل مذهوبًا بها في عالم النسيان فتقول في قطعتها «نهاية صيف» :

أنا لا أحس بآدمية هذه النفس الغريبة

أنا لا أرى الدنيا سوى صور وأشباح رهيبة

أواه لو أحيا كما تحيا جميع الكائنات

وأسير في ركب الورى وأغيب عن ذكرى حياتي

هذه الحيرة الشاملة أنزلت شاعرتنا على أن تسهد الليالي الطويلة وأن تهفو إلى النوم يريحها من عذاب التفكير وهي في هذه القطعة الباكية تشكو ليلة إلى الوسادة فتقول :

آه كم أحببت أن ألقى به   ذلك الرأس على صدر الوساده

وهو كالناسك في محرابه   ينسج الأوهام حبًا وعباده

وهو كالنافخ في مزماره   هزه اللحن طويلًا فأجاده

وهو كالخفاش في ظلمائه   حائر الأجواء مسلوب الإراده

أتمنى لحظة ينسى بها   صور العمر فيستوحي رقاده

موغلًا في النوم منقادًا له   كغريق لفه الموج وقاده

ثم تلتمس الراحة في حب الطبيعة والإعجاب بمفاتنها فقد سافرت في نواحي مصر وزارت الجبل وعاشت على شاطئ البحر ووصفت كل ذلك في شعر ناطق بالصور البديعة بثت فيه شوقها إلى ارتياد هذه المشاهد وصورت أثرها في الترفيه عن نفسها الحزينة ... استمع إليها في قطعتها «تلال بلطيم» وهي تقول :

جهـل النـاس مـن أنـاجي ولكـن　　هل طيوف الأموات تجهل همسـي

مــن تــراني أكــون غيــر رفيــق　　في شـعاب الحيـاة أحمـل رمسـي

إن في هـــذه الـــتلال حنانًـــا　　سـرمدي الضـياء يلهـب حسـي

كلمـا جئتهـا تلاشـى عــذابي　　وأسـى مهجتـي وثـورة يأسـي

هــي لي عـالم مــن السـحر يبـدو　　أتناســى بـــه عـــوالم نفســي

أما الغزل في هذا الديوان فلا تجد فيه صورة باسمة للقاء سعيد أو ترى فيه بارقـة أمـل لصـفاء بعد كدره أو رضا بعد هجر إنه لوعة باكية وحسرة أليمة عـلى زمـن فـات وعهـد تـولى ، أو شـك مريب في عاطفة لا يطمئن إليها القلب اللهيف .

لا لم يكـــن ذاك الحنـــان الكبيــر　　منـك غرامًـا أو جـوى واشـتعال

رثيـــت لي يـــا للرثـــاء المريـــر　　وكـان ذاك الحـب وهـم الخيـال

نعم إنه شك حدا بشاعرتنا إلى إنكاره وجود الحنان وإن بدت آثاره مـن نفـس حانيـة أو قلـب أمين ، ألم تقل في قطعتها «حيرة» :

تهفــو فـأهفو والهــوى والحنـين　　قوافــــل تســـبق أقداميـــه

تجفــو فـأجثو والأسـى والأنـين　　ورهبــــة الواقــــف قداميــــه

إليـــك تـــدنيني بحـــر اللقـــاء　　وبهجـة القلـب وحسـن الجميـل

ويخـــبط الفكـــر ويعلـــو النـــداء　　فأينـــا الطـــاغي وأيـــن الـــذليل

وفي قطعتها «شذوذ» :

فطــــورًا أحبـــك حتـــى أذوب　　بخمــر الأمـــاني وشـــهد المنـــى

وطـــورًا تنـــادي فـــلا أســتجيب　　كـــأن خيالـــك طيـــف الـــردى

ويمتد بها الشك حتى تثور ثائرتها فتقول في «حنين وثورة» :

هـــا هـــو الطيـــر يغنـــي بعـــد أن راح الظـــلام

وازدهـــى لـــون الســـماء وانجـــلى عنهـــا الظـــلام

كـــل شـــيء صـــار يحكـــي مـــا حكـــى عنـــه الغـــرام

وأنـــا وحـــدي أراعـــي لفظـــة مـــن شـــفتيك

لا تلـــومي إن رأيـــت القلـــب يومًـــا قـــد جفـــاك

لـــن يظـــل العمـــر في ذل الهـــوى يرجـــو رضـــاك

لا ولـــن يرضـــى بـــأن يبقـــى أســـيرًا في هـــواك

إن تشـــائي فارحميـــه قبـــل أن يقســـو عليـــك

ولعل هذا الظمأ الشديد إلى العطف ترديد لما تجيش به نفسها من افتقاد الحنـان منـذ الصـغر والتماس الإشفاق في فجر العمر وهي التي رأت من أول عهدها بالفهم أنها لا تحظى بما تود من عطف قريب أو حبيب فهي تقول في قطعتها «تأملات» :

هـــا هنـــا الجـــدول في بـــطء الضـــرير يتهـــادى كالخيـــال الحـــالم

وأراني في الـــدجى طيفًـــا يســـير حـــاملًا أعبـــاء هـــذا العـــالم

كـــل هـــذا المـــاء لا يشـــفي غلـــيلي إننـــي أبحـــث عـــن مـــاء الصـــخور

رب صـــخر راح يصـــغى لعـــويلي ويـــروي ميتًـــا بـــين القبـــور

على أنها في غمرة هذا الأسى وجدت قلبًا عطوفًا ساجلته رحمة الشاكي وري الظمآن ، أشرق في جوانب نفسها الغائمة وبسم في عينها الندية ولكن القدر أبى إلا أن يسـلبها قربـه فبكتـه في «حـق البقاء» قائلة :

طالمـا اسـتطعمت كأسـي ليتنـي ذقـت مـرًا مـذ تـذوقت البدايـه

ليتنــي لم أقــرأ الحــب كمــا يقــرأ السـاهر طرفًـا مـن روايـه

يســتلذ النــوم في أحضــانها وهــو لا يــدرك أن النــوم غايــه

أينـام العشـب في الـوادي عـلى ضـفة الأنهـار أو شـط الغـدير

ويضـم الغصـن أطيـار الربـى ويناجي الـنجم أجفـان الزهـور

ثــم يمســي القبــر مثــواك إذا ألقـت السـاعة بـالخطو الأخيـر ؟

لهذا لعبت الذكرى دورًا كبيرًا في حياة الشاعرة وهذه هي تصف «زيارة رهيبـة» لغـاني صـباها فتقول :

وهبطـت مـن عـدني وضـوء الخلـد يغمـر خـاطري

ثــم انحشــرت مــع القطيــع الآدمــي الســائر

وتركــت أطــلال الهــوى ملتاعــة تهمــي دمــوعي

وكــأن لا مــأوى لســاكن مهجتــي بــين الضــلوع

واليــوم كالجمــل القعــود أعــيش طــي الــذكريات

أجتــرهن شــرائحًا بــدم الهــوى والعاطفــات

وهي في كل هذا الألم لا تجد آسيًا لجراحها إلا هتافها بالشـعر وتغنيهـا بـه فقـد وقفـت عليـه حياتها واختارته نديمًا وسميرًا تبثه شكواها وتفضي إليه بنجواها وهي تصف عزاءها به في غمـرة الآلام فتقول في قطعتها «أيها الشاعر» :

إيه يا شعر ما الذي بك أغراني حتـــى أذبـــت فيـــك شـــعوري

وحرمت الحنان والحـب والعطـف وطيـــب الرضـــا وصـــفو الصـــغير

وحرمت الصحاب والمـرح الحلـو وضـــحك الصـــبى ولهـــو البكـــور

وتفانيـــــت في رضـــــاء خيـــــالي وطويـــــت الحيـــــاة في التفكيـــــر

هذا قليل من كثير أود أن أقوله عن هذه الشاعرة الملهمة ولكني أترك القارئ يجـوس خـلال هذا الديوان فيقع على كل معنى طريف وخيال بديع ثم يقول معـي «حقًـا» ، لقـد ظهـر في سـماء الشعر كوكب جديد .

القاهرة في أول سبتمبر سنة 1954

أحمد رامي

▪▪ الفجر المنتظر

أيها الفجر ! سأنتظر وسأنتظر طالما كان ليل .

وكان وجود !

يـــا فجـــر يـــوم باســـم لم ترقـــب الـــدنيا مثيلـــه
كـم بـت أسـتجدي الظـلام رؤى مفاتنـك الجميلـة !
إني لأســـتوحيك في لـــيلي وفي عمـــق الســـكون
فيـذوب ضـوءك في دمـي وأُحـس بالـدفء الحنـون
لا بـــل إخالـــك هاهنـــا في مهجتـــي في غـــور ذاتي
نجمًـــا يســـامر طيفـــه كـــوني ويمـــلأ لي حيـــاتي
ويكـــاد يدفعـــه الظـــلام إلى الـــوراء إلى الخفـــاء
ويلفـــه في ظلمـــة الأســـتار في ثـــوب الفنـــاء
فأصـيح لا لا شـيء يبعـد طيفـك البـراق عنـي !
إني أراك بخـــاطري مـــن قبـــل أن ترعـــاك عينـــي
ســتعود رفــاف الضــياء مهيمنًــا فــوق الوجــود
في الأفـق في الأجـواء في الـدنيا عـلى الكـون المديـد
ســتعود للــروض الكئيــب إلى المــروج النائمــات
متـــدفقًا بـــين الزهـــور وباعثًـــا روح الحيـــاة
حيًّـــا يـــزف الطيـــر مولـــده وينشـــده لحونـــه

ويظــل ينهــل مــن ســناه يعــب يســتوحي فنونــه

وأنــا خيــالٌ شــاردٌ نشــوان في دنيــا الجمــال

يســتقبل الفجــر الجديــد ويســتعيد رؤى الخيــال

أحلامــه اليقظــى ترافــق خطــوة الضــوء الطليــق

وتمــر مــن غــرب الحيــاة حياتهــا نحــو الشــروق

جــذلان يتبعهــا ويرقــب طلعــة الشــمس الخفيــة

مستشــــرفًا عمــــق الخلــــود تهــــزه روح نقيــــه

يــا فجــر يــوم باســم لم ترقــب الــدنيا مثيلــه

كــم بــت أســتجدي الظــلام رؤى مفاتنــك الجميلــه !

كــم رحــت أرقــب ظلــك التيــاه في أفــق الغمــام

وأعاتــب الليــل العنيــد وحيــدة بــين الظــلام

وأصــيخ أرقــب لا أحــس هنــاك حــولي في مكــاني

غيــر اصــطخاب كاصــطخاب المــوج يهــدر في كيــاني

من الزهرة إلى الدوحة

يا دوحة شُبهت بالحب والجود   على التقادم في تمثال معبود

إني حببتك حبًا خائفًا وجلًا   وما الكمال على الدنيا بمشهود

ففي رحابك إيواء لذي سفر   وفي ذراعيك إرشاد لمفقود

لكنني ضقت والأنفاس عاثرة   وانتابني وهن جارٍ بتسهيد

أحنيتِ هامتك العظمى على قممي   فبتُّ من ثقلٍ رهنًا بتقييد

ما للزهور وقد أبليتِ همتها   سوى الرضوخ لأمر منك مقصود

يا دوحتي رحمة بالزهر إن لها   قلبًا رقيقًا وروحًا غير ملحود

أخشى على الساق أن تفنى طراوتها   إن ظلت الساق تجثو بين تعبيد

طورًا تنوح على الأقدام خاشعة   أو تمسح الرأس في خصلاتك السود

فإن أبت ذلة واستعبدت كبرًا   أبى الزمان عليها كل تبعيد !

إني غريبة دنيا أنت مطلعها   شردت تحت سماها أي تشريد

دنيا تهب عليها الريح جاهلةً   ويصخب الموج في لطم وتهديد

ويقتفي صوتها آثار عالمنا   يناشد القلب في شدو وترديد

أين الجناحان قد أغريتني بهما   كالعرش أعلوهما مرفوعة الجيد ؟

والنور ؟ أين ضياء النور يسحرني   والماء ينساب في الأغصان والعود

أين الخروج وما بالدار من نعم   حلم تولى وما فزنا بمنشود

ما في سمائك غير البرق يومض لي   ما في رحابك غير الضال في البيد

وفي رياضك أطيار تغرد لي   وفي جوانحها أحزان مكبود

فليرجع الأمس والشمس التي احترقت   منها دمائي وجفت نضرة العود

فكم أحنُّ إلى دنياي مذ برحت   عيناي ترمق أغلالي وتصفيدي

فليس بالميت من تخفى مظاهره   وإنما الموت من ذل وتعبيد

■■ النجم الخابي

على شاطئ رأس البر

هـــا هـــي الشـــمس تهـــاوت في دماهـــا غارقـــه
وعـــلى الأفـــق غيـــوم جاثيـــات خافقـــه
ناشـــرات فـــوق ذاك الميـــت أكفـــان الفنـــاء
تابعـــات ظـــل نعـــش كـــان رمـــزًا للضـــياء
حـــائرات بـــين أجـــواء الفضـــاء الشـــاهقة !

وهنـــا في أضـــلعي قلـــب جـــريح في شـــرود
كـــان بـــالأمس لـــه ضـــوء وإشـــعاع فريـــد
فخبـــا. وي ! كيـــف يخبـــو ذلـــك الـــنجم الرفيـــق
أيـــن أمشـــي كيـــف أخطـــو والـــدجى مـــلء الطريـــق
مـــا لعـــينٍ أن تـــراني أو لقلـــب أن يقـــود !

يــا لـــذاك المعبــد الســامي ويــا تلـــك الصــلاة
وأنــا أجثــو بقلـــب خاشــع نـــاجى الإلـــه !
تلـــك أقـــدامي وهـــذي في الثـــرى نفـــس خطـــاي
أيـــن أتلـــو صـــلواتي ولمـــن أزجـــى هـــواي
طالمـــــا أعـــــدو أمـــــامي غيــــر أني لا أراه !

كنـــــت لي كونًـــــا حفيًـــــا بالأمـــــاني الزاهيـــــة
ونعيمًـــــا مـــــن زهـــــور وظـــــلال حانيـــــه
فتغيبـــــت ومـــــرت بعـــــدك الأيـــــام تجـــــري
لا أنـــــا أبـــــدي اهتمامًـــــا أو بمـــــا تحويـــــه أدري
رائحـــــات غاديـــــات تافهـــــات عاديـــــه !

الســـحاب الأســـود الضـــارب في أفـــق المســـير
والريـــاح الهـــوج لا تـــألو تـــدوي بـــالزئير
وهـــدير البحـــر صـــخاب ينـــادي بالقتـــال
كلهـــا رمـــز لإقبـــالٍ وســـعي ونضـــال
وبنفســـي غفـــوات وانطـــواء وضـــمور ..!

■■ لم لا ؟ نحن بشر

لم لا ؟ نحـــــــن بشـــــــر　　أنـــــت مـــــثلي تحتضـــــر

***

أمـــــن مـــــثلي في العـــــراء　　ديـــــون حـــــب أو عـــــزاء

غيـــــر طيفـــــي ونـــــدائي　　تحـــــت أنـــــواء المطـــــر

***

ضـــــمنا وادٍ ســـــحيق　　وشـــــرود وطريـــــق

وأنـــــا أنـــــت غريـــــق　　في ديـــــاجير القـــــدر

***

هـــــاتف في جانبينـــــا　　في الـــــدما في مقلتينـــــا

كـــــم دعانـــــا فأبينـــــا　　كيـــــف نعصـــــي مـــــا أمـــــر ؟

***

ومضـــــينا في جنـــــون　　نحتســـــي كـــــأس المنـــــون

مـــــن ســـــهاد وحنـــــين　　لا نبـــــالي بـــــالخطر

***

أترانـــــا كـــــالطيور　　ســـــوف نقضـــــي في غـــــرور

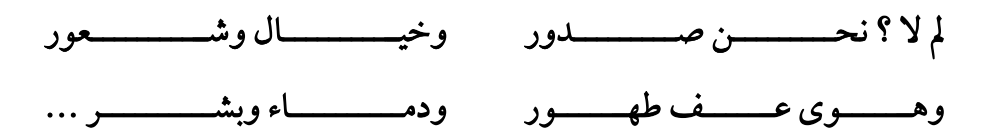
فتـــــرة العمـــــر القصـــــير　　فـــــوق أفنـــــان الشـــــجر ...؟

***

أم ترانـــــا كالشـــــموع　　نتلظـــــى بالـــــدموع

ثـــــم نـــــذوي في خشـــــوع　　دون ظـــــل أو أثـــــر ... ؟

***



لم لا ؟ نحـــن صـــدور   وخيـــال وشـــعور

وهـــوى عـــف طهـــور   ودمـــاء وبشـــر ...

■■ استسلام

خـــلا الـــدهر مـــن طيـــف الأحبـــة والعـــدا

فلم يبـق مـن خيـر عـلى الـدهر أو شـر

هـــو القلـــب أضـــحى بالرغائـــب ســـاخرًا

فلـيس بـذي نفـع ولـيس بـذي ضـر

هـــو القلـــب والبيـــداء صـــدر يضـــمه

فسـيان إن أغفـى وإن جـد في السـير

مقـــيم عـــلى صـــبر وغـــاد عـــلى رضـــا

فـلا أنـة تعلـو ولا نشـوة تسـري

فمـــا يرجـــع الحرمـــان مـــن كـــان زاهـــدًا

ولا رام أمـرًا غائـب الحـس والفكـر

أراه لقصـــف الرعـــد يطـــوي جناحـــه

ويقلـب كـف الـدهر إن جـاد بالنصـر

وكـــأس مـــن الأوهـــام بـــين شـــفاهه

تخـالط حلـو الطعـم بالصـاب والمـر

وتدفعـــــه في ظلمـــــة الأرض تـــــارةً

وترفعـه طـورًا عـلى أجـنح الطيـر

فيســـأل : أيـــن الليـــل ؟ والليـــل حولـــه

ويبحــث في الآفــاق عــن أثــر الفجــر

فــــلا الـــــريح بــــالأنواء والليـــــل بالــــدجى

ولا الشمس بالأضواء والروض بالزهر

خــــلا الــــدهر مــــن طيــــف الأحبــــة والعــــدا

فلم يبـق مـن خيـر عـلى الـدهر أو شـر

▪▪ليلة مع الوسادة

ليس النوم هو مجرد استرخاء الجسد وراحة أوصاله إنما هو نصر عميم تفوز به في معركة الفكر الرهيبة

وســـدى الـــرأس قلـــيلًا ريثمـــا يهـــدأ الإعصـــار فيـــه ويلـــين
وتلقـــى أدمـــع العـــين كمـــا تلتقـي الأمـواج بالشـط الأمـين
وســـديه ! طالمـــا الليـــل دجـــا باعثًـــا فيـــه بأشـــباح الظنـــون
فغـدًا ! يـا ويـل نفسـي مـن غـدٍ لست أدري أيـن أغفـو أو أكـون؟
وإذا مـــا شـــئت أن تبقـــى هنـــا فوق ذاك الـرأس كالظـل الحنـون
فـــاطفئي كالمـــاء نـــارًا لم تـــزل من أقاصي الفكـر تجتـاح الجبـين
إنمـــا أنـــت لرأســـي رحمـــة آه لـــو تـــدرين مـــاذا تحملـــين
آه كـــم أحببـــت أن ألقـــى بـــه ذلك الـرأس عـلى صـدر الوسـادة
وهـــو كالناســـك في محرابـــه ينســـج الأوهـــام حبًـــا وعبـــاده
وهـــو كالنـــافخ في مزمـــاره هــزه اللحــن طــويلًا ... فأجــاده
وهـــو كالخفـــاش في ظلمائـــه جــائر الأجــواء مســلوب الإراده
وأنـــا أزجيـــه مـــن كـــأس المنـــى والغـد المنشـود في ظـل السـعاده
أتمنـــى لحظـــة ينســـى بهـــا صــور العمــر فيســتوحي رقــاده
مـــوغلًا في النـــوم منقـــادًا لـــه كغريـــقٍ لفـــه المـــوج وقـــاده !

***

آه كـــم أحببـــت أن أخفـــي يـــدًا	تتلـــوى تـــارةً ثـــم تقـــر
في حنايـــاك كثعبـــان بـــدا	مـن خـلال الغصـن يغـدو ويفـر
ويـــد تمتـــد حتـــى تلتقـــي	باليـد الأخـرى عـلى ذاك الخصـر
فـأراك الطفـل في حضـن أمِّـه	هادئًـا والمـوت منهـا ينتظـر
وأراك الظـل يكسـو غابـة	جفـت الأوراق فيهـا والثمـر
وأراني منـك لا أغـدو سـوى	عـابر يرتـاح مـن ذاك السـفر
هكـذا يرتـد فكـري برهـةً	ثـم يمضـي للخيـالات الأخـر

***

هـا هـو الـرأس فراعـى طيفـه	أنـت يـا مرفـأ ذيـاك الغريـق
فهـو لا يفتـأ في ترحالـه	سـابحًا في الجـو كـالطير الطليـق
هابطًـا في ظلمـة لا تنقضـي	صـاعدًا أدراج آلام وضـيق
فاسـكبي الراحـة فيـه لحظـةً	إن تكن قد جاوزت عمـر الشـهيق
لا يبـالي إن يقـم مـن بعـدها	يسـفح الـدمع ويسـري بـالنعيق
ثـم غطيـه بسـحب لا تنـى	ترتمـي في هـوة الفكـر السـحيق
ودعينـي اليـوم أغفـو مثلمـا	غفـت العجمـاء في أرض الطريـق

***

فـــإذا مـــا المـــوت وافى وقتـــه　　واستوى النائم في الوضـع الأخيـر
فاسـبقي الـذكرى وقـولي : هاهنـا　　نامت الدنيا عـلى صـدري الصـغير

▪▪ طموح

آه حسـبي ! حسـبي جسـيم عنـائي		وعلـــوًا إلى مـــدى العليـــاء

فلعمـــري لقـــد سـئمت غـــرورًا		ووعـــودًا جزيلـــة في الســـخاء

أيهـــا القلـــب ! رحمـــة بجناحيـــك		ورفقًـــا منًّـــا بأهـــل الفنـــاء

أجفـل الخلـق عـن طريقـك لمـا		جئـــتهم في مظـــاهر الغربـــاء

لِـمَ أنكـرت عالمًـا لم يـزل جـد		كـــريم ومنـــه خيـــر وفـــاء

أتـرى صـفقت لـك الشـهب طـرًا		وتحانـــت كواكـــب في ولاء ؟

أتـــرى ســـبح الهـــواء طـــويلًا		وتنحـــى مســـتغرقًا في الثنـــاء؟

إيه قلبي ! أي الدماء فيـك تسـري؟		أي ســـر تضـــمه في الخفـــاء

أبـــدًا لم تلـــن قناتـــك يومًـــا		أبـــدًا لم تـــذبل شـــموع الرجـــاء

لست أدري وقـد مضـيت صـخوبًا		أيـن تمضـي وأيـن منـك نـدائي

وبنفسـي صـمت كئيـب وخـوف		وحنـــين ورغبـــة في البقـــاء

***

ليت شـعري ! مـاذا بنـا مـن قلـوب		لم يسعها الـورى وعـرض الفضـاء

قابعـات ضـاقت بـركن لهـا فيـه		أنـــين الأســـى وذل الرضـــاء !

▪▪ النسيان

أحقًا سننسى هوانا الكبير ونطوي زمان الهوى والوصال؟
أكان اللقاء لقاء أخير توارى وأمسى وليد الخيال
أحقًا سنقبر أحلامنا بهوة أمسٍ عميق الظلال
ونمضي بحيرة أوهامنا نشيد عليها بناء المحال؟

***

أحقًا سننجو من العاطفات إذا ما التقينا لقى عابره
فلا رعشة بين أعطافنا تؤج هوى ومنى ثائره
ولا نظرة من سنا الذكريات تشعشع في الصور الحاضره
ولا قطرة من دموع الهوى نروي بها المهج الخائره؟
أجر خطاي وئيدًا ... وئيدًا وفي مقلتي ظلال السكون
وأبسط نحوك يا شاعري يدًا سبقتك إلى الحاضرين
وطيف ابتسام على شفتي ثقيل الظلال ، شحيح ، ضنين
وفي حركاتي جمود الخلى فلا من شعور ولا من حنين

***

وتبســـط أنـــت يـــدًا دفأتهـــا ثنيـــات جيـــبٍ بجـــوف الـــرداء
وتنفـــث مـــن عمـــق ســـيجارة دخانًـــا يجـــوب عنـــان الفضـــاء
وتمضـــي تســـائل بعـــض الرفـــاق «تـــرى مـــن تكـــون؟» فيـــا للغبـــاء!
كـــأني لم أكُ فيمـــا مضـــى لـــديك الضـــياء وطيـــف الرجـــاء

***

أحقًـــا سنمضـــي لهـــذا المصـــير وتقتادنـــا القـــوة الحاكمـــة
وكيـــف نعـــيش وكيـــف نســـير وفي مقلتينـــا الـــدجى الغاشـــمة
وكيـــف ســـتفزع منـــا الطيـــور وكنـــا لهـــا الربـــوة الباســـمة
وكيـــف نغنـــي بغيـــر شـــعور يعطـــر أشـــعارنا الناســـمة؟

***

أجـــل ســـوف ننســـى بآهاتـــه هـــواك الكبيـــر ، هـــواي الكبيـــر
ســـنحيا بقلـــب يضـــم المنـــى بـــألف حنـــين وألـــف شـــعور
ولكـــن مـــثلِيَ لـــن يســـتريح ومثلـــك لـــن يعتريـــه الســـرور
لأنَّـــا ســـنغدو بنســـياننا بقايـــا وجـــود عفتهـــا القبـــور ... !

▪▪ قضاء وقدر

أردتـك لي نايًـا مـن الـذهب الحـر يهدهد أحلامي ويكشـف عـن سـري
ويعزف ألحانًا من الشـوق والهـوى هـي السـحر إلا أنهـا نغـم الطهـر
فـإذ بـك عـود يـابس ومجـوف من الحطب المغروس في حقلك القفر
يردد عزف الجـن والـريح والـردى وصـرخة يـومٍ شـارد ضـائع الـوكر

***

أردتـك لي في السـكون شـبه وسـادة من الريش أو بـالزهر محشـوة تغـري
أوسـدها رأسًـا مـن الهـم مـثقلًا تهـش لـه إمـا ينـوء بـه عمـري
وأنثـر دمعـي فوقهـا وخـواطري وأودعها في الليـل مـن حلمـي البكـر
فإذ أنت والصمت الكئيب ووحـدتي رخامٌ تهـاوى صـارمًا في دجـى قبـري

***

أردتـك لي كأسًـا أعـب رحيقهـا وأنهـل مـن صـهبائها أعـذب الصـبر
أروي بهـا قلبًـا توقـد ظامئًـا وأرتشف الأضـواء مـن بسـمة الثغـر
فإذ بـك والأحـزان مـلء جـوائحي تنـاولني كأسًـا مـن الصـاب والمـر
ومـا كـل مـن يصـبو لأمـر بمـدرك فتلك هـي الأقـدار هـذا قضـا الـدهر

▪▪ ليلة من أبريل

«مقتبسة عن الفرنسية»

هي ليلة مرت مقدسة نبيلة

أولى ليالي شهر أبريل الجميلة

لا زلت أذكرها ، فهل تذكرين ؟

إذ نحن منطلقان في طرق المدينة

حيث الدجى والصمت يمتزجان في ضوء حنون

ضوء العيون كنا نسير ...

وكنيسة العذراء في جوف الظلام

تنساب ما بين الفضاء

وتمد كالشبحين أبراجًا طويلة

وهناك نهر السين يقتطع الظلال

قطعًا محجبة الزوايا

ويروح ينشر في التماع

تحت القناطر والجسور

تلك المرايا المستطيلة

والشط. والشط الحبيب

كنا نراه ... وعليه تلتمع المياه

وكأنها أفعى تنام بين الغصون

والعابرون كانت كحلم الليل أشباحًا كليلة

ما كان أعذب هذه الأوقات يا حلمي وحبي

إذ كنت تستمعين في شوق إلى أصداء قلبي

بينا يدي تنساب في ضغط على يدك النحيلة

فنغيب في لغة العيون، وتوهج الروح الحنون

وكأن أصداء الإله

رفت مع النسم العليله

هي ليلة مرت مقدمة نبيلة

هل تذكرين ؟ أولى ليالي شهر أبريل الجميلة !

▪▪ الساعة

سـيري بغيـر حـارس أو عنـاء وقربـي طيـف الهـوى واللقـاء

يـا سـاعة أهملهـا خـاطري فصـارت اليـوم محـط الرجـاء

سـيري عـلى دقـات قلبـي الفتـيْ مسـرعةً لاهثـةً في ظمـاء

ووقعـي خطـاك في نغمـةٍ سـاحرةٍ مشـمولةٍ بالرضـاء

***

حتـى إذا يـا سـاعتي أقبلـت لحظـة حبـي واللقـاء القريـب

وبعـد طـول سـعيها أشـرفت نفسي عـلى نيـل المنى والنصـيب

وهلّـت الطلعـة وضـاءةً تبتعـث النشـوة بـي واللهيـب

فخففـي خطـاك لا تسـرعي وهـدئي مـن الجـوى والشـبوب

****

أمـا إذا يـا سـاعتي أقبلـت لحظـة عمـري والهنـاء الفريـد

وخلـدت نفسـي إلى نجـوةٍ ومجلـسٍ لـيس بـه مـن شـهود

واشـتعل القلـب يحمـي الهـوى وكـادت الأنفـاس منهـا تجـود

فحـاذري أن تقـدمي ! بـل قفـي وأوقفـي سـير الزمـان العنيـد

▪▪ نهاية صيف

«ماذا جنيت لكي أحس كأن لي قلبًا غريب!»

أواه كـــم تتكشـــف الـــدنيا لعينــــي والوجـــود
وأنـــا هنـــا بالشـــط أرقـــب ذلــك البحـــر المديـــد !

***

يـــا بحـــر ! يـــا بحـــر اســتكن فقـــد أتيتــك خـــائرة
لـــــيلي عــــلى كفـــي محمــــولٌ ونفســــي حـــائرة
لكننــــي أتتبــــع الأمــــواج في لهـــــفٍ حـــزين
أبـــدًا تمـــر ولاينـــي ألمـــي يمـــر مـــع الســـنين
فـــأحس أن هنـــاك شـــيئًا قـــد توغـــل في فـــؤادي
وصـــدى كغصـــات النحيـــب في أفـــق انفـــرادي !
هـــذا الصـــدى الملمـــوس لـــذاعٌ كأنفـــاس اللهيـــب
متجـــاوب الأنغـــام والأنـــات في روحـــي الكئيـــب

***

وتظلنـــي ســـحبٌ مـــن الأفكـــار داجيـــة الغيـــوم
تمـــتص مـــن دمـــي المرنـــق بالمصـــائب والهمـــوم
لكننـــي أمضـــى موزعـــة الأمـــاني والشـــجون
وأعـــود للســـير الطويـــل لكـــي أرفـــه عـــن عيـــوني

***

لا شـــيء غيـــر صـــبية رقــدت عـــلى قـــيظ الرمـــال
كـــالوردة الفيحـــاء عالقـــة عـــلى صـــدر الرجـــال
وصـــياح طفــل ضــاحك يلهــو مــع المــوج العنيــد
مرحًـــا كأطيـــار الربـــى عبقًـــا كأنفـــاس الـــورود
لا شــيء غيــر الصــمت غيــر القفــر في ظــل الخريــف
والأفــق والشــط المديــد وذلــك البحــر المخيــف
والـــريح تلـــتهم الطريـــق وتنثنـــي نحـــو الفضـــاء
والتـــل يحـــدق بـــي وينشـــر ظلـــه فـــوق العـــراء
فـــأحيط بالعـــدم الخفـــي بكـــل ألـــوان الفنـــاء
بالشـــك بالبغضـــاء باليـــأس المخـــيم والشـــقاء
وأروح أعصـــره فراغًـــا قـــاتلًا جهمًـــا عنيـــد
متفجـــرًا مـــن بـــين قبضـــتي الضـــعيفة في شـــرود
ويعــود يقفــز مــن جديــد في دجــى صــمتي ويأســي
ذاك الســؤال الحـــائر المنســـاب في أغـــوار نفســـي

***

مــاذا جنيــتُ لكــي أحــس كــأن لي قلبًــا غريــب؟
قلبًــا تنازعــه الريــاح كــذلك المــوج القريــب
أواه لــو أحيــا كمــا تحيــا جميــع الكائنــات !
وأسـير في ركـب الـورى وأغيـب عـن ذكـرى حيـاتي
لم لا أعــيش كطــائر هيمــان في حضــن الطبيعــة
نغمــي تــردده النســائم ســاعة الفجــر الوديعــة
لم لا أعــيش كمــا يعــيش القــط موفــور الوداعــة؟
كالطــل في صــدر الربــى كالنمــل في ظــل القناعــة
لم لا أكــون كطفلــةٍ تلهــو عــلى شــط الميــاه
أهــزا بقســوة هــذه الــدنيا وآلام الحيــاة
وإلى متــى ظهــري تحطمــه أعاصــير الريــاح
ويزيـل عـن وجهـي ظـلامُ الليـل أنسـامَ الصـباح
ولم الحقيقــة لا تســد عــلي أبــواب الخيــال
فـأكف عـن جريـي وراء الضـوء في جـوف الليـالي
وأفـك أغـلال الأسـى وأضـمد الجـرح العميـق
وأزيـح مـا يجثـو هنـا في هـوة القلـب السـحيق؟

***

أنــا لا أحــس بآدميــة هــذه الــنفس الغريبــة!
أنــا لا أرى الــدنيا ســوى صــورٍ وأشــباحٍ رهيبــه
أواه لــو أحيــا كمــا تحيــا جميــع الكائنــات
وأسـير في ركـب الـورى وأغيـب عـن ذكـرى حيـاتي !

▪ حق البقاء

إلى من أشرق في نفسي كفجر طروب

وغاب وراء الأفق كحلم رهيب

آه لــو نعــرف مــا قــدر الحيــاة	آه لـــو نـــدرك أوهـــام العيـــون
إنَّ ظـــلًا واحـــدًا ممـــا نـــراه	لـــيس إلا هاجســـات وظنـــون
إن يومًـــا قـــد مضـــى مـــن أمســـنا	صـــار حلمًـــا وخيـــالًا وحنـــين
والغـــد المنشـــور مـــن أعمارنـــا	ســـوف يطـــوي في ديـــاجير المنـــون!

***

إيـــه يـــا بحـــر الأمـــاني والهـــوى	أيهـــا القلـــب المعمـــي كـــم تخيـــب!
لا تقـــل لي : صـــبها لي صـــبها	ســـوف تلقـــاني مـــع الخمـــر أذوب
أيهـــا الجاهـــل بـــالله إلى	كم تحث الخطو في هذي الـدروب؟
نســـمة أنـــت تـــذري في الفضـــا	وعبـــاب في تلاشـــيه يغيـــب!

***

طالمـــا اســـتطعمت كأســـي ! ليتنـــي	ذقـــت مـــرًّا مـــذ تـــذوقت البدايـــة
ليتنـــي آثـــرت أن أفرغهـــا	بـــين طيَّـــات الثـــرى حتـــى النهايـــة
ليتنـــي لم أقـــرأ الحـــب كمـــا	يقـــرأ الســـاهر طرفًـــا مـــن روايـــة
يســـتلذ النـــوم في أحضـــانها	وهـــو لا يـــدرك أن النـــوم غايـــة !

***

قد ثوى المطرق إلا طرقة   دقها الزائر حينًا وانتظر

وأتى الليل بطيئًا خاملًا   يحمل الصمت وأحزان القمر

آه من جهلي ومن خوفي ومن   رعشةٍ تسري ودمعٍ ينهمر

ما الذي أصنع في جوف الدجى   ما الذي أرجوه من ظلم القدر؟

طرقةٌ تهوي وأخرى تعتلي   ودويٌّ صاخبٌ يعصف بي

أظلم الروح خيالًا ورؤىً   ما تبقت ومضة لم تكب

وهوى الرأس ثقيلًا تعبًا   فوق صدرٍ حائرٍ مضطرب

أقفر البيت فما من شبحٍ   فيه مغداي ومنه مأربي

***

يا نداء الروح أطبقت فمي   خبت الصرخة والروح تجود!

ما احتفاظي بشبابي ودمي   واعتزازي بأمانٍ ووعود

كنت أخشى القبح لو كنت معي   غشَّت المرآة أظلال الجمود

كنت أخشى الموت لو كنت معي   ما على الراحل لو كان يعود !

***

آه كم تطوي أعاصير الدجى   ووداع الشمس للأرض يثير

أينام العشب في الوادي على   ضفة الأنهار أو شط الغدير

ويضم الغصن أطيار الربى   ويناغي النجم أجفان الزهور

ثم يمسي القبر مثواك إذا   ألقت الساعة بالخطو الأخير؟

***

برئــت نفســي مــن الشــكوى وإن   لم أجــد لليــأس في القلــب رجــاء

كيــف يمحــى الشــك فينــا طالمــا   أن هــذا الجســم مــن طــينٍ ومــاء

رب إنــا قــد نــرى مــا لا نعــي   أو نعــي لكننــا نــأبى الرضــاء

هــو أجــرٌ غــانمٌ فــزت بــه   إن تكــن قاضــيته حــق البقــاء !

■■ عروس الفناء

انطفـــي يـــا شــــعلة في دمـــي — مـــا عـــاد للنـــار هنـــا مـــن وقـــود
واحتســـبي يـــا صـــرخةً في فمـــي — لـــن يبلـــغ الصـــوت مجـــاز الحـــدود
ويـــا دموعًـــا لم تـــزل هاميـــه — جفـــي فقـــد ولى انفعـــالي وفـــات
ولم يعـــــد هنـــــا بأضـــــلاعه — غيـــر فـــؤادٍ كـــان حيًّـــا ومـــات!
وأنـــت يـــا لـــيلى الـــدفوق الـــدفوق — أنشـــر دجـــاك في مهـــاوي الظـــلام
حتـــى إذا مـــا هـــلَّ طيـــف الشـــروق — اقبـــر ســـناه في مهـــاوي الظـــلام

***

لا توقظـــوا المنســـية النائمـــة — فقـــد طوتهـــا ظلمـــات المســـاء
تعـــيش في غيوبـــةٍ حالمـــه — بعيـــدةً عـــن الأســـى والشـــقاء
وهـــي هنـــا عـــلى الفِـــراش الـــوثير — عـــروس هـــذي الليلـــة الســـاريه
غارقـــةً في لـــذة اللاشـــعور — لا تقلقـــوا أحلامهـــا الغاليـــة !
في حضـــنها المظلـــم طيـــفٌ ثـــوى — نشـــوان مـــن فـــيض الهـــوى والحنـــين
تأججـــت أعطافـــه فـــانثنى — يضـــمها في غمـــرات الجنـــون
في قلبـــه جـــوع وفي المقلـــة — ظمـــا وشـــوق اللهفـــة الحانيـــة
كأنمـــا يخطـــف في قبلـــة — أنفاســـها الباقيـــة الواهيـــة !
وكالحمامـــة التـــي تنهـــلُ — مـــن منبـــع البحيـــرة الصـــافيه
يجـــذبها غرامـــه المشـــعلُ — إلى رؤىً وســـنانة زاهيـــة

***

لا تقلقـــوا أوهامهـــا فـــالوجود — لم يـــدر بعـــد أنَّهـــا ذؤبـــت
كـــأس الحيـــاة بالفنـــاء المديـــد — ولم تـــزل تشـــرب حتـــى ارتـــوت

■■ دعاء

يا رب ومضًا من ضيائك في دمي ... وظلال آمال على أجفاني
أو صحوة أخرى قبيل ترحلي ... بل هزةً كبرى ترج كياني!

***

إني على طول الطريق كما أنا ... أمضي وأعثر في ذيول هواني
وحدي أسامر في الظلام كآبتي ... وأمدها بالصبر والإيمان
وأصيخ في صمت لصوت مرعب ... بين الجوانح هاتفٍ رنان
جمع الضراعة والأنين بزفرة ... وتأوهات من شج حيران
البرد يلفح جبهتي متثاقلًا ... جهمًا كأنفاس العجوز الفاني
ورنين أقدامي يسابق في الدجى ... خطوي كأن الخطو طيف ثان
والصمت والظل الكئيب ووحدتي ... والظلمة الخرساء هم خلاني
وأنا أسير ولا أسير كأنما ... لا حس لي ، لا روح ، لا عينان
أطوي مسافات الفراغ بناظري ... وأظل أعثر في الظلام العاني
فأحس بالقدر المريب بجانبي ... يرنو إليّ بعبطةٍ وأمان
ويبث في الصدر الرجاء فأشتهي ... فيضًا من الإحسان والتحنان
وأمد أجنحتي على طول المدى ... على أضم الكون في أحضاني
فإذا بهن قد امتلأن كآبة ... وضممن طيف الصمت والحرمان!
وإذا بثورة مؤمن في أضلعي ... وبقيةٍ من غضبة الإنسان
وعلى جدار اللانهاية أرتمي ... حيرى أسائل من أنا ؟ ما شاني؟
من أين من أين الشقاء يحوطني ... واليأس ملتف على أركاني

***

يـا رب فيضًـا مـن حنانـك في دمـي وظـــلال آمـــال عـــلى أجفـــاني
يـا رب دعنــي لا أحــس بمــا تــرى عينــاي مــن صــور ومــن ألــوان !

■■ لبنان

[فوق جبال لبنان]

لبنـان ! لـو خيـرتُ مـا اختـار الفـؤاد عـلى الوجـود
وطنًـا سـواك يضـمني كـالأم تحتضـن الوليـد!
ولـو اسـتطعت لعشـت بينـك في ربوعـك هائمـة
فـوق الجبـال عـلى الربـى ، بـين السـفوح الحالمـة
أبـدًا أرفـرف طـائرًا نشـوان أسـتوحي هـواي
وأشـيد باسـمك أينمـا وجهـت عينـي أو خطـاي
جذلانـة أمضـى مـع الفجـر الحنـون المزدهـر
وأهـيم حـول منـابع الأحـلام والزهـر النضـر
وتعـب روحـي مـن شـذاك الغـض مؤتلـق السـنا
فأعـانق الأجـواء راقصـةً عـلى ظـل المنـى
حتـى إذا جـن الظـلام وعـادني النـوم القريـر
ودعـت طيفـك كـي أراك بخـاطري حلمًـا نضـير!

***

لبنـان لـو خيـرتُ مـا اختـار الفـؤاد عـلى الوجـود
وطنًـا سـواك يضـمني كـالأم تحتضـن الوليـد!

***

لكـــن مصـــر بأرضـــها بنخيلهـــا العـــالي الطويـــل

لكـــن مصـــر بنيلهـــا الـــذهبي في وقـــت الأصـــيل

وبثغرهـــا المفتـــر عـــن درر المحبـــة والأخـــاء

وبوجههـــا الوضـــاء في شـــمس الطهـــارة والصـــفاء

بصـــدى المـــآذن في رحـــاب فضـــائها يغـــزو القلـــوب

بمدينـــة الإســـكندر الكبـــرى بأنحـــاء الجنـــوب

بروائـــع الآثـــار مـــن عهـــد الفراعنـــة المجيـــد

بجـــلال أهراماتهـــا وبـــزورق الشـــمس العنيـــد

لكـــن مصـــر جميعهـــا بخيالهـــا الحـــاني عـــلى

تـــومي إلى فـــلا أرى مـــن حســـنك الفيـــاض شـــي

لكـــن مصـــر وقـــد تركـــت ظلالهـــا مـــن ليلتـــين

أشـــتاق لـــو أحظـــى برؤيـــة أهلهـــا في لمحتـــين

وأود لـــو أنســـاب طيـــرًا خافقًـــا حـــر الجنـــاح

وعـــلى ربـــى الـــوادي الســـعيد أضـــم أضـــواء الصـــباح

***

لبنـــان معـــذرة ! فمـــا بـــالخير تتصـــف العبـــاد

إن لم تكـــن لبلادهـــا مـــن قبـــل أن تهـــب الفـــؤاد

▪▪ التمثال الخالد

[من وحي الأمومة]

مـن نبـع قلبـي ومـن دمـع الهـوى ... ومن أديـم كيـاني مـن دمـي النـاري
صببتُ تمثـال حـب كـان مـن زمـن ... قـد حطمتـه يـدي في ليـل أقـداري
ولم أشـأ أن أراعـي في الهـوى ثمنًـا ... أو أحرم الحب من عطفي وإيثـاري
فجئتـــه بضـــيا عينـــي وبهجتهـــا ... حتـى يـرى أفقـه في ظـل أبصـاري
وضعت إكليلـه الماسـي مـن عرقـي ... ومـن صـلاتي وألحـاني وأشـعاري
وخشـية الـريح أن يمتـد سـاعدها ... فيهـــدم الصـــرح في لطـــمٍ وتـــزآر
بنيـــت قاعـــدة شـــماء ثابتـــةً ... من الوفـاء ومـن عزمـي وإصـراري
وحينمـــا تـــم للتمثـــال رونقـــه ... ولم يعـد فيـه مـن عيـب وأوضـار
نفخـت فيـه قـوي وروحـي وعزتهـا ... حتـى يبـوح بأشـواقي وأسـراري
وقلت : عُدْ لي ! فإن النفس موحشـة ... وأنت لحـن حيـاتي أنـت قيثـاري!!
ثـم ارتميـت عـلى الأقـدام لاهثـة ... والشوق يغمر إحساسـي وأفكـاري
ورحـت أرقـب تمثـالي عـلى لهـفٍ ... وأرهف السمع كـي أحظـى بأخبـار

***

وران صـمت عـلى الأجـواء منتشـر   وظللـت غفـوة عينـي بإنكـار
ثـم انتبهـت فـإذ بالضـوء منهمـر   ينـدى عبيـرًا فمـن ورد وأزهـار
وراعنـي مـا رأت عينـاي في دهـش   حين استقرت على التمثال أنظاري
ولم يكـن عجبـي أني أشـاهده   وقـد تبـدل أنثـى حسـنها سـار
فلـيس أسـهل مـن تحويلـه امـرأةً   وذلـك العصـر مملـوء بأسـرار !
لكـن تـراءت كـأن الله أودعهـا   سـر الملائـك مـن طهـر وأنـوار
تقطـر النـور تقطيـرًا جـدائلها   وتنثـر الـورد كفَّاهـا بمـدرار
وتحـت أقـدامها تجـري مسلسـلةً   جـداولُ المـاء في تيـار أنهـار
ثـم انثنـت بجناحيهـا مرفرفـةً   حـولي متمتمـة في همـس أطيـار
أنـا الأمومـة لا حـب يجـابهني   ولا جمـال يحـاكي حسـني العـاري

***

وحينـذاك طويـتُ العـين خاشـعةً   وطأطـأ الـرأس في حمـدٍ وإكبـار !

▪▪ ولدي

بنـــيّ فـــديت بـــالعمر القصـــير ... فخذ ما شئت مـن عهـد السـرور
لقــد حكــم الإلــه عليــك حكمًــا ... ومــا لــك غيــر ربــك مــن نصــير
فحكـــم الله أعـــدل كـــل حكـــم ... يشــع عليــك نـــورًا فـــوق نـــور
ومـــا لـــك يـــا بنـــي بمـــا نـــراه ... ولم نـــر غيـــر زيـــفٍ أو غـــرور
فـــرب صـــنيعة فتنـــت عيونًـــا ... وأقبلنـــا عليهـــا بالصـــدور
تهـــاوت بغتـــةً وهـــوت ســـريعًا ... وكـان الحسـن نوعًـا مـن قشـور

***

بنـــيّ جعلتنـــي أهـــوى بقـــائي ... فعشـتُ لغصـنك الغـض النضـير
وجرعنـــي الزمـــان كـــؤوس هـــمٍ ... وضـــن عـــليَّ بـــالعيش القريـــر
ولكنـــي ســـقيتك مـــاء قلبـــي ... وجـدت عليـك بالحـب الـوفير
وكــان الشــوك في الــدنيا نصــيبي ... وكــان لــك الزهــور مــع العبيــر
أخــاف عــلى خطــاك حصــاة أرضٍ ... وقد أعلو الهضـاب مـع الصـخور
ومـــا للمـــوج يلطمنـــي فأرضـــى ... وأخشـى فيـك لمسـات الحريـر
وأجـــزع إذ أراك مرضـــت يومًـــا ... فيحـــويني ظـــلام مـــن قبـــور !

***

بنـــيّ جعلتنـــي أشـــقى بعيشـــي　　　ففـاض بـي الشـقاء مـع الشـعور

وجفــت أدمعـــي وكــأن روحـــي　　　أمــام الكــون كــالروح الضــرير

فمـــا عـــاد الظـــلام وعـــاد نـــور　　　ليعنينــــي ولا تعـــب المســـير

وهـــل لي في البريـــة مـــن عـــذولٍ　　　وهـــل لي مـــن نصـــيرٍ أو عـــذير

وددت لـو اسـتطعت فقلـتُ عقـلي　　　إليــك بــه يقيــك مــن الكثيــر

فمــن يرعــاك بعــدي يــا وحيــدي　　　ومــا هــو مســتجدٌّ مــن مصــير؟

***

إلهــي مــا قصــدتُ الجحــد يومًــا　　　ولم يحمــل ضــميري مــن شــرور

ولكـــن الأســـى أعمـــى فـــؤادي　　　فعفـــوك إذ أســـأتُ إلى الغفـــور

فكـــم عللـــت نفســـي بالأمـــاني　　　وأحـــلام الأمومـــة كـــالزهور!

■■ أنا وقلبي

حببتــك حبًــا يفــوق الخيــال لأنــك كنــت صــنيع يــديا
لأني وهبتـــك أغـــلى مكـــان بنفســي وأعمــق ركــن لــديا
تربيـــت فيـــه رقيقًـــا حنونًـــا وفيـــه شـــببت عفيفًـــا أبيًـــا
وأرضـعتك الـدم مجـرى الشـعور وأسـقيتك الـدمع دمعـي النقيـا

***

ولمـــا كبرنـــا طوينـــا الوجـــود وهمنـــا بآفاقنـــا الواســـعات
وحـــين ارتعشـــنا أطـــل الضـــباب وأرخـــى ســـتائره البـــاردات
وحـــين تعبنـــا خفضـــنا الـــرؤوس لنحمـــل ضـــربة هـــذي الحيـــاة
ورحنـــا أخيـــرًا نلـــم الحصـــاد ونقتـــات آمالنـــا المجـــدبات
ولكننـــا قـــد حلمنـــا مـــرارًا وعربـــد في جانبينـــا الغـــرور
فـإن نــك عشـنا كمـوتى طـويلًا فإنـــا حيينـــا وذقنـــا الســـرور
وإن نـك سـرنا عـلى الشـوك حنينًـا فحينًـا عـلى بسـطٍ مـن زهـور
وكنـت عـلى الصـدر صـخرًا ثقـيلًا وفجـرًا مضـيئًا وأيكًـا نضـير

***

فمـــا اليـــوم أمـــرك يـــا حـــاكمي ومـــرآتي البضـــة الصـــافية؟
لقـــد أتعبتـــك الريـــاح الســـراع وأوهنـــت الأجـــنح العاريـــة
وأدمـــت خطـــاك حصـــي الطريـــق فأهرقـــت كـــل الـــدما الغاليـــة
ومـــاذا ادخـــرت لنـــا مـــن جديـــد ومـــا هـــي رغبتـــك الباقيـــة؟

■■ قصة ضفتين

هنالـــك في غابـــة ضـــائعة مبعثـــرة في نـــواحي الحيـــاة

هنالــك بــين الربــى الواســعة وطيــف النهــار يلــم ضــياه

وكـــان شـــتاء وكـــان وجـــوم وقـد لفـح البـرد غـور العـروق

فصــار الوجــود كثيــف الغيــوم يشــق دجــاه ومــيض البــروق

يســـخره الليـــل في قيـــده ويعمـــل فيـــه هراواتـــه

فيطــوي الهــزار صــدى وجــده ويخفـــي الكنـــاري صـــباياته

وتتلــو الريــاح صــلاة المســاء وتوغــل بــين غصــون الشــجر

فترجــف حتــى حنايــا الســماء وتخنقهــا عبــرات المطــر

هنالـــك راح غـــدير صـــغير يهدهـــد أمواجـــه النائمـــة

ويمضــي بمــرأى الغمــام الكبيــر يبعثـــر أنفاســـه الهائمـــة

وكـــان الغـــدير بـــه ضـــفتان ولا بــد مــن فاصــلٍ للحــدود

تناهــت فــوق صــدر الزمــان وعانقتــا وجــه هــذا الوجــود

تناهـــت بإحـــداهما صـــبوة فضــاقت بهــذا الفــراغ الكئيــب

وطافـــت بأحلامهـــا نـــزوة إلى همســـات حبيـــب قريـــب

وكانـــت أشـــد انفعـــالًا وحبًّـــا برونــق هــذا الوجــود الكبيــر

يشـــق عليهـــا توحـــد قلبًـــا وفيــه يــؤج لهيــب الشــعور

وزاد التبـــرم بالضـــنة وحنـــت إلى أختهـــا الثانيـــة

إلى تـــوأم الـــروح والمهجـــة إلى الضــفة الرخــوة الســاجية

فأفلـــت منهـــا أنـــين كتـــوم وصـــرخات يائســـة موجعـــة

وراحــت تنــاجي بقلــب كلــيم وتســـكب أناتهـــا المفجعـــة

***

تعالى فكلي حنين عجيب ... إليك يذوب جوف الصخر
تعالى أضمك حتى أغيب ... محيًا وشعرًا ونحرًا وخصر
فلولا المياه وهذي الدود ... لملت إليك وملت إليا
فننساب ملء حنايا الوجود ... وننظم كونًا بهيًّا نديًّا
فأعنف ما في الصدور حنين ... بعض شغاف المنى الحائرة
وأرهب ما في القلوب سكون ... يقيد أصداءها الثائرة!
تعالى فإني سئمت القطوب ... وهذه البرودة هذا البلل
سنقلع منَّا مكانًا جديب ... ونزرع فيه بذور الأمل
ونبهر حتى عيون الربى ... ونخطف حتى قلوب البشر
ونصبح أيكًا يضم المنى ... ويعزف لحن الربيع النضر
تميس الغصون على صدره ... مشعشعةً بالضيا والنسيم
نلوذ ونسبح في حضنه ... وفي مقلتينا ظلال النعيم
وتحت عريش من الياسمين ... وليلِ طفوح بضوء القمر
بأنفاس صيف رطيب حنون ... بجلبابه المستضيء الصور
سنسمع طورًا أغاني الطيور ... وهمهمة العاشق المنتظر
وخطو الحبيبة بين الزهور ... وخلجات قلبيهما تستعر
ونسكر حينًا بعطر الورود ... كمحموتين بخمر الهوى
وننفض عنا سبات الجمود ... ونأكل تفاح هذي الربى
تعالى تقرب ظلال خطانا ... ونجمع ذراتنا الشاردة
فتلك العروق عروق دمانا ... تولول مثلوجة باردة!

***

وفي غمرات الظلام الكبير ... تململت الضفة الثانية
وفي جوفها نسمات الغرور ... تهدهد أعطافها الحانية
وكانت كئيبة أحلامها ... مغلفة في مهاوي الشقاء
لذاك استجابت لإغرائها ... لهذا النداء لذاك اللقاء
فمدت ذراعًا ومدت ذراع ... وإذ بهما ضفة واحدة
وقالت : مع الغد نلقي الشراع ... ونسبح في جنة خالدة
ونامت على حلمها المنعش ... وفي جانبيها هوى يستعر
ولكن في روحها المرعش ... مواكب مختلفات الصور
وحف عليها نسيم الصباح ... وفتح منها عيون الغباء
فصوبت العين حول البطاح ... إلى الغاب ، في النهر ، نحو الضياء
وكفكفت العبرات السخينة ... بأطرافها في رضًا ووداعه
وراحت تناجي بروح حزينة ... كأني بها تستمد الشجاعة!

***

رويدك يا أخت ما تطلبين ... وكيف استحال هواك عباده؟
فما قد خلقت لهذا الحنين ... أرقرق فيه رحيق السعادة
إذا ما تبعت نداء الحياة ... وأغرقت أمسي في حاضري
لسوف أحن لعشب المياه ... ووصوصة الجندب الحائر
أجل سوف أبقى بحر جروحي ... وملء دمائي وطء النعال
فما عاد شيء يعمر روحي ... سوى العيش في سبحات الخيال
فثمة ظامئة في الوجود ... سرى اليأس في قلبها حاقدًا
تسائلني رشفة تستعيد ... بها الأمل الباسما الراغدا
وثم غريب معرى القدم ... وفي عثرة الشارد الواهن

يخـــط ســـطور الأســـى والألم ... عــلى صــدري الواســع المحســن

هــو الــروح لــن يســتبيح اللقــاء ... وإن عانقتـــه دمـــائي الغليلـــة

أنـــا في حيـــاتي رمـــز الفـــداء ... أنـــا في حيـــاتي معنـــى البطولـــة

فلـــيس لأنفاســـنا أن تجـــود ... لتســـعد قلبًـــا مضـــيء الـــنغم

ولكـــن لنحمـــل قـــدر المزيـــد ... أســـى الآخـــرين وآلامهـــم

***

وران الســـكون عـــلى الغابـــةِ ... وبالضـــفتين وجـــوم غريـــب

وغـــرَّد طيـــر عـــلى ربـــوةٍ ... يـــؤبن ذاك الحـــداد الرهيـــب

■■ من أنا ؟

يـــا ليـــت شـــعري مـــن أنـــا — بـــين الوجـــود الفـــاني؟
أنـــا زهـــرة مســـحورة — ســـقيت مـــن الأزمـــان
وبـــأدمعٍ فياضـــة — وبغمـــرة الأشـــجان
أنـــا موجـــة صـــخابة — في شـــاطئ الأحـــزان
قـــد حطمتهـــا صـــخرة — الآلام في الوديـــان
أنـــا نفحـــة قدســـية — عاشـــت عـــلى الألحـــان
أنـــا همســـة تنســـاب — بـــين العطـــف والإحســـان!

▪▪ أيها الشعر!

امـــض عنـــي يـــا أيهـــا الشـــعر! لم تبـق بكهفـي غلالـة مـن نـور
امـض عنـي ! سـأعبر الكهـف وحـدي بظلامـــي وخطـــوي المقهـــور
أو أنـــت القضـــاء يـــا شـــعر أنـــت القـــدر المـــر للفـــؤاد الكبيـــر؟
أنـــا لم أدر مـــا طفولـــة عمـــري من أقاصـي الزمـان كنـت نـذيري
كيـــف ولـــت واهًـــا ! بغيـــر هنـــاء كيـف مـرت بغيـر طيـف سـرور
خلفتنـــي لموكـــب الـــوهم يســـري بـــي حـــرًا ويســـتحث مســـيري
فحرمـت الحنـان والحـب والعطـف وطيـف الرضـا وصـفو الصـغير
وحرمـت الصـحاب والمـرح الحلـو وضـحك الصـبا ولهـو البكـور
وتفانيـــــت في رضـــــاء خيـــــالي وطويـــت الحيـــاة في التفكيـــر!
ثـــم أســـريت أنـــت في أفـــق وهمـــي وتراءيـــت في دروب غـــروري
مشـــــرقًا كالصـــــباح كالأمـــــل الزاهـي كـروضٍ معطـرٍ بـالزهور
فتراميـــت فـــوق صـــدرك نشـــوى أتمـلى مـن حسـنك المنضـور
إيـه يـا شـعر ! مـا الـذي بـك أغـراني حتـى أذبـت فيـك شـعوري؟
أهـــو المجـــد؟ أي خلـــدٍ وقبـــري مشـــرئب هنـــاك بـــين القبـــور
أهـــي الـــذكرى ؟ أي روح ستصـــغي لصـــداها في كونهـــا المســـحور

***

غيـــر أني ظننـــت ضـــوءك فجـــري ... فتلاشـــيت في ســـناء النضـــير

فـــإذا أنـــت حيـــث تهـــبط نـــارٌ ... تتلظـــى بقلبـــي المســـعور

وإذا أنـــت حيـــث تهـــبط بحـــر ... أتلـــوى في يمـــه المهـــدور

فـامض عنـي ! سـئمت طيـف شـقائي ... سـوف أحيـا في كهفـي المهجـور

حيـــةً تأكـــل الرمـــال إذا جاعـــت ... وتقتـــات مـــن أديـــم الصـــخور

مات فيها الشعور والحس فاسترخت ... وعضَّـــت أقـــدام كـــل ضـــرير

ليـت شـعري ! مـا غايـة الـدهر منـي ... ولم انســقت في الوجــود الكبيــر

أإلى ذلـــك المصـــير لهـــذا الغـــد ... ويـــل الحيـــاة ويـــل مصـــيري !

■■ تأملات

إنني أسمع صوتًا في وجودي ... يجمع الأصداء من كل نغم
كلما يصمت يعلو من جديد ... باعثًا في النفس أشباح الألم
إنه يسري عميقًا في ضلوعي ... أبدي الحزن مما قد أصابه
سائلًا ما سر يأسي ودموعي ... وعلام العيش في دنيا الكآبة
صه و! لا تقلق خيالي وشرودي ... أيها الخافق موصول النداء
أنت إن أسريت في كون وجودي ... لن ترى للسر مأوى أو بقاء

***

فوق أعماق المساء الميتة ... نامت الظلمة في جوف الكون
وهوت قطرة ضوء باهتة ... من دماء المقمر الباكي الحزين
هاهنا الجدول في بطء الضرير ... يتهادى كالخيال الحالم
وأراني في الدجى طيفًا يسير ... حاملًا أعباء هذا العالم
وأرى حولي ظلامًا معتكر ... وعيون الأفق تهمي أدمعا
ورؤوسًا من أفانين الشجر ... ذبحت ذبحًا فمدت أذرعا
قبلة الرعب تدوي تجبيني ... وخطى المجنون تجري في الظلام!
وهواء ضم أصداء أنيني ... والسحاب الجهم خلق وأنام
أقلق المطرق أنفاس الأثير ... واصلًا ما بين أرضي وسمائي

وانثنى الماء على صدر الغدير   عائر الخطوة يرنو لشقائي
موجة تعلو بطيَّات عميقة   حزنها الصامت أحزان الحياة
آه من يدرك أسرار الحقيقة   أأنا النسيان نسيان الإله؟
كل هذا الماء لا يشفي غليلي   إنني أبحث عن ماء الصخور
رُبَّ صخر راح يصغي لعويلي   ويروي ميتًا بين القبور
هاهنا وجه تراءى من بعيد   إنه وجه الردى وجه العدم
وهنا الهوة تبدو من جديد   قمة تعلو على كل القمم!

***

إنها الطينة تحيا في الخيالِ   الرحيق العذب في روض الغد
إنها الرمَّة في جوف الليالي   لفظتها الأرضُ قبل الموعد
إنها دنيا أعدَّت لهوانا   إنه يا خافقي كون الشعور
كل أرضٍ فيه تصغي لخطانا   كل ركنٍ فيه يرنو ويشير !

▪▪ النخلة الحيرى

وسبع من النخل الرطيب بروضةٍ — تهاجمهن الريح طورًا وتحجم
وقفن وقوف الجند زهوًا وعزَّةً — وكل شجاعٍ في الحياة مكرم
أراهن في جوف الظلام عرائسًا — من الجن تغزو الكون والناس نوَّم
تجمعن فوق الأرض في شبه ندوةٍ — ومجلس أنسٍ لا يفض ويختم
وملن بأعطافٍ تفيض صبابةً — فما هن إلا عاشق ومتيم
كأني أرى حفلًا تكامل حسنُه — وراحت طيور الأيك فيه ترنم
وتلك الثمار الدانيات وليمة — وهذي الجواري غانيات تقدم
ولكن لي في سربهن نخيلةً — إليها أجيل الطرف دومًا وأنعم
بقلبي أدعوها بنفسي أجلُّها — بروحي أسرى في سماها وأحلم
هي النخلة الحيرى ألم بها القضا — فلا رحمةً ترجو ولا تتوهم
أبى الدهر إلا أن تكون بمعزلٍ — ومنأى على الأتراب تشقى وتسأم
إذا النوء والإعصار عاثا وعربدًا — وهبَّت رياح الليل تنعى وتلطم
وإذا أضرمت شمس الظهيرة في الفضا — وإذ كل ركنٍ في الحشا متضرم
فمن أين يا أختاه تلقين غوثةً — وكل رفيق جانح متبرم؟
وأين الرءوس الحانيات برقةٍ — يعانقن رأسًا كابيًا يتألم
يهيم بك الإعصار حيرى وحيدة — كأنك روح حائر متظلم
فلا حس لا أصداء لا طرف ناظرٍ — يراعيك أو يحنو عليك ويرحم
وتالله إن الكبر فيك بلا مدى — وما الشمخة العلياء منك تكرم
فما قوة الأبطال تكمل وحدها — إذا لم يكن فيها اتحاد متمم

▪▪شرع الحياة

أتـى الليـل يـا شـاعري وانطـوت ... معـــالم ذاك الضـــياء القريـــب
وغـــاب النهـــار كحلـــمٍ ســـرى ... بليـــلٍ بعيـــد الخيـــال كئيـــب
وكنـــت قضـــيت نهـــاري ســـدىً ... أشـــق دروبًـــا وأطـــوي دروب
أحـــث خطـــاي كمجنونـــةٍ ... وأركـض حتـى أتـاني الغـروب
أفـــتش عنـــك ومـــا مـــن رؤى ... وأسـأل عنـك ومـا مـن مجيـب
ولكـــن بـــي أمـــلا باســـمًا ... كزهـــر الصـــباح نـــديًّا رطيـــب
يعطـــر جرحـــي ويطفـــئ رعبـــي ... ويغمـــرني بانتشـــاء عجيـــب
ويـــدفعني لاجتيـــاز الصـــعاب ... كـــأني طيـــر طليـــقٌ طـــروب
فـــألمح بـــين زوايـــا الخيـــال ... خيالـــك يـــدنو قريبًـــا مهيـــب
وأمضـــي أصـــور حلـــم اللقـــاء ... ومـــا ســـأقول ومـــا ســـتجيب
وطـــور أشـــق ســـفوح الـــتلال ... وبـــي في الجـــوانح أي شـــبوب
وطـــورًا أهـــيم بحضـــن المـــروج ... أعـــانق صـــدر الريـــاض الرحيـــب
وأســـأل أطيـــاف تلـــك الربـــى ... أتـــدرين أيـــن يكـــون الحبيـــب؟

***

وجـــــاء المســـــاء ولمَّــــا أزل أهــيم وأطــوي فيــافي الوجــود
وقــد بــح صــوتي وكلــت خطــاي ومــا مــن مجيــبٍ ومــا مــن جديــد
أحـــدق كـــي أجـــتلي عـــالمي وفي مقلتـــيَّ ذهـــولٌ شـــريد
وقــد جلَّــل الأرض صــمت عميــق وهـــوّم فيهـــا فـــراغ مديـــد
أرى الكــون حقــلًا شــديد الــبلى أمـــات ثمـــارًا وحطَّـــم عـــود
تـــدور بـــه لفحـــات الريـــاح مـــرور الفنـــاء القـــوي العنيـــد
فتخـــرس هـــذي وتـــرعش ذا وتصــحب مــا تشــتهي أو تريــد
وتســـقط ســـحبٌ عـــلى أرضـــه فتضــعف منــه القــوى والجهــود
وتمضـــي الجـــداول في ســـيرها بــبطء الســلاحف طــي الحــدود
ويعلـــق وســـط الســـما مقمـــرٌ تكـــاد دمـــاه تقـــول : شـــهيد!
وتجـــري النجـــوم عـــلى صـــدره كـــدمعٍ تنـــاثر فـــوق الخـــدود
فـــيعكس مـــرآه في خـــاطري خيـــال الـــزوال ورؤيـــا اللحـــود
ومـــن ثـــم أعثـــر في موضـــعي وأهوى ... ويطغــى عــليَّ الجمــود
وأشـــعر أن عظـــامي بهـــا تآكــل ســوسٍ .... تنــاخر دود!

***

وجاء الصباح وما من صباح | دجى الضياء كثيف السحب
وكنت أظن حياتي غدت | غداة رحيلك لا تحتسب
فما كنتُ إلَّا حطامًا ثوى | وقطفًا تهاوى سريع العطب
وما كان بعدك لي من بقاء | وما كان لي في الورى من أرب
فرحت أعاتب طيف الفناء | تأمَّلْ صنيعك بي عن كثب
فآثار كفّك فوق الجبين | وطعم كؤوسك لا تغترب
وهذا خيالك بين العيون | ونبرات صوتك لي تنتسب
وقفتَ تصارعني في الحياة | قويَّ السواعد جهمًا غضب
كأنك تحسب هذا الضعيف | إذا هاجمته المنايا غلب
كأنك تحسب أن بقلبي | خفقة حس به قد تثب!

***

أجل رجت أهذي لطيف الردى | غداة رحيلك يا من أحب
وما كنت أدرك شرع الهوى | وسنَّة هذا الوجود العجب
فإذ بي أُخدع فيما أقول | وإن كنت أصدق فيما وجب
وإذ بي آكل ما أشتهي | وأظما ... وألبس ما أنتخب
وإذ بي أمخر يمَّ الحياة | وفي جانبيَّ شعورٌ وحب
وإذ بي أسعى حثيثًا إلى | بلوغ الأماني ونيل الطلب
فما أتفه العيش يا شاعري | وأظلمه تحت هذي الحجب!

▪▪ غُموض

مضـــى عـــام وجــاء الصـــيف في أعقابـــه يجـــري

وهـــا أنـــا جئــت في الميعـــاد أنشـــد خلـــوة البحـــر

تـــرى يـــا بحـــر هـــل بقيـــتْ عـــلى جفنـــي أضـــواء

وهـــل بينـــي وبـــين هـــديرك المنغـــوم أصـــداء

أم أني صـــرت لا أجلـــو ســـوى الظلمـــات في ذاتي

ولا أصـــغي لأصـــداء ســـوى أصـــداء أنَّـــاتي

أجـــل مـــا زلـــت أســـتوحي مـــن الأمـــواج والرمـــل

جمـــال الكـــون والـــدنيا وطيـــف الحـــب والأمـــل

أســـير طليقـــة نشـــوى بضـــوء الفجـــر والنســـم

وأمـــرح في الضـــحى وحـــدي مـــع الأمـــواج والـــنغم

ويـــأتي الليـــل منتشـــرًا عـــلى الآفـــاق والبشـــر

فأقضـــي الوقـــت في كـــوخ مـــن الأخشـــاب والمـــدر

ومـــا برحـــت عـــلى كتـــل الرمـــال الصـــفر أحلامـــي

أجمعهـــــا وأبنيهـــــا وأهـــــدمها بأقـــــدامي

وللأمـــواج دمدمـــةٌ تخـــوض حشاشـــة القلـــب

وهدهـــدة وهينمـــةٌ مـــن الآمـــال والحـــب

ولي في الفجـــر إنشـــادٌ يفـــوق البلبـــل الشـــادي

فتجـــري الـــريح ناقلـــةً أهازيجًـــا إلى الـــوادي

أجــل مــا زلــت كــالأمس أهــيم كطفلــةٍ نشــوى

ولكــنْ هــذه النظــرات ؟ تلــك الدمعــة الحيــرى؟

أجــل مــا زلــت كــالأمس ولكــن في دجــى صــمتي

أحســن الضــغط في عنقــي ! تراهــا قبضــة المــوت؟

▪▪ ذات ليلة

يـــا حبيبــــي هـــذه الليلـــة كانـــت لهوانـــا

صـــــاغها الله هنـــــاء لا لقلبــــين ســــوانا

رفــــرف الحـــب علينـــا في دجاهـــا واحتوانـــا

وغفـــا النـــاس ومـــا نمنـــا ولا نامـــت دمانـــا

أترانـــا قـــد خُلقنـــا مـــن جديـــد أترانـــا؟

لســـــــــت أدرس يـــــــا حبيبـــــــــي

يـــا حبيبـــي حـــرَّك الليـــل خطانـــا ... فمشـــينا

وســـرى الطهـــر شـــاعات علينـــا فاهتـــدينا

ودعـــا القلـــب نـــداءٌ فتبعنـــا والتقينـــا

وتجرعنـــا ثمـــالات الأمـــاني فانتشـــينا

أي خمـــرٍ أي شـــهدٍ في كـــأس هوانـــا؟

لســـــــــت أدري يـــــــا حبيبـــــــــي

يـــا حبيبـــي هـــو ليـــل كـــان وضـــاءَ حنونـــا

ألهـــب الأشـــواق فينـــا والأمـــاني والحنينـــا

فقضـــيناه مراحًـــا واصـــطخابًا وجنونـــا

وشـــدوناه طيـــورًا وغنـــاءً ولحونـــا

أتـــرى الأرض تلاشـــت أم تحاشـــتها خطانـــا؟

لســـــــــت أدري يـــــــا حبيبـــــــــي

يـــا حبيبـــي كـــان ليـــلٌ قبلـــه في غـــور ذاتي

كـــان صـــمتٌ وفـــراغٌ قاتـــلٌ يطـــوي حيـــاتي

فبـــدا فجـــرًا جديـــدًا عـــاطرًا بالنســـمات

وغـــدًا عمـــرًا مديـــدًا حـــافلًا بالـــذكريات

أترانـــا ســـوف نقضـــي ليلـــة أخـــرى ترانـــا؟

لســـــــت أدري يـــــــا حبيبـــــــي

▪▪ أمنية

كم تمنيت والحياة أماني أن أراها هنيهة وتراني

إبراهيم ناجي

انطــوى الليــل والظــلام تــوارى ليــت ســاعاته خلقــن قصــارا

فيــه مــا فيــه مــن وجــوم وصــمتٍ أفعــم القلــب ذلَّــةً وانكســارا

فيــه مــا فيــه مــن قنــوتٍ وزهــدٍ وأحاســيس هائمــات حيــارى

قد رأيــتُ الســماء وشَّــحها المــوت فــأرخى مــن الضــباب ســتارا

ورأيــت الوجــود ألجمــه الرعــب فـــأغفى مستســـلمًا منهـــارا

فطويــتُ الآمــال والحــب والأحــ ـــلام والــذكريات والأســـرارا

ثـــم أغفيـــتُ كالوليـــد لأنســـى ظلـم لـيلي الكئيـب والأقـدارا ...

***

أشــرق الفجــر والظــلام تــوارى وبـداء الـروض سـاحرًا شـعريًا

يــا حبيبــي تعــال نَحْــكِ هوانــا ونشـــم العبيـــر حـــرًّا نقيًـــا

أنــت تلغــو مــع الطيــور وتشــدو فتصــوغ الغــرام لحنًــا شــجيًّا

أنــت ترنــو لمقلــة الفجــر يقظــى تسـكب الـدفء والسـنا الأبـديا

أنت تصغى لرعشة الغصــن تضـفي فــوق صــدر الربــى شــذًا عطريًــا

أنــت تشــدو ... أمــا أنــا فــأراعي زهــرة الحــب ترتــوي مــن يــديا

والغنــاء الشــجي يطــرب ســمعي والرحيـــق الرطيـــب في شـــفتيا

وحنــان الحبيــب مــلء ضــلوعي وجمـــال الحبيـــب في مقلتيـــا

***

ليــت شــعري ! مــا بعــده أتمنــى من صميم الفـؤاد ، مـن أعمـاقي؟

هـــو فجـــر أنـــا بـــه أتغنـــى حــالم الضــوء ، نــاعم الإشــراق

وبأحضـــانه الشـــفوفة أســـرى عبــر هــذا الفضــاء ، في الآفــاق

فــأحس الضــياء يعتــق روحــي شـــائعًا في ظلامهـــا الـــدفاق

ويهــبُّ الخيــال في رقــة الشــعر يغنـــي بروعـــةٍ وانطـــلاق

ويعـــود الشـــباب في مونـــق الزهــر ربيعًــا بقلبــي الخفــاق

يــا لســحر اللقــاء ! يــا لنــداء الحــ ــب ! يــا للحنــين والأشــواق!

ليــت شــعري ! مــا بعــده أتمنــى من صـميم الفـؤاد مـن أعمـاقي؟

■■ الصخرة والزورق

هناك في جزيرة نائية ... منسيةٍ مجهولة في الوجود

كانت تعيش صخرةٌ عالية ... على شواطئ الخضم المديد

مر عليها ألف جيلٍ وجيل ... ولم تزل وسط المياه الدفوقة

واقفةً ترنو كشيخ جليل ... نحو السما في همهمات عميقة

فلم تنل منها أكف الرياح ... تلك الأكف الناهشات الطويلة

ولم تشق موجة بالجراح ... أعطافها المنتصبات الثقيلة

لا بل وثبن نحوها في حنين ... ورددت أعماقهن الغناء

فشاركتهن النشيد الحزين ... وبعثرت أصداءها في الفضاء

لكنها كانت على وحشةٍ ... حائرة كالشبح الحائرِ

كأن هذا اليم في قبضةٍ ... يرتج خلف صدرها الزاخر

فكم رأت مآسيا أو محنْ ... تمر تحت الموجة القاسية

وكم وكم راحت بقايا السفن ... تودعها أنفاسها الغالية

حتى تمنت من صميم الشعور ... في لهفةٍ حيرى وفي نفسها

لو لم تكن إلا كتلك الصخور ... قد خمد المشبوب من حسبها

***

وذات ليــل قــد تغشــى دجــاه اسـتيقظت مـن نومهـا واجفـة
عــلى هــدير بــين جــوف الميــاه عــلى زئيــر الــريح والعاصــفة
ودفعـــت بعينهـــا في قلـــق نحـــو خيـــال زورق مســـتجير
وكـــان في احتضـــاره ينطلـــق وسـط الخضـم اللانهـائي الكبيـر
فأشـــفقت عـــلى الحطـــام الغريـــق وأودعتـــه صـــدرها الواســـعا
لعـــل في أحضـــانها يســـتفيق ويســـتردَّ جهـــدَه الضـــائعا
وظلـــت الصـــخرة لـــيلًا طـــويلًا ســـاهرةً تقيـــه ريـــح الشـــمال
والعاصف المجنـون يـأبى الـرحيلا ويسـتلذ الـرقص حـول الجبـال

***

حتـــى إذا هـــلَّ الصـــباح النضـــير ودفقـــت أضـــواؤه في انســـياب
ونامــت الــريح وأغفــى الهــدير هناك فـوق الشـط فـوق الهضـاب
أشـــعلت الـــزورق حمـــى البحـــار وانتفخـــت أوداجـــه الغـــائرة
فعـــانق المـــوج طروبًـــا وســـار نحـــو جزائـــر الهـــوى الســـاحرة
وهكـــذا شـــأن الضـــعيف الضـــرير عنـــد الصـــعاب يحتمـــي بـــالقوى
حتـــى إذا نـــال المنـــى والســـرور أولاه ظهـــره فيـــا للشـــقي !

***

وظلـــت الصـــخرة ترنـــو بعيـــدًا والزورق المغـرور يطـوي الميـاه
ويعبـــر الأمـــواج والـــلا حـــدودا كأنـــه حلـــم تـــوارى ســـناه
واليـــوم قـــد مـــر بهـــا ألـــف جيـــل ولم تــزل وســط الميــاه الدفوقــة
واقفـــة ترنـــو كشـــيخٍ جليـــل نحو السماء في همهمـات عميقـة !

▪▪ مولد قصيدة

أو تخيلات شاعرة

اليوم يوم الأربعاء

والليل يبتلع الوجود

وغدًا ستُنشر لي قصيدة

في الهجر أو باب العتاب

من أين آتي بالخيال ؛ والرأس يثقله النعاس

لابد من شيء يقال :

«ما حن لي قلب غداة جفاك أو رام أمرًا في الهوى إلاَّكَ»

تبًا لذاك البائع الجوَّال معدوم الحياء

لولاه ما كان الخمول

إذ راح يوقظني بصوت كالرعود

ويدق باب البيت في فجر الصباح

«لبن حليب ! يا لبن!»

فأطاح بالأحلام والدفء السعيد لكنني

«سأظل أحمي طول عمري مهجتي حصنًا أمينًا لم تصنه يداك»

لاشك أني اليوم في تعب وضني

ق

أف لهذا البيت والدرب العتيق

أنا والطريق الصاخب الملعون من بدء النهار

لكنَّ ما ذنب الخيال ، فلكل سابلة طريق

لِمَ لا أعيش هناك في جاردن سيتي

مثلًا ... كما تحيا هناك صديقتي

أو لست شاعرة أنا ؟ لكني نسيتُ قصيدتي :

«يا توأم الروح الأنيس لوحدتي ماذا جنيتُ وما الذي ألهاكَ؟»

ما كان ذنب المرأة الحسناء في البيت المجاور؟

ماذا جنت؟ حتى يعاقبها الرجل

فيصر أن لا تشتري منه الخضار

ذاك الرجل إذ راح يصرخ في عناد:

«أوَّاه منكَ وكيف ترضى ذلَّتي وأنا الذي من روحه أهداكَ!»

إذ راح يصرخ في عناد:

«القوطة المجنونة الحمراء يا شاري بلاش !

وثلاث أرطال بقرش يا بلاش»

ألأنها قالت له : خمسة بقرش يا رجل؟

حتى أجاب : والله لن أعطيك يا بنت البخيل ...

لابد من شيء يقال :

«أولاك وصلًا قبل أن يحظى بوصلٍ ثم بعد الوصل قد أولاكَ»

ما كان يعني ذلك الشاب الخبيث

ذو الشارب المفتول والعين الكحيلة ، ذات الدهاء

حين استوى بالحي ساعات طويلة

يشوي بطاطته النضيرة

ويدور حول العربة العرجاء

ماذا عني بضجيجه يملأ به صدر الفضاء

«يا عيني ... يا عيني على العزباء!» لابد من شيء يقال

«واليوم يرعى من بعيد طيفك الساري ومن ذا غيره يرعاكَ»

من راح يرعاني أنا غير الإله ؟

والقط يا قطي الصغير ... مالي أراك

متثائبًا ضجرًا على حجري الحنون

أتود تلتحف الفراش؟

أنا لم أعد يا قط أحتمل النقاش

فغدًا ستُنشر لي قصيدة

في لا كتابٍ أو جريدة

بل فوق صفحات الخيال ...

■■ مأساة دوحة

عَريـتِ سـوى مـن وجـوم حـزين ... وصـمتٍ عميـقٍ كعمـق الفنـاء
وجفـت منابعـك الجاريـات ... فمـا عـاد حولـك عشـبٌ ومـاء
ولا عـاد يحنـو عليـك النسـيم ... ويلـثم خـدَّك ثغـرُ الضـياء
ولم يبـق طيـرُ بجـوف الغصـون ... يرفـرف حينًـا ويتلـو الغنـاء
فقـد جرَّدتـك الريـاح السـراع ... وجـارت عليـك أكـف الشـتاء

***

ولكـن دعـي الحـزن يـا دوحتـي ... عـلام يـرف عليـك الأسـى؟
فلن يلـبس الـروض ثـوب الحـداد ... عليـك ولا زهـرات الربـى
ولـن تفقـد الطيـر أوكارهـا ... ولا المـار ظـلًا هنـا أو هنـا
ومـا ضـر زارع هـذي الريـاض ... إذا مـا طوتـك ريـاح الـردى
ألـيس لديـه بـذور ومـاء ... وحـبٌ وتـربٌ فسـيح المـدى؟

***

فـلا تطرقـي الـرأس في ذلـة ... تهـدم قامتـك الفارعـة
ومـدي ذراعيـك عبـر المـدى ... تضـمين هـذي الـدنى الواسـعة
أمـا قـد حضـنتِ ضـياء الصـباح ... وغنيـتِ للنسـمة الوادعـة
وراحـت ظلالـك فـوق الربـى ... تخفـف مـن نارهـا اللاذعـة
عـلام إذن تخفضـين الجبـين ... أمـام منيتـك الخادعـة؟

■■ حيرة

حيرتني يا من إليك العتاب ... وفيك آمالي ومنك الجواب

حيرتني وصل مني الصواب ... وغاص فكري في عميق العباب

أأنت مني؟ من صميم الوجود؟ ... وروحك الصافي أسير الحياة

أم أنت نجم هارب والخلود ... يبحث عنك والسها والإله

تهفو فأهفو والهوى والحنين ... قوافلٌ تسبق أقداميا

تجفو فأجثو الأسى والأنين ... ورهبة الواقف قداميا!

عينك توحي بالغموض الغريب ... أرتني الكون وأرض الفناء

فيها شرودٌ كشرود الحبيب ... ويقظةُ الرب وصفو السماء

حيرتني وأنت نجم الورى ... ومرشدي وملهمي والحبيب

أنا عليلٌ ظامئٌ للهوى ... ليس لدائي من دواء الطبيب

أنا جريحٌ ودمائي تشير ... وطائرٌ مثلك لكن أسير

عكفت في أمسي على أن أسير ... فأين ذاك الغد حتى أطير

أشد ما في الحب من قسوة ... وأجمل الأوقات فيه هناء

هو الحنين الناعم الرقة ... هو الحنين المكتوى بالدماء!

إليك تدنيني بحر اللقاء ... وبهجة القلب وحسن الجميل

ويخبط الفكر ويعلو النداء ... فأينا الطاغي وأين الذليل

أحبك القلب على حالتيك ... إما ملاك هابط أو بشر

يخفق مشدوهًا ومن هالتيك ... يلمح أضواء الهوى والعمر!

▪▪ عندما قتلتني

[عندما قتلتني تنفست الحياة]

وأصـــاب ســـيف الغـــدر أحشـــائي وغـــور كيـــاني!
فهويــــــتُ تمثـــــالًا تحطـــــم في يـــــد الفنـــــان
وتـــــدفعت تهـــــوي معـــــي في رعشـــــة المهـــــدودِ
صـــــورُ الهـــــوى والشـــــوق والآلام والتســـــهيد
وتنـــــاثرت حـــــولي بقايـــــا جثـــــة الحرمـــــان ...

***

وتركتنـــــي أهـــــوى وأدفـــــن في ظـــــلام توحـــــدي
وأدرت عنـــــي ناظريـــــك بقســـــوة وتجحـــــد
ومضـــــيت موفـــــور المنـــــى تهتـــــز في خـــــيلاء
والأرض مـــــن حـــــولي تمـــــوج بـــــأدمعي ودمـــــائي
وأنـــــا أشـــــيع قـــــاتلي في حســـــرةٍ وتـــــودد!

***

وبـــــدا عـــــليَّ كـــــأنني في ضـــــجعتي وســـــكوني
ودعـــــت أحـــــزان الهـــــوى وتـــــوجعي وأنينـــــي
ونســـــيت مـــــا كنهـــــي ومـــــا أمـــــري ومـــــا عـــــلاتي
والأمـــــس والماضـــــي البعيـــــد وحاضـــــري وحيـــــاتي
وفقـــــدت حتـــــى خلجـــــة المـــــوتى ورعـــــب ظنـــــوني

***

وأفقـــت مـــن غيبــوبتي ومجـــاهلي وفنـــائي

وتســـرَّبت عينـــاي في دهـــش إلى الأجـــواء

فـــإذا بتلــك القطــرة الحمــراء فاضــت في حنــين

وإذا بـــآلامي اشـــرأبَّت ســـاميات كالغصـــون

وإذا أنـــا في روضـــةٍ شـــعرية غنـــاءِ!

***

حتـــى إذا مـــا ردَّدت شـــفتي صـــدىً ولحونـــا

وتطلـــع القلـــب الوليـــد إلى الربـــى مفتونـــا

حـــرًا يضـــم الكـــون منســـرحًا مـــع الآفـــاقِ

عبـــر الفضـــا في عـــالمٍ متبســـمٍ بـــراقِ

باركـــتُ طيفـــك والخيانـــةَ والهـــوى الملعونـــا

▪▪ الحب الخاطف

أيــن الــذي نــأى بعيــدًا وغــاب   كأنــــه حلـــم غريـــب الصـــور
مضــى وخلّــف الأســى والعــذاب   وصـــــورةً رهيبــــةً في النظـــــر

***

صــورة حــبٍ صــاخبٍ في جنــون   طــوّف بــي وجــاب كالزوبعــة
مقهقهًــا جهمًــا طروبًــا حــزين   كأنــــــه جنيـــــةٌ مفزعـــــة !

***

أتــــى ســــريعًا ثــــم ولى وراح   مــع الظــلام المــبهم الغاشــمِ
كأنــــه عاصــــفةٌ مــــن ريــــاح   فــــوق ميــــاه جــــدول نــــائم

***

التمعــــت أضــــواؤه كــــالنجوم   وارتعـــدت كـــالبرق في غفلـــةِ
ثــــم خبــــت ســــاكنةً في وجــــوم   تاركـــــةً عينــــــي في ذهلـــــةِ !

■■ عودة

وكيــف أنســى جنــةً والســنون / قــد تمــنح الجنَّــةَ عنــد اللقــاء

أريتنيهــا مــن خــلال العيــون / وبــان لي منهــا طريــق الســماء

وهــذه النســمةُ مــا كنههــا / وذلــك العطــر ومــا أنــدره!

إذا تنفســت بــدا ســرها / فهتفــت المهجــة : مــا أخطــره!

ولحظــة في منبــع الخــاطر / وشــغفة القلــب وســير الــدماء

ولحظــة في لــيلي الســاهر / وفي ضــحى يــومي وعنــد المســاء

أســقتني فيهــا رحيــق المنــى / وخلتُهــا لــن تنطــوي أو تفــوت

فلِــمْ وكيــف لم أمــت؟ هــا أنــا / أكــاد مــن تــذكارها أن أمــوت !

لا! لم يكــن هــذا الحنــان الكبيــر / منــك غرامًــا أو جــوى واشــتعال

رثيــت لي يــا للرثــاء المريــر! / وكــان ذاك الحــب وهــم الخيــال

قــد أكســبته الوحــدة الشــاملة / ظــلًا كظــل عــالمٍ مبتســم

وهدهدتــه الحيــرة الذاهلــة / في لجــة الشــعر وبحــر الــنغم

عــلا كمــا تعلــو الفضــاء الطيــور / بعيــدةً عــن لمحــة النــاظر

وســاقني وطيــف ذاك الغــرور / يعلــو معــي وبــي وفي خــاطري

أيــن اتجهنــا في ســماء الخيــال / نحمــل أعــلام المنــى والأمــل

وكيــف عــدنا في ظــلام الضــلال / نجــر أذيــال الأســى والفشــل

عــدتُ لأنــدب الهــوى والوفــاء / وصــورة الأحــلام في ســحرها

وأشــخص المقلــة نحــو الســماء / وأرقــب الأنجــم في ســيرها

أســتطلع الــدنيا بعــين الغريــب / ولوعــة البــاكي وذل الســجين

وبــي مــن الشــوق كحــر اللهيــب / ولهفــة الوجــد وعنــف الحنــين

▪▪ الزيارة الرهيبة

ومضــت بنــا عشــرٌ مــن الســنوات صــامتةً كئيبــة
ومضــت بنــا عشــرٌ مــن الســنوات الــدنيا الرهيبــة
متفـــــارقين كأنمـــــا كنَّـــــا غريبًـــــا أو غريبـــــة
لم يعرفــا طعــم الهــوى ، لم يشــربا أبــدًا رطيبــة !

***

ومضيت يدفعني الهـوى نحـو الهـوى فـوق الـدروب
كــي أجــتلي بيتــي القــديم مجــاورًا بيــت الحبيــب

***

وطفقــت أحــدق في الخرائــب في ذهــول وارتيــاع
أو هاهنـــا كانـــت لنـــا دارٌ عـــلى هـــذي البقـــاع؟
أو هاهنـــا عشـــنا أنـــا والأهـــل أعوامًـــا مديـــدة
الحـــب بـــين يـــديَّ والأحـــلام هانئـــةٌ ســـعيدة
واليـــوم مـــاذا قـــد تبقَّـــى مـــن طيـــوفٍ ماضـــية
واليـوم أيـن الأمـس : أيـن الأمسـيات الحانيـة؟
ولَّـت ومـا تركـت سـوى الأطـلال تنعـي مـن بناهـا
ولـــت وخلَّفـــت اليتيمـــة تســـتعيد رؤى صـــباها!

***

وتســـربت عينـــاي في لهـــفٍ إلى البيـــت المجـــاور

وهنـــا ارتجفــت جوانحًـــا وانشــقَّ قلبــي بالمشــاعر

ومشـــيت نحـــو البـــاب أدفعـــه بلهفـــات الحنـــين

وكـــأنني غرقـــى وذاك البيـــت مرفئـــي الأمـــين

***

ومضــيت أصــعد في شــرودٍ ذلــك الــدرج الطويــل

وأرى الممـــر الضـــيق المنســـاب في صــمتٍ عليــل

والغرفـــة الأرضـــيَّة الحمـــراء تحتـــل الفِنـــاء

والأرض والجــدران والســقف المصــدع في الخفــاء

***

ومضــت بــي الأوهــام والأفكــار تسـتوحي الخيــال

وتعيـــد أيـــام الصـــبا وتجـــوس في دنيـــا الجمـــال

وأنـــا وأول نجمـــةٍ ظهـــرت عـــلى أفـــق الســـماء

أمضـــي إلى بيـــت الأقـــارب في تبـــاريح المســـاء

حتـــى إذا صـــعدت عينـــي نحـــو شـــباكٍ فريـــد

وظفـــرت قبـــل زيـــارتي بخيالـــه النـــائي البعيـــد

وبالابتســـامة أشــرقت كـــالفجر في وجـــه الصـــباح

وبنظـــرةٍ فياضـــةٍ زفـــت إلى قلبـــي انشـــراح

وجهـــتُ أقـــدامي إلى بوابـــة البيـــت العتيـــق

ومرقــتُ كالســهم المشــرع ، كالقنابــل ، كـــالبروق

أصغي إلى صــوت الهــوى المشــبوب في قلبــي الولــوع

يهتـــز رنـــان الصـــدى ويســـابق الخطـــو الســـريع

والفرحـــة الكبـــرى بصـــوت ندائـــه أحـــلى النـــداء !

وخطــاه تهــبط في الــدجى ، وخيالــه يطــوي الفنــاء!

وكـــأن هـــذا الســـلَّم المعـــدود أجيـــالٌ بطـــاء

لا نســـتطيع عبورهـــا دون التحيـــة واللقـــاء

ونـــروح كالشـــبحين نصـــعده بأقـــدام كســـولة

ونحـــط في أنحائـــه صـــورًا وأســـرارًا جميلـــة!

***

وتمـــر بالـــذكرى خيـــالات معطـــرة نقيـــة

وكأنهـــا رف الشـــذا في روضـــة الفجـــر النديـــة

***

فهنــاك تحــت الســلم المهجــور في الــركن الأمــين

يــا للظــلام العبقــري ويــا لأطيــاف الســكون !

والشــعر منســدلٌ عــلى الكتفــين في بــرح العنــاء

أســرى بــه عبــث الهــوى وطــلاء جــدران الفنــاء

وهنـــا ! بهـــذا الـــركن في جـــوف البـــرودة والمطـــر

وأنـــا بجلبـــابي الجديـــد بغيـــر كُمـــين اقتصـــر

وحـذائي المكشـوف أبـرز في العـرى قـدمي الصـغيرة

وعتابــه المــر الــذي أهمــى مــدامعي الغزيــرة !

وقـــرأت ثمـــة آيـــة الكرســـي مـــرات عديـــدة

في ذلـــك الـــركن المغلـــف بالخيـــالات المديـــدة

وهنـا ! بهـذي الباحـة الفسـحاء كـم رحنـا نجـوب

كنــداء أطيــار الربــى ، كعــرائس الأمــل الطــروب
عينــــاي في عينيـــه تمتزجـــان في ضـــوء حنـــون
ونـــود لـــو خلـــت الســـلالم واســـتراح العـــابرون!

***

أواه كـــم كانـــت لنـــا فـــوق الســـلالم ذكريـــات
هـــي وحـــدها عمـــرٌ وآفـــاقٌ وأحـــلام الحيـــاة

***

يــا قبضــة المجهــول يــا رمــز القســاوة والجحــود
أو تنـــزعين صـــحائفًا كانـــت كـــأوراق الـــورود؟
أو تنـزعين صـحائفًا مـن عمـري الماضـي السـعيد
هـــي كلهـــا فتـــرات مـــيلادي وبعثـــي مـــن جديـــد !
وصـحوت مـن وهـم الخيـال عـلى وقـوع الحاضـر
وطفقـــت أصـــعد ســـلم البيـــت الحبيـــب الغـــابر
حتـــــى إذا حاذيـــــت شـــــقته بإعيـــــاء كبيـــــر
شـقَّت حجـابَ الصـمت دقـاتي عـلى البـاب الصـغير
وعــلا الرتــاج ! عــلا الرتــاج ممزقًــا جــوف الســكون
وأطـــل رأس الأم منـــدفعًا يـــرى مـــن ذا يكـــون
فاســـتقبلت نفســـي أحاســـيس حيـــارى كـــالغريق
ووقفـــت كالبلهـــاء أجمـــع قـــوتي لا أســـتفيق

***

ومضــت بــي الأم الحنــون نطــوف أنحــاء الغــرف
حيــث الوداعــة تســتوي والصــمت ملتــفٌّ يــرف
وبكــــل خطـــوٍ أهتـــدي للـــذكريات الماضـــية
وأعيـــــد أُسَّ بنائهـــــا في عاطفـــــاتي الحانيــــة
فهنــا بهــذا المقعــد البنــيِّ ذي الفــرش الــوثير
عشــنا ســويعات قضــيناها مــن الليــل الكبيــر
أحكـي لـه مـا قـد جـرى بالفصـل في يـومي القريـب
وأضـــمُّ ثرثـــرة التوافـــه في رزينـــات الخطـــوب
عــن حصــة الإمــلاء ، عــن درس الطبيعــة والحســاب
عن فكـرة الإنشـاء ... مـا شـكل الضـفادع والغـراب
ويظـل يحشـر في فمـي قطعًـا مـن الحلـوى الصـغيرة
مصـــروفه اليـــومي أفـــرده لغضـــبتي المثيـــرة!

***

ومضــت بــي الأيــام الحنــون تــودع الــنفس الحزينــة
وتلــفُّ فــوق كيانهــا الحــاني غــلالات الســكينة
فالحــب يحنــي ظهرنــا كالغصــن بــالريح النفــوح
ويقيمـــه كالموقـــد الوهـــاج بالنـــار اللفـــوح
وهبطـت مـن عـدني وضـوء الخلـد يغمـر خـاطري
ثـــم انحشـــرتُ مـــع القطيـــع الآدمـــي الســـائر
والحلـــم يـــدفعني بعيـــدًا كالحصـــاة الواهيـــة

أبــدًا تــدحرجها الريــاح عــلى الســفوح الهاويــة!

وتركــت أطــلال الهــوى ملتاعــةً تهمــي دمــوعي

وكــأن لا مــأوى لســاكن مهجتــي بــين الضــلوع

***

واليــوم كالجمــل القعــود أعــيش طــيَّ الــذكريات

أجتــرهن شــرائحًا بــدم الهــوى العاطفــات

▪▪ حنين وثورة

اعــذريني إن هفــت نفســي ومالــت بــي إليــكِ

إن قلبـــي يـــا فتـــاتي لـــيس عنـــدي بـــل لـــديك

طالمـــا فتشـــت عنـــه في ضـــلوعي وعليـــك

فـــأراه قابعًـــا أو جاثيًـــا بـــالقرب منـــك !

اعــذريني إن ســمعت القــوم تحكــي عــن ضــلالي

أو رأيـــتِ الفكـــر يهـــوي في حنـــين وخيـــال

طالمـــا قلبـــي لـــدي لم يكـــن ذيَّـــاك حـــالي

لم يعــد بــين يــدي إنــه بــين يــديك !

انظـــري كيـــف ذبلـــتُ بعـــد أن كنـــتُ بهيًـــا

كيــف صــرت اليــوم شــيخًا بعــد أن كنــت فتيــا؟

يـــا لأيـــامٍ تولّـــتْ كـــم طويناهـــا ســـويا!

إنهــا قــد فــارقتني كيــف لا أصــبو إليــك؟

إن في عينـــك ســـرًّا ليتنـــي أســـبر غـــوره

يــا تــرى هــل هــو سـلم يــا تــرى هــل هــو ثــورة

أم تـــرى قلبـــك أضـــفى حلمـــه فيهـــا وجـــوره

إنـــه ســـرٌّ غريـــبٌ واضـــحٌ في مقلتيـــك

هـــا هـــو الطيـــر يغنـــي بعـــد أن راح الظـــلامُ

وازدهـــى لـــون الســـماء وانجـــلى عنهـــا الغمـــام

كــل شــيء صــار يحكــي مــا حكــى عنــه الغــرام

وأنــا وحــدي أراعــي لفظــةً مــن شــفتيك!

لا تلـــومي إن رأيـــتِ القلـــب يومًـــا قـــد جفـــاكِ

لـــن يظـــل العمـــر في ذل الهـــوى يرجـــو رضـــاك

لا ولـــن يرضـــى بـــأن يبقـــى أســـيرًا في هـــواك

إن تشـــائي فارحميـــه قبـــل أن يقســـو عليـــك

▪▪ شذوذ

خصــامٌ خصــامٌ ومــا مــن ســبب   يــؤدّى إليــه ومــا مــن ذنــوبٌ
فحينًــا أحسّــك جهمًــا غضــب   وحينــا أراك بشوشًــا طــروب
وحينًــا تكــون المطيــع المحــب   وحينًــا تصــير العنيــد الرهيــب
فطبعــك دومًــا يثيــر العجــب   ويبعــث فيَّ شــعورًا غريــب

***

كــذلك هــذا الشــعور الغريــب   يذبــذب فيَّ شــعور الهــوى
فطــورًا أحبّــك حتــى أذوب   بخمــر الأمــاني وشــهد المنــى
وطــورًا تنــادي فــلا أســتجيب   كــأن خيالــك طيــف الــردى
حنانــك ! هــذا الشــذوذ العجيــب   سيطوي هوانا بجوف الثرى ...

▪▪ الأنشودة الخالدة

قـــــد كـــــان لي آمـــــالْ ... مـــــن عنصـــــر الإغـــــراء
مزهــــــوةً تختـــــــالْ ... في عــــــالم الأضــــــواء ... !

***

عشـــتُ عــلى أنفاســها العــاطرة ... كروضــةٍ تنــدى بغــض الزهــور
أنســج مــن أصــدائها الســاحرة ... أنشــودة الفجــر ولحــن الطيــور
تظــل تمضــي في رحــاب الخيــال ... عــلى بســاطٍ سندســيٍ جميــل
تختــرق الصــخر وتطــوي الجبــال ... هازئــةً لا تعــرف المســتحيل
مــأخوذة أتبعهــا في الخفــاء ... بمهجــةٍ ظمــأى إلى وِردهــا
تاركـــةً مخــــاوفي مــــن وراء ... سوى شعور الخوف مـن فقـدها

***

وكـــــــان لي آفـــــــاقْ ... أجتازهـــــــا نشـــــــوى
تصـــــــحبني الأشـــــــواق ... والطيـــــــف والنجـــــوى !

***

وفي مــدى الآفــاق في الــلا حــدود ... كــم مــن رؤىً أبصــرها خــاطري
وســـط غـــدٍ مبتســـمٍ كـــالورود ... مســـتغرقٍ في نشـــوة الحاضـــر
وكــم خيــالٍ قــد ســرى في المقــل ... وخلتُــه منــي قريــب المنــال
راح يمـــوج بالضـــيا والأمـــل ... كــأن فجــرًا قــد تهــادى وجــال
وثــم أمضــى في حنــانٍ دفــوق ... وفي ســباقٍ مــن جنــونٍ رهيــب
أبنــي قصــورًا في الهــواء الطليــق ... الحــب فيهــا خالــد لا يغيــب
فلفهــــــا إعصــــــارْ ... في الغيهــــــب المجهــــــولْ
وطوَّحــــــــت أقــــــدارْ ... بطيفهــــــا المــــــأمولْ !

***

في عـــالمٍ رف عليـــه الوجـــوم
كأنـــــه قيثـــــارةٌ هاويـــــة

وهوَّمـــت فيـــه طيـــوف الغيـــوم
وإن بـــدت فيـــه الـــرؤى زاهيـــة

فرَّبمـــا يســـمح ربُّ الوجـــود
للـــزورق المنكـــوب أن يختفـــي

إلا الهـــوى وذكريـــات العهـــود
وهـــذه الأضـــواء لـــن تنطفـــي

فســـوف تبقـــى في مـــدار الســـنين
أنشـــودةً ترســـم رمـــز الشـــقاء

أنشـــدها في لهفـــات الحنـــين
بـــأدمعٍ لـــيس لهـــن انتهـــاء

***

قـــــد كـــــان لي آمـــــالْ
مـــــن عنصـــــر الإغـــــراء

مزهـــــــوَّة تختـــــــال
في عـــــالم الأضـــــواء

وكـــــان لي آفـــــاقْ
أجتازهـــــا نشـــــوى

تصـــــحبني الأشـــــواق
والطيـــــف والنجـــــوى

قلقَّهـــــا إعصـــــار
في الغيهـــــب المجهـــــولْ

وطوَّحـــــت أقـــــدار
بطيفهـــــا المـــــأمولْ

▪▪ بين روح وطيف

قِــــفْ ! وصــــلنا إلى مــــدى الأجـــواء

وعبرنـــــا ظـــــل الـــــورى والفضـــــاء !

يـــا رفيقــــي لقـــد تبعتـــك دهــــرًا

في دروب الحيــــــــاة والأحيــــــــاء

أنـــــت أثقلـــــتَ كـــــاهلي وشــــبابي

بصـــــنوف مـــــن ذلـــــةٍ وعنــــاء

لم تعـــدْ طفـــلًا لا ولســــتُ فتيًّـــا

فتخـــلَّ عـــن ســـاعدي ولقـــائي !

أو تـــدري وأنـــت طيـــرٌ ذبـــيحٌ

في شـــعاب الغـــرور والخـــيلاء

كـــم ترنحـــتَ فـــوق هـــوّة يـــأسٍ

وتعثـــــرتَ في ســــراب رجـــــاء

ليــت شــعري ! كـم هدهــدتك ضــلوعي

وتحـــانى عليـــك طيـــف ولائـــي

وأنـــا منـــك حيـــرةٌ تتـــوارى

وعـــزاءٌ مـــا بعـــده مـــن عـــزاء!

***

كـــفّ عنِّـــي ! فقـــد مللـــتُ بقـــائي

مـــا مســـيري عـــلى دروب الشـــقاء؟

كـــفَّ عنِّـــي ! فـــاليوم ألمـــح ضـــوء

وبريقًـــا مـــن بـــاهر الـــلألاء

■■ الشقوة الكبرى

أحتـــى هنـــاء الـــروح يـــا رب نحـــرم
ولـــــذتها لا تســــــتقر وتــــــنعم؟

رضـــينا وســـلمنا بمـــا أنـــت مـــانع
وفـــوق الـــذي تنهـــى نعـــاف ونحجـــم

دعتنـــــا الليـــــالي الشـــاديات بلهفـــةٍ
وفي كأســــها شــــهد لمـــن يتقـــدم

فلـــم نقبـــل التجـــوال في طـــرق الهـــوى
مخافـــة تيـــه العـــين والـــدرب مظلـــم

وكـــان لنـــا مـــن ديننـــا خيـــر حـــافظ
وكـــان لنـــا الحرمـــان نعـــم المـــتمم

جذبـــة ضـــمت مـــن جنـــاحي جنحًـــا
فتراخــــــت قيــــــود ذاك البقـــــاء

وإذا بـــي في غمـــرة الفـــرح طيـــرٌ
مفلـــــتٌ مـــــن حبائـــــل الأعـــــداء

عـــــانق الضـــــوء في حنـــــينٍ ووجـــــدٍ
وانشـــــــراح مجـــــــنح وانتشـــــــاء

وإذا بـــــي أراك تمضــــــي عنيـــــدًا
للـــــــذبول الكئيـــــــب للإعيـــــــاء

وأنـــا وحـــدي أمـــلأ الأرض باســـمٍ
أبـــديِّ الســـنى وفيـــر الســـناء !

فلـــم بحـــن باســـم الزهـــد غيـــر توحـــد

وغربـــــة قلـــــب في الــــــورى يتـــــألم

وأشـــــلاء آمـــــال مغلفـــــة الـــــدجى

وطيـــــف شـــــباب صـــــارخ يـــــتظلم

وإنـــــا بـــــرغم الحادثـــــات وخطبهـــــا

وقـــــد نـــــال منـــــا حاســـــدون ولـــــوم

رضـــــينا بهـــــا مـــــا دام بـــــين صـــــدرونا

يعـــــيش ضـــــمير لا يهـــــاب ويـنـــــدم

عـــــلى أننـــــا يـــــا رب جئنـــــاك نرتجـــــي

ســـــعادة روح أنـــــت فيهـــــا مكـــــرم

فـــــأنكرتَ حقًّـــــا مـــــن حقـــــوق حياتنـــــا

أحتـــــى هنـــــاء الـــــروح يـــــا رب نحـــــرم؟

▪▪ انتقام العمر

في خريـف العمــر في ظـل الأمــاني النائمـات
حينمــا تخبــو عيــون الأرض أو نــور الحيــاة
فينــام القلــب في صــمتٍ ويغفــو في ســكونِ
لا رفيق فوق درب العمــر في الــدنيا الخــؤون
غير صوت الأمس والماضـي وطيـف الـذكريات
تحت جنح الليل والظلماء والصمت الكئيب
حينما يسري برود المــوت في غــور القلــوب
ويلــف الغــيمُ أحــلامَ الأمــاني الســاحرات
ورمــاد اليــأس يطفــو فــوق نيــران الحيــاة
والفـــراغ المــــر مأوانــــا وأســــتار المغيــــب
في انطواء العمر والأصداء والحـب الخفـوقِ
في انصباب الظلمة الخرساء والليل الســحيق
حينمــا نغــدو كأشــلاء تهــاوت في الخفــاءِ
وبقايــا مـــن وجــود ســائرٍ نحــو الفنــاءِ
وأحاســـيس حيـــارى هائمـــات في الطريـــق
ربمـــا غـــرد قلـــبٌ شـــاعرٌ بـــين الأنـــام
عانقتــه الصــبوة اليقظــى وأضــواء الغــرام
ربما رفت ثغـور الحـب في روض الخريـفِ

وتغنت بالصبا واللحن والهمس الخفيفِ

ربمــا أشــرق فجــرٌ في ديــاجير الظــلام !

وتمنــى في انفعــالاتٍ ووجــدٍ ودمــوعِ

أن يعـود اللحـن هفافًـا كأنفـاس الربيـعِ

فيثيــر الشــوق في دنيــا وأجــواءٍ خفيــة

كلهــا رمــزٌ لآمــالٍ وروحٍ شــاعرية

وتمنــى .... كـم تمنـى خافقًـا بـين الضـلوعِ

فـإذا مـا أقبـل الطيـف عـلى لحـن الغـروبِ

وارتمى الشاعر هيمانًا على الصـدر الحبيـبِ

ردّه العمـــر إلى أغـــوار الفنـــاءِ

وبـدا كـالأمس نجمًـا آفـلًا وسـط الفضـاءِ

ميـت الإحسـاس في بـرد المنايـا ... كالغريـب !

▪▪ الشهيد

[من وحي فلسطين]

في ليلـــــةٍ مقـــــرورةٍ ســــــوداء ... موصـــولة الإعصـــار والأنـــواء

فـإذا السـماء بهـا تخـالف عهـدها ... وتمـــدها ســـحبًا عـــلى الأنحـــاء

والصـمت والظـل الكئيـب تعانقـا ... وطـوى الظـلام معـالم الأضـواء

وغفـــا النيـــام هنـــا بغيـــر مقـــابرٍ ... فتكـــدس الميـــدان بالشـــهداء

زاغــت بصـــائرهم ونـــام كبيـــرهم ... جنـــب الصـــغير بهـــدأةٍ وصـــفاء

ســـربٌ مـــن الغربـــان هـــوّم فـــوقهم ... متـــوزع الأنغـــام والأصـــداء

جـــذلان بالأمـــل الســـعيد بعيـــدة ... بوليمـــة مـــدت بفـــيض ســـخاء

وتحركـــت في الصـــمت جثّـــة قائـــدٍ ... لمـــا يـــزل في عـــالم الأحيـــاء

وتســـاندت وتســـاندت حتـــى بـــدت ... وكأنهـــا طيـــف الـــردى المترائـــي

نظراتهـــا حلـــمٌ توشـــح بالـــدجى ... ودماؤهـــا تســـري مـــن الأحشـــاء

ومضـــت تتمـــتم في شـــرودٍ ذاهـــلٍ ... وتجمـــع الألفـــاظ في إعيـــاء

أواه يـــا صـــحبي وأخلـــص أمتـــي ... يـــا خيـــرة الأبنـــاء ! يـــا رفقـــائي !

أو لم يعـــد في الحـــي قلـــبٌ خـــافقٌ ... يهتـــز فـــوق الســـاحة الحمـــراء؟

أيـــن الألى كـــانوا العشـــية والضـــحى ... يتحـــدثون بألســـن الفصـــحاء

أيـــن الألى كـــانوا العشـــية والضـــحى ... أشـــباه أطيـــار الربـــى الفيحـــاء؟

ناموا ومـا عهـدت عيـونهم الكـرى ... وبقيتُ وحـدي في دجـى الظلمـاء

وحـــدي أضـــيق بخـــوذةٍ مثقوبـــةٍ ... وبآلـــــةٍ مشـــــلولةٍ جوفـــــاء

نزفـــت بمقلتـــي الـــدماء وهـــا أنـــا ... أصـــغي إلى لغـــطٍ مـــن الأصـــداء

وكـــأنهن عـــواء ذئـــبٍ جـــائعٍ ... وهـــدير بحـــرٍ طـــافرٍ بالمـــاء

فتعــال ويحــك يــا غرابًــا لا ينــي — يشــتاق ســاعة ميتتــي وفنــائي!

وبــذلك المنقــار شــق ولا تخــفْ — صــــدرًا ينـــوء بشـــدة البرحـــاء

فتعـال واحمـل ذلـك القلـب الـذي — ذكـى اللهيـب بـأنفس الضـعفاء

ثــم اســتبق في الســير أطيــار الربــى — متعاليًــا مــا شــئت في الأجــواء

حتــى إذا مــا جئــتَ أرض كنــانتي — بالمفتـدى الـوطن العزيـز النـائي

فاحملــه ملتهـــب الحنايــا الـــلأُلي — يرجــون ســاعة عــودتي ولقــائي

طرْ يا رسـول المـوت قـل لعشيرتي — أني أمـوت ... وقـد تعـذر دائـي!

***

فســرى مــع الليــل الكبيــر وصــمته — صــــوتٌ يهـــز جوامـــد الأشـــياء

صــوتٌ حواليــه الوجــود وعمقــه — والكـــون والآفـــاق في إصـــغاء

قــال : اسـتعن بــالله خالقـك الـذي — يرمـــي مراميـــه بـــلا إخطـــاء!

إني اســـتمعت إلى نـــدائك عنـــدما — وجــم الهــدير ببحــرك المتنــائي

يــا أيهــا البطــل الشــهيد أمــا تــرى — أن الألى في مصـــر مـــن قربـــاء

ســـيرون قلبـــك دافئًـــا متماســـكًا — متلألئًـــا كـــالجوهر الوضـــاء

ســــيرونه حــــرًّا أبيًـــا عارمًـــا — بــدم البطولــة مــن نهــىً وإبــاء

لا لم تمــت ! مــا المــوت إلا يقظــة — يكفيــك فخــرًا ميتــة الشــهداء

هاك استمع ! غنت لمقدمك السـما — وشــدت ملائكتــي ونلــت ثنــائي

واهتـــزت الأرض الكئيبـــة شـــقوةً — لفــــراق روح النبــــل والعليــــاء

وتملمـــل القمـــر الرقيـــب توجعًـــا — ثـــم اختفـــى في هـــوّة الظلمـــاء

لا لم تمـت ! بـل هـذه السـاق التـي — شُــلّت لأقــوى مــن قــوى الــبلاء

لا لم تمــت ! بــل هــذه العــين التـي — أرخيتهـــا موفـــورة الـــلألاء

إني أكـــاد أعـــد مـــا فاهـــت بـــه — شــفتاك نجمًــا تلــو نجــم رائــي

▪▪ اذكري يا أم!

كلمـــا أشـــرق فجـــر باســـمٌ بـــين الســـكون

وتغنَّـــى طـــائر جـــذلان بـــاللحن الحنـــون

ونضـــت عنهـــا الروابـــي ظلمـــة الليـــل الخفـــيِّ

وانتشـــت أوراقهـــا الخضـــراء بالطـــل النـــديِّ

بالنســـيم الحلـــو بالأضـــواء والعطـــر المصـــون

***

كلمـــا اســـتيقظ طفـــلٌ بـــين أجـــواء القصـــورِ

هانئًـــا يختـــال مزهـــوًّا بثـــوبٍ مـــن حريـــرِ

يتثنـــى نـــاعم الأطـــراف وضـــاء الجبـــين

وأرى جناحيـك اللـذين توسـدا   قمـم الجبـال وربـوة الجـوزاء

وأرى جبينـك قـد تلمـس طـاهرًا   طيف السحائب بالـذرى الشـماء

وتكـاد روحـك في سـماء علوهـا   تستاف أنفاسي وطيب هـوائي!

نـم أيهـا البطـل الشـهيد فإنمـا   يكفيـك فخـرًا ميتـة الشـهداء!

زهـــرة بالـــدار تنمـــو وتـــروى بـــالحنينِ

في نعـــيم العـــيش في فـــيض الأمـــاني والســـرور

***

اذكـــري يـــا أم طفـــلًا آخــرًا تحـــت الســـماء

زائـــغ الأبصـــار مصـــدوم الأمـــاني والرجـــاءِ

شـــردته الأمـــة النكـــراء في عـــرض الوجـــودِ

مـــن نـــواحي غـــزة الفيحـــاء والماضـــي المجيـــدِ

هائمًـــــا أشـــــبه بالأشـــــباح في وادي الفنـــــاءِ

***

هـــو قبـــل البـــؤس والحرمـــان ابـــن الأكـــرمين

وهـــو يـــا شـــرق ابنـــك المنســـي ابـــن الـــراحمين

هـــو قبـــل الـــذل طيـــرٌ مثـــل أطيـــار الربيـــع

هـــو قبـــل الجـــوع زهـــرٌ مـــن أزاهيـــر الربـــوعِ

هـــو بعـــد الظلـــم حلـــس الفقـــر وابـــن اللاجئـــين

***

فـــإذا ران عـــلى الـــدنيا وجـــومٌ وســـكونُ

واحتوانـــا الليـــل والظلمـــاء والفـــرش الحنـــون

فـــاذكري يـــا أم طفـــلًا آخـــرًا تحـــت الســـماءِ

في جمـــود المـــوت في الأنـــواء في بـــرد الشـــتاءِ

يتنـــزى قلبـــه شـــجوٌ وهـــمٌّ وأنـــينُ

***

حـــدثي طفلـــك بـــين الرعـــد والليـــل المطيـــر

عـــن رفيـــق آخـــر يشـــبهه حلـــو صـــغير

لا عـــلى الأرض لـــه مـــن وطـــن حـــرٍّ كـــريم

لـــيس في الـــدنيا لـــه مـــن أمـــلٍ بـــاقٍ مقـــيمِ

غيـــر طيـــف الله والرحمـــة مـــن شـــعب كبيـــر !

▪▪ الفيلسوف العاشق

ومضينا وضجة الدرب كادت ... تتلاشى مع النهار الفاني

والضباب الكثيف ينشر فوق ... الأرض ظل الفناء والأكفان

ثم يلتف في الفضاء كموجٍ ... من بخورٍ مقدس القربان

وعلى الأفق أنجمٌ خافقات ... كمصابيح معبد مزدان

قلتُ: سرنا وظلمة الليل تهوي ... يا حبيبي وتعتلي أجفاني

ويكاد الخيال يخلط بين ... الكائنات العديدة الألوان

في الوجود المغلف الجهم سرٌ ... وغموضٌ يثير بي أحزاني

قال : ماذا ؟ ليس التخيل أمرًا ... مستمدًا من فكرة الإنسان

كل ما قد ترينه محض ظل ... هو نوعٌ من الحقيقة دان

قلت : عادت طوائف الوهم تسري ... فيك لما سرى الظلام العاني

وسهرنا وقد غفا الناس حتى ... حالمات الطيور في الأغصان

والفراش الحنون نحوك يومي ... فامض واحلم بحبنا في أمان

قال : إن الهناء والحب والنـ ... ـوم أراها أماكن النسيان

والطمأنينة العظمى اسـ ... ـتوت في الصفاء والإيمان !

ليت بعض النفوس تغفو طويلًا ... كي تنام الرغاب في الشيطان

في ركود المياه سمٌ زعافٌ ... بل ونوم القوى حكمٌ ثان

آه ما أغرب الوجود وما أعجزنا ... عن إدراك أي بيان

أنفوسٌ تنحط في أسفل الدرك ... وتهوي في الحفر كالعميان

ونفوسٌ تعلو إلى ذروة الطهر ... ونبل الضمير والوجدان؟

قلـــت: دعنـــا نعـــب كـــأس هوانـــا ونلبـــــي مشـــــيئة الـــــرحمن

كـــان عهـــدي أن لا نقـــيم حســـابًا أو نقـــيس الوجـــود بـــالأوزان

قـــل : كنـــا ... مـــن قبـــل أن يعـــرف الحـــب ســـبيلًا لقلبنـــا المتفـــاني !

▪▪ الاسم المجهول

أنـــت يـــا أحـــلى نـــداء لنـــداء | أنـت يـا أعـذب لحـنٍ أو صـدى
أنـــت يــا منبــع وحيــي ورجــائي | أيها الاسم ! متى تطـوي المـدى؟
مالـت الـروض مـذ زفـت زهـوره | بالنسـيم الحلـو بالطـل النـديِّ
عنـدما غنَّـت عـلى الغصـن طيـوره | أو تشـدو اليـوم بالاسـم الخفـيِّ؟
والتقـت عينـاي بالشـمس الحنـونِ | وأنــا أطــوي الوجــود الواســعا
وتراميــتُ عــلى العشــب الرطيــب | وعـــلى صـــدري عـــودي يتـــأودْ
عنــدما أصــغيتُ في لهــفٍ حبيــب | للصـدى المنغـوم يسـري ويغـرد
ثـــم مـــرت خطـــواتي الهائمـــات | نحـو ينبـوعٍ عـلى الضـفة يجـري
لم يـزل يهمـس أحـلى الهمسـات | حـين أومـالي : أنـا الآخـر أدري!
قلـت : قـد صـيرتمُ أمـري عجيبًـا | ربـــة النـــور وأطيـــار الصـــباح
سوف أشـدو بـالهوى لحنًـا طروبًـا | بــرداء الصــمت حــول الشــاعره
ومضـــى يغمـــر حلمًـــا عـــابرًا | في ديـــاجير الظـــلام الآســـرة

***

أنــت يــا مــن لم أزل أجهــل اســمه | إن يكـن قـد خُـطَّ في لـوح القـدر
أو أراعــي في الفــراغ المــر رســمه | ســوف أبقــى في ســكوني أنتظــر !

موعد في الظلام

أنا محروم ...

والحرمان مرادف للشقاء ...!

الأمير الشاعر عبد الله الفيصل

في غموض المساء في سبحات الليل في عودة الشتاء المطير

حينما يصبح النهار كحلمٍ يتوارى في هوة اللاشعور

ويكون الظلام قد أوسع الشمس عناقًا في رقة وحبور

ساكبًا خمر الموت في شفتيها ورحيق الدجى وذوب القبور !

***

في الظلام العميق حين يصير الضوء لا شيء والنهار بدادا

وتحل الدنيا جدائلها باكيةً تنعي الغائب الوقادا

ويمر السحاري إثر صحابٍ لا يمل الزئير والارعادا

وتغيب النجوم في صدره لا قمرًا تخشى أو تراعي الودادا

***

في الشتاء العبوس في ثورة الأرض وحنق الطبيعة النكراء

حين يستقبل الفراش بدفءٍ خلجة البرد والهوى والقناء

وتضم الزهور أخوتها والطير يقفو مسالك الإغفاء

وتحس القبور أن قبورًا مثلها ضمت سائر الأحياء

***

كــل ليــلٍ عــلى نــداء الهــوى تحــت الفضــاء المطيــر يلتقيــان

كــل ليــل أراهمــا في حنايــات الــدجى تحــت شــرفتي ، يقفــان

بهـــدوء تمـــر كـــل يـــد فـــوق يـــد في ترفـــق وحنـــان

ويدور الحديث كالغد كالأمس حديث الهـوى ونجـوى الأمـاني

***

فـــإذا مـــا تواعـــدا بـــين لـــثمٍ وعنـــاقٍ عـــلى لقـــاء جديـــد

وتمطــت ســحائب فتعــرت أنجــم يقظــي في الفضــاء البعيــد

ثــم ولــت تحــت ســير خطاهــا غــادةٌ نشــوى بــالهوى والوعــود

تلتقـــي عيناهـــا بظلمـــة عينـــي فـــأرى فيهـــا معـــاني الخلـــود!

▪▪ أغنية إلى طائر

[مترجمة عن الفرنسية]

هـا هــو الســكون ملــئ بالحيــاء ... ونداء الأفـق يـدعو... فاسـتجب!

وارتــق الجــو وطــر فــوق الميــاه ... هكـــذا الطـــائر روح مرتقـــب

أيهـــا الطـــائر خفـــاق الجنـــاح ... طر عـلى الوديـان في جـوف الأثيـر

طــر مــع الأنــام في ضــوء الصــباح ... فسـحاب الأفـق أمـواج البحـور

امـــلأ الأكـــوان بشـــرًا وغنـــاءَ ... مـــن أقاصـــيها إلى هـــام الجبـــال

واحتــرق بالشــمس وهجًــا وضــياء ... وانخطف بالروح في عمق الخيـال

هـــل بـــالكون ربيـــعٌ باســـم ... ورداء الصــيف أرخــى شـــقتيه

ونمـــا بـــالأرض عشـــب نـــاعم ... وضــياء الفجــر قــد نــام عليــه

فالتقط ما شئت مـن هـذي الوليمـة ... ذلـك الـروض ومـا يحـوي لديـه

أنت ضيف اليوم لا تخشى الهزيمـة ... كـــل غصـــنٍ فيـــه يـــدعوك إليـــه

مـذ نمـت أشـجار هاتيـك الروابـي ... وانتشى العشـب بأضـواء السـماء

وهــم في حلمهــم حلــم الشــباب ... أقســموا جهــرًا وفي طــي الخفــاء

أن يكــون الفجــر واللحــن الحنــونُ ... ورحيـق الزهـري أو غـص الثمـار

والهوى المشبوب والعـش الأمـين ... كلهـــا رمـــز أمانيـــك الكبـــار

كـــل شـــيء هاهنـــا طهـــر ونـــور ... كـــل شـــيء يتغنـــى في انســـجام

كـل شـيء نحـو مـا يهفـو يشـير ... ضاحكًا في الضوء في جوف الظلام

هـا هـي الروضـة تـدعوك وتبسـم ... ويشـير الـورد : خـذني واقتـرب

كــل غصـــن فيـــه روح يــتكلم ... والصدى المنغوم يشـري لنحـب!

وإذا الليــــل تهـــادى وادعًـــا ... وطيــوف الصــمت رفـت هائمــة

وبـــدا الأفـــق مضـــيئًا لامعًـــا ... فــوق غــدران الريــاض الحالمــة

مــا الــذي يهمــس همسًــا أبــديًا؟ ... ما الذي يسـري بأعمـاق الشـجر؟

مــا الــذي يعــزف لحنًــا شــاعريًا ... وينـاجي الـنجم أو ضـوء القمـر؟

إنـــه الجـــدول والينبـــوع يجـــري ... وصدى البرعم من خلـف الكمـام

والغصون الخضر والنسـمة تسـري ... كلهـــا تنشـــر أحـــلام الغـــرام

وبأعمــــاق الفضـــــاء النائيـــات ... يتـــراءى الله بالبيـــت الخفـــيِّ

باعثًـــا فـــوق الربـــى روح الحيـــاة ... خلــف شــبَّاك الســناء الأبــدي

ذلـــك الســـنبل وضـــاء الجبـــين ... من تـرى نـداه في ضـوء الصـباح؟

مـن أفـاض الزهـر بـالعطر الحنـون ... آه مـــن صـــاح لشــيطان الريـــاح

قـــف ولا تقـــرب جنـــاح الطـــائر ... إنمـــا الطـــائر قدســـي الحيـــاة

هـــو رمـــح في فضـــاها الزاخـــر ... ينثـــر النـــور ويســـري في ســـناه

هـــذه الأوكـــار للطيـــر القريـــر ... عـــالم يشـــمل آفاقًـــا وعـــزا

إن مـــن يســـرق بيضًـــا للطيـــور ... مثل مـن هـز اسـتواء الأرض هـزا

▪▪ الشارع

يــا أيهــا المــارد جــمَّ العيــون مغبَّــر الوجــه غلــيظ الشــفاه
يــا للأيــادي ! منحتهــا الســنون ضــراعة الشــاكي وبطــش الطغــاة
ويــا محيطًــا مــاج بالكائنــات ســابحة في لهفــة هائمــة
تــدفقت في عمقــك العاطفــات وانســربت فياضــة عارمــة
فالتهمــت شــطآنك الضــائعة موغلــة دون رؤى حــائر
وابتلعــت أصــدافك اللامعــة جوعانــة في نهــم هائــل
ســكانك الأحيــاء لا تــأتلي بالبيــت تخطــو في رنــين عجيــب
إلى متــى ؟ وأيــن ؟ لا أجــتلي فــالكون رحــب ذو فنــاء رحيــب
كــل عــلى ركائــب مــن ريــاح منطلــق يمــر في خــاطري
كأنــه طيــر قــوي الجنــاح يســبح في فضــائه الزاخــر
كــل إلى أهدافــه لا يحيــد تشــده أشــواقه والرغــاب
إلى رؤى ـ مهما نضــت ـ كــالورود ونحــو صــدر دافــئ في انســياب
ســوى شــريد تائــه في الطريــق يــدب في دروبــه الواغلــة
منفــردًا لــيس لــه مــن رفيــق غيــر الخطــى والظلمــة الشــاملة
عكــازه آمالــه الواهيــات وصــحبة طيــف القضــا والقــدر
أعبــاؤه أعوامــه الماضــيات وقصــده المجهــول والمســتتر!
يبحــث عــن ركــن خفــي مشــير وعــن رؤى إشــراقةٍ باســمه
مســتغرقًا في لــذة اللاشــعور مســتطعمًا خيبتــه الدائمــة!

▪▪ ذهول

صـمتّ صـمتّ فـران السـكون وخلـت الوجـود قبـورًا ثـوت
وناشـد قلبـي طيـوف الحنـين فـإذ بـالحنين طيـوف نـأت
فقلـت : أفيقـي ألا تشـعرين بهـذي الحيـاة ومـا قـد حـوت؟
فـإذ بـي في غيبـة الـذاهلين وجـود تلاشـى ودنيـا انطـوت!

***

وإذ أنـت شـيء صـغير صـغير بعيـد المعـالم عـن خـاطري!
متى كـان؟ مـن هـو؟ أيـن الشعور وأيـن نـداء الهـوى الثـائر؟
وكيـف تراءيـتَ حلمًـا مريـر يبـث الكآبـة في حاضـري
كأنـك والليـل ظـل كبيـر تمـدد فـوق دجـى نـاظري!
وأخمـدتُ هـذا الخيـال السـحيق وهـذا التأمـل في مضـجعي
وقلـت لعـلي إذا أسـتفيق أحسـك تحيـا قريبًـا معـي
لعـل النسـيم الرقيـق الطليـق يـردد صـوتك في مسـمعي
وجـاء الصـباح وهـل الشـروق ولكـن طيفـك لم يرجـع ...!

▪▪ الحبيب المجهول

«من وراء البحار»

مــن أنــت يــا مــن همــتُ في حبــه بعيــدة عنــه ... أنــاجي الخيــال؟

لم أســـــتمع يومًـــــا إلى صـــــوته وراء هــذا الغيــب يجلــو الظــلال

ومــــا رأت عينــــي ســــنا عينــــه لكــن روحــي أشــرقت بالجمــال!

***

من أنــت يــا مــن لم أنــل مــن رضــاه غيــــر ســــيول الغضــــبة الثــــائرة

مــا كــدت أبــدو في نــواحي ســماه شــــــادية في جــــــوه شــــــاعرة

حتــى أراد الحقــد يغشــي صــفاه لكــــي يبــــث الفكــــرة الحــــائرة !

***

مــن أنــت؟ قــل لي يــا ضــياء المنــى متــى أرى طيفــك يبــدو؟ وأيــن؟

الآن آمنـــــتُ بـــــأن الهـــــوى لم يعتــرف يومًــا بقلــبٍ وعــين

الحـــب في دنيـــاي مهمـــا ســـرى هوى ائتلاف الــروح في عاشــقين!

▪▪ الإيمان الزائف

طـــــواني المســـــاء ولم أطـــــوه — فمـا زلـتُ أصـبو لطيـف الضـياء
ومـــلء الحنايـــا ظـــلام عمـــيم — فكيــف إذا مــا طويــت المســاء؟

***

وكيـــف إذا مـــا فقـــدت الهـــوى — وولى رفـــاق الصـــبا الأوفيـــاء
ومـــــروا عــــليَّ وقـــالوا : ذوت — وغاضــت فيــا بؤسـها والشـقاء!
فـــــأين إذن ســـــأواري الفـــؤاد — ومـــن أي نبـــعٍ يعـــب الرجـــاء
بـــــأي رداء ألـــــف الشـــــريد — وكيـــف أقيـــه ريـــاح الشـــتاء؟

***

لســـوف أحقـــق مـــا يشـــتهي — وأضـــفي عليـــه ســـتار هـــداه
وآويـــــه في ملجـــــأٍ مســـــتكن — بينـــه رحيبًـــا أيـــادي الإلـــه
يرفـــرف ظـــل الأمـــان الكبيـــر — عليـــه وتنـــأى طيـــوف أســـاه
وأبعثـــــه طـــــائرًا لا يمـــــل — طـويلًا ... طـويلًا نشـيد الصـلاة
ولكـــن قلبـــي لـــن يســـتفيد — بإيمانـــــه في رحـــاب ســـماه
فإيمـــان بعـــض العجـــائز زيـــف — بغـــــيض إلى الله في مرتقـــــاه
يهـــل إذا مـــا حُـــرمن الهـــوى — ومـــا عـــاد حـــب لهـــن ســـواه

▪▪ قصة زورقين

في دجـى الـيم تهـادى زورقـان ... يجرفـان المـوج في ظـل الهنـاء
فشــراع في شــراع خــافق ... وظــلال ســابحات في الخفــاء
كلمــا اشــتاقا إلى بــر الحمــى ... وإلى الخضــرة والنــور المضــاء
ســقيا الــروحين مــن حبيهمــا ... واســتمدا النــور مــن ظـل الوفـاء

***

قبــل أن يشــرق فجــر نــاعم ... من جهام السحب يستجلي الـديارا
هــل إعصــار عتــي صــارم ... وطـوى الظلـين حينـا ... وأغـارا
وطــوى الظلــين ! مــاذا بعــده ... حينمـا أرخـى خطـاه وتـوارى؟
غـــاص ظـــل وتبقـــى آخـــر ... فوق سـطح المـاء ظـلًّا مسـتعارا!

▪▪ القلب الذي أريده

رب ! هــب لي قلبًــا فتيًــا شــديدًا | مســتخفًا بالحادثــات عنيــدا!
كــل ركــنٍ فيــه يصــب جمــودًا | وغموضًــا وظلمــةً وجحــودا
لم يشــب الوفــاء بــين حنايــاه | ولم يعــل قائمًــا ووطيــدا
لم تــدمره رأفــة أو رثــاء | لا ولم يــرع في الــوداد عهــودا
يرتــع الشــر في ربــاه ويجــري | الكذب لا يعرف المدى والحدودا
والنفــاق الأصــيل يطفــو ويمتــد | عــلى شــاطئيه حــرًّا مديــدا
مســرح يلعــب الريــاء عليــه | دوره كامــل الأداء مجيــدا
ينثنــي الإغــراء فيــه وتهتــز | الأمــاني بــه ثنــاء وجــودا
ويغنــي الجفــاء والــبغض لحنًــا | دائــم الوصــل والــرؤى منشــودا
وقلــوب مــن الســذاجة نشــوى! | وعيــون الغــرور تصــغي شــهودا
ويلــف النســيان آخــر ضــوء | كــان لمــا يــزل مشــعًا فريــدًا
ذاك ربــى مــا أشــتهيه لقلبــي | كــي يجــاري الزمــان حــرًّا سعيدا

■■ صيد فاشل

أيهـــا الحمـــال الهزيـــل ترفـــق خل عنك الأقفـاص والمرجونـه!

ثقل العـبء خلـف صـدرك أحـذر خطـر الحقـد في الـدماء الدفينـة!

بح صوت الهجـاء وانحـدر اللحـن مـــــواء كهـــــرةٍ مســــــكينة

والنبـــي الكـــريم أصـــبح شـــيئًا ســـاقط النـــوع لســـت أدرك دينـــه

حســـبه اليـــوم أن يـــدب كثعبـــان يعـــض الثـــرى ويلعـــق طينـــه

حيـــث أتـــى بعـــزتي ونقـــائي لســـت أخشـــى أنيابـــه المســـنونة

ليت شـعري ! عـلام صـدرك يغـلي في جحـيم مـن ثـورة وضـعينه؟

ألأني أبيـــت أن يحتســـي قلبـــي خمـــرًا رأيـــت فيهـــا منونـــه ؟

ونـأت روحـي النبيلـة عـن صـحبة شـــيطان الفتنـــة الملعونـــة ؟

ألأني أبيــــــت أن يســــــجد العقــل لــرب الجهالــة المأفونــة

أم لأن الصـــياد كـــان ضـــريرًا فتنحَّـــى عـــن درةٍ مكنونـــة؟

▪▪ الفوضى في الربيع

أتتنـــا دعـــوة الـــداعي | بهـــا المنشـــود مـــن أمـــل
وكـــان الـــروض مرســـلها | مـــع الأنـــام كالقبـــل
فقـــد هـــلَّ الربيـــع بـــه | مضـــيء الثغـــر والمقـــل
فـــزف الـــروض مقدمـــه | وأشـــعل كـــل مشـــتعل
ولبينـــــا رســـــالته | بمـــا حملـــت عـــلى عجـــل !

***

وجئنـــاه مـــع الفجـــر | نضـــم الصـــمت في خفـــر
ومـــا كنـــا غـــريبين | عـــلى دنيـــا مـــن الصـــور
ولكـــن ضـــمنا خجـــلٌ | مـــن الأطيـــار والشـــجر
فقـــد كانـــت عـــلى فوضـــى | وهـــرج بـــالغ الأثـــر
وكـــان غرامهـــا عبثًـــا | ولهـــوًا جـــد منتشـــر ؟

***

وراح الفجـــر في نهـــمٍ | يقبـــل حمـــرة الـــورد
ويســـحب نهـــره الفضـــي | فـــوق شـــواطئ النهـــد
ومـــن حـــينٍ إلى حـــينٍ | رأينـــاه عـــلى بعـــد
يشـــق لهـــن أكمامًـــا | ويغـــريهن بالوعـــد
فقلـــتُ لـــه : ألا تخجـــل | لقـــد أســـرفت في الـــود؟
فـــإذ بـــالفجر يهمـــس لي | ألم أســـأم مـــن الزهـــد؟
لقـــد هـــل الربيـــع بنـــا | وفـــارت نشـــوة الوجـــد
أنـــا حـــبٌ وأشـــواقٌ | ومـــا للحـــب مـــن قيـــد ...!

***

وفي حـــــوض الأزاهيــــــر رأينــــا الزهـــــر ألوانًـــــا !
فتلـــك بـــذيلها المنفـــوش كالطـــــاووس نشــــوانا
تميــــل بجيــــدها حينًـــــا وبالأعطـــــاف أحيانًـــــا
فتهـــدي الحـــب نســـرينا وتهـــدي الحـــب ريحانًـــا
ومـــا مـــن راحـــةٍ تشـــفي فكـــلٌ صـــار هيمانًـــا
فقلــــت لهـــا : ألا كفـــى ! أذبـــت الــروض تحنانـــا !
أجابـــت وهـــي ســـاخرةٌ ألم أســـــأم الزهـــــد ؟
لقـــد هـــل الربيـــع بنـــا وفـــارت نشـــوة الوجـــد
أنـــا حـــبٌ وأشـــواقٌ ومـــا للحـــب مـــن قيـــد

***

وفوجئنــــــا بزنبقـــــــةٍ عـــلى طـــرف الربـــى حيـــرى
وقـــد وقفـــت كعـــذراء بحفلـــة عرســـها ســـكرى
وألقـــى السوســـن الحـــاني عليهـــا الظـــل والســـترا
وراح يـــــرف فوقهمـــــا فـــراش كـــان مخضـــرًا
فبـــارك ذلـــك العـــرس مضـــيء الثغـــر مفتـــرا
فقلــــت لهـــذه العـــذراء قـــد بكـــرت بالبشـــرى !
لقـــد هـــل الربيـــع بنـــا وفـــارت نشـــوة الوجـــد
أنـــا حـــب وأشـــواق ومـــا للحـــب مـــن قيـــد!

***

وشـــــاهدنا عصـــــيفرةً تكـــاد تمـــوت مـــن كيـــد
ولـــون العصـــفر الأصـــفر فيـــه عناصـــر الحقـــد
وكانـــت فـــوق تربتهـــا كئيبـــة غيـــرة تـــردى
تمـــوج بهـــا أحاســـيس مـــن الحرمـــان والصـــد
وتفزعهـــــا مناجـــــاة الطيـــور وحمـــرة الـــورد
فصـــوبتُ العيـــون لهـــا وقلـــت : عـــلام تســـتجدي؟
أجابـــت وهـــي واجمـــة ألم أســـأم مـــن الزهـــد؟
لقـــد هـــل الربيـــع بنـــا وفـــارت نشـــوة الوجـــد
أنـــا حـــب وأشـــواق ومـــا للحـــب مـــن قيـــد

***

وكـــان الغصـــن للطيـــر حنونًـــا دائـــم الكـــرم
يمـــد إنـــاءه حينًـــا لـــذاك الظـــامئ الـــنهم
فـــيلقط منـــه لؤلـــؤةً مـــن الأنـــداء في الظلـــم
ويعلـــو الجـــو أحيانًـــا عـــلى قمـــمٍ إلى قمـــم
لـــيملأه بآهـــاتٍ ولحـــنٍ باســـم الـــنغم
فقلـــت : كفـــاك سقســـقةً فمـــا بـــالأذن مـــن صـــمم !
أجـــاب محلقًـــا غـــردًا ألم أســـأم مـــن الزهـــد ؟
لقـــد هـــل الربيـــع بنـــا وفـــارت نشـــوة الوجـــد
أنـــا حـــب وأشـــواق ومـــا للحـــب مـــن قيـــد !

***

وبـــان لنـــا عـــلى قـــربٍ غـــديرٌ كـــان معتصـــمًا
وكـــان الحســـن أجمعـــه عـــلى المـــرآة مرتســـما
فشـــــئنا أن نوافيـــــه لكـــي نطفـــي الظمـــا النهمـــا
ولكـــــن إذ أتينـــــاه وحـــن المـــاء مبتســـما
رأينـــا فيـــه أعيننـــا تبـــادل بعضـــها الكلمـــا
وكانـــت كـــل واحـــدةٍ يشـــع ضـــياؤها نغمـــا
وقـــد أج الحنـــين بهـــا وفـــارت نشـــوة الوجـــد
أنـــا حـــب وأشـــواق ومـــا للحـــب مـــن قيـــد

▪▪ يا حبيبي

[إنما دنياي مشوب هواها!]

من أنا من أنت ما هذه الحياة ... ما هي الدنيا وما سر البقاء؟
كرة حيرى بأطراف الدلالة؟ ... أم دمي يلهو بنا كيف يشاء؟
رب دنيانا رياض نسقت ... رققتها نفحة الزهر النضير
أوجه الأوراق فيها أشرقت ... من عناق النور أو شدو الطيور
الربيع الحلو رفاف عليها ... سابح في جوها الحاني الطليق
ونسيم الفجر مشتاق إليها ... يرعش الأغصان بالحب الدفوق
ربما نحن خيالات تجوب ... في الربى نسناف أنفاس الورود
في الربى حتى إذا حان الغروب ... لست أدري أين نمضي أو نعود

***

ربما الدنيا لنا سجن كبير ... سفره يحمل أسماء البشر
ذاك اسمي اسمنا اسم الأسير ... كلنا أسرى بأغلال القدر !
جمعتنا قوة فوق الوجود ... في شحوب الفجر نسعى ونجد
وعلى الأقدام أطراف القيود ... تربط الحاضر بالأمس وغد
فإذا ما اليوم ولى في قطوب ... ورياح الليل هبت ثائرات
انمحى اسم من السفر العجيب ... واختفى صاحبه ... والعاطفات

***

هذه الدنيا أنين وتمنى ... وعين عكست شتى الصور

يــا حبيبــي لســت أعنيهــا بظنــي   فهــي سـر غـامض طـول الـدهر!

***

إنمـــا دنيـــاي مشـــبوب هواهـــا   خلقــت للحــب شــاءت أو أبــت

مـا هــي الـدنيا ومـا جـدوى بهاهـا   إن تكن من طيفك الغـالي خلـت؟

***

أين ذاك الروض والعشـب الحنـون   والطيـــور الشـــاديات اللاهيـــة

ونســـيم الفجـــر وضـــاء الجبـــين   ســابحًا بــين الغصــون الدافيــة؟

الفضـــاء الواســـع الحـــر المديـــد   وشـــعاعات الضـــياء المكتمـــل

والندى ؟ والزهر ؟ والعطـر الفريـد   أيــن منــي أيــن هــم أيــن الأمــل؟

أيــن سـجني ؟ أيــن أغــلال الأسـير   والريـــاح الصـــاخبات الثـــائرة

أيـــن فجـــري شـــاحبًا أو مســـتنير   ودمـــوعي صـــاليات فـــاترة؟

***

الدجى والصمت والموت الخـؤون   كلهــا حــولي وخلفــي وأمــامي

وفـــؤاد تائـــه بـــين الظنـــون   حـــائر يخـــبط في ذاك الظـــلام

▪▪ فوق تلال بلطيم

إن في هـــدأة الـــتلال لشـــيئًا قدســـي الخيـــال والتفكيـــر !

يســـكب الحـــب والســـكينة في غور قلوب المـوتى وأهـل القبـور

فنراهـــا طوائفًـــا تتهـــادى في دبيـــبٍ مـــنغمٍ مســـحور

زاحفـــات عـــلى الـــتلال بشـــوقٍ صـــاعداتٍ عـــلى الربـــى بســـرور

بهـــدوء يهمســـن في أذن الحـــي طـــويلًا برقـــةٍ وحبـــور !

***

أيهـا الطيـف ! مـن تـراك تنـاجي فوق هذي التلال ذات القطـوب؟

أنـت يـا ربـة الظـلام ويـا عاشـقة الحـزن والسـكون الرهيـب !

ما الذي خلف هذه الوحدة النكـراء يغـــري بناعمـــات القلـــوب

▪▪ الزهرة والفراش

[مترجمة عن الفرنسية]

أسـرت الزهـرة الـثكلى بـلا خجـل إلى الفـراش طليـق الجـو والسـبل

يـا مـن تعاليـت في الأجـواء مبتعـدًا أما لذا البعد مـن حـدٍ ومـن أجـل

لله مـــن قـــدر قـــاس ومختلـــفٍ قد خالط الحب بين الجد والهـزل

قضى عليـك بـأن تجـري بـلا أمـدٍ وأن يظـل حطـامي غيـر منتقـل

لكننـا والهـوى خـلان مـن قـدمٍ ولـو نحونـا عـن الأحيـاء في ملـل

لمـا اسـتوينا رأينـا النـاس حاسـدةً قامت قيامتهـا عـن حـادثٍ جلـل

إذ كـان منظرنـا ينبـي بمخبرنـا أختان في روعـة الألـوان والحلـل

كـذا الحيـاة ألاعيـبٌ مكـدرةٌ تذروك ريـح وعنـدي قيـد معتقـل

إن هـذي الـتلال تطفـح بـالهول وتـذوي جمـال عمـر رطيـب!

فـإلى مـن تحـدقين بجـوف الليـل كـالأعمى عنـد لـذع اللهيـب؟

***

جهـل النـاس مـن أنـاجي ولكـن أطيـوف الأمـوات تجهـل همـس؟

مـن تـراني أكـون غيـر رفيـقٍ في شـعاب الحيـاة أحمـل رمسـي

إن في هـذه الـتلال حنانًـا سـرمدي الضـياء يلهـب حسـي

كلمـا جئتهـا تلاشـى عـذابي وأسـى مهجتـي وثـورة يأسـي

هـي لي عـالم مـن السـحر يبـدو أتناسـى بـه عـوالم نفسـي !

وكــان يســعدني أن ترتقــي صــعدًا وقــد تضــوعت بالأنفــاس والقبــل
ولكــن تلاحــق أزهــارًا تلاطمهــا كأن صنعك صنع الشــارب الثمــل
وزهــرة تركــت بالــدار مســقمة من رؤية الظل تحت الساق لم يحل
آنّــا بمقتــرب آنّــا بمغتــرب سهل المقادة في وهج من الشـعل!
لذاك فاضت دموع العين كل ضحى تزداد حتـى أرى الأنفـاس في بلـل
فإن رغبـت لهـذا الحـب يـا ملكـي بــأن يمــر مــع الأيــام في جــزل
تعال قربـي وجـاورني فـذا سـكنى! أوهبْ جناحا به أعلو عـلى عجـل!

▪▪ الكون الكبير

كـــل شـــاد يشــدو عـــلى قيثـــار ويغنـــــي بالنـــــاي والمزمـــــار
شـــاعرٌ يعبــد الجمـــال فيســتوحيه شـــعرًا مـــن أعــذب الأشـــعار
وثبـــت خلـــف صـــدره ذكريـــات الأمـــس دفاقـــة مـــع الأفكـــار
فمضـــى يـــذكر الطبيعـــة والريـــف وعمـــــرًا قضـــــاه كالأطيـــــار
يـــوم أن كـــان في الصـــبا الغـــض طفلًا يتناغى مع النسيم الجاري
ســـابحًا بـــين رفرفـــات الغصـــون الخضـــر في زورق مـــن الأنـــوار
نائمًـــا تحـــت ظـــل صفصـــافة تحنـــو كـــــأمٍ عليــــــه في اســــــتتثار
حـــاملًا فرحـــة الطفولـــة للشـــمس وللرابيـــــــات والأنهــــــــار
لحقـــول الســـنابل الشـــقر تهتـــز اهتـــزاز الســـكير في اســـتهتار
للســـــواقي تثيـــــر أناتهـــــا فيـــــه شـــــجى الغنـــــاء أي مثـــــار
هكـــذا راح كـــل شـــادٍ يغنـــي كلمـــا هاجـــه شـــذا التـــذكار

***

غيــــــر أني إذا اســــتبد حنينـــــي ولي الله كـــــم يـــــؤج أواي!
وتشـــوقت أن أعيـــد رؤى الماضـــي وأمســـــي وفجـــري المتـــواري
لم أجـــد منبعًـــا مـــن الســـحر يضـــفي زاهيـــات الظـــلال في أشـــعاري
غيـــر قلبـــي ! فيـــه البلابـــل تشـــدو وهـــو منهـــا كالطـــائر المتبـــاري
دائـــم الخفـــق في ربـــوع أماييـــه مضـــيئًا يـــأجنح مـــن نـــار
باختلاجـــــات حســـــه يتغنـــــى وبهمســـــات نبضـــــه الفـــــوار
فهـــــو نـــــايي الرقيـــــق حينـــــا وقيثـــار حيـــاتي وتـــارة أوتـــاري

وهو صفصافتي إذا الشمس أرخـت وهجهـــا أو تعثـــرت أقـــداري
وهـــو في الأرض مـــوطني الحـــر إمـــا يبـــتلى مـــوطني بالاســـتعمار
وهـــو كـــوني الكبيـــر ! فيـــه أراعـــي ظـــل أهـــلي وقريتـــي وديـــاري
فيه تزهـو الشـموس مـن كـل ركـنٍ لامعـــات الخيـــوط والأســـتار
وبـــــأطراف أفقـــــه تتـــــدلى مـــن ســـماه مشـــاعل الأقمـــار
وعـــلى رابياتـــه الزهـــر يغفـــو فـــوق عـــرشٍ مـــن الزبرجـــد ســـار
ثمـــلات بعطـــر زهـــدي وطهـــري ووفـــائي وصـــحبة الأخيـــار
ســـابحات عـــلى ضـــفاف غـــدير يـــتجلى كالشـــهد للمشـــتار
هـــو نبـــع الحنـــان في غـــور نفســـي وهـــو إيمـــان روحـــي الزخـــار
لـــيس بـــدعًا إذا اســـتعنت بقلبـــي في اجتلائـــي طرائـــف الآثـــار
فهو ظل السـماء في الأرض يحـوي ســـر ربـــي المـــليء بالأســـرار !

▪▪ الدور الخطير

تأمـــل جمـــال الربيـــع الفريـــد	يـــرف شـــذاه بطيـــف ربانـــا
فهـــذي تباشـــيره تســـتعيد	بصـــدر الربـــوع خيـــال صـــبانا
فكـم راح ضـوء الصباح الوليـد	يشـــاركنا بهجـــةً وحنـــان
وكـــم ربـــوة ملأتهـــا الوعـــود	ورفـــت بهـــا خلجـــات دمانـــا
وكـــم خضـــرة وســـدتنا الخـــدود	ولم تـــك إلا مطايـــا خطانـــا
فمـــا زال هـــذا الوجـــود المديـــد	وفيًّـــا يـــردد ذكـــرى هوانـــا!

***

فـــأين إذن أمســـنا المشـــتهي	وتلـــك الســـعادة في غورنـــا؟
وأيـــن مضـــت رعشـــات الجـــوى	نرددهـــا في صـــدى شـــعرنا
وأيـــن الشـــفاه بحـــر الظمـــا	تبـــوح وتكشـــف عـــن ســـرنا
وأيـــن الشـــحوب علينـــا بـــدا	دليـــل التبتـــل في طهرنـــا
وأيـــن القناعـــة روح الرضـــا	وطعـــم الحـــلاوة في مرنـــا
وكيـــف تراخـــت حبـــال الهـــوى	وكانـــت تشـــدد مـــن أزرنـــا!

***

وأيـــن تـــوارى نـــداء العيـــون	ونوبـــات نشـــوتها الســـاحرة؟
وضـــوء مناهـــا وطيـــف الظنـــون	ورقرقـــة المقلـــة الثـــائرة
وأيـــن ســـناها الرحيـــب الحنـــون	إذا مـــا تلاقـــت لقـــىً عـــابرة
وقصـــة حبـــين تـــروي الحنـــين	وســـهد لياليهمـــا الســـاهرة

وكيف تركنا هوانا السجين   يفر بآهاته الحائرة
ويترك قفرًا جديبًا حزين   بجنة أحلامنا الناضرة ؟
أكانت إذن نظرات الغدير؟   وضحك الطبيعة ، همس الشجر
أكانت خداع الزمان الحقير؟   وسخرية الدهر ؟ هزء القدر؟
وتلك الروابي أكانت صخور   تحد خطانا وتغضي النظر
أم أنا اللذان أطعنا الغرور   وغرنا من الهمسات الأخر
وشق علينا غرام الطيور   ووهج الحنين بها يستعر
فرحنا تمثل دورًا خطير   يعبر عن عاطفات البشر ؟

▪▪ أحزان القمر

هاهنا الضوضاء نامت واستكانت … وغفا الطير على غصن الشجر

وهنا الوحدة بالروح تلاقت … وأطل الحزن من عين القمر

قلت : يا ملك الضياء المكتمل … قد علا وجهك غيم وسحابة

وتولاك سهوم ومال … آه لو أعرف ما سر الكآبة

قد تخذِتَ الدار في العلياء عزًا … وتسربلت بثوب الأبدية

وغدت صورتك الحسناء رمزًا … والسنا الوضاء ألحاظًا أبية

إذ تمل العين وجه الكائنات … طالما يبقى سوى مرآك دوما

أو يدك العقل حصن المعجزات … غير سر فيك لا يقبل هدما

آه دعني أحترق بالضوء روحا … وأذريه بخورا لجميلك

أنت كم أبرأت في الليل جروحًا … أنهك الدهر بها قلب عليلك

فسرى في الليل صوت يتغنى … فيه شتى من لحون وجمال

لم يزل يقرب قربًا مطمئنًا … وأنا روح وقلب وخيال

قال : مهلا لم أكن يوما سعيدا … ليست البسمة في ثغري رضاء

ما احتواني الأفق إلا كي أعودا … مرة أخرى على أرض الفناء

آه لو تدرك ما سر شقائي … لتولاك ذهول وندم

أنا لي وجهان ! يا طول بلائي … فأرى الخلد وأرنو للعدم

كم تهاويت بجوف الهوة … وهي ملأى بحقارات البشر

وتعاليتُ بأعلى قمة … رفرف الطهر عليها واستقر

ولكم ناجيتُ عينًا وفؤادا … ووهبتُ الفكر ومضًا ناعمًا

فــإذا مــا ضــقتُ بــالروح فســادا ربمــــا أعطيـــتُ لـــيلًا دائمًـــا

هــا أنــا باعــدت بينــي والوجــود وعفــت نفســي أباطيــل الــدناءة

هـــي دنيــا لفهــا الظلــم الحقــود وأنـــا منهـــا بـــريء كـــالبراءة

فضممتُ الصمت وحدي في سمائي وظــلام الليــل يســتبقي ســجينه

ثــم ضــمدت جروحــي بضــيائي مرسـلًا لـلأرض نظـرات حزينـة!

■■ صلاة

عنـــدما يلهـــث الســـراج برفـــقٍ لهثـــات الإعيـــاء بعـــد اللهيـــب
ويـــروح الشـــقاء ينســـل خوفًـــا زاحف الخطو في الظـلام الكئيـب
فيمـــوت الكـــلام فـــوق شـــفاهٍ أخرســـتها مـــرارة التقطيـــب
وأحـــس العظـــام تصـــطك رعبًـــا وســط بحـر مـن الصـقيع رهيـب

***

عنـــدما تغـــدر الحيـــاة وتقســـو ويغـــيض الحنـــان مـــن جنبيهـــا
والسـياط الغضـاب تلهـب ظهـري والـــدماء الغـــزار فـــوق يـــديها
وتـــدور العيـــون حـــول عيـــونٍ تنشـــر العطـــف والرضـــاء عليهـــا
فـــإذا الكـــون عـــابس الوجـــه إلا بســـمة الازدراء منـــه ... إليهـــا
أنـــت ! مـــا أنـــت مـــن تمـــر بروحـــي باســـمًا خلـــف ظلتـــي وجمـــودي
أنـــت ! مـــا أنـــت مـــن تمـــر بقلبـــي باعثًـــا فيـــه نشـــوة التغريـــد
للصـــباح الجديـــد ! للـــنغم الحـــاني لهمـــس الهـــوى ونجـــوى الوعـــود
للضـــياء المطـــل للأمـــل الزاهـــي لطيـــف المنـــى وســـحر الوجـــود؟

***

أنـــت يـــا رب شـــعلة مـــن ضـــياء تســـكب الـــدفء والحنـــان بنفســـي
أنـــت يـــا رب نظـــرة مـــن صـــفاء وهـــدوء تجتـــاح ثـــورة يأســـي
أنـــت روح الوجـــود ســـر وجـــودي وخيـــال الرجـــاء ســـاعة رمســـي
رب إن الحيـــاة كـــأس عـــذاب فـــأعني عـــلى تنـــاول كأســـي



(2)

اللحن الثائر

(1956)



■■ وطني

وطني غفرت لك التغلغـل في دمـي والنـار نـار هـواك بـي لم تـرحم!

وعفوت عما قد بعثـت مـن الأسـى في مهجتـي يـوم اعتـداء المجـرم

قــد كــان حبــك كلمــا هدهدتــه معنــى وتقليــد الضــرير المــرغم

قــد كــان إحساسًــا نــديًا ناعمًــا ونشــيد أطفــال ودرس معلــم

حتــى إذا شــاهدت محنتــك التــي عانيتهــا بعزيمــة لم تهــزم

أجـت؟ ويـا للهـول نـارك في دمـي وكأنهــا حمــم بجــوف جهــنم

فإذا أسـاك عـلى حسـاب مشـاعري وهــواي ينبــع مــن أســاك المــؤلم!

عــذبتني يــا مصــر بالحــب الــذي حملتنيــه بجــانبي وفي دمــي

أنســيتني حــب الأمومــة في الــورى وطغى هواك على هواهـا المضـرم

وجعلــت منــي العاصــفات جميعهــا مــن ســيل أنهــار لومضــة أنجــم

لكننــي مــا عفــت حبــك لحظــة أبــدًا ولم أنكــر هــواك وأنــدم

سأعيش فيـك ومنـك حتـى لا أرى أدماي تنـبض أم دمـاك بمعصـمي

ســأعيش واهبــة إليــك مشــاعري وأموت واسمك كالصلاة على فمي

■■ بورسعيد

رمــز البطولــة والكرامــة والعزيمــة والفــداء

يــا درة مســحورة لمعــت عــلى شــط الضــياء

يــا كنــز إيمــان تكشــف في بــلاد الأتقيــاء

يــا فخــر مصــر ورأســها المرفــوع في شــم الإبــاء

يــا نبــع ذل للعــدو يعــب منــه عــلى ارتــواء

يــا مــذبح الأمــل الكبيــر لــه ومقبــرة الرجــاء

يــا بيــت شــعر ســرمدي اللحــن قدســي الغنــاء

لــك بورســعيد تحيــة منــا ومــن أهــل الســماء

***

خــانوك يــا للغــدر ! أهــل الغــدر خــاطفو القنــال

خــانوك مــا ذكــروا الــذي أديــت مــن طيــب الفعــال

بتــروا اليــد البيضــاء كــم فرشــت لهــم مهــد الظــلال

يــا مهــبط الســياح منفــى الخلــد أحــلام الخيــال

طعنــوك في الصــدر الــذي كــم ضــم عشــاق الجمــال

حســبوك ضــربة قــاذف تهــوي فينــتفض الرجــال

حســبوك نزهــة عــابر وســط الربــى يــا للضــلال

فلقــد ينــالون النجــوم وإن ثغــرك ... لــن ينــال!

***

لكــن صــمدت صــمدت كــالطود المنيــع الأمنــع
وزأرت غضــبى : لــن تشــاهد يــا عــدوي مصــرعي !
أقســمت بــاللبن المخضــب فــوق ثــدي المرضــع
أقســمت بالأحشــاء تزحــف ، بــاللظى في أضــلعي
وبنظـــرة النـــزع الشـــريدة كالســـفين المقلـــع
وبكـــل أصـــداء الفنـــاء صـــبيتها في مســـمعي
ســأظل أضــرب ثــم أضــرب لــن أكــف ولــن أعــي
حتـــى أذرك كالرمـــاد مـــع الريـــاح الأربـــع!

***

أقســمت والأرض الوفيــة زمجــرت حجــرًا وطــوب
قســـمًا بـــذراتي ، بـــدرب قـــد تبقـــى مـــن دروب
قســمًا بعــود يــابس مــا زال في حقــلي الجــديب
ســأكون أفعــى كلمــا نزعــوا النيــوب نمــت نيــوب
ســأكون ســمًا في الشــراب ، أكــون شــوكًا في القلــوب
فــإذا تــردد شــعبي الجبــار في خــوض الحــروب
سأشـــد نـــابي ثـــم أنهشـــني وآكلنـــي غضـــوب
لأكــون مقبــرة العــدى وأفــوز وحــدي بالنصــيب!

***

أقسمت ثم نذرت شعبك للفدى يا بورسعيد!

وعصمت موطنك الحبيب من المذلة والقيود

وكتبت أروع قصة بالنار بالدم والحديد

وغدًا سيبتسم الوجود غدًا سيبتسم الوجود

ولسوف نبنى من شغاف القلب صرحك من جديد

ونخيط جرحك بالعروق ونلثم الجرح الشهيد

لنزف فوق جبينك الشفقى أضواء الخلود

ولتشهد الدنيا بأن الحر يبلغ ما يريد !

■■ شعب مصر

رائـع أنـت في جهـادك حقًـا ! ورهيـب في عزمـك الجبـار!
أنـت صـاف كمـاء نيلـك حـرٌ عـارم مثلـه عتـي القـرار
وكمثـل الأهـرام خلـدت يـا شـعبي أبيـا وشـامخ الأسـوار!
يا لهذا الصـمود في سـاحة الـوغى! ويـا للثبـات في الأخطـار!
أنـت أذهلـت عـالم الإنـس والجـن ودنيـا الأرواح والأبـرار
وجعلـت العـدو ينطـق بـالحق ويـدلي برأيـه في جهـار
إيـه يـا شـعبي الحبيـب ! ويـا أمجـد شـعب مكلـل بالفخـار !
آن أن تخـرج السـلاح وقـد أنضـجه الصـبر في الفـؤاد النـاري
آن للمنجـل المقـدس أن يحصد حصـدًا رقـاب الاسـتعمار
إنهـا فرصـة الحيـاة تجلـت وانتظـار السـنين والأعمـار
إنهـا «أم صـابر» ودنشـواي وكفـاح الأمـوات مـن أحـرار
إنهـا صـرخة الجزائـر بـل قبـرص بـل كينيـا لأخـذ الثـار
فامض واضـرب ! فـإن حقـك درع كـان يحمـي نبينـا في الغـار!
ضـربة كالفنـاء تسـحق أعـداء حيـاة الأماجـد الأطهـار
ضـربة كـالرعود تقصـف تـنقض وتهـوي مـع اصـطعاق النـار
أنـت شـعب مسـالم تتمنـى أن يسـود السـلام كـل ديـار
همـك السـعي في الحيـاة لكسـب القـوت وإسـعاد أسـرة وجـوار
قلبـك النـور والبسـاطة والخيـر ونجـوى الطيـور والأزهـار
هـم أرادوا لنـا بدايـة ليـل فلـتكن فلـتكن نهايـة عـار !
أفحـتم عليـك يـا شـعبي الحـر حيـاة القيـود والأسـوار؟

أفحـــتم عليـــك ؟ لا أبـــدا لـــن تنحنـــي في نذالـــة الخـــوار
فبحـق السـماء والشـمس والأرض وحـــق الجبـــال والأنهـــار
لـــن يعـــودوا ولـــن تفـــرط في شبر صـغير مـن أرضـك المعطـار
لـــن يعـــودوا ســـوى لـــتلفظهم أمواجنـــا في تقـــزز واحتقـــار
كـــان ظـــن العـــدو أنـــك لاق كـــل ذعـــر مـــن قـــاذف منهـــار
أن حصـــنا ينهـــد في إثـــر حصـــن وجـــدارًا يهـــوي وراء جـــدار
يا لهول العدو مـن غضـب الصـابر بطـــش الحلـــيم كالإعصـــار !
يـا لهـول العـدو مـن بلـد شـبانة مـــن قلـــب الصـــعيد الضـــاري !
سـيخط التـاريخ في صـفحة المجـد ســـطورًا قدســـية الأنـــوار
وسـيروي الأحفـاد في هـدأة الليـل أحاديـــث عزمـــك الجبـــار
ويقـــول الأبنـــاء : يـــا أبتـــي هل ولدوا مثلنـا ومثـل الصـغار ؟
إيـــه يـــا شـــعبي المجاهـــد أبشـــر إنمـــا الـــتم بعـــد ليـــل ســـرار
حسـبك اليـوم مـن فخـار ثـلاث حشـــدوا كـــل قـــوة الأشـــرار
حسـبك الكـون والعـوالم والـدنيا تـــدوي بصـــيحة اســـتنكار
وعـــلى كتفـــك الوقـــور حملـــت اليـوم بفخـر رسـالة الأحـرار!
رائـــع أنـــت في جهـــادك حقًـــا ! ورهيـــب في عزمـــك الجبـــار !

▪▪ الشيطان والإنسان

أخــي ! قــد جئــتُ مــن خلــف الظــلام الغيــر منظــور

أخـــي ! قـــد جئـــت مـــذعورًا أحـــث عنـــان تفكيـــري

تـــرى مـــا خطـــب دنيـــاكم لتحجـــب بهجـــة النـــور؟

ومـــا هـــذا الصـــدى يســـري إلينـــا كالأعاصـــير؟

****

الإنسان :

هـــي الحـــرب التـــي وصـــلت إلى أعمـــاق دنياكـــا

الشيطان :

وبعــد ... فمــا هــي الحــرب ؟ أعــرني اليــوم إدراكًــا

الإنسان :

دمـــــاء أينمـــــا ترنـــــو ونـــــار أينمـــــا نبصـــــر

ورأس هـــــا هنـــــا ملقـــــى وطـــــرف هاهنـــــا أبتـــــر

وجرحـــى في حنـــاجرهم أنـــين خافـــت يصـــدر

وحـــبلى إذا نولـــدها فنفـــتح بطنهـــا نبقـــر

وكهـــل نـــاء مـــن تعـــب يطـــوح ظهـــره الخنجـــر

وأطفـــال وأطـــلال وقـــتلى في الـــدجى تنظـــر

الشيطان يفكر :

دمـــاء حمـــر ! واعجبـــي ! كلـــون شـــعارنا الســـاري

ونـــار أينمـــا ترنـــو ؟ وعنصـــرنا مـــن النـــار

وبعد ... فما هي الأهـداف يـا خـلي ... ويـا ... جـاري ؟

الإنسان :

لنســـتولي عـــلى الـــدنيا ! ونبلـــغ ذروة النصـــر

فـــإن العـــيش للقـــوة تلـــك خلاصـــة الأمـــر

الشيطان :

برافـــو ! هكـــذا كانـــت تـــراعيكم أمانينـــا

فكـــم شـــئنا لكـــم دنيـــا ولم نقبـــل لكـــم دينـــا

ســـنجزيكم إذن خيـــرًا فمشـــكلكم بأيـــدينا

لقـــد ضـــقتم بحاضـــركم وقـــد ضـــقنا بماضـــينا

فولـــوا شـــطر دنيانـــا ... ســـنجهرها مطيعينـــا

فقـــد صـــرنا ملائكـــة وقـــد صـــرتم شـــياطينا !

.. اذكروا

ذكريات عيد الجلاء

قـــد تحررنــــا نســـاء ورجـــالًا — ومــن التــاريخ حققنــا المحــالا
افخـــري يـــا مصـــر هـــذا يومنـــا — جـاء بعـد الجهـد حقًـا وحـلالًا
فـــاملؤوا الأكـــوان بشـــرا وســـنى — وابعثـوا الأفـراح شـعرًا وخيـالًا
وارفعـــوا رايـــات مجـــد شـــامخ — واذكـــروا في نشـــوة النصـــر

***

اذكـــروا الشـــهم بفخـــر وحنـــان — ولـتكن ذكـرى عـلى كـل لسـان
اذكـــروا قلبًـــا كبيـــرًا ضـــمنًا — وتحـدى المـوت في ظـل التفـاني
ويـــدًا شـــماء قـــد قامـــت بنـــا — من دجى اليـأس لأضـواء الأمـاني
وأكفـــا طـــاهرات شـــيَّدت — كعبـة «الدسـتور» أسـوار الأمـان

***

واذكـــروا ثـــورة جـــيش ملهمـــة — إذ أطاحـــت بعـــروش مجرمـــة
مجـــدوا العـــزة فيهـــا طالمـــا — هـي منًـا ، مـن دمانـا المضـرمة
واذكـــروا أنـــا ســـواها لم نكـــن — غيـــر طعـــم لبطـــون متخمـــة
وخيـــول في رباهـــا ملجمـــة — وشـــياه للـــردى مستســـلمة
اذكـــروا أنـــا وإن نلنـــا المرامـــا — ورجعنـــا مثلمـــا كنـــا كرامـــا
وانطلقنـــا دفقـــة جارفـــة — تتخطى الصخر ، لا تخشى صداما
وامتلكنـــا حجـــة الأرض التـــي — حملـت غاصـبها سـبعين عامـا
وتنفســـنا هـــواء طـــاهرا — وجلونـا الظلـم عنـا والظلامـا

***

لم نــزل نحتــاج للصــبر المديــد   لم يــزل في أفقنــا غــيم رعــود
وجهـــاد وكفـــاح وأســـى   كي يسير الركـب موفـور السـعود
وعلينـــا واجبـــات جمـــةٌ   نحـو مـن قـاموا بأعمـال الخلـود
رب لــص خلــف أســوار الحمــى   مســتعد لاغتصــاب مــن جديــد

***

فلـــنكن كالثعلـــب المـــاكر حينـــا   فــإذا نمنــا فــلا نطــوي العيونــا
ولـــنكن شـــعب ســـلام وهـــدى   وأسودًا في الـوغى تحمـي العرينـا
ولـــنكن معـــول هـــدم كلمـــا   شـاء الاسـتعمار أن يبني سـجونا
ولـــنكن أربـــاب علـــم ونهـــى   ودعـــاة الخيـــر إيمانـــا ودينـــا !

***

وامنحوا الأمـوات قـدرًا مـن وفـاء   فـــاذكروا اليـــوم قبـــور الشـــهداء
وانثـــروا باقـــات شـــكر خالـــد   فـوق مثـوى الخالـدين الشـرفاء
ثـــم عـــودوا في صـــفاء وهنـــاء   وابعثـوا الأفـراح في عيـد الجـلاء

▪▪ عادت القناة

أممناهـــــــا ! أممناهـــــــا　　رغـــم التهديـــدات المـــرة

بـــــدمي بـــــدماك حفرناهـــا　　هـــي جـــزء مـــن مصـــر الحـــرة

ســـندافع عنهـــا لـــن نـــألو　　بالـــدم حتـــى آخـــر قطـــرة

ســـنهب كعاصـــفة غضـــبى　　كأســـود الغـــاب الوحشـــية

شـــيبًا وشـــبابًا وصـــغارًا　　لنلبـــي صـــوت الحريـــة !

***

كشـــف التـــأميم لنـــا صـــورا　　وحقـــائق أضـــحت مجلـــوة

فرأينـــا اليـــوم بأعيننـــا　　عجرفـــة الـــدول المزهـــوة

إن كانـــت قـــوتهم تعلـــو　　فـــالحق لنـــا ... وهـــو القـــوة

فلنشـــكركم فبضـــجتكم　　مصاصـــي دمـــاء البشـــرية

كملـــت وحـــدتنا العربيـــة　　واشـــتعلت نـــار الحريـــة !

***

مـــن قـــال بمـــؤتمر يســـري　　في جـــو الحقـــد المحمـــوم؟

ويكـــون الخصـــم بـــه حكمًـــا　　والظـــالم مثـــل المظلـــوم

وليصـــدر أحكامًـــا صـــدرت　　قبـــل المـــؤتمر المزعـــوم

وبحكـــم شـــريعة غـــابتهم　　يعقـــد في أرض غريبـــة

هـــل يمثـــل مـــؤتمرًا حقًـــا　　أم ينعـــى مـــوت الحريـــة؟

***

اليـــوم وقـــد ســـرنا قـــدما   بخطـــى العمـــلاق إلى الفجـــر

اليـــوم وقـــد ذقنـــا طعـــم   الحريـــة في ظـــل النصـــر

اليـــوم إذا انبعثـــت تزهـــو   أصـــداء الحـــق المســـتتر

لـــن نقبـــل لـــن نرضـــى أبـــدًا   تهديـــد الـــدول الغربيـــة

إمـــا اســـتقلال مكتمـــل   أو مـــوت يفـــدي الحريـــة !

أزمة القناة

أنشـر ظلالـك في أعمـاق أعيـنهم — وسـر وراء خطـاهم أينمـا رحلـوا
وكـن مصـير نوايـاهم وخطـتهم — ولـب كـل أمـانيهم إذا ابتهلـوا
لقـد تربيـت في أحضـان مجلسـهم — وكنـت روح قـواهم كيفمـا عملـوا
فسـر عـلى بركـات الله معتمـدًا — وكن لهم رائـدًا ... يـا أيهـا الفشـل!
مضـى الزمـان الـذي ولى بمجـدهم — خانوا الضمير فخان الحـظ والأجـل
يـا رب كـم مـن قـرار يقـذفون بـه — وكـم مناقشـة تخبـو وتشـتعل
كـم يعقـدون اجتماعـات ومـؤتمرا — وكـم يطيـر لهـم فـرد وينتقـل
كـم مـن سـباب وتهديـد وتعبئـة — وكـم مـؤامرةٍ قـاموا بهـا ... فشـلوا !
ونحن؟ نحن نرى نصـغى لضـجتهم — ونسأل البعض هل في عقلهـم خبـل؟
ماذا يريدون؟ ما جدوى صـراخهم؟ — والله ينصـرنا والقائـد البطـل !
شـهرين قـد ضـيَّعوا في ظـل مهزلـة — لم يكتسـب حلهـا جهـد ولا عمـل
أي الإشاعات كـي يـزوروا بسـمعتنا — ولفظ «مصر» على ثغر الـورى عسـل
أي الحماقـات لاستئصـال مرفقنـا — والمرفـق الحـر مسـتهد ومنهمـل
والمرفـق الحـر يمضـي في رسـالته — وحولـه الأرض والأكـوان تتصـل
يـا أيهـا الغـرب لا تهـزأ بقوتنـا — قد أفلـت اليـوم مـن ذؤبانـه الحمـل
كنـا نخافـك إذ عشـنا عـلى مضـض — نـرى الـبلاد بأيـدي البغـى تبتـذل
كنـا نخافـك إذ كانـت تفرقنـا — يـد الدسـائس أو تلهـو بنـا الـدول
تجسـد الحلـم مـا عـدنا نهدهـده — ووحد العرب هـذا الحـادث الجلـل
دمي عـلى جـرحهم ينسـاب محترقـا — دمعـي عـلى خـدهم يهمـي وينسـدل

وإن ألم بأرضـــي أو بهـــم خطـــر تحفــز النيــل والبيــداء والجبــل !

يـا أيهـا الغـرب يـا مـن تـدعى زمنـا إن العدالــة مــن شــطيك تنتهــل

نـادوك بالعـالم الحـر الـذي انبثقـت منــه الحضــارة يــا ليــتهم عــدلوا

ألا تـرى الظلـم مـن جنبيـك منبعثًـا يكــاد يصــرخ إني هاهنــا الخلــل

أنـــا التنـــاقض في الآراء أتـــبعكم أنـــا التخـــبط والإعثـــار والزلـــل

ذوو الضـــمائر إن حلـــوا بمـــؤتمر فــلا خــلاف عــلى رأي ولا جــدل

واليوم يشكوننا يشـكون مـن ظلمـوا لمجلس الأمن إذ فاضـت بهـم حيـل

ويرجعـــون إلى التهديـــد في ســـفهٍ مستمســكين بفتــواهم وإن خــذلوا

هــم يشـعرون بـأن الحـق هــازمهم وســوف تُغلــق أنــى حــاولوا السبل

فالـذنب روعهـم والخـوف هـيجهم والمـؤمن الحـر لا قـاس ولا وجـل

ها نحن نمضي مع «الكذاب» في دعة حتـى الـديار كمـا أوحـى لي المثـل

إن ينشـدوا السـلم فـالأحرار تنشـده وإن يرومــوا الــوغى هيــا ليقتتلــوا

فلست أو لست من يخشى وعيـدهم وقلبنــا العــزم والإيمــان والأمــل !

▪▪ دعونا

«دعوة المرأة العربية إلى الجهاد»

دعونـــا اليـــوم نقـــتحم الحـــدودا ونجتــــث الأبالســــة اليهـــودا
ســئمنا ضــجعة الإعيــاء هــذي وصــوت الحــرب يقــذفنا رعــودا
سنمضــي بيــنكم جنبــا لجنــب نحــث خطــاكم حثــا عنيــدا
نشــاركم جراحًــا أو قبــورا ونغلــبكم صــراعًا أو صــمودا
عــلى ليــل الجــريح نصــب نــورا ونبعــث فيــه إيمانًــا جديــدًا
فـــإن بقلبنـــا كنـــزًا دفينـــا مــن الحــب المقــدس لــن يبيــدا !

***

دعونـــا نقتتـــل جنبـــا لجنـــب فإنـــا قـــد تســـاوينا وجـــودا
ســـنخلعه رداء مـــن حريـــر ونحتضــن البنــادق والحديــدا !
ومـــا شـــئناه لـــيس لنـــا ببـــدع فمصـــر الأم أرغمـــت الوليـــدا
أمـــا اختالـــت بأســـلحة غـــوال وزينـــت الســـواعد والزنـــودا؟
وإن بنـــا لطاقـــات اقتـــدار ومـــا دُمنـــا أضـــن بـــأن يجـــودا

***

فلسطين استكنى نحن شعب إذا ركب الشدائد لن يعودا
له قلب كهذا الكون حر ولكن منك يستهوي القيودا
لقد بذل الدماء على وفاء ولن يألوا غداة غد جهودا
فهذي الحرب حرب الكون طرا هي الشرف الذي نبني وطيدا
هي الحق الذي نأبى اغتصابًا هي القيم التي نكرت جحودا

***

سنقسم أننا مهما ابتلينا فلن نبكي جريحًا أو شهيدا
فما بالدمع نرثيهم ولكن نضوع قبرهم ثأرًا حقودًا
إليهم للألى حُصدوا ضحايا بطولتهم لمن غابوا بعيدًا
لمن ناموا على صمت وليل وبالأمس استووا رأسًا وجيدًا
إليهم سوف نحني الهام فخرًا ونركع في الصلاة لهم سجودا
فثمة ميتة في ظل مجدٍ لأغلى من حياة لن تفيدا

***

هلموا يا نساء الشرق هيا فقد عفنا التراخي والجمودا
تذكرن التي عاشت قديمًا مثالًا في بطولتها فريدا
فتلك الأم في ظل التفاني تناست ولدها بذلته جودا
إلى الهيجاء أهدتهم جميعًا وكانوا خمسةً عقدا نضيدا
وجاء لها البشير على التياع فقالت : «هاته ! نبأ سعيدا»
أجاب «وكيف والأبناء ماتوا ولم تترك لك الدنيا وحيدا؟»

فغضـــا مــــن نواظرهـــا إبـــاء وقطبـــت الجبـــين لـــه وعيـــدا
وقالــت : هــل ســألتك مــا عــراهم وعـــنهم كنـــت أنتظـــر الجديـــد؟
أجـاب : إذن عــن الحــرب انتصــرنا ونلنـــا المجـــد والفخـــر الأكيـــدا؟
فعـــادت نحـــو معبـــدها تصـــلي وتشـــكر ربهـــا شـــكرًا حميـــدًا

***

فهيـــا يـــا نســـاء النيـــل هيـــا إلى أرض الكفـــاح ولـــن نحيـــدا
فـــإن عشـــنا ســـنمحو العـــار عنـــا ونحفـــر للعـــدى قبـــرا مديـــدا
ســـنرجع للحمـــى الـــوطن المفـــدى نلـــم حصـــادنا نصـــرًا مجيـــدًا
وإن متنـــا فإنـــا قـــد بعثنـــا مـــع الـــذكرى وآثرنـــا الخلـــودا!

■■ من القلب

«من مصر إلى شقيقتها فلسطين»

لا تحسبي أنا هنا صامتون ... فالنار في الدماء جمر دفين

وكل قلب هاهنا نابض ... قد احتواك في الحشا والعيون

أختاه ! مأساتك مأساتنا ... وقلبنا ينزو بما تشعرين

نعيش أحرارًا على أرضنا ... واعجبا ! وكلنا لاجئون!

***

لا تحسبي أنا نسينا القسم ... فعروة الأشراف لا تنفصم

أختاه ! لن تهنأ لي فرحة ... وأنت ملأى بالأسى والألم

لن يهدأ العاصف في مهجتي ... إلا إذا حطمت هذا الصنم

يا ويل إسرائيل من ثأرنا ... وحرمة الأموات لن ننهزم !

***

فاستنهضي قواك لا تيأسي ... واستقبلي بالعزم يوم الكفاح

ولا تقولي كنت فيما مضى ... وكان لي حقل وكانت بطاح

وكان لي ماض وفير المنى ... أبهى سناء من جبين الصباح

واليوم ماذا قد تبقى لنا ... غير الدموع والأسى والجراح!

***

أختـاه ! لا تبقـى عـلى الـذكريات إلا لكـي تزجيـك نـور الحيـاة
لتبتعـث فيـك لهيـب القـوى والثـأر مـن أعـدائنا والثبـات
النـدب للأمـوات ! يـا أمـة يسـمو بها الخلـود فـوق الممـات
لـن تنطفـي الـروح وإيمانهـا يـدفق بالأشـعة النيـرات !

▪▪ ثورة على الظلم

«من وحي هجوم الربيع»

مزقــوا الظلــم وذودوا عــن حمانــا إن يــوم الفتــك بالأعــداء حانــا
يــا أبــاة الضــيم هبــوا ! إننــا قــد سـئمنا اليــوم إغضــاء كفانــا
واجهــوا الواقــع حــرًا واضــحًا إن يكــن في الواقــع الحــر أســانا
وابعثــوا الحــق وفكــوا قيــده واملــؤوا بــالعزم روحًــا وكيانًــا
عقـــد الشـــرق علينــا حلمـــه وفلســـطين تنادينـــا الأمانـــا
بوركـــت أرض ســـقيناها الـــدما ونجـــود حملـــت جهـــد خطانـــا
لم نكـــن يومًـــا لنرضـــى أن نـــرى مـــوطن الأمجـــاد للـــذل تحـــاني

***

لم نعــد نحكـــي تفاهـــات هوانـــا ونمنـــي الـــنفس آنـــا ثـــم آنـــا
إننـــا اليـــوم ســـلاح قـــاطع وعقـــول تبهـــر الكـــون افتتانـــا
لم نعـــــد نعـــــرف إلا لغـــــة من صدى البـارود تسـري في دمانـا !
عصـــبة الصـــهيون يـــا مهزلـــة مجهـــا القلـــب وعافتهـــا رؤانـــا
هــددي مــا شـئت هــل خلـت الـذي ذاق مـــاء النيـــل يرتـــد جبانـــا؟
قـــد ســـكتنا وســـكتنا أتـــرى تحســـبين الصـــمت ذلًا وهوانًـــا؟
نحن شـعب السـلم لا نـؤذي سـوى مـــن تـــولى الغـــدر في البـــدء وخانـــا

إن تكـــوني قـــد تناســـيت الألى　　　شـــيدوا الأهـــرام في مصـــر زمانـــا

لـــيس مـــا يـــدعو لأن نـــذكرهم　　　لا ولـــن نشـــدو بمـــا كنـــا وكانـــا

ســـنريك اليـــوم أنـــا ثـــورة　　　في ســـبيل الحـــق لا تثنـــى العنانـــا

موعـــد الثـــأر أتـــى فلتعلمـــي　　　إن نكـــن إنسًـــا ففـــي الهيجـــاء جانـــا!

▪▪ قسم شعب

«إنه قسم لو تعلمون عظيم»

لا السجن قيـد إحساسـي وأفكـاري ... ولا القوى أخمدت أنفـاس إعصـاري
أنـا النبـال أمـام الطـائرات أنـا ... الصدر المعرى أمام المدفع الضاري
أنـا الخيـام أمـام الحصـن باليـة ... أنـا المشـرد مـن أهـلي ومـن داري
هيهـات تهزمنـي في الحـرب أسـلحة ... أنـا المـدجج بالإيمـان بالثـار

***

أقسمت فلتشهدي يـا أرض مجـزرتي ... ويـا سـماء تـولى اليـوم إعسـاري
شـعب الجزائـر قـد ذكـى عزائمـه ... سـيل مـن الـدم والتـدمير والنـار
فخلـف كـل شـهيد أمـة بعثـت ... ومـا المقاصـل إلا منبـر عـار
أقسـمت أن أفتـدي حريتـي بـدمي ... وأن أطهـر أوطـاني مـن العـار ؟

.. افخري يا مصر

«لسان حال الفتاة المصرية الحديثة»

مصر يا موطن حبي ومناي — أنت يا أعذب ضوء في المقل

أنت يا أعمق نبض في دماي — أنت لي أمٌّ ستبقى للأزل

***

كنت يا مصر سأغدو عالة — فوق واديك كما كان الأول

كانت الرجعية النكراء تأبى — أن ترى المرأة عقلًا مكتمل

فمحت شخصيتي من كونها — خلف ظل مستبد كالجبل

كان الاستعمار يبغي قيدنا — ويرى المصري إن سار وصل

غير أني اليوم أثبت وجودي — وطرحت الوهم خلفي والوجل

ها أنا حطمت أسري وقيودي — واشتركتُ اليوم في كل عمل

فافخري يا مصر إنا أمة — تأنف الظلم وتأبى أن تضل

قد تحررتُ ومن حريتي — كان مجد الشرق يا مصر أجل !

***

قادة الفكر وأرباب النهى — شجعوا فينا ارتقاء متصل

ورأوا تعليمنا كسبًا لهم — قبل أن يغدو كسبًا مستقل

إنهم قد أدركوا ا يا مصر أنا — مصدر الإرشاد والوعي المطل

إنني سوف أربى طفلهم — أدرأ الأمراض عنه والعلل

وأراعي فيه قوميته — وأبث العزم فيه والأمل

إن يعش أنت له كل المنى — أنت من يفدي إذا حان الأجل

هكذا الثورة فينا علمتنا — وكذا طفلي سيغدو ويظل

***

هـا أنـا يـا مصـر أثبـت اقتـداري ‏ ‏ واشـتركت اليـوم في كـل عمـل

لم أعـد ألـزم كالدميـة داري ‏ ‏ وأعـاني الضـيق فيهـا والملـل

صـار لي حـق ورأى مرشـد ‏ ‏ وكيـان ثابـت بـين الـدول

فـافخري يـا مصـر إنـا أمـة ‏ ‏ تنسـف الظلـم وتـأبى أن تضـل

قـد تحـررت ومـن حريتـي ‏ ‏ كـان مجـد الشـرق يـا مصـر أجـل !

▪▪ مصر تملي شهادتها

ســـجلاه عـــلى كتـــاب الوفـــاء	وأمضـــياه بمهجتـــي ودمـــائي
هـــذه مصـــر يـــا جمـــال تغنـــى	لــك لحــن الخلــود ، لحــن البقــاء !
عشـــتُ دهـــرًا عليلـــة أتلـــوى	في مهـــاد الأحـــداث والأرزاء
مشـــربي الـــذل والهـــوان غـــذائي	وكـــؤوس الحرمـــان منهـــا دوائـــي
لـــيس ذنبـــي إن كـــان لي مـــن ذنـــوب	غيـــر أني رحبـــت بالغربـــاء
هـــم نفـــوس بـــاللفظ تـــدعى ملوكًـــا	وملـــوك في الإثـــم والأخطـــاء
هـــو ســـرب مـــن الجـــراد تـــوالى	فـــوق أرضـــي النضـــيرة الفيحـــاء
لـــو تركنـــاه يـــا لنفضـــة رعـــب !	لكـــأني أحـــس وشـــك انتهـــائي !
كـــدت أفنـــي معـــاذ ربـــى لـــولا	نجـــدة الخيـــر مـــن أعـــالي الســـماء
هـــذه مصـــر يـــا جمـــال تغنـــى	لــك لحــن الخلــود ، لحــن البقــاء !

***

كيـــف أحصـــي مناقبـــا منـــه عمـــت	أو تحصـــى الرمـــال في الصـــحراء؟
بـــث روح الحيـــاة في قلبـــي الميـــت	وذكـــى اللهيـــب في أحشـــائي
حـــاملًا مشـــعل العدالـــة والحـــق	ونـــور الهـــدى وطيـــف الرجـــاء
ســـاكبًا روحـــه الحنـــون فـــداء	لهنـــائي ورفعتـــي وعلائـــي
للكفـــاح المجـــد في ســـبل المجـــد	ورفـــع الكرامـــة الشـــماء
لانـــدثار الأحقـــاد في هـــوة الأمـــس	وذبـــح المطـــامع الشـــوهاء
لانتفـــاض القلـــوب مـــن غفـــوة الـــذل	فـــرارًا ليقظـــة الكبريـــاء

فــإذا العبــد فــوق أرضــي حــر يتهـــــادى في عــــزة وإبــــــاء
وإذا البشـــر في ربـــوعي يســـري وعبيــــر الـــورود في أرجــــائي
وحصـــاد العـــذاب أجنيـــه نصـــرا يــوم عيــد الأعيــاد ، عيــد الجــلاء !
ســـجلاه عـــلى كتـــاب الوفـــاء وامضـــياه بمهجتـــي ودمـــائي

▪▪ حبها الأول

«وعلى الشاطئ منديل كبير ينوح ، وفي

السحابة البيضاء النائية قلب يتململ»

مرآتها وعينها الذابلة

تحدق في أعماقها ذاهلة

والغرفة المخفوقة العفش

يحتلها السرير كالنعش

وشعرها والمشط بين اليد

وظهرها الحاني على المقعد

وبسمة صفراء

ولحظة استرخاء

لحظة حلم ناعم الذكرى

مجسد في غرفة أخرى

في غرفة ضاحكة الظل

بسيطة الأثاث والشكل

يحضنها البحر وشمس الربيع

ويسكن العصفور بين الضلوع

وهينمات الخيال

مع الشذا والجمال

***

بها فتاة مثل عود رطيب

ترنو إلى مرآتها في شبوب

قميصها الوردي للركبة

يكشف عن معالم الفتنة

تضغط فوق صدرها باليدين

مبهورة تخفي رؤى حبتين

بنظرة ذهلى

وبسمة خجلى

***

وامرأة بالقرب منها تدور

بعينها وميض نار ونور

تهتف في إغرائها الخلاب

«أواه لو رآك ذاك الشاب

بذلك الجمال يا فتنتي!»

«ويحك ! صه لا تهزلي دادتي

إذ كيف خمنت حبي؟»

«من نور عيني وقلبي!»

***

وتصمت الصبية الحائرة

والدادة الخبيثة الماكرة

تهمس في آذانها باللقاء

«بنيتي في الدرب بعد العشاء

حين يكون الليل أرخى ظلاله ....

علام أهذي ؟ هاك فضي الرسالة

بطيها تلتقين

بكل ما تشتهين»

***

وتقرأ الفتاة في سطرين

«حبيبي روحي ونور العين

إلام هذا البعد ؟ هذا الجفاء؟

سنلتقي حتمًا ... وهذا المساء!»

فتعتريها نوبة من حنين

سنلتقي ! تصرخها في جنون

إن شاء هذا القدر

أو لم يشأ .... انتظر !

***

وتختفي الرؤيا وتبدو الحقيقة

وتحدق الحالمة المستفيقة

في كونها في الغرفة الصامتة

عبر مدى أجوائها الباهتة

ومن خلال زفرة مكتومة

راحت بطرف كفها المحمومة

تمسح فوق جفنها المسبل

دمعة ذكرى حبها الأول

▪▪ ذكريات الطفولة

«إلى صديقة»

لمــــاذا نقبـــر الــــذكرى ونخفـــي ســـر ماضـــينا

همـــا عامـــان يـــا أختـــي ســـعدنا فيهمـــا حينـــا

تعـــالي نرجـــع الأمـــس الـــذي مـــا زال يـــدعونا

إلى أرض مباركـــــة بهـــــا اخضـــــرت أمانينـــــا

هنـــاك بريفنـــا المحبـــوب في أحضـــان وادينـــا

***

تعـــالي نبســـط الأجنحـــة اللهثـــى عـــلى الكـــون

ونمضـــي حيـــث يـــدفعنا نـــداء القلـــب والعـــين

وحـــول ســـنا طفولتنـــا نرفـــرف كالفراشـــين

ونرنـــو في مســـالكنا بعيـــدًا نحـــو ظلـــين

همـــا أنـــت ، أنـــا نجـــري ونمـــرح في ربـــى «الفشـــن» [2]

***

---

(2) الفشن : بلد بالصعيد .

هنالك في المروج الخضر كم جعنا ولم نشبع
أكلنا الفجل والجرجير والجعضيض والنعنع
وتحت الغصن هومنا لنسرق طيره الرضع
هناك على ضفاف «السرب»[3] كم سرنا على أربع
لنملأ جوف علبتنا بألوان من الضفدع !

***

هنالك خلف دار أبي وخلف عيون «ميمونة»[4]
لكي نبني مواقدنا عجنا الجبس والمونة
ورحنا نخرط البرسيم ، نطبخه على الهينة
وفوق زكائب القطن التي ترتص في الشونة
قفزنا ! يا لها أقدامنا بالقفز مجنونة !

***

هنالك كم تأهبنا ليوم الجمعة العطلة
فغادرنا منازلنا على حذر وفي غفلة
نلم الرامخ المنشور ... نقذف بالحصى النخلة
نشاغب فتية الحارة نخطف منهم النحلة
ونلعب لعبة الطبة ونط الحبل والحجلة !

***

(3) السرب : مجرى ماء .

(4) ميمونة : مربية سودانية .

وعنـــد العصـــر أبصـــرنا وفي أعماقنـــا فرحـــة

نمـــر بضـــفة الترعـــة في الجيئـــة والروحـــة

أنـــا بالشبشـــب العـــالي وبالفســـتان والطرحـــة

آتيـــة عليـــك في زهـــو وأخطـــف تـــارة لمحـــة

لطيـــف باســـم يهفـــو هنـــاك بجانـــب الدوحـــة !

***

تـــرى هـــل تـــذكرين اليـــوم مدرســـة بهـــا كنـــا ؟

وكانـــت في خيالينـــا وجـــودًا آخـــرا ... كونـــا

عرفنـــا الحـــب قـــد يفنـــى وحـــب الـــذات لا يفنـــى

فكـــم فيهـــا تشـــاحنا ، تخاصـــمنا وكـــم غرنـــا

إذا أرقامنـــا اختلفـــت وجـــاد «الشـــيخ» أو ضـــنا

***

لمـــاذا نقبـــر الـــذكرى ونخفـــي ســـر ماضـــينا

همـــا عامـــان يـــا أختـــي ســـعدنا فيهمـــا حينـــا

همـــا عمـــر لنـــا ولي بـــه ولـــت أمانينـــا !

▪▪ جرح وليل

«ما جدواك أن تقول للناس شيئًا قد لا يفهمه الناس

إن قدسيته وروعته يغض منهما الإفضاء»

منــذ أجيــال وبــي جــرح كبيــر   عبثًــا أنســى عــلى الــدهر زمانــه

هـــو منـــي غـــائر دام مثيـــر   غيــر أني لســت أســتجلي مكانــه !

***

ذات «ليــل» خلــتُ أن الجــرح للعــين تعــرى

فتـــولاني ســـرور وارتيـــاح غيـــر أني

حينمــا حــدقت في الفوهــة حينــا عــدت حيــرى

كــان كــالبتر عميقــا مــا لنــا عينــي وكــوني !

***

وســمعت النــاس يــروون حكايــات عجيبــة

عــن كرامــات «ولي» راح يشــفي كــل داء

فتوســلت إليــه في ابتهــالات مهيبــة

ورجعــت البيــت جــذلى ومعــي وصــف شــفائي

***

ووضــعت الصــحن لــيلًا في النــدى فــوق الســطوح

ثـــم أطلقـــت بخـــوري حـــول أوراق حجـــابي

وصـــببت الطـــل مـــن صـــحني عـــلى نبـــع جروحـــي

فمضـــــى ينـــــزو عنيـــــدًا وتمـــــادى في عـــــذابي

***

ورأيـــت النـــاس يشـــفون جراحـــات الحيـــاة

بمـــــزيج مـــــن عصـــــارات نبـــــات وثمـــــر

فتســـــللت إلى الغـــــاب بأقـــــدام حفـــــاه

وعـــــراء الليـــــل يكســـــوني وأنـــــواء المطـــــر

***

وبإجهـــاد عصـــرتُ الشـــحم مـــن صـــلعة ســـروه

وفركـــتُ العصـــب الأصـــفر مـــن أوراق زنبـــق

ومـــلأت الكـــف مـــن عشـــب نمـــا في حضـــن هـــوه

ووضـــعت المـــرهم الغـــض عليـــه فتـــدفق

***

جنتـــه بـــالقمر الـــراقص في النيـــل العظـــيم

جنتـــه بالشـــمس خلـــف الأفـــق لم أبخـــل عليـــه

وســـرقت المـــاس كـــي أرضـــيه مـــن عـــين النجـــوم

غيـــر أن الجـــرح قـــاء النـــور دلى شـــفتيه !

***

فتحانيـــت عـــلى جرحـــي بغـــيظ وجنـــون

ونزعـــت الجلـــد منـــه ثـــم قطعـــت لســـانه

ثـــم تبـــتُ عـــلى جنبيـــه أوتـــاد عيـــوني

غيـــر أني حـــين وافى الصـــبح لم أعـــرف مكانـــه !

▪▪ نداء

«إنها تحبك رغم علمها بأن فيك كثيرًا من النقائص والعيوب

إنها تحبك عندما تعجز عن معرفة سبب محدد واضح يربطها بك»

حنانك ! قد طال تشريدنا — وكلت خطانا فهلا نعود؟

فما عاد ينفع عصياننا — ولا عاد يجدي الجفاء العنيد!

وأدنا هوانا بجوف الظنون — وشيدت قبري وشيدت قبرك

وها قد توالت علينا السنون — وأحببت غيري وأحببت غيرك

وها نحن رحنا نعب الهوى — ونسبح في غمرات الشعور

ونقطف كل زهور المنى — كأنا سنطوي غدًا في القبور

فماذا جنينا ؟ سوى الذكريات — وطعم المرارة في حلقنا

ويا ويحنا ! قد أضعنا الحياة — ولم ننتقم غير من نفسنا

تعال لتنفض عني الهموم — فعمري قصير وبي ألف داء

ويا هاجري هل تضيء النجوم — سوى ليلة في ظلام الفضاء؟

وحسبك أني رضيت العيوب — رضيت بما تحتوي من شرور

فما كان للقلب أن يستجيب — سوى للهوى رغم عقلي البصير

حببتك ليلًا وظلما مديد — وأقنعت نفسي بهذا القدر

فقلت أنا الوهم بين الوجود — وأنت الحقيقة بين البشر

وإنك أرضي القوية أمشي — عليها بأمن وكلي ارتياح

ولست بسقف من الأفق هش — يميل فيهتز مني الجناح

وكنت أقول ستسمو غدًا — فطبع الهوى في القلوب صفاء

ولــولا الضـــلال جهلنـــا الهـــدى ولـولا الـدجى مـا عرفنـا الضـياء

ولكـــن حتـــى الظـــلام جفـــاني حنانـــك قـــد طـــال تشـــريدنا

فحســـبك أني رضـــيت هـــواني ومـــا عـــاد ينقطـــع عصـــياننا ؟

▪▪ عيون الحب

غــدًا حــين تــذهب في الموعــد إلى ركنتنــا الســـاكن المفـــرد
إلى النيــل حيــث يهــيم الجمــال إلى أعـــذب الـــورد والمـــورد
غــدًا حــين تمشــي عــلى شــطه وبــين نســيم الضــحى الــراقص
وحولــه خطــاك وفــوق الرصــيف ثــوت باعــة اللــب والحمــص
فــلا تتوقـــف هنالـــك عنـــد نــداء الصــبي الصــغير المكيــر
لتبتـــاع لي «ترمســـا» لاذعـــا بقرطاســه المــتخم المســتجير
ولا يلهينـــــك في ســـــيره النيــل أســماكه والشــباك الكبيــرة
ورائحـــة الـــذرة المشـــتهاة ولا بائعـــات الزهـــور النضــيرة
ولا القــارب الشــاعري الصــغير عـــلى البـــر يرســـو لأمثالنـــا
يرفـــرف مجدافـــه في حنـــان لكـــل حبيبـــين مـــرا هنـــا
ولا تــدع الوقــت يمضــي ســدى ســتبقى شــريد الخطــى متعبــا
بــل امــض وعــد عــد فلــن نلتقــي ولــن أتــرك الــدار لــن أذهبــا !

***

غــدًا لــن يكــون لنــا مــن لقــاء عــلى الضــفة الرخــوة الباســمة
ســـيبقى الفـــراق بغيـــر وداع فمــا أبشــع اللحظــة الحاســمة!

***

ففـــي لحظـــات اللقـــاء الأخيـــر درسـت هـواي درسـت شـعوري
وأيقنـــــت أني إذا قلـــت يومًـــا «أحبـك» سـوف أخـون ضـميري
وأيقنـــــــــت أني مغـــــــــرورة وخادعـــة لـــك أنـــت الكـــريم
وأن هــــواي صـــغير صـــغير إذا قـيس جنـب هـواك العظـيم
وإلا فكيـــف وجـــودي بقربـــك بـــالأمس أصـغي إليـك بصـيره
بـــــوعيي بكـــــلي أراك أعـــــد نقائصــك التافهـــات الصـغيرة
فـإذا كنـت فـوق الأريكـة جنبـي أتـــذكر ؟ في الـــزورق الهـــائم
تربعـــت في جلســـة لا تليـــق بمثلـــك بالشـــاعر النـــاعم
وإذا كنـت تهتـف باسـمي الحبيـب وتســـرد حبـــك لي شـــارحا
خلعـــت حـــذاءك في غفلـــة فشـــاهدتُ فيـــه الـــبلى واضـــحا
وحـين اسـتبد بـك الوجـد حتـى توسـدت عطفـي صـريع بكائـك
شـــعرت بنفســـي ويـــا خجـــلي! أحـــدق في رقعـــة في ردائـــك
ودار بفكـــري يومًـــا جلســـت تحـــدثني عـــن ثـــراء كبيـــر
وقارنـــتُ هـــذا التنـــاقض فيـــك وأبغضـــت منـــك ادعـــاء مريـــر

***

فكيـــف تفســـر ؟ هـــل للأحبـــة عقـــل يفكـــر مثـــل الـــورى
اللحـــب في ســـكرات اللقـــاء ووهـج الوصـال عيـون تـرى؟
إذن حـــين تـــذهب في موعـــدي غـــدًا لـــن أراك ولـــن أحضـــرا

▪▪ مع الريح

عبثـا تهـدئين أيتهـا الـريح وهيهـات أن تقـري رزينـه !
أنـا في قلبـي الحـزين سـكون فلمـاذا تبلبلـين سـكونه؟
من هنا تهجمـين كـاللص مـن نافـذتي وسـط غرفتـي المسـتكينة
تلطمـين الجـدار والسـقف والأرض بطـيش الفراشـة المفتونـة
تمثلـين اسـتكانة الليـل هرجًـا واصـطخابا وتوقـدين حنينـه
فتعـود الحيـاة للغرفـة المـلأى بهمـي بـذكرياتي الحزينـة
ومـراح الطفولـة الحلـوة الغضـة يسـري في روحهـا المسـجونة
في ارتقاص الأستار ، لثم المرايـا في اعتنـاق المفـارش المقرونـة
وتصـيح الأوراق في عبـث هاربـة ، بـين قبضـتي مطعونـة
ويـؤج الأثـاث بـالغمز واللمـز وغـنج التأوهـات الدفينـة !
غيـر أني أراك في غمـرة الـركض تحـومين في الـدجى مجنونـة
تقلبـين الغطـاء فـوق سـريري تـارة ثـم تـارة تسـدلينه
أي شـيء أغـراك فيـه أجيبـي ؟ يـا ريـاح الشـمال يـا ملعونـة!
لـيس فيـه سـوى سـخافات طهـر وبلاهـات عفـة مخزونـة
وتـلال ثلجيـة تتعـالى وبنـار مـن الـدموع السـخينة
انظـري طرفـه الوحيـد تراخـى كعبـاب يشـد طـرف سـفينة
هاهنـا ! هـا هنـا حصـاد الليـالي وكنـوز الفضـيلة المكنونـة
فاحملهـا عـلى بسـاطك وامضـي وامنحيهـا لكـل روح أفينـه!

ثم مدى في الأفق ساقيك من أقصى المدى من ديـارك المسـكونة

واعصبي في الظـلام عينيـك لا تخشـى سـتلقين جثتـي المدفونـة

سـوف تلقيننـي ولـيلي وصـمتي ومجاعـات روحـي المحزونـة

في انتظار اللا شيء ! في مقعـدي الحـاني الـذي يسـتمد منـه أنينـه

آه كـــم أن كـــم أحـــس بـــثقلي كـــم توطـــأت ظهـــره وبطونـــه

فتعالى ! شيطانتي يـا أثيـري الرحـب يـا قبلـة الهـوى المشـحونة

يـا جنـاح الأوهـام يـا فتنـة الإثـم وعمـلاق رغبتـي المركونـة

واغمري مخدعي بحلم السلاطين القـدامى والجاريـات الأمينـة

بالدوار المسـحور بـالنغم اللاهـي بعطـر الهـوى وصـبي القنينـة

واعبثـي بـي ! وعـانقي جـذعي المـتخم هـزي ثمـاره وغصـونه

فأنـا أنـت وحـدنا والليـالي يـا ريـاح الشـمال يـا ملعونـة !

▪▪ ابتكار

يــا حبيبــي أنــت لي أول حــب
قــد تمنيــت لــه عــيش الخلــود

فاســتمع لي اســتمع لي إن قلبــي
حــائر يخشــى عــلى حبــي الوليــد

لا تهدهـــدني بـــأحلام العـــذارى
لا تكــن في الحــب جبــارًا عنيــد

المنــى العــذراء أوهــام الحيــارى
وضروب العنف للأسـرى العبيـد

أنـــت إن أســـعدتني دومًـــا بحبــك
زهــدت نفســي في الحــب الســعيد

وتمنيـــت خيـــالًا غيـــر طيفـــك
يبعـــث النشـــوة في مـــن جديـــد

أنـــت إن أســـقيتني كـــأس الهـــوان
أنــت إن أثخنــت قلبــي بــالجحود

تقـــتُ يومًـــا لضـــماد مـــن حنـــان
ليــد تحنــو عــلى جرحــى الشــهيد

فــابتكر في الحــب ألــوان الغرابــة
وأســـــاليب التجـــــاء وشــــرود

وامـــزج الفرحـــة فيـــه بالكآبـــة
والســـنا الوهـــاج بالليــل المديــد

يــا حبيبــي هكـــذا نحــن النســـاء
لا تلمنــي ! إننــي بنــت الوجــود

وكـــذا أنـــتم عـــلى الـــدنيا ســـواء
ولـــذاك الحـــب يفنـــى ويبيـــد !

▪▪ أيام تمر

هــل تــذكر الضــاحية النائيــة — والبيــت والحديقــة الناميــة ؟
ووقفتـــي هنـــاك في المنحنـــى — عـــلى انتظـــار اللهفـــة الحانيـــة
أودع القطـــــــار إذ ينثنـــــــي — ليعبـــــر المحطـــــة التاليـــــة
أظـــــل أهـــــذي حزينـــــة — بمقلـــــــــــة حـــــــائرة

من يا ترى قد أخره؟

حتـــى إذا بـــدوت خلـــف البـــاب — تطـــل مـــن فرجتـــه المعشـــاب
مقهقهًـــــــا ســـــــاخرًا — أردت أن أثـــــــــــــأرا
فــأنثني لا أبــالي في خطــوات ثقــال — وبســـــــــمة فـــــــاترة
أمـــــــد كفـــــــا ضـــــــنينه — وأفـــــــتح المـــــــزلاج !
هــل تــذكر الشــمس إذا مــا ارتقــت — ونحـــن في بســـتاننا الأوحـــد ؟
نمضـــي ونمضـــي في رواء الصـــبا — وســـاعد يحنـــو عـــلى ســـاعد
وتحـــت خطوينـــا أنـــين الصـــدى — عـــلى ســـفير الشـــجر المجهـــد
وتطفـــر الفرحـــة مـــن حولنـــا — ونبلـــغ القمـــة مـــن حبنـــا
فـــأغبط الأرض التـــي تحملـــك — وذلـــك النـــور الـــذي يغمـــرك
وإذا بنـــا نبكـــي منـــى وصـــمتنا — حـــين تضـــيق المعـــاني
كأننـــا شـــطآن جاشـــا ميـــاه ومـــا — بنـــاء يمـــلأ ســـمح الحيـــاة

***

ونلمـــح العـــريش في ركنـــه　　مظلـــلًا بـــالكرم والريحـــان

فنختفـــي روحـــين في حضـــنه　　نهتـــك عـــن كـــوامن الوجـــدان

إذ نجتـــوي الراحـــة لا نـــأتلي　　نسـقي يبـيس النبـت والأغصـان

بين عـروق الشـجر فنبعـث النبضـا　　والمـــاء إذ يخـــدد الأرضـــا

وانضـــم لينـــا وســـرى غضـــا　　ثـــم اختفـــى وانـــدثر

كهبة الريح بوجه الصخر !

***

هـــل تـــذكر الليـــل إذا مـــا دجـــا　　ونحـــن في الشـــرفة بـــين الشـــرود

إذ يعقـــد الطـــرفين ســـحر الـــرؤى　　بطـــرف نجـــم في ســـمانا بعيـــد

وشـــعري المغـــدودن المنتشـــي　　في راحتيـــك مســـتبد عنيـــد

أهتـف وي ! مـا بـال هـذه النخيلـة　　بـــين العشـــايا الجميلـــة

ترمقنـــا بعينهـــا الرعنـــاء　　أهكـــذا تظـــل في الأجـــواء

معروقـــة الســـعوف والقامـــة مقامـــة مصـــلوبة كالشـــهيد ؟

▪▪لذة الخطر

أود أن أكـــــون بحـــــارًا عـــــلى ســــفينة

في ليلـــة نامـــت بهـــا الســـماء والأنـــوار

حتـــى أحـــس أننـــي نهـــايتي وقمتـــي

لا أدعـــي إذا ضـــللت أنهـــا الأقـــدار

***

لســـوف أغـــدو رجـــلًا في رحلتـــي المروعـــة

فـــإن خـــوفي ربمـــا يعـــوق لـــذة الخطـــر

وربمـــا شـــعري يجـــدل الريـــاح الطيعـــة

وقـــد يشـــق مهجـــة الســـفين دمعـــي المنهمـــر

***

سيســـتقر فـــوق جبهتـــي الســـواد والســـواد

وســـوف يهـــبط الأســـى وســـوف يصـــعد الألم

ســـتمحى مـــن خـــاطري أطيـــاف قـــرب أو بعـــاد

وتســـتوي عنـــدي اتجاهـــات العيـــون والقـــدم

***

وســـوف لا أرقـــب في الســـما طلـــوع الأنجـــم

فمـــا أرى أســـخف مـــن تلهفـــات الانتظـــار

لـــن يســـبح الـــنجم عـــلى ســـواعد التـــوهم

ولـــن يصـــير لي دنـــى ولـــن يكـــون لي نهـــار !

***

لكننـــي قـــد خلـــوتي بالموجـــة المرتعـــدة

سيعصـــف الجـــوع بروحـــي بعـــد هـــدأة الشـــبع

سأحضـــن المجهـــول في رياحـــه المعربـــدة

وأعبـــر الأهـــوال في أقصـــى مـــداها والفـــزع!

ساعة مولدي

في ظلمة الكون لا ضوء به سار ... ولا صدى آدمي عابر جار
كأن طيف الردى قد مدَّ ساعده ... وعانق الأرض في عمق وإصرار
فالأفق مكتئب والنجم محتجب ... والسحب هاطلة تهمي بمدرار
في ليلة من ليالي الدهر حاملة ... ثوب البسيطة من هم وأكدار
جئت الحياة وفي عيني ظلمتها ... جئت الحياة وخلفي طيف أقداري!

***

وخيم الصمت فوق الدار منعقدا ... وفي جوانبها في شبه أستار
كأنما الدار مما حل في خجل ... تود لو تختفي عن كل أنظار
كذا النساء تهاوت في مقاعدها ... راحت تهامس في ريب وإنكار
ما السر؟ ما خطبها هل كنت ميتة؟ ... لا لم أكن غير بنت تلك أسراري
ما كان أحوجني يا أم ناظرة ... تظل ضوء غدي في ليلي الساري!

***

وهل طيف أبي في الدار منفعلًا ... وفي جوانحه جمر على نار
وقد توهم أن الأرض قاطبة ... في راحتيه وقد زينت بأقمار
حتى إذا ما انحنى فوقي يداعبني ... رأى الحقيقة في رعب وإحقار
فراح يهذي لمن شب الرماد لظى ... وأيقظ الميت في آيات إنشار
بنت؟ إلهي ! وما أرجو سوى ولد ... يا وصمة في دمي يا ذلة العار !

***

وهل في إثر ذاك الليل منسرحًا ... فجر جديد زها من غير إنذار
ورحت في صحراء العمر ضاربة ... تحنو عليَّ بصدر ثائر ناري
في معصمي قيود البؤس خالدة ... والطوق في عنقي أشدو بأشعاري!

▪▪ ثورة على الشعراء

يـــا معشـــر الشـــعراء أثخنـــتم فـــؤادي بـــالجراح
ضـــاق الوجـــود بظلمكـــم والأرض نـــاءت والريـــاح
اليـــوم تجتمعـــون كالغربـــان تنعـــق في صـــياح
تتناقشـــون وتنهشـــون بقيتـــي نهشًـــا مبـــاح
فلقـــد وجـــدتم قصـــة في الليـــل تـــروي للصـــباح !

***

لكـــن هـــذا الليـــل والشـــك المشـــرب بـــاليقين
والضـــجة الهوجـــاء تصـــحبها أعاصـــير الظنـــون
ســـتقر بعـــد هبوبهـــا ســـتمر يعقبهـــا الســـكون
وســـترجعون إلى عقـــور بيـــوتكم متحيـــرين
وستصـــمتون ســـتندمون أجـــل أجـــل وســـتندمون
لا شـــيء منـــي ســـوف يبقـــى عنـــدكم غيـــر الحنـــين !

***

فلســوف أمضــي ســوف أوغــل ســوف أعبــر ذكريــاتي
ولســـوف أتركهـــا لكـــم عبـــر الســـنين الآتيـــات
لتغيـــروا وتبـــدلوا حســـناتها بالســـيئات
وهنـــاك في كهـــف الســـكون وفي ســـراديب الحيـــاة
سأضـــم أجنحتـــي إليَّ ســـأرتوي مـــن نبـــع ذاتي

هيهـــات أرجـــع مـــن جديـــد للأمـــاني الكاذبـــات

***

ســـأغيب حتـــى يرتقـــي في مصـــر مجتمـــع شـــقي

حتـــى يطهـــر رجســـه في منبـــع عـــذب تقـــي

ســـأغيب حتـــى يختفـــي وجـــه المنـــافق والغـــوى

ولســـوف أبحـــر فـــوق يـــم غـــائر داج عتـــي

لأعـــود يـــوم أرى المحبـــة والصـــفاء بكـــل شـــي

وأحـــس أن الآدمـــي رعـــى أخـــاه الآدمـــي

***

ولســـوف تلتفتـــون في النـــدوات نحـــو المنبـــر

تتلهفـــون وتنصـــتون بكـــل قلـــب مســـعر

فلعـــل [٥] لحنًـــا باكيًـــا مـــن بـــين ثغـــر نيـــر

ينســـاب كالمســـك المعطـــر كالشـــذا كـــالعنبر

لكـــن أصـــداء ســـتعلو كالعويـــل المنـــذر

وكـــأن هـــذا الحفـــل بعـــدي مثـــل وادٍ مقفـــر

***

وستكشـــف الأيـــام يومًـــا عـــن غـــلام أســـود

مـــلأ الغـــرور دمـــاه منـــتحلًا صـــفات محمـــد

ويقـــول : إني شـــاعر ســـبق الزمـــان إلى الغـــد

سـجدت عـلى قـدمي الغـواني واعتصـمت بمعبـدي

وأقـــول : يـــا هـــذا الضـــرير أثـــرت في تمـــردي

ســـتظل ترقـــب في الـــورى زنجيـــة لم تولـــد !

***

(٥) الديوان الأول للشاعرة .

وستكشــف الأيــام يومًــا عــن فتــى غــض نحيــل
متلونًـــا في الحـــب كالحربـــاء منـــدفعًا ملـــول
مــن كــل روض كــل ســرب يشــتهي طيــرًا أصــيل
بــالأمس هــام بجــارة الــوادي بلبنــان الجميــل
واليــوم يلهــث ظامئًــا والنيــل لا يــروي الغليــل
وغدًا غـدًا سـيحب مـن ؟ جهـلي وجهلـك لـن يطـول

***

وستكشـــف الأيـــام عمـــا قـــد تخفـــي واســـتتر
عـــن ثلـــة لا تـــأتلي تصـــطاد في المـــاء العكـــر
عـــن كـــاهن عمـــلاق يـــنظم للإلـــه وقـــد كفـــر
عـــن قائـــد كـــاللص يختـــلس الهـــوى عبـــر النظـــر
ولأتـــرك التـــاريخ يـــروي كـــل فـــن مبتكـــر
عنـــي فـــرغم أنـــوفكم ســـأظل خالـــدة الأثـــر!

■■ لقاء وفراق

«واستدرنا نسير في حلقة الحياة ، وامتدت

خطوات كلينا في اتجاه معاند»

كنـت في الكـون كالغريـب شـريدًا	تائهًـــا في عـــوالم مفقـــودة
كنـت طيـرًا مهـاجرًا يـأنف العيش	طـــويلًا في بقعـــة محـــدودة
كلمـــا مـــر عاصـــف في روابيـــه	وألقـــى عـــلى الوجـــود رعـــوده
ســئمت روحـــه الفتيـــة هـــذا	الموت عافـت أطلالـه المهـدودة
فمضـــى يـــذرع الفضـــاء وفي	جنبيـه دنيـا مـن الحنـين مديـدة
ليريـــق الجمـــال والســـحر في	قلب الروابي السعيدة المجدودة
وحقـول الأوهـام خضـر المنـى	كانـت تغـذي غـروره ووعـوده!

***

وأمـــا كنـــت في الـــورى زهـــرة	بريـــة في غـــاب كثيـــف نـــاء
غرســـتني الأقـــدار ثـــم مســـاء	بـــين مســـرى الريـــاح والأنـــواء
وتفتحـــت بغتـــة رغـــم لـــيلى	ونمـــا العـــود وانتشـــت أعضـــائي
فـــأردت الحيـــاة كـــالغير لم أبـــغ	ســـوى أن أعـــيش كالأحيـــاء
غيـــر أني رأيـــت حـــولي كونـــا	مـــن ظـــلال كئيبـــة الأصـــداء
الغصـــون الجـــرداء تمتـــد غضـــبى	في اشـــتباك مســـلح وعـــراء
وأنـــين الأعشـــاب في قبضـــة	الريح وهمس الأشباح في الظلماء
والظـلام المغلـف الجهـم أرضـي	وقبـــور الفـــراغ كانـــت ســـمائي!

***

والتقينـــا ! أحسســـت رفـــة روح قلت : من أنت ؟ قال : توأم ذاتـك
قــال : نبــع مـــن الحنــان مشــع جـاء يلقـي الضـيا عـلى ظلماتـك
وخيـــال مـــن الحقيقـــة يبـــدو وسط دنيا الغموض مـن كائناتـك
وهـــزار عـــلى غصـــونك يشـــدو ذوبتــه الأشـــواق في أغنياتـــك
أنــا كـأس الرجـاء سـاقي الأمـاني أنــا طيـف الأمـان في عاصـفاتك
وأنا الفجـر والنجـوم عـلى جفنيـك ظـــل الحيـــاة فـــوق رفاتـــك
فـدعى الغــاب للوحــوش وألقــى باسـمات الـرؤى عـلى ذكرياتـك
وتعـــالى في روضـــة مـــن ربيـــع يسكب الدفء في خريف حياتـك!

***

غيــر أني أحسســت نــورا ونــارا وخطـى الليـل تسـتحث النهـارا
وتراءيــت زورقًــا تائهًــا وســط محـــيط يضـــمني جبـــارا
وكــذاك الزهــور في الغــاب تنمــو قلقـــات لا يـــأتمن الجـــوارا
عبثًـــا تـــؤثر الحيـــاة بكـــون غيـــر غاباتهـــا ولا اســـتقرارا
ألفـــت أرضـــها التـــي أنبتتهـــا وســـقتها الشـــقاء والأخطـــارا
رب فجـــر مشعشـــع نزفـــت عينـــاه دمعًـــا وحرقـــة وأوارا
ربمـــا حـــن ثغـــره لجبـــين الليـل واشـتاق للـدجى فتـوارى
وافترقنـــا لم أدر كيـــف افترقنـــا هكـذا نحـن في الوجـود حيـارى

▪▪ نعيم الشقاء

عزائـــــي أني لم أخنـــــك ولم أزر ولم يبـغ بعـد عنـك قلـب ولا نظـر

ولكـن حبًّـا مثـل حبـك شـاعري وحبًا كحبي فوق مـا يحمـل البشـر!

وفـوق عقـول النـاس أبعـد عـنهم من النجمة العلياء والشمس والقمـر

تحــدى تقاليــد الوجــود وعرفــه وحطــم أغــلال الطبيعــة والــدهر

فلــيس غريبًــا أن يصــير مهــددًا تنازعــه الأنــواء والــريح والمطــر

فيبدو شـفيفًا كالخيـال مـن الـرؤى ويغـدو ثقـيلًا كالحديـد وكالصـخر

ويــزأر مجنونًــا وينســاب خافتًــا كثــورة بركــان وأنــات محتضــر

ونشقى به ... نشـقى ورغـم شـقائنا هو النعمة الكبرى فما أغرب القـدر!

▪▪ أمي حواء

كــان لنــا جــد لــه جاريــة ســوداء ثقيلــة الأرداف كانــت واســمها حــواء
حفظــت في عــوالمي تاريخهــا المجيــد لأنهــا آخــر مــن رأيــت مــن عبيــد
فلــم يكــن لجــدتي مــن قبلهــا أولاد أطفالهــا كــان الــردى لهــم عــلى ميعــاد
وذات يــوم قــال عــراف لهــا عتيــق ســيدتي لا تحــزني فالطفــل في الطريــق
لكــن لــن يعــيش أو يرجــى لــه بقــاء إلا إذا يرضــع مــن جاريــة ســوداء
وحــين مــر بــائع الرقيــق بــالجواري وكــان قــد أوصــاه جــدي كــان في انتظــار
مــرت عليهــا جــدتي بعينهــا الرصــينة واختــارت الجاريــة الوســيمة الســمينة
وصــاح جــدي مالهــا وبطنهــا الكبيــر؟ قــال الياســرجي حامــل يــا ســيدي الوقــور
فإننــا في الســفر الطويــل مرغمــون وفــوق ظهــر المركــب المشــحون لاهثــون
قــال لــه جــدي : وكــم تريــد مــن ثمــن؟ بميــت جنيــه فثــديها ســيدفق اللــبن
فأمصلت مــن معصــميها جــدتي الأســاور وســاومتها ثــم أعطــت حقهــا للتــاجر
ووضــعت حــواء طفــلًا مــات في شــهور فســلمتها جــدتي أبــي أبــي الصــغير

***

ومــرت الأعــوام والحيــاة لا تــدوم ومــات جــدي جــدتي وطافــت الغيــوم
واحتلــت الــديار أمــي غيــرت رؤاهــا فحــزَّ في قلــب التــي عاشــت عــلى ســناها
وحــين جئــتُ في الــدنيا ولم أكــن مرغوبــة أحسســـتها تحبنـــي بروحهـــا المنكوبـــة
فأمنــا حــواء كانــت تكــره الكبــار لأنهـــم يدغـــدغون ردفهـــا الجبـــار
وعشــت في أحضــانها وديعــة ســعيدة لكننـــي أغضـــبتها في مـــرة وحيـــدة
وكــان ذاك حينمــا ســمعتها تقــول فوق الفــراش في الــدجى في حلمهــا الجميــل

***

وفي الصـــباح قلـــت مـــا ســـمعته لأمـــي فـــإذا بهـــا تضـــحك جـــذلى والـــدموع تهمـــى
إذ كـــان شـــعبان الـــذي قـــد رددت ذكـــراه زوجًـــا لهـــا في عهـــد جـــدي غـــاب في ثـــراه
وظـــل بعـــد ذا أبـــي يغيظهـــا يصـــيح مـــرددًا إذا رآهـــا حلمهـــا المفضـــوح

***

وكنـــت في طفـــولتي لا أعـــرف القبـــور فـــإذ بهـــا تحملنـــي تجـــرني تســـير
وتشـــتري خوصًـــا وتمـــرًا تســـبق الفقـــى بـــين ممـــر في الجبـــال الســـود ضـــيق
وترتمـــي عـــلى جـــدار هيكـــل رخـــامي وتنحنـــي عـــلى بنـــاء آخـــر أمـــامي
وهـــي تصـــيح في انطـــلاق دمعهـــا الســـيال قـــم ســـيدي ! ســـيدتي ! قومـــا انظـــرا أحـــوالي
وفي الرجـــوع تشـــتري الثمـــار لي الهنيـــة كـــي لا أقـــول أيـــن كنـــا ســـاعة الضـــهرية

***

وحـــين بـــاع والـــدي دارنـــا المهدومـــة لم تقبـــل الجاريـــة الوفيـــة الكريمـــة
أن نهجـــر المـــأوى الـــذي يفـــيض ذكريـــات وولولـــت وصـــممت تقضـــي بـــه الحيـــاة
فـــأفردوا أصـــحابها ركنًـــا لهـــا في الـــدار بـــين الريـــاح والـــدجى والقـــيظ والأمطـــار
وظلـــت الجاريـــة الوفيـــة المســـكينة تـــذكر جـــدي جـــدتي بلهفـــة حزينـــة
وكلمـــا اشـــتاقت إلينـــا بغتـــة تـــزور حتـــى اختفـــت في عـــالم النســـيان والقبـــور

▪▪ لستَ لي

«وقال الوتر : سأظل أهزج بالحب

وأترنم بالجمال حتى أتقطع»

ابتعـــد عنـــي ! أكـــاد اليـــوم أهـــواك حبيبـــي!

آه إن النـــار في قلبـــي عـــلى وشـــك الشـــبوب

هـــا هـــو التخـــدير في جســـمي وفي حســـي يشـــي بـــي

إنـــــه في علامـــــات هـــــوى غـــــض رطيـــــب

هـــــل كـــــالفجر ضـــــحوكا في ديـــــاجير قطـــــوبي

إننـــي أخشـــى عـــلى نفســـي منـــي ، مـــن لهيبـــي

ابتعـــد عنـــي ! فلـــن تغـــدو يومًـــا مـــن نصـــيبي !

***

لا تســـلني كلمـــا «الهـــاتف» يســـري كيـــف حـــالي

وإذا صـــرنا وحيـــدين فـــلا تطـــر جمـــالي

إنهـــا المـــرأة يغريهـــا التمنـــي بالمحـــال

لا تـــدعني أنشـــد الشـــعر وأســـتوحي خيـــالي

لســـت أرضـــى اللهـــو بالنـــار ولا أبغـــى ضـــلالي

إننـــي أخشـــى عـــلى نفســـي منـــي مـــن لهيبـــي

ابتعـــد عنـــي ! فلـــن تغـــدو يومًـــا مـــن نصـــيبي !

***

كـــــم تمنيتـــــك في أمســــي ولكـــــن في الخفـــــاء

كنـــــت لا أجـــــرؤ بـــــالفكر عـــــلى ذكـــــر لقـــــاء

كـــــان يكفينــــــي حـــــديث عـــــابر كالغربـــــاء

فـــــإذا مـــــا كـــــدت أنســـــى وكـــــذا اليـــــأس دواء

جئـــــت تزجينـــــي كؤوسًـــــا مـــــن حنـــــان ورجـــــاء

إننـــــي أخشـــــى عـــــلى نفســـــي منـــــي ، مـــــن لهيبـــــي

ابتعـــــد عنـــــي ، فلـــــن تغـــــدو يومًـــــا مـــــن نصـــــيبي

▪▪ دروس فاشلة

أبغضت حبك غير أني لم أزل   في غمرة الذكرى أعيش طويلا
إذ ليس هجرك ما يبلبل خاطري   بل كيف خنت ولم هجرت ملولا؟
ولم انتأيت على سكون غامض   لم تبد عذرًا قد أرى مقبولًا
سؤل تمر ولا أراني أهتدي   لجوابها أو أستشف حلولا
إذ أنت أول من سعيت إلى اللقا   وأنا التي مالت إليك قليلًا
فلو أنني أسرفت في بذل الهوى   لظننت أنك عفته مبذولا
ولو أنني أعرضت عنك فربما   خلت النوى قطعت هوى موصولا
لكنني أفرغت فيك تجاربي   طبقت علما راسخًا وأصيلا
وصنعتُ ما فتن الشباب وإنها   عادات نفسي لم تكن تمثيلا
وظننت أنك سوف ترعى مثلهم   حبي وإن لم ترو منه غليلًا
وظننت أنك سوف تقرأ حبهم   شعرًا وتبدع في الهوى تخييلا
فاليوم أضحى الشعر عني موضة   ليروج ما قد ينظمون هزيلا
فعزفت عن إغراء قلبك كي أرى   في الحب قلبك وحده مسؤولا
ووهبت نفسي للطبيعة لم أشأ   أن أستبيح لنفسي التجميلا
وتركتهن أفاعيا لا تأتلي   ترضى غرورك تنشد التجميلا
وغرقت في صمتي الوديع وربما   كان السكون لما أحس رسولا
وتجاهلت أذني نداءك تارة   وثناءك الموفور والتبجيلا
حتى إذا أقبلت مفتون الهوى   أعرضت عني واعتزمت رحيلا!
فشلت إذن في الحب كل تجاربي   من أين لي أن أبدأ التبديلا
أهناك وقت يا فؤادي بعد ما   هد الزمان كياننا المهزولا
أهناك وقت كي نعيد دراسة   الحب العويص ونحفظ المجهولا؟

▪▪ دعاء الفجر

يـا خـالق الكـون والأحيـاء دبـرني
فلـيس لي في الـورى إلا مـن عـون

يـا رب عشـت عـلى أرضـي معذبـة
بالمال ، بالحب ، بالأصـحاب بـالفن

كـأنني كنـت لـولاهم منعمـة
ولسـت بالولـد في هـم وفي حـزن

وهبتنـي المـال لم أشـعر بقيمتـه
وكان مصـدر شـكي في الـورى ظني

وجئـت بالحـب لم أسـعد بلذتـه
إذ كان كالريح كالإعصـار في غصـني

وقلت عيشي مع الأحياء واختلطي
فالنـاس للنـاس كالأجفـان للعـين

وحـين صـاحبتهم يـا رب مخلصـة
عانيت من غدرهم مـن لدغـة اللسـن

إمـا ألبـي نـدراء العـافي دمهـم
أو يسـفكون دمـي في خفيـة الجـبن

كأنمـا الشـعر لم يخلـق لشـاعرة
كان لوكريث[6] قد عـادت إلى الكـون

يـا رب لي رغبـة في الفجـر أعلنهـا
ولي عليـك دلال وحـده يغنـي

لا تشـق بالنـار والظلمـاء أجمعهـا
أمّـا سـواي ولا ابنـا سـوى ابنـي

إني بحكمـك يـا مـولاي راضـية
لكـن غيـري لا يُشـقيه بـل يفنـي

---

(٦) لوكريث بورجيا .

▪▪ رب الأنانية

ألا أيها الحب كـم شـوهوك بهـذي الحـلى بهـذي العطـور
بتلك المسـاحيق في وجنتيـك بهـذا الـرداء الموشـى بنـور
لماذا يريدونك ابن المدينة أنت البـدائي وابـن الكهـوف؟
لماذا سقوك رحيق الخلود وأنت ابن آدم تكوي الرغيـف؟
ففيك التوغل بين القلوب وفيك انقضـاض وفيـك هجـوم
وفيك انخذال وفيك اشتعال وفيك الصـفاء وفيـك الغيـوم
وإنــك تولــد مثــل الجنــين وتكبــر حتــى تشــيخ ملــولا
ومثـل المـريض يصـيبك داء ورغـم الـدواء تظـل علـيلا
ومثـل العقـول تصـاب بمـس فـإذ بـك في لحظـة تنتحـر
وتعروك سكتة قلب فتهـوي ويلهـو بطيفـك طيـف القـدر
وأنت الظمى وأنت الأكـول حـديث ثـراء تمـوت بتخمـة
وأنت الحقير تلـم الفتـات وتمضـغ وسـط القمامـة لقمـة
لماذا سقوك رحيـق السـماء وقـد أشـرقتك دمـاء الجنـون
وخلعوا عليك صفات الجمال وأنت الجميل ولكن ضنين
تمرد ! فهم سـلبوك الحقـوق وغشـوك بالحلـل المرهقـة
فطالــب بحقــك واهتــف بأنــك رب الأنانيــة المطلقــة!

***

فحب الأمومـة حـب «امـتلاك» لشـيء صـنعناه نحـن لنـا

وحب الصـداقة حـب «امـتلاك» لمـا نتسـلى بـه في الـدنى

ونحـن نخـوض غمـار الحـروب «لنملـك» عـزة أوطاننـا

ولســنا لوجــه الإلــه نصــلي ولكــن «لنضــمن» جناتنــا

ونحـن نحـب ونفنـي غرامًـا «لنحظـى» أخيـرًا بمعشـوقنا

وتضـحية الحـب حـب امـتلاك لراحـة هـذا الضـمير بنـا

فإن خيـروك أترضـى حبيبـك يحيـا بحـب غريـب سـواك

يحطـم فيـه قيـود الوفـاء ويمضـي سـعيدًا يعـاف لقـاك

وإلا يموت فماذا تجيب ؟ أترضى له العيش بعد الخيانـة؟

ألست تفضل موت الحبيب وتخشى احتراقًا وتأبى إهانـة؟

تمرد ! فهم سـلبوك الحقـوق وغشـوك بالحلـل المرهقـة

فجاهر بشخصـك واهتـف بأنـك رب الأنانيـة المطلقـة !

▪▪ هواجس

إني أريـــــد أن أمــــوت كـــــي أرى وجــــه الفنــــاء !

لكــــي أغيـــــر الوجـــــوه والـــــدروب والضــــياء

لكــــي أضــــم في يــــدي شــــيئًا ســــوى هــــذا الهــــواء

يــــا كـــم أريـــــد كـــم أريـــــد أي قلـــــب لي يشـــــاء !

***

أريـــــد أن أحـــــس أن أعـــــيش أن أصـــــير ... أن ...

أريـــد يومًـــا واحـــــدًا يحـــــوي الوجـــــود والـــــزمن

أن أرتـــــدي مــــــا لا يمـــــس أو يـــــرى أو يحتضـــــن

وأن أكــــون لا «كمـــــا أو مثلمـــــا» بــــل لم يكــــن !

***

أريـــــد أن أضـــــحك حتـــــى إذ بقلبـــــي ينفجـــــر

أريـــد أن أبكـــي فتســـــتغني الربـــــى عـــــن المطـــــر

أن أســــأل الإلــــه مــــا جــــدوى الســــماء للنظــــر

وربنــــا المهــــزوم في ضــــلوعنا ... نحــــن البشــــر !

▪▪ أين هي ؟

«أنت تعيش مع نفسك منذ ولدت حتى

الآن فهل تعرف نفسك؟»

بحثـــت عنهـــا عنـــدما يغفـــو ويحلـــم النـــدم

وحـــين يقـــذف الـــدجى دخـــان حرقـــة الألم

وعنـــدما تجـــأر أفـــواه القبـــور والعـــدم

***

فتشـــت في الوديـــان في المغـــاور المجهولـــة

وجلـــتُ في الوجـــود في العـــوالم المأهولـــة

وطـــرت في مركبـــة بنورهـــا محمولـــة

***

ســـبحتُ في بحيـــرة بغيـــر رأس أو ذنـــب

مياههـــا مـــن فضـــة وأرضـــها مـــن الـــذهب

وفـــوق أفقهـــا عـــلى صـــدر الـــدنى وشـــم اللهـــب

***

بحثـــت عنـــد ربتـــي مـــن أشـــرقت في ظلمتـــي

مـــن أغلقـــت عـــلى بـــابي ألـــف ألـــف مـــرة

وبعثـــرت كنوزهـــا عـــلى بســـاط فكـــرتي

***

بحثـــــــت في الأمـــــاكن القريبـــــــة المعهـــــــودة

وقلــت هــم أعــلي وهــم قــد أســكنوا «نفســي» الشــريدة

فــــــإذا بهـــــم لا يعرفـــــون أنهـــــا موجـــــــودة !

■■ الطمأنينة

يـا قلـب كـم فيـك مـن تصـاوير وفيـك مـن ظلمـة ومـن نـور
جمعـت فيـك الأضـداد قاطبـة وعشـت في دومـة الأعاصـير
واحيـرتي بالشـعوري آونـة وشـقوتي بازدحـام تفكيـري !

***

فكـم تعـذبت في هـواي وكـم صـور لي الـوهم مـن رؤى مـرة
وكـم تلمسـت في الظـلام سـدى نـوم خـلي الإحسـاس والفكـرة
وكـم تمنيـت بـرء عـاطفتي وعفـت طعـم الشـكوك والغيـرة

***

وحـين نلـتُ الشـفاء لم أنـل غيـر الهـدوء المميـت والملـل
لا غيـرة تكـويني وتقتلنـي لا نفضـة مـن مشـاعر الوجـل
وجـدتني بالهنـاء ضـائعة أبحـث عمـا يطـيح بالأمـل !

***

يـا لطمـأنينتي عليـك وكـم أخمـدت المسـتعر في قلبـي
أهكـذا حينمـا وضـعت يـدي عليـك يـا «حبـي» يختفـي حبـي
تـرى أيحيـا الهـوى عـلى ريـب وهل يموت الهـوى عـلى قـرب ؟

▪▪ اللحن الثائر

يـــا رب إني ســـرت في أمســـي عـــلى درب عســـير

وتلفتـــت عينـــاي بـــين النـــاس في قلـــق مثيـــر

وعـــلى الطريـــق تســـمرت قـــدماي مـــن تعـــب المســـير

فلقـد ضـللت ، ضـللت ، واختلطـت عـلى عقـلي الأمـور !

***

حتـــى إذا واريـــت عينـــي عـــن رؤاي الداجيـــة

ولمحـــت طيفـــك قائمًـــا أســـرعت نحـــوك شـــاكية

وكشـــفت عـــن ســـر الـــدموع وعـــن جراحـــي الداميـــة

وعرضـــت مأســـاتي عليـــك ســـردتها لـــك وافيـــة!

***

ناديـــت : هـــا أنـــا يـــا إلهـــي والفـــؤاد ومـــا لـــدي

كـــلي موجهـــة إليـــك أعـــوذ مـــن يأســـي الشـــقي

مـــن ضـــعف إيمـــاني ، ومـــن شـــكي ، ومـــن قلقـــي العتـــي

فلتغفـــرن ضـــلالتي يـــا رب لا تقســـو عـــليَّ!

***

ناديــت : هـــا أنـــا أســتعين بعطفـــك الحـــاني المديـــد
فلأقضــــين بقيــــة الأيــــام في أمـــــل ســـــعيد
كــــي أســـترد قريــــرة ثقتــــي بنفســـي بــــالوجود
بــك أنــت خــالق كــل شــيء مــن تميــت ومــن تعيــد !

***

لكــــن رفضـــت شـــكايتي أعرضـــت عنـــي لم تســـل
لم تقبــــل النــــدم المريــــر ولم تنـــر قـــبس الأمـــل
فبعثــــت في نفســــي التمـــرد والســـآمة والملــــل
وتركتنــــي وحـــدي وحقـــدي في دمــــائي يشـــتعل !

***

واليــــوم مــــاذا تبتغــــي يــــا رب مــــاذا تنتظـــر؟
مـــن كـــائن أفرغـــت في أعماقـــه لـــيلًا عكـــر ؟
مـــاذا يهمـــك إذ أنـــا أهـــوى وإذ أنـــا أنحـــدر ؟
أولســـت أنـــت أردت ، أنـــت أردت لي هـــذا القـــدر ؟

■■ معجزات القرآن

«من وحي ابني المجنون»

هـــي ليلــــة مــــرت عــــليَّ كأنهــــا عــــام وعــــام

الكـــون فيهـــا كـــان أخلـــد للســـكون وللظـــلام

والبـــرد ... البـــرد المفـــزع كـــان يمـــتض العظـــام

لكنمـــا نـــام الجميـــع ولم أزل أنـــا والغـــلام

يقظـــين لم نـــذق الكـــرى مـــن ليلتـــين ولا الســـلام

هـــو في الجنـــون وفي رؤاه بغيهـــب المـــرض العقـــام

يرتـــد مـــن ركـــن لـــركن ثـــم يهـــذي بـــالكلام

ويصـــيح أو يبكـــي ويضـــحك أو يعـــود إلى القيـــام

وبعينـــه ضـــوء مخيـــف مســـتفز في اضـــطرام

وأنـــا كميْـــت في الـــدجى يرنـــو لميـــت في القتـــام

أصـــبو إلى الفـــرش الـــدفيء وأشـــتهي طعـــم المنـــام

وأكـــافح الرعـــب المميـــت وجهـــد أعبـــائي الجســـام !

***

وطعـــت ســـيول الثـــورة الغضـــبى عـــلى قلبـــي ونفســـي

فتنكـــرت روحـــي لروحـــي ، أنكـــرتْ ديـنـــي وجنســـي

ومضـــيت أصـــرخ في أســـى وكـــأن بـــي أطيـــاف مـــس

وأنـــا ألـــوح باليـــدين وبالســـواعد فـــوق رأســـي

وأصـــيح في وجـــه الســـماء وقـــد تجمـــد كـــل حســـي

يـــا أنـــت ، يـــا ... أتتركنـــي مغلفـــة بيأســـي

أو هكـــذا حملتنـــي مـــا فـــوق مقـــدوري وبأســـى

أتظـــل تمـــلأ مـــن جديـــد كلمـــا أفرغـــت كأســـي

لا لســـت موجـــودًا وإلا كنـــت ترحمنـــي وبؤســـي

لا لســـت موجـــودًا ولم توجـــد بـــأمس !

***

يـــا كـــم أحـــس مـــرارة في الـــذكريات ... ويـــا لتعســـي !

***

فـــإذا بصـــوت مـــن بعيـــد هـــاتف يـــدنو إليـــا

مـــن عمـــق عمـــق اللانهايـــة جـــاءني يســـري نقيـــا

صـــوت مـــع الليـــل البهـــيم أحســـه في جانبيـــا

ينســـاب كـــالينبوع في كـــلي ويجرفنـــي عتيـــا

ويهيـــب بـــي هيـــا اقرئـــي شـــيئًا مـــن القـــرآن هيـــا

فجـــررت فـــوق فراشـــة ولـــدي وأرقـــدت الشـــقيا

مـــن أيـــن جـــاءني القـــوى بـــل كيـــف لم يـــرفض عصـــيا ؟

ومـــددت فـــوق جبينـــه مـــن غيـــر وعـــي راحتيـــا

ومضـــيت أقـــرأ آيـــة الكرســـي أتلوهـــا مليـــا ؟

***

ومضت على هنيهة كالدهر لم أتكلم

مأخوذة ما زلت أصغي للرنين على فمي

أتربص الحركات من ولدي بحس مبهم

فإذا به يرنو إليَّ بنظرة المستسلم

ويداه تلفتان في لهف الغريق بمعصمي

وكأن معركة تدور بعقله المنفصم

وكأن حبلًا شد من طرفي ضياء مظلم

فمددت فوق سريره في خفة المتكتم

جسدي وقلت لأنتظر نور اليقين الملهم

وأنا كبحر عربدت كل المشاعر في دمي

الشك والهزء المرير يحطمان توهمي

لكن شيئًا في دمي ما كنهه ؟ لم أعلم !

***

وطفقت أنتظر الذي سيكون أو قد لا يكون

أترى سيغفو هادئًا أم هل يعود إلى الجنون ؟

ورأيته متقلبًا حينًا يسارًا أو يمين

وكأن قيدًا شده في فرشه ، قيدًا متين

فهمســــــت : أن نومتـــــه يـــــا رب تقتلــــع الظنــــون

ولســـــوف تغمــــر قلبــــي الضـــــليل بــــالحق المبــــين

ســـــتكون آخـــــر رغبـــــة لي أســــترد بهــــا اليقــــين

فــــإذا بـــه في الحـــال يغلـــق عينـــه بــين الســـكون

وينـــام كالحمـــــل الوديـــع ، ينـــام في رفـــق ولـــين

***

وظللـــت وحـــدي في الـــدجى أبكـــي وأضـــحك كـــالأفين

أحسســــــت أن الله في قلبـــــــي ، يــــــدللني حنـــــون

فخجلــت مــن ضــعفي ومــن قلقــي ومــن ســبي المهــين

وهتفـــت : عفـــوًا أنـــت أدرى بالعبـــاد ومـــن تكـــون

عفـــوًا فأنـــت خلقتنـــا يـــا رب مـــن مـــاء وطـــين !

هـــي ليلـــة في العمـــر لـــن تنســـى عـــلى مـــر الســـنين

▪▪ رامي

إيـه رامـي ! يـا شـاعر الـروح عـن ... عــن وامـــلأ فراغنـــا آمـــالا
كل لحن إشراقة من صـميم الـذات ... يقظـــي تحطـــم الأغـــلالا
هو منك الشباب والحـب والحسـن ... تحـــانوا عبـــادة وابتهـــالا
هو صوت السـماء هـوم في الأرض ... وجـــاب الزمـــان والأجيـــالا

***

هاتـــه ! يبعـــث الرمـــاد لهيبـــا ... فالحيـــاة الحيـــاة في التغريـــد
كـــم نشـــيد يشـــق غـــيم الليـــالي ... في فيـــافي العـــراء والتشـــريد
تتســـاقى النفـــوس عطـــر صـــداه ... ســـابحات في غمـــرة الترديـــد
أنـــت لحـــن مرقـــرق يتنـــدى ... وقصـــيد في لوحـــة التمجيـــد !

▪▪ الرحيل

«إلى صديقة»

عنـدما أرحـل عـن هـذا الوجـود فتعـــــــالوا
واملـؤوا قبـري ضـجيجًا ورعـود لا تبـــــالوا
إنني اعتـدت عـلى هـذا الجنـون عشـــت فيـــه
كــل مــا حــولي أنــين في أنــين أرتضــــــيه
اتركــوا الــريح وأوراق شـــتائي تتصــــــبب
إن تغـب عنـي وعـن أفـق سـمائي أيـــن تـــذهب
وانفضـوا اللهفـة عـنكم والهـوان لفراقـــــــي
ربمــا أصــحو إذا ذقــت الحنــان يـــا رفـــاقي
لا تقولـوا إنهـا كانـت ... وكانـت كالروايــــــة
ها أنا مـت وهـا روحـي اسـتكانت في النهايــــــة
إنمــا النسـيان للأمـوات أفضــل وأمــــــان
ربمــا يزلــف عقــل في التخيــل ولســــــان
ربمــا ذكــراي تــذوي بالإعــادة وتمـــــــل
مثلمــا يســرف قــسٌّ في العبــادة فيضــــــل
لا تظنـوا القبـر بـالأدمع يسـقى ويضـــــــوع
لا ، ولا الحزن على الأمـوات يبقـى في الضـــــلوع
إن مــن يهــتم يُشــقى باهتمامــه مــــن يـــود
وكــذا حــب عنيــف في اضــطرامه يســــــترد

لا تبــالوا لم أخــف ظلمــة قبــري وســــــــكوني
الشــذا والشــمس والبحــر بشــعري غمـــــــروني !
بل تعــالوا واجلســوا حــولي ســريعًا واذكـــــــروا لي
عــن دنــاكم عــن مآســيكم جميعًــا واشــــــتكوا لي
ســوف أصــغي إنهــا مهنــة عمــري وحيــــــــاتي
إنهــا الشــيء الــذي يحيــا بقبــري في ممـــــــاتي

▪▪ لقاء في الطريق

أي المشــاعر في الــدماء تــدفقت حــين التقينــا بعــد هجــر مــؤلم
وأبــى الســلام أبيتــه مــن قبــل أن يــدنو يمــر عــلى غيــر مســلم
وكــذا تشــابه في الخصــام شــعورنا كــالأمس في وصــل وحــب مفعــم
أعطيتــه ظهــري وكــم ملــك الــذي في الصدر مــن قلــب تــوهج بالــدم
ووقفــت صــامتة أحــرك في يــدي مفتــاح بيتــي أو أســاور معصــمي
وخشــيت أن أرنــو إليــه وطالمــا أغرقــت عينــي في ســناه المظلــم
ورجفت حتــى لــو تلمــس أصــبعي لهويــت فــوق الأرض كــالمحتطم
كــم أمنيــات عربــدت في خــاطري لــــو أننــــي حققتهــــا لم أســــلم
فلو استطعت عــلى الخــدود صــفعته ثــم انثنيــت بقبلتــين عــلى الفــم
ولو استطعت ســخرت منــه شــتمته وركعــت فــوق خطــاه كالمتنــدم
يــا أنــت لا تغتــر لســت ملومــة أهــواك حــب الأم لابــن مجــرم !

▪▪ النغم السجين

«شفتا شاعر بدون كلمات

ينشد باكيًا الآية الكبرى»

إذا مـــا ســـلوت هـــواي الحبيـــب

وصـــارت رؤاي عـــراءً جـــديب

وحـــزن غـــروب

وكانـــت مـــع الحـــب مخضوضـــره

وإن صـــار ليلـــك لي مقبـــرة

فلـــيس غريـــب !

***

فـــإني ولكننـــي لـــن أقـــول

فعنـــدي إليـــك حـــديث طويـــل

قـــديم وجديـــد

ســـيبقى عـــلى شـــفتي الآدميـــة

فهيهـــات للغـــة البشـــرية

ولا للقصـــيد ... !

▪▪ حلم

أحلـــم أحيانًـــا بشـــيء غـــامض في ليليـــا

أراه غيـــر أننـــي أنســـاه عنـــد صـــبحيا

لكـــن أظـــل بعـــده جـــذلي طـــوال يوميًـــا !

***

مـــا هـــو ؟ مـــا كنـــه رؤاه ؟ مـــا مـــدى أوقاتـــه؟

أحســـه يخطفنـــي في كونـــه في ذاتـــه

حتـــى إذا مـــا غـــاب عنـــي عشـــت في لذاتـــه !

***

فيـــه دنـــى بعيـــدة التصـــوير عـــن هـــذي الحيـــاة

وفيـــه وجـــه كـــائن هيهـــات لي وصـــف رؤاه

وفيـــه حـــب لم أحـــس مثلـــه ! ولهفتـــاه

▪▪ ليلة العمر

ليلـــة لفـــت دجاهـــا حولنـــا		مثلمـــا يلتـــف ضـــوء مؤتلـــق
قـــد غـــدونا في حنايـــا ظلهـــا		طفلـــة حمقـــاء أو طفـــلًا نـــزق
لم نكـــن غيـــر جنـــاحي طـــائر		في ســـماء الحـــب يعلـــو ينطلـــق
لم نكـــن يومًـــا غـــريبين هنـــا		فـــوق هـــذي الأرض لا لم نفتـــرق

***

كـــم ضـــحكنا فحســـبنا قلبنـــا		هـــذه الخفـــق وأعيـــاه الوثـــوب
وبكينـــــا بـــــدموع مـــــرة		طهـــرت زلات ماضـــينا الكئيـــب
وتناجينـــــا خيـــــالًا ورؤى		وتكاشـــفنا ظـــلالًا وغيـــوب
وبعينيـــــك بعينـــــي قصـــــة		وبجنبينـــــا أوار ولهيـــــب

***

آه مـــن ليلـــة عمـــري إنهـــا		عوضـــتني كـــل أيـــام شـــقائي
لســـت أنســـى لحظـــة مـــرت بنـــا		ضـــمنا الصـــمت وأحـــلام المســـاء
لم أغلقنـــــا علينـــــا بابنـــــا		وهتفنـــا في شـــموخ الكبريـــاء
حـــارس الجنـــة لا تقلـــق علينـــا		إنمـــا نحـــن هنـــا أهـــل الســـماء !

▪▪ ثورة قلب

عــلام الشــك يــا قلبــي عــلام الخــوف والوجــل؟
وهــذي الزفــرة الحــرى وهــذا الضــيق والملــل
وتلــك القصـــة الكبــرى وأســـطورة آلامــك
ألا تطــوى ؟ ألا تنســى وتمحــو طيــف أوهامــك؟
تــود تحمــل الخــالق عــبء وجــودك الظــالم
كــأن الله لم يخلــق ســواك بكونــه القــائم
ألا أغلــق عليــك البــاب والشــباك والــدارا
أطــلْ ! فبعــداك الآفــاق لــن تحجــب أنــوارا
تمــرد كيفمــا تقــوى وثــر متخــبط اليــاس
وتــه في كونــك المســحور مبتعــدًا عــن النــاس
ولكنــك لــن توقــف دورة هــذه الــدنيا
ولــن تبعــث طيــف الرعــب في أحشــائها العليــا
ولكنــك لــن تبتــر كــف الغــي في البشــر
ولــن يبقــى لهــذا العاصــف المجنــون مــن أُثر
ولــن تــوقظ مــن حولــك غيــر عيــون كلبتــك
وقــد نامــت عــلى قــدميك في هــذيان ثورتــك
ســتبقى في صــراع الفكــر تنعــى همــك الحــائر
وتخشــى الغــد والمجهــول واللاشــيء والحاضــر
ســتبقى أنــت في حربــك تطــوى الليــل والوقتــا
وخلفــك عمــرك الضــائع يهــوي ســاكتًا ميتًــا !

▪▪ أمي

لفظـــة ضـــاعت عـــلى ثغـــري ومـــن ســـمعي صـــداها!

وخيـــالات نعـــيم أيـــن مـــن عينـــي رؤاهـــا

كيـــف أنســـى طيفهـــا الحلـــو عـــلى مـــر الســـنين؟

كيـــف أنســـى؟ وهـــي أفـــراح حيـــاتي وشـــجوني؟

***

آه كـــم راقبـــت أمـــي وهـــي في عهـــد الكهولـــة

في فـــراش الـــداء تســـتوحي خيـــالات الطفولـــة

كـــن وكـــم أصـــغيت في لـــيلي لماضـــيها العجيـــب

وهـــو ينســـاب بعينـــي كـــرؤى حلـــم رهيـــب !

كـــم روتـــه وهـــي لا تـــدرك مـــن فـــرط الحنـــين

أنهـــا قـــد ســـردته كـــل يـــوم كـــل حـــين

***

طفلــة كنــت بقصــري في بــلادي أتمشــى في الحديقــة ذات ليــل

حــين جــاءوا خطفــوني فــوق ظهــر الخيــل ولــوا هــاربين!

وهنـــا في مصـــر حطـــوا آمنـــين فتبنتنـــي بتحنـــان أميـــره

***

ثـــــم تســـــتغرق في الشـــــكوى مــــــن الـــــداء الوبيـــــل
مــــرض «الســــكر» والضـــــغط ومـــــن ليـــــل طويـــــل
وأنـــــا كــــــي أبعــــد الحاضـــــر عنهـــــا وأســـــاه
آه حكــــــى قصـــــة الســـــلطان مــــن كــــان تـــــراه؟
فـــــإذا هـــــا بغتـــــة تشـــــرق كـــــالفجر المـــــذاب
وهــــي تســـــتوحي خيـــــالات الصـــــبا عهـــــد الشـــــباب !

***

غـــــادة كنـــــت نضـــــيره حـــــين صـــــاحبت الأميـــــرة في زيـــــارة
وإلى القصـــــر اتجهنـــــا قصـــــر عابـــــدين الكبيـــــر وهنـــــاك
افترقنـــــــــا في فنـــــــــاء القصـــــــــر تهنـــــــــا

***

ثـــــم تســـــتطرد أمـــــــي في ابتســـــامات وزهـــــــو
كيــــــف كانــــــت تخلـــــع اليشـــــمك في فســــحة بهـــــو
كيــــف كانـــــت تمشـــــط الشــــعر عـــــلى مـــــرآة زينـــــة
وهـــــي تســـــتعرض في شـــــوق رؤى القصـــــر فتونـــــه
حـــــين مـــــر الشـــــاب ذو الشـــــارب مفتـــــول الخصـــــل
وبعينيـــــــــه بريـــــــــق ونـــــــــداء مشـــــــــتعل

***

ربـــــة الحســـــن العجيـــــب ! مـــــن تكـــــونين ؟ أجيبـــــي !
يا ابنة الشركس لا تخشى سؤالي ستكونين عروسًا لي علـى مـر الليـالي

***

ثــــم تحكـــي وهـــي تســـتلقي عـــلى الفـــرش بضـــعف

كيـــف راحــــت تصـــعد الســـلم في رعـــب وخـــوف

ذلـــك الســـلم ذا الفـــرش الـــوثير والمرايـــات الصـــقيلة

والأزاهيـــر الجميلـــة ! وهـــو يجـــري وهـــو يجـــري ونـــادي تعـــالي

غيــــــر أني غبــــــت في لمحــــــــة عــــــين !

مـــن تـــرى يـــا أم كـــان الشـــاب؟ في لحظـــة صـــمت

كـــان يـــا بنتـــي ولي العهـــد يـــا خيبـــة بختـــي !

لم تغفـــو وأنـــا وحـــدي مـــع الليـــل بفكـــري

كـــدت أغـــدو ابنـــة الســـلطان مـــا أغـــرب دهـــري!

غيـــر أني وســـط أعمـــاق شـــرودي أتـــذكر

وأرى عـــين أبينـــا مـــن وراء الغيـــب تنظـــر

آه أمي

هـــا هـــو الموكـــب يمضـــي في صـــراع ونضـــال

غيـــر أني لســـت أنســـاك عـــلى مســـر الليـــالي

أنـــت لي عهـــد تـــولى لم أكـــن أحمـــل فخـــره

فـــإذا مـــا صـــرت أمـــا رحـــت أســـتوفيه قـــدره !

■■ الملل

عندما يحرق العيون عراء القلب والكون والفضاء المديد
حيث لا شيء غير شارة قابيل تبدت على جبين الوجود
بقعة من دماء خافق شمس يتنزى بمغرب مشهود
وغيوم وراءها ساخرات يتهامسن ودعي لا تعودي!
عندما يهدأ الصراع وتنهد قوى العقل والكيان الزهيد
وتضيق الآفاق في العين حتى تتراءى على مدى محدود
وتمر الأيام طافحة بالملل المرد بالأسى بالجمود
في ظلال الخمول فوق مهاد اليأس في شبه ميتة وهمود
ما تراه بوسعه يا إلهي ؟ ما الذي في مقدور قلب وحيد؟
أو تلقيه هكذا كلقيط عاريًا من حنانك المنشود
بعيون محدقات حيارى في الظلام المغلف الممدود
جائعًا يرضع الشقاء من الأرض ويمتص ثدي أم حقود
صارخًا والقلوب من حوله كالصخر تروي أديمها بالجحود
أترى الفطرة الشحيحة تمتد فتطفي سعير هذي البيد؟
أو تجتث غاية الهم فأس صدئت في أكف طفل وليد؟
أيهذا الإله أنت ملاذي كن عطوفًا على قلوب العبيد!

▪▪ ثورة على شمس الغروب

«من اليسير أن تتحول الأكذوبة

إلى حقيقة إذا وجدت المدافعين عنها»

الشـــمس عنـــد الغـــروب المخضـــب المقهـــور

تلـــك التـــي كـــم أثـــارت مـــدامعي وشـــعوري

اليـــوم تبـــدو كـــوهم لقلبـــي المغـــرور !

***

أمـــا تـــرى كـــل يـــوم تجيـــد دور الشـــهيدة

تظننـــا قـــد نســـينا أفعالهـــا المشـــهودة

تلـــك المســـيطرة المســـتبدة الممـــدودة

***

أمـــا تراهـــا الوليـــد الصـــراخ كالملســـوع

أبـــا الخطيئـــة وابـــن الخنثـــى الخليـــع الضـــجيع

***

أمـــا تـــرى كـــالغواني بنارهـــا المشـــبوبة

ذات الحـــلى الســـيوف المشـــرعات الرهيبـــة

فـــم الجحـــيم المعمـــي ، أعماقـــه المقلوبـــة

***

الشـــمس عنـــد الغـــروب المخضـــب المســـفوك
ألم تكـــن في صـــباها تســـبي عيـــون الملـــوك
حتـــى تفانـــت غرامًـــا في عبـــدها الصـــعلوك

***

ألـــيس في كـــل يـــوم تـــدعو الرثـــاء إليهـــا
تلـــك البغـــي التـــي كـــم عـــرت لنـــا فخـــذيها
وألهبتنـــــا انتشـــــاء ومرَّغـــــت شـــــفتيها

***

يـا شـمس ! يـا شـمس كفـي عـن دورك المفضـوح
كفـــي عـــن الكـــذب حينًـــا عـــن الريـــاء القبـــيح
لا تلعبـــي بشـــعوري لا تســـتزيدي جروحـــي

▪▪ لأجل من ؟

ألأجــل عينــي أم لأجــل عيونهــا تهفـــو إليَّ تـــود أن تلقـــاني؟

وعــلام تمكــث في المســرة ســاعة متحـــدثًا في لهفـــة وحنـــان

ألأجــل أن أنبيــك عــن أخبارهــا أم هــل شــغفت بصــوتي الرنــان

هلــت عليــك فرمــت أول موعــد ونــأت فرمــت لي اللقــاء الثــاني

أغرب ! فمـا هـي تشـتهيك ولا أنـا إذ نحــن في إحساســنا صــنوان

ما زلت طفلًا في التجـارب إن تكـن رجــلًا بكــل ثقافــة الإنســان

طيــران في جشــع رشــقتهما معًــا فتغيبيــا وظفــرت بالخســران

بــالله مــن يــدريك كــم مــن ليلــةٍ يجري الحديث وأنت في الأذهـان

وتظــل تحكــي عنــك في ســخرية ونعيـــد مـــا مثلـــت في إتقـــان

وأقـــول ننـــذره ليـــدخر الهـــوى وتقــول لي لا بــل دعيــه يعــاني

هــي قصــة نــدري مصــير ختامهــا ســتظل حــائرة بــلا عنــوان !

▪▪ الهزيمة

كلمـــا ثـــرت وانتفضـــت كليـــث سـئم الغـاب والسـكون الـدجيا
وتهربـــت مـــن ضـــآلة نفســـي فـــذرعت الفضـــاء نســـرًا قويًـــا
كلمــا طــاف في وجــودي خيــال باعثًــا في دجــاه ضــوءًا ســنيا
وعــلى الــدرب في طريــق أمــاني حثثــت الخطــى وناديــت : هيــا
ولهــاث الهــوى يمــزق صــدري وشـــواظ الحنـــين تكويـــه كيًّـــا
كلمــا رمــتُ أن أحــس بنفســي أن أراعـــي كيـــاني البشـــريا
جئتنــي ! جئتنــي ! مــررت ببــالي مـــاردًا مـــد ظلـــه الوحشـــيا
ســاخرًا مــن جهــلي وضــلة وهمــي ضـــاحكًا تمـــلأ الفضـــاء دويـــا
تحمــل الضــيق والفتــور إلى قلبــي وتمحـــو شـــعاعه الـــذهبيا
وإذا بــي أفيــق مــن نشــوة الحلــم وألقـــي شـــقائيا الأرضـــيا
بخمــول الأفعــى بــذل اليتــامى وبهـــذا الفـــراغ مـــلء يـــديا
آه مـــن قـــوة تســـخر روحـــي وتشـــد القيـــود في قـــدميا
أنت خلـدتني بمـاض مـن الـذكرى بســـجن يضـــمني أبـــديا
لا الليــالي تــرى انتزاعــك منــي مـــن كيـــاني مقـــدرًا مرئيًـــا
لا ! ولا الفكــر يرتضــيك خيــالًا مــن رؤى الأمــس غائبًــا منســيًا
عبثًــا ! فاســترح مــلأت وجــودي كــل مــا في الوجــود منــك إليــا
عبثًــا ! فاســترح هزمــت نضــالي وحطمـــت الغـــرور في جنبيـــا !

■■ نعمة الجاهل

«من حسن حظ الناس أن اللسان يستطيع أن ينطق بغير ما ينطق به القلب ، وإلا انقلبت الحياة إلى جحيم لا يطاق»

لمـــاذا خصـــني الله بهـــذا الـــنقص في عقـــلي

بهـذي الطيبــة البلهــاء هــذا الطيــب والجهــل؟

فعشــتُ كريشــةٍ بــين مهــب الخبــث والكــذب

وصـــدقت الألى قـــالوا بـــأن الفجــر في الغــرب

وقــالوا إنهــم وصـــلوا مـــن المـــريخ في الحـــال

وأني عنـــدهم أغـــلى مـــن الأولاد والمـــال

وعــادوا بــي مــن البحــر كمــا ذهبــوا وبــي ظمئــي

ورغــم الــدرس لم أعصــم مــن الأهــواء والخطــأ

ورحـــت أحـــل للنـــاس مشـــاكلهم وبـــي عقـــد

وأبعـــدهم عـــن الأخطـــار لكـــن لســـت أبتعـــد

وكنـــت إذا أردت الشـــيء أســـرعت ولم أحجـــم

ولا أذكـــر أني قـــد تمنيـــت ولم أقـــدم

لـــذاك هبطـــت كـــالطير لأصـــعد قمـــة الهـــوة

ورحـــت عـــلى حبـــال الســـرك أجـــري جـــد مزهـــوة

وكـــان الله لي عونًـــا عـــلى الأقـــدار والبشـــر

وكـــان هـــو الـــذي يـــأتي وينقـــذني مـــن الخطـــر

فكـــا كانـــت يـــدي يومًـــا لتـــدفعني لإنقـــاذي

ولا مـــن وحـــي إحساســـي ولا مـــن فكـــري الشـــاذ

ولكـــن رغـــم إخفـــاقي ســـعدت بنعمـــة الجهـــل

لـــــذلك خصـــــني الله بهـــــذا الـــــنقص في عقـــــلي

▪▪ سهرة في الشرفة

جلســـت بشـــرفتي العاليـــة	تـــرف بـــي النســـمة الحانيـــة
ويغمـــرني في ظـــلام المســـاء	حنـــين أحاسيســـه العاتيـــة
وكـــان بعقـــلي شـــتى الأمـــور	وألـــف شـــعور بأعماقيـــه
فقلـــت لأنفـــض همـــوم الخيـــال	لأهـــرب مـــن الفكـــر مـــن ذاتيـــه
أمـــامي الطبيعـــة هيمانـــة	لأغـــرق بأحضـــانها راضـــية
لأنعـــم قلـــيلًا بهـــذا الجمـــال	فمـــا مـــن عيـــون هنـــا صـــاحية

***

وأطلقـــت عينـــي نحـــو الســـماء	وطفـــت بأجوائهـــا الزاهيـــة
ورحـــت أراعـــي ضـــياء الهـــلال	وأرقـــب أطـــواره الناميـــة
فكـــان صـــغيرًا كطفـــل ينـــام	تظللـــه كلـــة داجيـــة
وإذ هـــو حكـــة ظفـــر الإلـــه	تمـــزق ســـتر الـــدجى الغاشـــية
وإذ هـــو هالـــة ثـــدي تعـــرى	لعـــذراء في فرشـــها غافيـــة
وبحـــرة مـــاس عـــلى رقعـــة	مـــن الأفـــق شـــطآنها قانيـــة
وإذ هـــو وســـط الفضـــا مـــوزة	تـــدلت وقـــد نضـــجت هانيـــة !

***

وأطرقــت رأســي نحــو الطريــق وفي كـــل ركــــن إلى زاويـــة

وقــد حضــن الأرض خــيط دقيــق مــن النــور والظلمــة الســاجية

فقلــت أحتــى الضــيا والظــلام تضــــمهما الصـــبوة الحانيـــة؟

وأحسســـت أن الوجـــود كبيـــر وأكبـــــر أرواحنــــا الســـامية

وأنـــــى ذرة حـــــب تطيـــــر إلى اللانهايـــــــة في ثانيـــــــة

***

وأقلــق حلمــي صــدى حركــات هنالــــك في الوجهـــة الثانيـــة

فحــدقت تحتــي إذا بــي أحــس الحقيقـــة تبـــدو هنـــا جاريـــة

تركـت الخلـود الـذي فـوق رأسـي وعـــدت لهـــذي الـــدنى الفانيـــة

فهــــذا غــــلام تمــــدد فــــوق الرصـــيف بأســـماله الباليـــة

ينـــام وهـــل مثـــل هـــذا الشقي يحـس الحيـاة يـرى ماهيـة

وذلـــك كهـــل وقـــد جلـــس القرفصـــاء وســـيقانه عاريـــة

وتلـــك فتـــاة لعـــوب تســـير وفي خطوهـــا عثـــرة الزانيـــة

فيــا مصــر ! يــا كعبــة القاصــدين حنانــك هـــذي الرؤيـــة العانيـــة

▪▪ نيلنا الخالد

يـا نيـل مـا أبهـى رؤاك بنـاظري — يـا سـائرًا فـوق الزمـان السـائر

بك هينم الماضي البعيـد بخـاطري — ومضى يشد غدي ويربط حاضري

تمضي الـدهور وأنـت أنـت مخلـد — ترنـو إلى الـدنيا بنظـرة سـاخر

بـالله هـل أحسسـت راحـة كـائن — لمسـتك مـثلي في حنـان زاخـر

خــذني بعيــدًا إن أطــول رحلــة — هي أجمل الـرحلات عنـد مسـافر

قلبـي عـلى كفيـك يسـبح في المنـى — روحـي تهـيم عـلى جنـاحي طـائر

يـا نيـل هـل بـين الأحبـة عـائق — لم ترعـه هـل مـن شـريد سـاهر

وهل استطاعت أن تكاتمك الصدى — خلجـات شـاعرة وأنـة شـاعر

إني لأعجـب كيـف يحيـا في الـورى — قــوم بــدونك قــرب نهــر آخــر

كيـف السـبيل إلى ارتـواء نفوسـهم — بـالطهر مـن نبـع شـفيف طـاهر

هـل ذلـك القمـر المتـيم في العـلا — يهفــو لثغــر غيــر ثغــرك عــاطر

أيميـل في أحضـان غيـرك راقصًـا — أم هــل يجــاملهم بنظــرة عــابر

يـا دفقـة الأشـواق يـا عطـر المنـى — وضياء روحي في ظـلام أعاصـري

يا نيل هل خلـدت مصـرك أم تـرى — خُلــدتما بجمــال عبــد الناصــر !

▪▪ قلب المرأة

مــــن قبـــل أن أمشـــي عـــلى درب الخطايـــا والبشـــر

مـــن قبـــل أن أنســـاق كالشـــاة الذبيحـــة للقـــدر

ويضـــمني طيـــف الغـــرور يلفنـــي الـــوهم العكـــر

***

قـــد كـــان لي في عـــالمي المجهـــول في كـــوني إلـــه

أبـــدًا يراعينـــي وينشـــر في دجـــى دربـــي ســـناه

ويـــرف في صـــبحي الجـــديب فأســـتفيق عـــلى شـــذاه

***

كـــم دار في فلـــك الـــدجى ليصـــد عـــن عينـــي الغيـــوم

واجتـــاح عمـــق خـــواطري ليـــزيح عـــن قلبـــي الهمـــوم

ولـــو أننـــي شـــئت النجـــوم لعـــاد يحمـــل لي النجـــوم!

***

لكـــن قلـــب المـــرأة المغـــرور مشـــبوب الخيـــال

حيـــران يجهـــل مـــا يريـــد ولا يكـــف عـــن الســـؤال

ويظـــل يســـتوحي المـــلال ، يحـــب تعـــذيب الرجـــال!

■■ مطبخ الغرام

هـــل تـــذكر مطبخنـــا الضـــيق والأكـــل ورائحـــة الـــدخن؟
إذ نحـــن كطيـــرين نحلـــق وأزيـــز الموقـــد في الأذن
هـــل تـــذكر كـــم كنـــا نهـــوى أن نقبـــع فيـــه ولا نبـــرح
وكـــأن المطـــبخ عالمنـــا نســـتغرق في الضـــحك ونمـــزج
إذ تـــدخل كـــالطيف الشـــارد مشـــبوب الخـــافق والمقلـــة
وتكـــاد بـــأذرع كالمـــارد تحتضـــن الموقـــد والحلـــة
وتصـــيح : أحبـــك لا أقـــوى أن أبعـــد ، لم أرك الأمســـا!
فـــأقول : اللحمـــة لم تنضـــج أعـــط الكبـــاس هنـــا نفســـا
الشـــوربة قـــد فـــارت ويحـــي هـــدئ نـــار الشـــوربة أطفـــئ
ذقهـــا ! ذق مقـــدار الملـــح واعصـــر لي القوطـــة لا تبطـــئ !

***

هـــل تـــذكر؟ مـــا أحـــلى الـــذكرى هـــل يرجـــع ماضـــينا هـــلا؟
مـــا زال المطـــبخ مـــا زلنـــا لكـــن الحـــب مضـــى ولى!

▪▪لست حاقدة

«كثير من الناس يصفح ولا ينسى ، وكثير ينسى ولا يصفح ، ولكن هل نستطيع أن نصفح وأن ننسى؟»

لا ! لست جانية ولست بجاني ... إن الخطيئة في دم الإنسان
إني أبارك في الوجود توحدي ... والغدر منك وشقوتي وهوائي
هي هزة للعقل من إغفائه ... وتجارب الدنيا على الوجدان
هي منك لا تعدو سوى الهبة التي ... كان الزمان يعدها لزماني
لا لست حاقدة عليك فإنه ... قدر وما الأقدار في الحسبان
فلكم يهاجمنا الشقاء بسرعة ... كالبرق تخشى ومضه العينان
فإذا السعادة أقبلت مرت بنا ... تخطو كما يخطو الهزيل القاني
ما الحقد ؟ ما البغضاء في شرع الهوى ... ما قيمة التنكيد والأحزان؟
إن القلوب إذا تسامت وارتقت ... نظرت إلى الأحداث في استهجان
وأنا الشريدة في سماء تخيلي ... أستقبل الأنواء في إذعان
لا لست حاقدة عليك وإنما ... ما زال جرحي يستفز كياني
فلقد نرى الأيام تسقط خلفنا ... كتساقط الأوراق من أغصان
لكن يا ويل القلوب إذا رأت ... آمالها تهوي كعمر ثان !

▪▪ رحلة ريفية

ومضـــيت نحـــو الحقـــل هائمـــة   والطيـــر يشـــدو في الربـــى نغمـــه
والعشــــب مــــن أندائـــــه درر   والغصـــــن وفي وعـــــده كرمـــــه
إذ كـــان فجـــر منـــى وعاطفـــة   ورؤى ربيـــع جـــد مبتســـمة
وبـــدا لعينـــي جـــدول عبـــق   فجلســـت أســـتوحيه منســـجمة
وعجبـــت إذ يخلـــو بعاشـــقة   مـــن أزهـــر الشـــطين منهزمـــة
بتـــأفف المغصـــوب يلمســـها   ويفـــر مـــن ســـيقانها النهمـــة
فـــدفنت كفـــي في جدائلـــه   وهتفـــت رب التيـــه والعظمـــة!
رفقًـــا بـــروح أنـــت ظالمهـــا   وبكـــل محطـــوم ومنحطمـــة
فـــافتر ثغـــر المـــاء في دعـــةٍ   وإذا يـــدي بـــالثغر ملتثمـــة
لكننـــي في غـــي عـــاطفتي   لم أقتنـــع بهـــواه منتقمـــة
فطفقـــت بالقـــدمين أركـــان   عبثًـــا فـــإن شـــفاهه نهمـــه!

***

ووقفـــت إذ بالنمـــل في ذعـــر   صـــفٌّ يســـير بمـــأتم الخيـــر
حملتـــه جثثًـــا مشـــرحة   راحـــت ضـــحايا جلســـة النهـــر
وبـــدت لي الأبقـــار ســـارحة   سبقت خطى الجـاموس في السير
كـــل مليكـــات الجمـــال هنـــا   وعـــرائس الفـــلاح في الخـــدر
وقرونهـــا الملســـاء تـــومئ لي   هـــذي الغصـــون مهـــابط الطيـــر
ومضـــت تحـــش العشـــب في نهـــم   وتمـــر بـــين الشـــاة والثـــور

وتحـــك في الأغصــــان منخرهـــا وتخـــور في جـــذل وفي بشـــر

وترقرقـــت عينــــاي إذ رأتـــا قـــديس هـــذا الحقـــل في الصـــبر

هـــذا الغفـــور لكـــل ســـيئة نســـاء كـــل مظـــالم الـــدهر

ومضـــى الحمـــار وفوقـــه ثقـــل متخطيًـــا حفـــرًا إلى حفـــر

***

ومشـــيت في طـــرق معرجـــة وأزقـــة ضـــاقت بمـــن فيهـــا

عصـــف الـتـــراب بهـــا فغبرهـــا ومـــن الـــديار ســـرت دياجيهـــا

ومشـــت دواجنهـــا منقـــرة والـــديك قائـــدها وشـــاديها

وكلابهـــا تغفـــو عـــلى كســـل وبلاهـــة وتريـــق مـــن فيهـــا

وتصـــيد أســـراب الـــذباب وقـــد حامـــت حواليهـــا تناغيهـــا

والـــبط في كتـــل موحـــدة رمـــز المحبـــة بـــل معانيهـــا

وتمـــر أغنـــام فتفزعهـــا وبلمهـــا طفـــل يناديهـــا

ونســـاؤها راحـــت تحـــدق بـــي وكـــأنني ملـــك يـــدانيها

حملـــت بطـــرف الـــرأس جرتهـــا ومضـــت بهـــا للنهـــر يرويهـــا

إن الســـذاجة هاهنـــا نبتـــت وســـط القـــرى في ظـــل أهليهـــا

***

يـــا ريـــف مصـــر ويـــا منـــى وطنـــي يـــا منبـــع الأحـــلام والنشـــوة

يـــا ملتقـــى الأبنـــاء مـــن بشـــر بأمومـــة أرضـــية حلـــوة

ودجاجـــة كبـــرى بأجنحهـــا تحمـــي الجمـــال الغـــض والقـــوة

يـــا أيهـــا الماضـــي المـــليء أســـى ورؤى غـــد بالبشـــر مجلـــوة

يـــا مســـقطًا لـــرؤوس مـــن فتحـــوا في كـــل عقـــل مظلـــم كـــوه

لـــتعش هنـــي البـــال مغتبطًـــا بـــين الســـنى والطيـــر والربـــوة

▪▪ اللقاء الأخير

وهنـــــــاك في الـــــــركن القصـــــــي
هنــــاك عنـــد المغـــرب في المشـــرب
كـــان اللقـــاء في البـــرد في جـــوف الشـــتاء
وصـــبيت في القـــدح الصـــغير الشـــاي لي
بأنامـــــــل متخاذلـــــــة فدلقتـــــــه
ثـــم انتحلـــت العـــذر قلـــت : الخيـــر آت أبشـــري!
وضحكت ضحك المنتصر
وخلعت معطفك الثقيل
والعاطفـــات تهـــزني لتصـــد عنـــي رعشـــة
لم تعلـــــم مـــــا كنههـــــا لم تعلـــــم !
حتـــى الـــدموع كنـــا نحـــس لهـــن في أعماقنـــا
ظمـــــأ ولـــــوع فشـــــربتها وشـــــربتها
متعانقين
وعـلى الطريـق عـدنا وظـل الصـمت فـوق رؤوسـنا
وأنـــين ريـــح مصـــطخب مـــن حولنـــا
كنـــا نســـير والكـــون كـــالقبر الكبيـــر
قلبـــين ممتلئـــين بالحـــب العظـــيم وبالشـــقاء!
والأرض في بلـــــل رطيـــــب وكأنهـــــا
الدمعـــة الكبـــرى عـــلى جفـــن الفضـــاء
وهنـــــاك في الأفـــــق البعيـــــد
ومضــــــات نجــــــم مــــــرتعش

تنســــاب مــــــن صـــــدر الســــماء

وتغيـــــــب في حضـــــــن النهــــــــر

وعـــــلى الطريـــق عــــدنا كميتـــين اســـتقرا

فـــوق مركبـــة الفنـــاء ثـــم اختفينـــا في الظـــلام

وغيـــب القـــدر العتـــي في هـــوة النســـيان

في الأبـــد الخفـــي أشـــلاء حلـــم لي جميـــل

***

وهنـــــــاك في الـــــــركن القصـــــــي

هنـــاك حـــول المقعـــدين الصـــامتين

والمائـــــــــــدة الفارغــــــــــة

نـــــام الصـــــدى عـــــن قبلتـــين

لم تبـــق مـــن ذكراهمـــا بعـــد اللقـــاء

غيـــر انتفاضـــة رعشـــة تكـــوي الـــدماء

ومــــــــرارة في حلقنـــــــــا !





(3)

الأجنحة البيضاء

(1959)

■■ وصية أم عربية

بنـــــي ! إذا أراد الله أن تحيــــــا بـــــــدنيانا

وشـــب عـــلى الربـــى عـــودك مزدهـــرًا وفينانـــا

تعلـم ـ قبـل بـدء العـيش ـ كيـف تعـيش إنسـانا

وقســـم قلبـــك الواســـع للأحيـــاء أكوانـــا

فكـــن نهـــرًا إذا عبـــروا وإن حلـــوا فشـــطآنا

وكـــن «ربـــا» إذا احتكمـــوا وعنـــد الظلـــم ســـجانا

وإن فضـــحتك أعيـــنهم فكـــن للنـــاس أجفانـــا

ولا تـــؤمن بمـــا أســـموه أقـــدارًا وحســـبانا

فـــإن الحـــظ مكفـــول لمـــن كـــافح أو عـــانى

وكـــن لي في غـــدٍ طفـــلي وإن أصـــبحت ســـلطانا

فـــإن الأم لا تنســـى الـــذي في المهـــد قـــد كانـــا

وإن نـاداك صـوت الحـرب كـن في الحـرب شـيطانا!

***

أجــل ! كالجــان يــا ولــدي وكالشــيطان لا تحجــم!

فـــإن الحـــق في دنيـــا الخـــداع اليـــوم لا يغـــنم

وإن شـــرائع الغابـــات أضـــحت في الـــوغى أســـلم

فكـــن في الحـــرب عاصـــفة تزلـــزل قـــوة المجـــرم

وإن ركعـــوا عـــلى قـــدميك يـــا ولـــدي فـــلا تـــرحم

فـــإن العـــرق دســـاس ومـــن عـــادى هـــو الأظلـــم

وإن أدمـــى قـــواك اليـــأسُ فـــارفع رأســـك الأعظـــم

وثُـــرْ كالليـــث منتفضًـــا تكـــال هامـــك الأنجـــم

وخـــذ مـــن حاضـــري عظـــة لعلـــك في غـــدٍ تعلـــم

فشـــعبك لم يعـــد يرضـــى ولـــو بـــالموت أن يهـــزم

وأرضـــك ثـــورة كبـــرى أضـــاءت أمســـنا المظلـــم

***

أجــل ! كانــت لنــا الثــورة بلســم جرحنــا القاســي

وآه اليـــوم لـــو تـــدرك مـــا صـــنعته للنـــاس

فقـــد جـــاءت عـــلى أعقـــاب أعـــوام مـــن اليـــاس

وكـــان الحكـــم في أيـــدٍ مـــن الحكـــام أنجـــاس

وكـــان عـــدونا الغاشـــم يجـــثم فـــوق أنفاســـي

فكنـــا بـــين أنيـــابٍ مشـــرعةٍ وأضـــراس

وهبـــت ثـــورة الأحـــرار في عـــزم وفي بـــاس

وكــان رجالهــا منــا .... وكنــا الجســم للــراس

ففجــرت الســلام الحــر مــن أرضــي وأغراســي

وفي حلــك الليــالي الســود كانــت خيــر نبــراس

وكالإعصـــار في بـــدني محـــت ذلي وإتعاســـي

***

فيــا حلمــي ! ويــا أمــلي ! ويــا إشــراقي الــذاتي

تــذكر ! ربمــا الــذكرى تفيــدك في الملمــات

تــذكر أنــك المولــود مــن أصــلاب ثــورات

وأن دم العروبــة فيــك يســري في الحنيــات

وأنــك غايــة كبــرى ونحــن قضــاء غايــات

فإنــا قــد بــذرنا الــوعي في حقــل الهــدايات

ومهــدنا طريــق الغــد في ظــل المســاواة

فثبــت حقــك المــردود في ضــوء الكرامــات

وعــش حــرًا ... ومــت حــرًا تــؤمن نصــرك الآتي !

■■ فرحة النصر

انتصـــرنا ! وكســـبنا الجولـــة الكبـــرى الأخيـــرة
ونفضنا عن يدينا عبء أعوامٍ من الـــذل مريـــرة
وانتصــــــــــــــرنا ...

انتصـــرنا ! حطـــم الشـــعب العراقـــي قيـــوده
انتهينـــا ! أثبـــت الشـــعب العراقـــي وجـــوده
والتقينـــا فغـــدونا قـــوة كبـــرى عنيـــدة
كـــل قلـــب عربـــي قـــد أحـــس اليـــوم عيـــده
يا دعاة الحرب مـــا جـــدوى التهاويـــل المديـــدة
إنهـــا ثـــورة شـــعبٍ عـــاف بـــالأمس ركـــوده
لم يعـــد يســـجد للبـــاغي ولا يخشـــى وعيـــده
فلتضـــجوا ، ولتثـــوروا ، واقلبـــوا الـــدنيا علينـــا
إنمـــا نحـــن انتصـــرنا
وكســــــبنا الجولــــــة الكبــــــرى الأخيــــــرة
ونفضـــــنا عـــــن يـــــدينا
عــــــبء أعــــــوامٍ مــــــن الــــــذل مريــــــرة
وانتصــــــــــــــرنا ...!

***

إنهــا قصـــة شـــعبٍ ثـــائرٍ رغـــم ســـكونه
كـــان بـــالأمس غريبًـــا في حمـــاه ، في عرينـــه
ورأى الفجـــر مطـــلًا خلـــف أســـوار ســـجونه
وأحـــس النـــور يســـري زاحفًـــا فـــوق جبينـــه
فتخطـــى المـــوت عزمًـــا وانبـــرى فـــوق ســـفينه
ظامئًـــا للنـــور ! للنـــور ! عـــلى مـــرأى عيونـــه
بالغًـــا مرســـى أمانيـــه وشـــطآن يقينـــه
أيهـــا الغـــرب إذا شـــئت انتقامًـــا مـــن جنونـــه
فخـــذ الثـــأر مـــن الفجـــر الـــذي هـــلَّ علينـــا
إنمـــا نحـــن انتصـــرنا
وكســـبنا الجولـــة الكبـــرى الأخيـــرة
ونفضـــنا عـــن يـــدينا
عـــبء أعـــوامِ مـــن الـــذل مريـــرة
وانتصـــــــرنا ...!

***

صانعي الأزمات ! تجار الردى ! أهل الجحود!
هيئـوا للحـرب مـن أبنـائكم أقـوى الجنـود
وأبيـدوا العـرب بالـذرة مـن كـل الوجـود
عبثًـا نفنـى وهيهـات لشـعبي أن يحيـد
إن شـعب العـرب لا ترديـه نـار أو حديـد
إننـا نحمـل في الشـرق تعاويـذ الخلـود
ولنـا سـبع مـن الأرواح كـالقط العنيـد
كـل عـرقٍ نـازفٍ يبعـث عمـرًا مـن جديـد

فلتضــجوا ولتثــوروا واقلبــوا الــدنيا علينــا

إنمــا نحــن انتصــرنا!

وكســبنا الجولــة الكبــرى الأخيــرة

ونفضــنا عــن يــدينا

عــبء أعــوامٍ مــن الــذل مريــرة

وانتصــــــــــرنا !

***

قد شربنا اليوم ــ نحن العرب ــ أكير الحياء

وســرى في الــدم حتــى لم نعــد نــدري مــداه

قــد شــربنا الــوعي نــارًا واحترقنــا بلظــاه

وشــربنا الــوعي نــورًا نحــن نمضــي في ســناه

وسنمضي ! سوف نمضي ! رغم تهديد الطغـاة

أي سـجن يخنـق الإحسـاس في قلـب الأبـاه؟

من يصد السيل عـن مجراه مـن يثني خطـاه؟

عبثًـا نفنـى ولـن نحنـي لكـم يومًـا جبـاه !

فلتضــجوا ولتثــورا واقلبــوا الــدنيا علينــا

إنمــا نحــن انتصــرنا

وكســبنا الجولــة الكبــرى الأخيــرة

ونفضــنا عــن يــدينا

عــبء أعــوامٍ مــن الــذل مريــرة

وانتصــــــــرنا ...!

***

أيهـا التـاريخ سـجل ثـم سـجل لا تفكـر
سجل استقلال أرضـي منبـع الـوعي المبكـر
ثـم خـط النصـر في أرض العـراق المتحـرر
عـد إلى لبنـان واكتـب نصـره حتمًـا مقـرر
وامض نحو الأردن المحتل يـا تـاريخ وانصـر
خـط نصـرًا ثـم نصـرًا ثـم نصـرًا ثـم كبـر
وارفـع الأعـلام في أجـواء آفـاقي وانشـر
أنـا لا أنبيـك لكنـي أرى الله يـدبر
إنهـا تـوراث شـعب عربـي تتفجـر
وإرادات قلـوبٍ حـرةٍ لـن تتكسـر
فلتضـجوا ولتثـوروا واقلبـوا الـدنيا علينـا
إنمـا نحـن انتصـرنا
وكسـبنا الجولـة الكبـرى الأخيـرة
ونفضـنا عـن يـدينا
عـبء أعـوامٍ مـن الـذل مريـرة
وانتصـرنا ...!

***

إيـه أمريكـا ! بـلاد الغـدر والظلـم المهـين

اسـمعي صـرخة بنـت النيـل أخـت الثـائرين

عهـد الاسـتعمار قـد ولى وحكـم الخـائنين

إنـــه تصـــميم شـــعب عربـــي لا يلـــين

والمســاواة التــي نبغــي حقــوق ويقــين

وشـــعار العـــرب أمـــن وســـلام وســـكون

فـإذا لم تبـغ نصـحًا مـا الـذي سـوف يكـون؟

فلتضـــجي ولتثـــوري ، واقلبـــي الـــدنيا علينـــا

إنما نحن انتصرنا

وكســـبنا الجولـــة الكبـــرى الأخيـــرة

ونفضـــنا عـــن يـــدينا

عـــبء أعـــوامِ مـــن الـــذل مريـــرة

وانتصرنا ....وانتصـرنا!

■■ رسالة إلى جميلة

«إلى جميلة بوحريد فخر نساء العرب»

من جليلة ... أختك الحرة في مصر الأبية

يا جميلة ... اقبلي هذي التحية اقبلي من الأماني ... والتهاني

عن جميع المؤمنات ... بالحياة ... بالحقوق البشرية

ولتسكن رمز الوفاء أنت يا فخر النساء ... يا رضي الذات العلية ...

أنا لو خُيِّرتُ أن أغدو نبية ما تخيرت سواكِ بسناكِ

بالشذا الطافح من جرح أساكِ ، بالذي تحمل في زهوٍ يداكِ

من قيود منك خجلى ... وحيَّيه

إنهم حتى هناك ، في فرنسا : الوحوش القاتلون الطغاة الظالمون

إنهم قد يشعرون أن في أعماقهم روحًا خفية

تتحلى بعض حين بالصفات البشرية ... تتحدى الهمجية

تحد العرب على كنز ثمين نحن ندعوه جميلة ... يا جميلة !

ليس في مقدورهم أن يشتروه ... بعقود ولآلي

أو بخمر وليال ... أو بحرب وقتال ... مثلما قد يشترون

إنه كنز مليء بالمشاعر ... بالحياة

كان لابد لكي تحيا الجزائر ... أن تراه

ليس تقوى قوة في الأرض

أن تفنى سناه

إنه لن يتبدد إنه لن يتبدد !

قد ثوى في كل قلب عربي وتمدد

باعثًا روح الحياة ! ولهيب الوطنية

فاسخري منهم وغنِّي للصباح

إنه يخطو على نار ... ودم ... وجراح

إنما سوف يهل ... ناضر الفتنة ساحر

إنه منك يطل ... فانشري فجر الجزائر

يا جميلة ... واقبلي هذي التحية ...

من جليلة

▪▪ الفجر الجديد

المجــد في العليــاء للأبــرار المجــد في العليــاء للأطهــار

وعــلى الــدنى لاثنــين يمتلكانــه شــكري وعبــد الناصــر الجبــار

يــا مصــر مجــدك خالــدٌ ومخلــد وعــلى البســيطة شــامخ الأســوار

اليــوم تســطع في الوجــود حقيقــة مــلأت قلــوب العــرب بــالأنوار

اليــوم فجــر تحــررٍ وتــيقظٍ ونهايــة لعهــود الاســتعمار

اليــوم أشــهد أننــي مصــرية ســورية ... عربيــة الأقطــار

حلــبٌ بهــا أهــلي حمــاة عشــيرتي ودمشــق قــاهرتي وحمــص ديــاري!

***

يــا شــعر زف أرق لحــن في الهــوى واعــزف هــواك بــأوثق الأوتــار

حلــم عــلى أيــك الخيــال موســدٌ ومغيــب في دوحــة الأفكــار

بعثتــه روح الله روحًــا حــرة رفافــةً بأريجهــا المعطــار

مــدت جناحًــا بالوفــاء وآخــرًا نشــر الســلام مهيمنًــا كشــعار

وتجســدت بــإرادةٍ بشــريةٍ وتشــكلت في أغــرب الأطــوار

فبــدت عــلى أفــق العروبــة ماردًا يحميــه مــن غــدرٍ ومــن أخطــار

وبــدت عــلى أفــق العروبــة هالــةً تضفي عــلى الأجــواء ثــوب نضــار

وبــدت عــلى أفــق العروبــة نســمةً منغومــة الألحــان والأشــعار

خطــرت هنــا مشــبوبةً محمومــةً وســرت هنالــك شــعلةً مــن نــار

وكــذا الشــعوب إذا تســامت حــرةً تهفــو إلى أمثالهــا الأحــرار ... !

▪▪ لبنان الشاعر

لبنـــان ! يـــا بلـــد الطبيعـــة والجمـــال الســـاحر

لبنـــان ! يـــا جبـــل الســـماحة والإبـــاء الظـــافر

يـــا أيهـــا القلـــب الكبيـــر بحبـــه المتـــوافر

يـــا بلســـم المحـــزون يـــا أمـــن الشـــجي الحـــائر

يا عازف الـنغم الطـروب رجعـت لي ... يـا شـاعري !

***

أنــا في خيــالي ذكريــات لقائــك الــبش الحنــون

هــي جنــةٌ فيحــاء عشــت بحضــنها عهــدًا ضــنين

نشوى ، أهيم على الروابي الخضـر ، احتضـن السـكون

مــا زلــت أذكرهــا وفي جنبــي فــيض مــن حنــين

وأود يــا ... يــا كــم أود ... فهــل لــدهري أن يلــين ؟

***

أشـــتاق يـــا لبنـــان للتفـــاح مـــن يـــدك الحبيبـــه

أشـــتاق أقضـــمه ومـــن شـــفتيك كـــي أســـتاف طيبـــه

أشـــتاق للحضـــن الشـــذي وللجمـــال وللعذوبـــه

أشـــتاق ! عـــل الـــدهر يســـمح لي فأشـــكره مجيبـــه

هــو ذاك نــداء فتاتــك الســمراء مــن أعمــاق طيبــة !

***

واليـــوم يـــا لبنـــان إذ تخلـــو إلى عهـــد جديـــد

اليـــوم إذ رفضـــت إرادتـــك الأبيـــة أن تحيـــد

لا الحكـم ، لا الـدولار ضـلل شـعبك الحـر المجيـد

اليـوم سـر في الركـوب موفـور الكرامـة والسـعود

يـــا قطعـــة عربيـــة مـــن مـــوطن العـــرب التليـــد

***

اليـــوم إذ مزقـــت أســـتار المصـــائب والمحـــن

أدعـــو لشـــعبك بالمحبـــة ، بالســـلام المســـتكن

لا ظـــالم فـــيهم ولا مظلـــوم يحيـــا ممـــتهن

لا ديـــن يفصـــل لا تعصـــب لا دســـائس أو فـــتن

فالـــدين للـــديان والحـــب المهـــيمن للـــوطن !

▪▪لن نرقب الفجر

ألا أيها اللاجئون الحيارى ومن شردوا في حنايـا الطـرق
أصيخوا فإن النجوم العـذارى تهدهـد سـرًا حزينًـا قلـق
أصيخوا إلى الجبل المشـرئب يحـدق فـيكم وراء الأفـق
لزيتونكم لشذا البرتقان إلى المخمـل الأخضـر المؤتلـق
أصيخوا فإن الهواء السـجين يـود مـن الأسـر أن ينطلـق
وفي كـل ركـن نـداء حـزين مـن البلـد الكـوكبي الألـق
فلسطين ترنو وراء الحدود ، فلسطين في دمعها المختنـق
تنـادي تعـالوا تعـالوا إليَّ أكـاد مـن الشـوق أن أحتـرق!

***

تعـالوا إليَّ أحبـاء قلبـي ! رجـالي نسـائي عيـالي الحبيبـة
سألتم منكم جراح السنين وأحنو عليكم كنـوزًا خصـيبة
وأنسى بكم ذكريات الشـقاء فـإني مـن بعـدكم كالغريبـة
دياري قبورٌ ودربي صخورٌ ومائي سعيرٌ وروحـي سـليبة
أأخصب تربي وأنثر زهري ويـأتي العـدو فينشـق طيبـه؟
لعنتُ ! لعنتُ إذا لم أجـد لصـرخة روحـي قلوبًـا مجيبـة
ولا كنتُ يومًا إذا متُّ ظمأى وقد أشرقتكم دماء العروبة!

***

«ا

للاجئ» :

حنانيـك يـا أم هـذا العتـاب يحـز بأضـلعنا كالنصـال
أأنساك؟ واها! أتُنسى الحياة؟ محال وإن رف ألف خيال
غدًا «لا غدًا في قلوب التمني» ولكن غدًا في أكف الرجال
غدًا! «لا غدًا في نشيد المغني» ولكن على ساحةٍ من قتال
سـنفنى العـدو ونطـوي السـجل فإمـا حيـاةٌ وإمـا زوال
فيـا أم لا تعتبـي إننـا مـع الفجـر سـوف نشـد الرحـال
ومدي ذراعيك عبر الحدود وضمي فتاك وقولي : تعـال!

***

«شعب مصر» :

فلسطين يا أخت أمي سآتي وشـعب العروبـة يـأتي معـي
سأمضي على عاصف من رياح فصبري وصـبرك لم ينفـع
وأصـرع غاصـبك المسـتبد ولـن أسـتبيح لـه مصـرعي
فشـمْعته آذنـت بانطفـاء وصـوت منايـاه في مسـمعي
سأحمل كل قـوى بـور سـعيد وعـزم الفـدائي في أذرعـي
وأحضن في قبضتي السـلاح وثـأري وثـأركِ في أضـلعي
ولن أرقب الفجر حتى يضيء ففجري سـيوقده مـدفعي!

▪▪ حكومة الجزائر

جزعتِ فرنسا ! أجل فاجزعي وحـق عليـك الأسـى والقلـق

وما كـان مـن تافهـات الحـوادث هـذا التململـل هـذا الأرق

فمـا تجـزعين سـوى مـن حكومـة شـعب الجزائـر إذ تنبثـق

فإعلانهـــا مطـــرقٌ ســـيدق مســـامير نعـــش عليـــك انطبـــق

فقد ولدت فوق ساحة وغـي ولـيس عـلى صـفحات الـورق

نياشـينها مـن قلـوب الضـحايا ، مراسـيمها بالـدم المؤتلـق

وأعلامهـــا رفرفـــت فـــوق أيـــد تصـــوب مـــدفعها المنطـــق

ووزراؤها في سجون المنافي هنالك خلـف الـدجى المختنـق

وأبناؤهـــا في فيـــافي الوهـــاد وفـــوق الجبـــال وعبـــر الطـــرق

ومـــا ألفـــت كـــي تكـــافئ فـــردًا وإن كـــان كـــل بهـــا يســـتحق

ولكـــن لتبعـــث نـــور الحقيقـــة حـــرًا يطـــوف الـــدنى منعتـــق

وتحفـــز عزمًـــا تقـــوي تعمـــق روح الفـــداء تثبـــت حـــق

ومـــا هـــي فخـــر لأبطالهـــا فقـــد أحـــرزوا في الفخـــار الســـبق

وخُطَّـتْ تـواريخهم مـن كفـاح وكـل لـه قصـة مـن عـرق

وما فكـروا في المقاعـد يومًـا وحبـل المشـانق حـول العنـق

فيـا لحكومـة شـعب الجزائـر يـا نجمـة مـن ضـياء ألـق

سـتهرع نحـوك كـل الشـعوب الأبيـة في خطوهـا المسـتبق

وهيهــات يقــوى يعرقــل خطــوك مســتعمر أو يســد الأفــق

وهيهــات يُغــري ضــمير العروبــة يومًــا لتنــآك أو تفتــرق

فســيرى يســدِّد ربــي خطــاك فأنــت إرادة شــعب صــدق

جزعت فرنسـا ! ألا فـاجزعي وحـق عليـك الأسـى والقلـق

▪▪ رسالة حب

«إلى العراق»

أحبــك يــا عــراق ! وفي يقينـــي هــواي لـديك قـدر هـواك عنـدي
وأخشــى فرحــة الأفــراح تطغــي عــلى قلبــي فتهلكـــة وتـــردى
وأهتـــف بالغنـــاء ومـــا لأشـــدو ولكن كي أخفـف عـبء وجـدي
وأرغـــب أن أراقـــص كـــل فـــردٍ أقابلـــــه لأغمـــــره بســــعدي
ومـــا عجبـــي إذا أعلنـــتُ حبـــي وأعجب إن صمتُّ ولست أبـدي
فمـــا بـــالكون إحســـاس يضـــاهي لقـــا قلـــب بقلـــب بعـــد بُعـــد
وأشـــــهد لم أفـــــض بالحـــــب إلا لأنــك لم تخــن بـــالأمس عهــدي
وأنــك كنــت رغــم الصــمت تحيــا عـــلى أمـــل اللقـــاء المســـتجد
وكنـــت وراء ســـجنك مشـــرئبًا تنـــاجيني عـــلى ليـــل وســـهد
وأعلــم كــم تكــنُّ هــوى لشــعبي وتـــــــذكره بـــــــإعزاز وود
وأعلــم كــم «جمــال» لــديك غــالٍ وأنـــك بالـــدم الوضـــاء تفـــدي
وأنــك إن صــبرت عــلى البلايــا فقلبــك لم يكــف عــن التحــدي
فمـــا كـــان الكفـــاح وليـــد يـــومٍ ونصـــرك صـــدفة وبغيـــر قصـــد
دفعـــتَ ضـــريبة التحريـــر ســـجنًا وتشـــريدًا ولم تبخـــل بجهـــد
وكـــان هنـــاك في جنبيـــك ثـــأرٌ تهدهـــده عـــلى نـــارٍ وحقـــد
وبركـــــان يدمـــــدم بالمنايـــــا تفجـــر فائضًـــا عـــن كـــل حـــد
تفجـــر فـــوق رأس الظلـــم نـــارًا وغـــــوره بأعمـــــاق التـــــردي

ولقـــن كـــل حكـــم مســـتبدٍ دروسًـا في انتقـام الشـعب تجـدي

فبـــورك فيـــك منبـــع كـــل فخـــرٍ ونجمًـا للضــمائر ســوف يهــدي

غـــدوتَ أبـــا البطولـــة والتفـــاني وصــرت عــرين أشــبال وأســد

وهـــا أنـــا مـــن ســـناك الغـــد نشـــوى فمجـدك يـا عـراق اليـوم مجـدي

ويـــا وطـــن الأبـــاة إليـــك حبـــي وتهنئتـــي وإخلاصـــي وودي !

▪▪ رجل القدر

«أهديت إلى أبطال الثورة»

ومضـى المـذيع بصـيح في فـرحٍ ويعلننـا الخبـر
هو ذا «حبيب الشعب» قـد عبـر الرياسـة ، قـد حضـر
هــو ذا يوقــع مولــد النــور الجديــد المنتشــر
هــو ذا يضــم أخــاه «شـكري» في الجهــاد المنتصـر
هــو ذا يخاطــب شــعبه ويصــب مــن فمــه الــدرر
هــو ذا .... وأصــغينا إلى الصــوت القــوى المســتعر
وتلفتــت عينــاي نحــو الحاضــرين عــلى حــذر
فــإذا الــدموع تجــول في كــل العيــون وتنحــدر
وإذا القلــوب تكــاد مــن فــرط التــأثر تنفجــر
فــذرفتُ كــل دمــوع أفــراح الــورى ، لم أدخــر
ومضــت عينــاي في الســكون هنيهــة مثــل الــدهر
شــردت بهــا أفكارنــا عبــر الحــوادث والــذكر
ثــم انتبهــتُ عــلى صــدى يطــوي الســكون المنهمــر
هــــذا الرجــــل .... ! هــــذا الرجــــل ....!
رجــل رهيــب غــامض رجــل عنيــد كالصــخر
رجــل يحــار العقــل فيــه كأنــه بحــر هــدر
قلــب العــوالم كلهــا في فتــرة تحــوي العمــر

وعــلى خطــاه تحطمــت كــل الحوائــل والجــدر
مــا كنــه هــذي القــوة الشــماء فيــه؟ وأي ســر؟
أتـــراه يتلـــو في الـــدجى آيـــات ربٍ مقتـــدر
أتــراه يحمــل في الــورى «خــاتم ســليمان الخطــر»؟
فأجــاب صــوت آخــر «لا ! بــل هــو الحــر الأغــر
إيمانـــه هـــو ســـره ولـــئن ينـــل فلكـــم صـــبر»
ولكـــم تعـــرض للمكايـــد ، للمخـــاطر ، للضـــرر
ولكــم مشــى فــوق الــدروب الــداجيات ومــا عثــر
هيهــات يعثــر في الــدجى قلــب مضــيء كــالقمر
واليـــوم إذا زرع الكفـــاح وآن أن يجنـــي الثمـــر
مــدت لــه «ســوريا» اليــدين عــلى يقــين قــد وقــر
بيضــاء كــالثلج المعطــر فــوق أجنحــة المطــر
ورقيقــة كشــذى النســيم عــلى أفــانين الشــجر
وحبيبـــة وصـــديقة وشـــقيقة طـــول الـــدهر
لكنـــه أبـــدًا ســـيبقى في نضـــال مســـتمر
حتــى يــرى شــمل العروبــة قــد تجمــع واســتقر
حتــى يحقــق للعروبــة كــل مجــد ... كــل فخــر
هــو ذا «جمــال» بكــل مــا صــنعت يــداه ومــا ذخــر
«فجمـــال كـــل فعالـــه ســـتظل خالـــدة الأثـــر»
فأجــاب صــوت آخــر «أتــراه مهــدي المنتظــر؟»

إني أراه كأنمــــا جـــذب القلـــوب وقـــد ســـحر

وبناظريــــه أرى الغـــد المــــأمول مزدهـــرًا نضـــر

وأرى أمانيــــه الكبـــار تفـــوق أحـــلام البشـــر

هيهـــات نـــدرك ســـره مـــن ذا يجيـــب ويختصـــر؟»

فـــأجبتهم وعـــلى فـــؤادي بســـمة الغيـــب الأغـــر

«أولا تـــرون بأنـــه رجـــل المشـــيئة والقـــدر؟»

■■ إلى شعب الأردن

يـا مـن تريـدون الهـوان لشـعبكم هـو لـن يبـيح لكـم هـوان حمـاه
غلــوه إن شــئتم وشــدوا قيــده ســدوا عليــه رحابــه وفضــاه
مــا رف ثغــر النــاي إلا بعــد أن جرحت مُدي الحطاب قلـب ربـاه
هيهـات إن الشـعب عمـلاق صـحا ويــل لمــن في غيّــه ينســاه
شـعب البطولـة والكرامـة والنهـى يــا شــعب الأردن الــذي نهــواه
إنــا عــلى ثقــةٍ بأنــك ســائر رغــم الظــلام إلى العــلا وســناه
مــا قيمــة الأشــواك في أعوادهــا مــا دام للزهــر النــدي شــذاه
مــا زال في الأردن شــعبٌ ثــائرٌ حــرٌّ أبــيٌّ لا تحــد قــواه
سيشــق في ظــل المشــانق دربــه ويضــم في ظــل الــردى دنيــاه
الحــقُّ مشــعله ينيــر طريقــه والله يرعــى خطــوه .... الله ..!

▪▪ سلم وحياد

في كـــل مكـــان قلناهـــا قلنـــا للفـــرد وللحشـــد
للعـــالم قـــد أعلناهـــا بـــالأمس ، اليـــوم وللأبـــد
إنـــا شـــعب حـــر يحيـــا في ظـــل العـــزة والمجـــد
لـــن نقبـــل أي مســـاعدةٍ تقتـــرن بشـــرطٍ أو قيـــد
قلنـــا أرضـــي أرض ســـلام فـــدعونا نعمـــل في جـــد
إذ نبغـــي تـــوفير قوانـــا لبنـــاء النهضـــة في بلـــدي
قلنـــا ونظـــل نقـــول غـــدًا لم ننحـــاز لأحـــد أبـــدًا !

***

إنـــا بلـــد حـــارب دهـــرًا بصـــنوف شـــقاء وعـــذاب
لينـــال أخيـــرًا رغبتـــه رغبـــة أحـــرار أنجـــاب
وعليهـــا يحـــرص في ضـــنٍ ويقيهـــا مـــن ذئـــب الغـــاب
يلتفـــت يمينًـــا ويســـارًا ويصـــيح لغـــربٍ متغـــابي
مـــن لا يتـــدخل في شـــأني هـــو منـــي أغـــلى الأحبـــاب
أعلنـــا الأمـــس سياســـتنا ســـلم وحيـــاد إيجـــابي
ونظـــل نقـــول نقـــول غـــدًا لـــن ننحـــاز لأحـــد أبـــدًا !

***

أعـداء السـلم وإن هزمـوا مـن كـل شـعوب الحريـة
مـا خضـعوا للواقـع لا ! لم تخمـد أحقـاد ناريـه
إذا لجـؤوا لـدروب أخـرى ولشـق مسـالك فرعيـة
تسـتهدف تشـتيت قوانـا ولصـد عبـاب القوميـة
لكنـا لـن نأبـه يومًـا بخيـالات هـي وهميـة
فرسـالتنا هـي حريـة ... والسـلم هـو المسـئولية
ونظـل نقـول نقـول غـدًا لـن ننحـاز لأحـد أبـدًا !
قـالوا ولكـم قـالوا عنـا! قـالوا مصـر أرض مـزارع
وأشـاعوا الأسـطورة فينـا فخضـعنا للأمـر الواقـع
واليـوم وإن كنـا حقًـا خيبنـا آمـال الخـادع
لا يكفـي كـي نخلـق مجـدًا أن نبنـي في مصـر مصـانع
لا بـل نبنـي ... نبنـي دومًـا لنعـوض ماضـينا الضـائع
نبنـي شـعبًا حـرًا يقظًـا هـو ذا مسـتقبلنا الرائـع
ونبـث القوميـة فينـا لنعرقـل مـن خطـط الطـامع
ونظـل نقـول نقـول غـدًا لـن ننحـاز لأحـد أبـدًا !

▪▪ مع المجاهدين في سوريا

سـوريا الحبيبـة! يـا آمـال أمتنـا يا حليـة الشـرق مـن در ومرجـان
اليـوم يومـك يـا شـماء فـانطلقي وصـارعي في عـزمٍ وإيمـان
هيهات يشتبكون اليـوم عـن عمـدٍ يستنفذون بقايـا صـبرك الحـاني
فالعرب حولك يا سوريا وعن كثبٍ رغـم التفـرق لم يـألوا كـإخوان
والنيل يـا سـوريا ! والنيـل يـا أمـلي إليـك في شـغف مسـتطلع ران
أهلوه قـد أقسـموا في ظـل قائـدهم بالحقـد في دمهـم يغـلي كبركـان
«بجـول جمـال» وذكـراه بخاطرنـا تـرف رف أريـج عبـر أغصـان
لـن تُهزمـي وضـياء الفجـر منهمـرٌ لن تخضعي اليوم في ذل وحرمـان
ما من فواصل بين الموت في نظـري وبـين حريـة في قيـدها العـاني
حريـة الـنفس في الـدنيا غريزتهـا من وحي ربي لا من وحـي إنسـان

▪▪ بعد المعركة

أجل! هُزم الوباء وكان يسعى ... ليمطر أرضنا موتًا

فقاومناه ركنًا إثر ركنٍ ... وأسقيناه عارًا وانهزاما

أجل! خرجوا ونار الغيظ تغلي ... مراجلها وتضطرم اضطراما

فقد جاؤوا على طير الأماني ... سكارى النصر واهتزوا قوما

فذاقوا في الكنانة كأس سم ... تدور بها الندامة لا الندامى

وكانت بورسعيد لهم مقرًا ... يروون الغليل به انتقاما

أحارسة القنال وأي مجد ... صنعتِ وأي نبل قد تساما

بلغتِ ذرا السماء وإن عيني ... لتعجز أن تحدد منك هاما

فكيف نفيك حقًا أو جميلًا ... وحقك يا أبية لن يساما

أسيدة المواقف أي ذكرى ... سوى ذكراك تضرمني ضراما

إخالكِ حين يسبح بي خيالي ... وقد تركتْ له نفسي الزمام

أخالك جنة هبطت إلينا ... وشاءت أن تشيد هنا مقاما

وأسمع في نسيمك لحن خلدٍ ... تهدهده الملائكة انسجاما

وأنشق في الثرى المخضوب عطرًا ... يفوق شذاه أنداء الخزامى

وأخشى أن أؤله فيك شمسًا ... كما صنع الفراعنة القدامى

أملهمة الخيال وكيف أشدو ... وقد أسكرت في شفتي الكلاما؟

***

لقــد عشــنا لنشــهد مــا شــهدنا ومـــن ذكـــراه نغـــتم اغتنامًـــا

وكانـــت قصـــة التـــأميم كونًـــا حوى الأضداد وازدحـم ازدحامًـا

ســـمعنا فيـــه مـــداحًا وذامًـــا وشـــاهدنا الأماجـــد واللئامـــا

ومـــن صـــلى لمحنتنـــا وصـــاما ومـــن أصـــغى لصـــرختنا ونامـــا

وكـــم مـــرت علينـــا مـــن وجـــوهٍ تعانقنـــــا عـــــداء لا غرامـــــا

ونحـــن اليـــوم إذ نطـــوي ســـجلًا حـــوى بـــالأمس أحـــداثًا جســـاما

نعاهـــــد نفســـــنا أني حبيبنـــــا فلـــن ننســـى الألى ولـــو كرابـــا

إلى الشـــهداء نحنـــي الـــرأس فخـــرًا ونقســـم بالأرامـــل واليتـــامى

سنرضـــع طفلنـــا حقـــدًا ومقتًـــا ونورثـــــه عـــــداء وانتقامـــــا

لمـــن جعلـــت شـــعائرها حروبًـــا وبينـــت العـــداوة والخصـــاما

بريطانيـــا التـــي اغتصـــبت ربانـــا ودنســـت الحمـــى ســـبعين عامـــا

سنبغضـــها ! أجـــل ونظـــل نحيـــا عـــلى حـــذرٍ عقـــولًا لـــن تنامـــا

■■ ضعف المرأة

أنت قاس :

غيـــر أني أعشـــق القســـوة في قلـــب الرجـــال

إنهـــا توقـــف مـــن حـــد غـــروري وضـــلالي

إنهـــا أبعـــد شـــيء أنـــا أخشـــى منـــك يومًـــا

وهـــي «مغنـــاطيس» حتـــى إن سـئمت الحـــب دومًـــا

وهـــي إحســـاس لذيـــذ حـــالم يغـــري خيـــالي ...

***

أنـــت لي ! مهمـــا تناســـيت ليالينـــا الغـــوالي

رغـــم هـــذا الزهـــو والخـــيلاء ... لي رغـــم التعـــالي

كـــن كمـــا شـــئت وأســـرف في التنـــائي مســـتبدًا

وامـــض في صـــمتك في هجـــرك حـــرًا ... وتحـــدي

أنـــت لي ! والكـــل يمضـــي ســـائرًا نحـــو ... الـــزوال

***

تتحــداني أنـــا؟ وي ! كيــف يــا قلــب احتمــالي؟

أيــــن دمعـــــي وأنينــــي وأفـــــانين دلالي!

تتحـــداني؟ ومـــا قيمـــة ضـــعفي إن هزمـــتُ

وهـــو في الحــب ســلاحي وبـــه صــلتُ وجلــتُ

وهــــو درعـــي وجيوشـــي ومعـــدات قتـــالي!

***

إنــه ـ يــا وحشــي الكاســر ـ موســيقى الجمــال

روضـــت قلبـــك فاســترخيت في حضـــن الليـــالي

إنـــه كلمـــة ســـر كلمـــا ناديـــتُ : سِمْسِـــمْ!

فُـــتح الكنـــزُ فأمضـــي مـــن هـــوى قلبـــك أغـــنم

وبـــــه شـــــيَّدتُ ذاتي وتخطيـــــتُ محـــــالي !

***

ســوف تــأتي ! «هــودج» الخيبــة مشــدود الرحــال

وعـــــلى يمنـــــاه ضـــــعفي وبيســـــراه هـــــزالي

ســوف تــأتي ! أنــت قربــان صــلاتي وخشــوعي

أنـــت لي زورق حـــبٍ ينثنـــي عبـــر دمـــوعي

نحــو شــطٍ مــن حنــانٍ ... وعبيــرٍ ... وظــلال!

▪▪ حنين وذكرى

أهدهــــد حبــك كـــل صـــباح وكـــل مســـاء أحـــن إليـــك

وأشـــرب مـــن راحتـــي الـــدموع لأســـكبها مـــن جديـــد عليـــك

وأعــزو حنينــي لســجني الكئيــب فأفلـــت منـــه ومـــن قبضــتيك

وأمضـــي أرفــرف مثـــل الطيـــور وأشــدو عــلى كــل غصــنٍ وأيــك

وأدفـــع قلبـــي عبـــر البحـــار لكـــيلا يميـــل عـــلى شـــاطئيك

فــإذا بــي أعــب الهــوى مــن هــواك وأحضـــن أفقـــي في ناظريـــك

وأنســج فجــري بخــيط ســناك وأعــزف لحنــي عــلى شــفتيك

وإذ بـــي أســـيرة حـــب عنيـــف وإذ أنـــا ... أنــت وكــلي .. لــديك

***

إذا الـــريح هبـــت وهـــل الشـــتاء تـــذكرت ليـــل شـــتاء معطـــر

طوانـــا ببرديـــه حتـــى انتشـــينا كأشـــهى ربيـــع طوانـــا وأنضـــر

فأمضى ـ مع الوهم ـ أطلـق روحـي تحـــت خطـــاك إليَّ وتـــأمر

أوســـد فوقـــك رأســـي الغريـــر وبركـــان صـــدرك تحتـــي يـــزأر

ورأســـك هـــذا العنيـــد الجمـــوح أبـــى أن يضـــم الوســـاد وأنكـــر

فأعصـــر وجهـــك في راحتـــي وأهمي : «نـم شـاعري ! لا تفكـر»

فتهتـــف : «إن الزمـــان طويـــل ووقتـــي بقربـــك أغـــلى وأنـــدر!»

لمـــاذا أصـــور حلـــم اللقـــاء وفـــيم احتيـــاجي لهـــذا المخـــدر؟

***

وفي الصـــيف حـــين يهـــز النســـيم قلـوب الربـى بالشـذا المسـتطاب
أصـــور والقلـــب ثـــر الحنـــين هنيهـــات لقيـــا نضـــارا عـــذاب
أصـــور مقهـــى وركنًـــا ضـــنينًا ومائـــدة تســـتحث الشـــراب
وطيفًـــا تململـــل لا يســـتكين وســـيجارةً في فـــمٍ وكتـــاب
فأمضـــي وأمضـــي وفي خطـــوتي مـــراح الطفولـــة ، عـــزم الشـــباب
وأهفـــو إليـــك وفي مقلتـــي يمـــر ســـؤالٌ ويمضـــي جـــواب
وأحنـــو عليـــك وفي مهجتـــي دمُ العاشـــقين جميعًـــا مـــذاب
لمـــاذا أصـــور حلـــم اللقـــاء وفـيم احتيـاجي لهـذا العـذاب؟

■■ وسأمضي

وسأمضـــــــي في كـــــــل مكـــــــان
أتحـــــــدى قـــــــدري وزمـــــــاني
أتحـــــــدى الصـــــــور المرئيـــــــة
أتحـــــــدى العـــــــين البشـــــــرية
لـــــــن أجـــــري كالطفـــــل الأهـــــوج
لـــــــن أقفـــــز أو أثـــــب كـــــأعرج
لـــــــن أزحـــــف كالـــــدود .... كـــــأفعى
لـــــــن أعثـــــر في الـــــدرب كـــــأعمى
لـــــــن أقـــــذف ناسًـــــا بحجـــــارة
لـــــــن أعبـــــأ بعيـــــون المـــــارة
لـــــــن أصـــــغي لحـــــديث جماعـــــة
لـــــــن أقـــــرب ســـــوقًا أو باعـــــةْ
لـــــــن أحكـــــي للكـــــون حكايـــــة
فالوقـــــــت ثمـــــــين للغايـــــــة
وسأمضـــــــــــــــــــــــي ....

***

أتأمـــــــل ؟ لا ! لـــــــن أتأمـــــــل

ســــــــأكون الظمــــــــــئ والمنهــــــــل

وأمـــــد عــــــلى دربـــــــي خطـــــوي

وأراقـــــــص نفســــــــي في زهـــــــو

وأدور ... أدور ... كدوَّامـــــــــــــــــة

شـــــــمَّاء القامــــــــة والهامـــــــة

وســــــأرقص للفجــــــر الســــــاري

للطــــــل عــــــلى بــــــدني العـــــاري

وأمـــــر عـــــلى الشــــط المغـــــري

وأعـــــــانق أمــــــواج البحـــــــر

وســــــأرقص عبـــــــر ســـــــواعده

وســـــأرقص فـــــوق وســـــائدِه

والموجـــــة مـــــن رقصـــــي ســـــكرى

تغمرهـــــا العربـــــدة الكبـــــرى

لـــــن أخشـــــى أهـــــوال مكـــــاني

فـــــالبحر لـــــه شـــــط ثـــــاني

وسأمضــــــــــــــــــــــــي ....

***

أتأمـــــــل ؟ لا ! لـــــــن أتأمـــــــل

فالوقـــــــت وإن طـــــــال تململـــــــل

ســـــأمر عـــــلى الـــــروض الحـــــالم

وســـــأرقص للطيـــــر الهـــــائم

وأحـــــط عـــــلى كتـــــف الشـــــجرة

وأعـــــانق أجـــــوائي حـــــرة

وسأســـــحب فجـــــري مـــــن رأســـــه

وســـــأملأ روحـــــي مـــــن كأســـــه

وأســـــير مـــــع الســـــحب أثيـــــرا

وأصـــــاحب في الســـــير النـــــورا

وســـــأرقص والشـــــمس بقلبـــــي

ســـــتموج بإشـــــعاع ذهبـــــي

وتفـــــيض عـــــلى الكـــــون المظلـــــم

وســـــأغرق في فرحـــــي المفعـــــم

فأنـــــا مـــــا زلـــــت مـــــن الأرض

وبـــــأعراق ثراهـــــا نـــــبض!

وسأمضـــــــــــــــــــــــي ......

■■ حب وطب

غـدًا سـأراك طبيبـي الجميـل ، سأمضـي إليـك قبيـل الأصـيل

غـدًا في «العيـادة» سـوف أداعـب حلـم انتظـاري بصـبر ملـول

سـأجلس بـين الزبـائن حتـى يشـير إلى «التمـورجي» النحيـل

فأمضي إلى غرفـة «الكشـف» ذهـلي أجـر ورائـي غلامـي العليـل

***

غـــدًا ستضـــم يـــدي في يـــديك وتضـــحك في نشـــوة ظـــافرة

وتهتـف حـين تـراني : «أهــلا ! لمــاذا تغيبـت يـا شـاعرة؟»

وتمضـــي تهدهـــد كـــف فتـــاي وتعتـــب في رقـــة ظـــاهرة

«ألا تعلمـــين بـــأن الغيـــاب مضـــر بحالتـــه الحاضـــرة؟»

***

ســتحنو عليــه بصــدر رحيــب وتمضــي تعالجــه في حنــان

وتشـغلك المهنـة المسـتبدة عـن رؤيتـي عـن وجـود الزمـان

ولكـن خلفـك قلبـي الوجيـب سـيرنو إليـك كشـط الأمـان

وكالأمس ، كالغـد ، سـوف يـذوب حنينًـا إليـك بـرغم المكـان!

***

سـيقف الغـلام فـأقرب منـه وطيـف ابتسـام عـلى شـفتيك
وأصـلح مـن لبسـه في اهتمـام فيبـدو التعجـب في ناظريـك
وتهتـف «يـا بختـه!» ثـم تهفـو إلى أخيـرا وأهفـو إليـك
ونهمـس بـين اشـتباك اليـدين «سـلام عليـك ... سـلام عليك»

***

سـيأتي غـد ثـم يـأتي سـواه وتُنهـي العـلاج وأمضـي وحيـده
ولـن تعـرف الغـد أني تركـتُ لـديك فـؤادي شـهورًا عديـدة
وأنـى في ظـل صـمتك هـذا اقتنعـت بحبـي وعشـت سـعيدة
أجل ! سوف أمضي وليس لدي سوى الذكريات وهذي القصيدة!

▪▪ من المرأة إلى الرجل

مـاذا تريـد ؟ مـاذا تريـد؟ يـا أيهـا الرجـل العنيـد

يـا أيهـا الرجـل الـذي لـن يسـتفيد ولـن يفيـد

إني أراك مـع الزمـان حملـت لي حقـدًا حقـود

تمضـي السـنون وأنـت أنـت تريـد تجهـل مـا تريـد

أغرتْـكَ «سـيكلوجيتي» فمضـيت تبحـث لا تحيـد

عنـي وعـن نفسـيتي ، عـن كنـه سـري في الوجـود

وكـأنني شـيء غريـبٌ نـادرٌ شـيء فريـد!

فهنـاك بـين الكـأس والأصـحاب في المقهـى البعيـد

وهنـاك تحـت شـجيرة الجميـز في الحقـل المديـد

وهنـاك حتـى في الخنـادق حيـث يحتشـد الجنـود

لا شـيء إلا سـيرتي تلهـو بهـا وقتًـا سـعيد

لا شـيء غيـري يسـتفزك أن تقـول وأن تعيـد

مـاذا تريـد ؟ مـاذا تريـد

إني إذا أحصـيت مـا قـد قلـت عنـي لـن أجيـد

صـورتني عربيـدةً حينـا وشـيطانًا مريـد

ونسـبت كـل الحادثـات إليَّ مـن زمـن بعيـد

فأنـا السـفالة والنذالـة والخيانـة والجحـود

وأنـا أنـا حـوَّاء أغـرتْ آدم الغـر الطريـد

وأنـا التـي جننـتُ قـيس فطـاف مـن بيـد لبيـد

وأنـا التـي أكلـت ذراع طليقهـا حتـى يعـود

وأنـــا التـــي ســـببت قتـــل عشـــيرتين مـــن الصـــعيد

وأنـــا التـــي وضـــعتْ لضـــرتها ســـمومًا في الثريـــد

ولقـــد أكـــون أنـــا التـــي أشـــعلتُ نـــارك بورســـعيد!

مـــــــاذا تريـــــــــد ؟ مـــــــــاذا تريـــــــــد

أنـــا كـــل شـــيء في حياتـــك إننـــي شـــيء مجيـــد

البيـــت دوني كـــالردى والكـــون كـــالقبر المديـــد

والصـــبر دينـــي والحنـــان شـــريعتي والعطـــف جـــود

وأنـــا بكـــل كيـــاني المهـــزول كالبطـــل النجيـــد

أتحمـــــل الآلام والأمـــــراض في عـــــزم شـــــديد

ولقـــد تخـــزك إبـــرة فتـــئن كالطفـــل الوليـــد

وتكـــح ، تعطـــس في الشـــتاء كـــأن جســـمك مـــن جليـــد

وأنـــا بفســـتاني القصـــير وبالســـواعد والزنـــود

مـــن أي ضـــلع جئـــتُ منـــك فـــإن ضـــلعك كالجريـــد!

▪▪ الروب الحائر

ذلـــك «الـــروب» الـــذي عـــلى المشـــجب دهـــرًا

إنـــه مـــا زال مشـــدوهًا يـــرى في الأمـــر ســـرًا

إنـــه مـــا زال يشـــكو مـــن فـــراغٍ وخـــواء

ويـــرى الأعـــوام تمضـــي وهـــو يهفـــو لمســـاء

فيـــه يكســـوك دفيئًـــا غـــامرًا ظهـــرًا وصـــدرًا ..!

***

ذلـــك «الـــروب» يعـــاني وأنـــا منـــه أعـــاني ...

إنـــه كـــل الـــذي منـــك عـــلى طـــول زمـــاني

ذكريـــات مـــن غـــرام مـــر كـــالفجر الرطيـــب

وبقايـــا مـــن أحاســـيس ونجـــوى وشـــبوب

إنـــه محـــزن لـــثمٍ وعنـــاقٍ وحنـــان !

***

آه كـــم بينـــي وبـــين الـــروب أســـرار رهيبـــة!

كـــم توغلـــت بجنبيـــه وطوقـــت دروبـــه

كـــم تجمعنـــا عـــلى يـــتمٍ وحرمـــانٍ وجـــوع

وتســـاقينا حنينًـــا وهـــوى عبـــر دمـــوعي

وطوينـــا الليـــل في نجـــوى وأحـــلامٍ مريبـــة؟

***

يـــا لبوهيميـــة الأصـــداء فيـــه والنـــداء!

إن في كميـــه إغـــراء تمشـــي في دمـــائي

مـــن ثنايـــا الكتـــف والإبطـــين أشـــتمُّ العـــرق

عطـــره المســـكي ينســـاب عـــلى طـــول العنـــق

مـــن خـــلال الياقـــة الزرقـــاء أرنـــو لســـمائي !

***

ســـوف يـبلى ! إيــه يــا ســخريتي الكبــرى ! ســبيلي

هـــا هـــي «العتـــة» في جنبيـــه تلهـــو ... تتســـلى

ســـوف يـــبلى وهـــواي الغـــر يـــزداد شـــبابًا

ويصـــب النـــار في قلبـــي ويصـــليني العـــذابا

غيـــر أني لا ولـــن أشـــكو يومًـــا أو أمـــلًا !

▪▪ لن أعود

أقسمت أني لن أعود إليك يومًا ! لن أعود
لأظل أصرخ في الدجى وحدي وتعصف بي الرعود
لأظل أطرق بابك الموصود أستجدي الوعود
ليقول عني الناس «جُنتْ في هواه ... ولن يجود!»

***

لا ! لن أظل فريسةً للذكريات المجهدة
من صنع أوهامي أنا هذي المنى المتجددة
ماذا جنيتُ لكي أعيش سجينةً ومقيدة
عبثًا ... سأحتضن الدنى عربيدة ومعربدة !

***

إني أحس بألف شيطان بروحي مستمر
إني سأهزأ بالقوانين السخيفة ، بالبشر
قد عشت آلاف السنين ، ألفتُ أشباح الخطر
وعرفت كيف أضم في جنبي قلبًا من حجر !

***

يكفــي ! ســأملأ أعينــي بالضــوء بالضــوء النقــي
ولســوف أســبح في خضــم مــن شــعورٍ مطلــق
دنيــاي ســكرى بالحيــاة وبالجمــال المشــرق
يكفــي ! لقــد غــام الطريــق بعيننــا ... لــن نلتقــي !

***

أرأيــت هــذا الكــون كــم حــب كحبينــا أثــاره
كــم شــب في قلــب الــورى وبناظريــه الأمــس نــاره
أرأيــت كــم هتفــوا لــه حينًــا وكــم شــقوا إزاره
أواه لــو تــدري الــذي ضــيعت يــا ... يــا للخســارة!

***

كنــا ســنخلق مــن وجودينــا العجائــب يــا عنيــد
كنــا ســنرجع «قــيس» في الــدنيا «ولــيلى» مــن جديــد
كنــا مــن الضــدين ســوف نكــون البعــث الفريــد
سأصــب نــوري في دجــاك ، تصــب نــارك في الجليــد !

■■ تمرد عابد

يـا خـالق النـاس مـن مـاء وطـين ... وخـالق النـور في جسـمي وتكـويني

أود أهـرب مـن نـوري ... أنـا بشـر ... النـور يخطـف أبصـاري ويعمينـي

أود أحمـل أخطـائي بمـا ثقلـت ... إني مـن الأرض والـدنيا تنـاديني

أود أن أنشـق فـوق الأرض أتربتـي ... كمـا شـممت بجنـائي ريـاحيني

هـذي السـكينة في نفسـي تـؤرقني ... هـذا الصـفاء بروحـي كـاد يقنينـي

غـدوتُ كالآلـة الصـماء تجـذبني ... تقـواي نحـوك منسـاقًا كمـأفون

أتلـو مشـاعر قلبـي وهـي واضـحة ... أمـام عينـي بـلا شـك وتخمـين

وأذرع العمـر مـدفوعًا كقـاطرةٍ ... الوضـع يحكمنـي والوقـت يطـويني

يـا مـن خلقـت بـدنيانا توازنهـا ... أهـبط برأسـي مـن حـين إلى حـين

الطيـر يصـعد آفاقًـا ويهبطهـا ... والمـوج يصـخب في عـزم وفي لـين

دعني لأقـداري الهوجـاء تعصـف بـي ... أثنـي العنـان لهـا حينًـا وتثنينـي

شـدو الملائـك في سـمعي يهدهـدني ... أريـد أسـمع ضـحكات الشـياطين

أريـد أصـرع شـيطاني ويصـرعني ... إن الصـراع يقـويني ويحيينـي

نفـسٌ بغيـر خطايـا؟ أي مهزلـةٍ ... ما أتفه السـجن مـن غيـر المسـاجين

لمـن دمـوعي ؟ إن لم تهـم تائبـةً ... ومـا صـلاتي وإهـداء القـرابين

هـذا الضـمير الـذي حصـنته أبـدًا ... مـاذا عليـه إذا أهـوى كمطعـون

مـا دمـت أجهـل أعـدائي وسـطوتهم ... ممـن يُخـاف ومـا جـدواه يحمينـي

يـا ضـيعة العمـر في عقـل يحيـرني ... مـن ذا أكـون ومـا كنهـي ومكنـوني؟

إني انحرفـت عـن الـدنيا وواقعهـا ... فمـا وصـلت إلى دنيـا ولا ديـن !

***

«وحي من الله»

يـا حـائر الـنفس في الـدنيا وفي الـدين هــذا التحيـر مــن وحـي الشـياطين

مــا زال ليلــك يســري فيــك منتشـرًا لـولاه مـا جئتنـي تشـكو وتشـكوني

أيــن الســكينة في جنبيــك تحملهــا وأنـــت تخـــبط في ظـــن وتخمـــين

هذي الزوابع تجلـو الـنفس مـن صـدأ إني أحثـــك مـــن حـــين إلى حـــين

فمــا أريــدك عــن خــوف تقدســني ولا أريـــــد تهـــــواني كمـــــأفون

حريـــــة الـــــنفس في قيـــــدٍ تلازمـــــه عن طيب نفسك لا قسـرًا كمسـجون

إني عرفتــك كــم تشــقى بمعصــيتي ومــا أردتــك أن تشــقى وتعصــيني

سل قلبك الغد إن أصـررت عـن عمـدٍ عـلى الخطيئـة هـل يرتـاح مـن دوني

وهـــل مـــلأت فراغًـــا في جوانبـــه وحـل فيـه هـوى أغـلى مـن الـدين

إني أنـــا الله في عطفـــي وفي كرمـــي وحدي الملاذ ومـأوى كـل محـزون

فــلا انفصــالك عنــي اليــوم يبعــدني ولا انفصــالك عــن دنيــاك يــدنيني

عهدت فيك صنوف الضعف مـن قـدمٍ لم يخل في الأرض إنسـان مـن الطـين

.. خيال وحقيقة

رأيتــك ! يــا ليتنــي لم أرك لأنهــل مــن حبــي الجــارفِ
ويا ليت قلبـي اكتفـى بالخيـال وعـاش عـلى رنـة «الهـاتف»
سأبكيك حتى تغيض العيـون وأحنـو عـلى جرحـي النـازف
فقــد كــان طيفــك لي ســلوتي وكــان لي الأمــن في عاصــفي!

***

وكنــتُ أقضــي النهــار ببيتــي كظمآنــةٍ تنشــد المــنهلا
أروح وأغــدو عــلى ذهلــةٍ وأهتــف لليــل أن يقــبلا
وأســمع صــوتك عبــر الأثيــر فأبصــر نفســي والمنــزلا
كطيــرٍ أتــى العــش بعــد اغتــراب ومــل الروابــي والجــدولا

***

وكنتُ إذا مـا لمسـتُ «المسـرَّة» تـنفخ عطـرًا وتعبـق عطـرًا
إخــال صــداها رنــينَ الحيــاة يحطــم بــين ضــلوعي قبــرا
أضــمّكَ في طيفهــا تــارةً وأحنــو عليهــا وألــثم ثغــرا
وأسكب أنفاسي الحارقات وتسكب في مهجة الليل فجرا ..!

***

وتحكـي وأحكـي مشـاعرنا وأحلامنـا في الوجـود الكبيـر
وكـل الـذي كـان في يومنـا مثـار همـوم ونبـع سـرور
ونهفـو إلى عـالم آخـر فنسـبح في روضـه المسـتنير
وفي مسكن فوق شـط الغـدير سـيجمعنا في الربيـع النضـير!

***

وأهمس للقلب بعد الحديث : أخاف عليك الأسى والندامـة
أتحيـا عـلى أمـلٍ غـامضٍ وتعشـق ـ دون رؤاه ـ كلامـه ؟
فيهتف قلبي : ولو كان أعمى ، ولو كان حتـى مثـال الدمامـة
سأحيا عـلى حبـه مسـتميتًا وأحفـظ بـين ضـلوعي غرامـه !»

***

وحـين رأيتـك أنكـرت حبـي وأحسسـتُ أن هـواي محـال
وما كان فيك الذي كنت أخشى ولكن ثقيلًا كصـخر الجبـال
فيا لهف نفسي تحطم حلمـي وكـان شـهيًا خلـوب الجمـال
رأيتـك ! يـا ليتنـي لم أركْ ويـا ليـت قلبـي اكتفـى يالخيـال !

▪▪ بين النيل والبحر

على طرف «اللسان» برأس البر حيث يصب النيل في
البحر الأبيض المتوسط

أنــا هــا هنــا أمشــي عــلى طــرف اللســان هنــا وحيــدة

أرنـــو إلى الأفـــق البعيـــد وأحضـــن الـــدنيا المديـــدة

الليـــل حـــل وإنمـــا القمـــر المهـــيمن مؤتلـــق

وتكـــاد أنفاســـي مـــن الـــريح العنيفـــة تختنـــق

العزلـــة الكبـــرى تضـــم كيـــاني الهـــش الضـــعيف

وأنـــا أضـــم مـــدى الجمـــال ، أعبـــه حـــرًا شـــفيف

فعـــلى يمينـــي النيـــل والبحـــر الصـــخوب عـــلى شـــمالي

وهمـــا أمـــامي الآن يمتزجـــان في حضـــن الوصـــال

يـــا نيـــل إني اليـــوم أعتـــب يـــا أبـــي عـــلى خضـــوعك

كيـــف اســـتبحت لـــذلك الشـــيطان يهـــدر في ضـــلوعك؟

كيـــف اســـتبحت لـــه كيانـــك أيهـــا النيـــل العظـــيم؟

أنـــت الأصـــيل هنـــا وهـــذا الضـــيف مغـــرور ســـقيم

هـــا أطبقـــت شـــفتاه في نهـــم الجنـــون عـــلى شـــفاهك

المـــالح الغـــدار مـــرر فيـــك جـــزءًا مـــن مياهـــك

يـــا نيـــل كيـــف رضـــيت أن تفنـــى بأحضـــان غريبـــة

أي انجـــذاب فيـــه ! أي هـــوى وأســـرار رهيبـــة؟

هزمـــت عناصـــر شـــره مـــا فيـــك مـــن خيـــر تـــوافر

فبـــدوت مربـــد المحيـــا ثـــائرًا حينًـــا وســـاخر

يـــا نيـــل أيـــن حيـاؤك المغـــري وصـــمتك يـــا وقـــور

أيـــن انطـــوت نظراتـــك المـــلأى بأســـرار الـــدهور

أيـــن الصـــدى النعســـان والقـــبلات والآه الدفينـــة

وخطـــى كرفـــات الطيـــور تشـــق أحضـــان المدينـــة

لكـــن عينـــي لا تمـــل رؤاك في ظـــل التســـامح

هيهـــات هـــذا البحـــر يـــزأر ضـــاحكًا حينًـــا ونـــائح

هيهـــات يرغمنـــي عـــلى تشـــتيت أحلامـــي الكبـــار

هيهـــات يبعـــث في دمـــي رعبًـــا وفي رأســـي دوار

أهـــواك أنـــت وإنمـــا أخشـــاه إذ بـــالموج يقـــذف

شـــتان بـــين الحـــب مـــن أجـــل الهـــوى لا مـــن تخـــوف

بـــي فـــيض تحنـــان إليـــك وبـــي حنـــين ! بـــي حنـــين

وصـــلاتُ قربـــي بيننـــا يـــا نيـــل مـــن قـــدم الســـنين

ودمٌ تـــدفق مـــن مياهـــك في حـــرا كالضـــياء

ورســـوخ إيمـــان بحقينـــا عـــلى صـــمت الإبـــاء

ومشـــاعر فياضـــة في عمـــق عمقينـــا عتيـــة

وبشاشـــة وســـماحة وعذوبـــة فينـــا نقيـــة

وهــوى ! هــوى ! للضــوء ، للشــمس الدفيئــة ، للقمــر
وعــوالم وســعتْ عــلى صــدري وصــدرك للبشــر
عفــوًا ! إذا عتــب الفــؤاد فأنــت أنــت منــى فــؤادي
فأنــا ابنــة النيــل العظــيم وأخــت أحــرار الــبلاد !

▪▪ لمن أشكو ؟

لـــــولا بعـــــادك يـــــا حبيـــــب القلـــــب

مـــــا كـــــان للأغـــــراب تعبـــــر دربـــــي

أنـــــت الـــــذي جـــــرَّأتهم فتقربـــــوا

لمـــــا رأوك الأمـــــس تهجـــــر حبـــــي

لـــــولا بعـــــادك مـــــا تفـــــوه عـــــاذل

عنـــــي إليـــــك ... وعنـــــك لي بالســـــب

أشـــــكوك أم أشـــــكو إليـــــك أم أنني

أشـــــكو تصـــــاريف الزمـــــان لربـــــي ...؟

▪▪ مات حبي

يـــــا ويـــــلي قـــــد مـــــات هـــــواي

يـــــا ويـــــلي مـــــن ثلـــــج دمـــــاي

أنـــــا غضـــــبى مـــــن قلبـــــي المجـــــرم

إذ مـــــات هـــــواه ولم أعلـــــم

مـــــات ولم ينـــــذر إحساســـــي

مـــــات ولم يخنـــــق أنفاســـــي

يـــــا ويـــــلي لم أذرف دمعـــــه

لم أوقـــــد للميـــــت شـــــمعه

لم أغمـــــض للميـــــت جفنًـــــا

لم يلـــــبس مـــــن يـــــدي الكفنـــــا

لم أنصـــــب مأتمـــــه الغـــــالي

لم أصـــــرخ بالصـــــوت العـــــالي

يـــــا ويـــــلي قـــــد مـــــات هـــــواي

يـــــا ويـــــلي مـــــن ثلـــــج دمـــــاي

***

مـــــات وقـــــد خلفنـــــي حيـــــرى

أتســـــاءل ، أســـــتجدي الـــــذكرى

لم يشـــــك الـــــداء ولم يهـــــزل

بـــــل كـــــان طروبًـــــا متهلـــــل

لم أرجـــــع يومًـــــا للـــــدار

إلا والحـــــب عـــــلى نـــــار

يرتقـــــب إيـــــابي بحنـــــان

ويضـــــمد جرحـــــي وهـــــواني

لم يعـــــرف معنـــــى للغيـــــرة

بـــــل كـــــان شـــــذيًا كـــــالزهرة

إذ صـــــيغ مـــــن النـــــور وشـــــبا

وتربـــــع في قلبـــــي ربـــــا

يـــــا ويـــــلي قـــــد مـــــات هـــــواي!

يـــــا ويـــــلي مـــــن ثلـــــج دمـــــاي!

***

أنـــــا غضـــــبى يـــــا قلبـــــي القاســـــي

مـــــات ولم تنـــــذر إحساســـــي

لكنـــــي اليـــــوم عـــــلى غـــــرة

أكتشـــــف حقيقتـــــه المـــــرة

إذ هـــــل حبيبـــــي وابتعـــــدا

وكـــــــــــأني لم أره أبـــــــــــــدًا

وكـــــــأني مـــــــا كنـــــــــت أراه

بـــــــالأمس العـــــــالم وســــــناه

لم أشـــــــعر حتـــــــى بالضـــــــيق

وبـــــــأي حوائـــــــل وفـــــــروق

إذ مـــــــر ولم يلـــــــق ســـــــلامه

وأطـــــــال مـــــــع الغيـــــــر كلامـــــــه

لم تخفـــــــق في قلبـــــــي نبضـــــــه

لم تلمـــــــع في عينـــــــي ومضـــــــة

لا شـــــــيء ســـــــوى رجـــــــع صـــــــداي

يـــــــا ويـــــــلي قـــــــد مـــــــات هـــــــواي ...!

▪▪ رحلة عمري

أيهـــا الغائـــب عـــن عينـــي عامًـــا إثـــر عـــام

لا تلمنـــي إن أنـــا أســـرفتُ في نجـــوى غرامـــي

لا تلمنـــي إن ظللـــتُ اليـــوم للحـــب وفيـــة

إن حملـــت اليـــوم في جنبـــي ذكـــراك نديـــة

إنمـــا حبـــك كـــان الأمـــس فجـــري وابتســـامي !

***

لا تلمنـــي ! عشـــتُ كالقطـــة في أمســـي ضـــريرة

رهـــن حكـــم الأخ والـــزوج وأوضـــاعي أســـيرة

لم أذق مـــن عطـــف أمـــي أو حنـــان الأب نهلـــه

لم أكـــن أدرك إلا أننـــي روح مملـــة

ســـم النـــاس دجاهـــا ومآســـيها المريـــرة!

***

وانطويـــت الأمـــس لا خـــل لنفســـي غيـــر نفســـي

مـــن صـــميم الـــذات أســـتوحي ومـــن عقـــلي وحســـي

كـــل ركـــن - مـــن وبـــاء النـــاس - في جســـمي محصـــن

وبأعمـــاق كتـــابي أغـــرق الـــروح وأدفـــن

والـــدجى والصـــمت والأشـــباح خـــلاني ويأســـي!

***

ومــع العزلــة لم أحمــل بأعمــاقي شــرورًا
لم يكــن منــي زهــدًا إنمــا كــان غــرورًا
خلُتنــي نســرًا ولــيس النســر يصــطاد الــذباب
ولمحــتُ النــاس نمــلًا زاحفًــا فــوق التــراب
والــدنى جــدباء في عينــي والكــون ضــريرًا !

***

ثــم أســريت بلــيلي مشــرق الوجــه صــبوحه
وتحنيــت عــلى قلبــي وضــمدت جروحــه
لم أكــن أدرك يومًــا أننــي روح وفيــة
أن في عمــق الــدياجي بعــض أضــواء خفيــة
أن في هــوة أعمــاقي آفاقًــا فســيحة

***

كــان إحساســي بكــرًا لم يــزل رغــم الهــوان
كــان في قلبــي كنــوز مــن حنــين وحنــان
ولمســت الحــب في أنــدى معانيــه الشــفيفة
فتحــديت تقاليــدي وأوضــاعي الســخيفة
وتخطيــت حــدودي ومكــاني وزمــاني !

***

وعــــلى ضـــوء جديـــد ســـرت في درب حيـــاتي

كائنًـــا يحمـــل في جنبيـــه حـــب الكائنـــات

كـــم وكـــم قابلـــت في دربـــي تجاريـــب عديـــدة

كـــم ضـــممتُ الأرض والآفـــاق والـــدنيا المديـــدة

ثـــم شـــيدت عليهـــا بعـــد حـــين فلســـفاتي !

***

قـــد عرفـــتُ الكـــون بشـــرًا وابتهاجًـــا وتمتـــع

إنمـــا العصـــفور لا يشـــدو ســـوى مـــا نحـــن نســـمع

فـــإذا شـــئنا ففـــوق الأرض خيـــر وســـلام

وعلينـــا ـــــ كيفمـــا كنـــا ـــ حقـــوق للأنـــام

لـــيس شـــدو الطيـــر مقصـــورًا عـــلى مـــن كـــان أبـــدع !

***

إن يكـــن في الكـــون شـــر ، إنـــه شـــر محبـــب

فيـــه ســـعي ونضـــال وطمـــوح وترقـــب

وهـــو للإحســـاس بالإيمـــان والخيـــر عمـــاد

تُغـــرق الـــريحُ ســـفينًا وبهـــا حينًـــا تقـــاد

والثـــرى يحمـــل آفـــات وبالأثمـــار يخصـــب

***

وعرفـــت الحـــب قـــد يرتـــد ذلّا وشـــقاء

إنمـــا الحرمـــان في الـــدنيا مـــن الحـــب فنـــاء

وأنـــا إن كنـــت أفنـــى اليـــوم طـــي الـــذكريات

فأنـــا أفنـــى اضـــطرامًا وشـــعورًا بالحيـــاة

وأنـــا أفنـــى انتعاشًـــا وانتشـــاءً وامـــتلاء

***

إنـــه الحـــب ! ولفـــظ الحـــب خـــلابٌ وســـاحر

إنـــه الإحســـاس بـــاللاحس مـــن فـــيض المشـــاعر

هـــل تـــرى الرعشـــة فيـــه حـــز ســـيف متبـــاطئ؟

أم تـرى العاصـف يعمـي العـين كـالنور المفـاجئ؟

أم وجـــودٌ يتلاشـــى فاســـحًا كونًـــا لآخـــر ؟

***

وعـــلى دربـــي عرفـــت العلـــم عجـــزًا وجمـــود

عجـــلات أينمـــا دارت إلى الجهـــل تعـــود

رب أمـــي كفيـــفٍ عاقـــلٍ عـــن فيلســـوف

إن بـــين العلمـــاء اليـــوم حمقـــى بـــالألوف

إن أغـــلى حكمـــة تؤخـــذ مـــن كـــف الوجـــود

***

وعرفـــت الصـــمت أحيانًـــا تعـــابير قويـــة
طالمـــا تعجـــز عنهـــا النبـــرات الآدميـــة
أن في الـــنفس كنـــوزًا مـــن أحاســـيس نضـــيرة
أن مـــا نقـــبس منهـــا لـــيس إلا شـــبه صـــورة
ومضـــات مـــن ســـناها وإشـــارات حييـــة

***

وعرفـــت الشـــعر فنًّـــا تافهًـــا ، فنًّـــا مريبًـــا
لم يعـــد يفـــتن محبوبًـــا ولا يغـــري حبيبًـــا
لم يعـــد في زحمـــة الحاضـــر ركـــنٌ للمشـــاعر
كـــم وكـــم غنّيـــتُ لحنًـــا «باكيًـــا» حينًـــا «وثـــائر»
فســـرى لحنـــي عـــلى دنيـــاك مجهـــولًا غريبًـــا !

***

ورأيـــت العمـــر لهـــوًا فتمتـــع بالشـــباب
لـــيس مـــن حقـــك أن تخفيـــه كـــالكنز المهـــاب
إنـــه كالمـــاء ينســـاب مـــن الأصـــبع ســـاخر
أنـــت إن عـــدت إليـــه بعـــد حـــين كمســـافر
ســـوف ترنـــو ... ثـــم ترنـــو ... فـــإذا البيـــت خـــراب!

***

وعرفـــت الحســـن ربًّـــا لا يدانيـــه محـــال

عبثًـــا نهـــذي بـــأن الـــروح ينبـــوع الجمـــال

إنمـــا المـــادة قيـــدٌ كـــم لـــه تحنـــي جبـــاه

إننـــا أضـــعف مـــن إغـــراء عـــينٍ أو شـــفاه

والكـــلام الحلـــو ســـحرٌ ربمـــا هـــدَّ الجبـــال !

***

وعرفـــتُ الـــدين في دربـــي أساسًـــا للبقـــاء

غيـــر أن الـــبعض ظنـــوه عـــزاء البســـطاء

كيـــف نحيـــا دون إيمـــان بمـــن أحيـــا الوجـــود

أجمـــل الإيمـــان شـــك فيقـــين فصـــمود

وكـــذا الإيمـــان تســـليم بأحكـــام القضـــاء

***

هـــذه رحلـــة عمـــري عبـــر أمســـي الغـــابر

فـــإذا مـــا شـــئتَ أن تعلـــم ســـر الحاضـــر

كيـــف أُمضـــي ـ دون رؤيـــاك ـ ليـــالي الطويلـــة

فاســـتمع لي ! إننـــي أحيـــا بأوهـــامي العليلـــة

ومـــع الـــوهم حنـــين في دمـــي ... يـــا شـــاعري !

***

طالمــا أوهــم نفســي كــي أســري عــن عــذابي

وأقـــول الآن لـــو تـــأتي ولـــو تطـــرق بـــابي

مــا الــذي سـوف أعــاني ؟ مــا الــذي سـوف أقــول؟

حينمـــا أفـــتح شـــرّاعة بـــابي في ذهـــول

وأرى مـــن كـــان حلمًـــا قـــد تجـــلى في اقتـــراب !

***

طالمـــا أوهـــم نفســـي في حنـــينٍ جـــارفِ

وأقـــول الآن لـــو يســـري رنـــين «الهـــاتف»

ثـــم أصـــغي ... فـــإذا صـــوتك في ســـمعي وقلبـــي

ثـــم أصـــغي ... فـــإذا خطـــوك في أنحـــاء دربـــي

يتحـــدى النـــاس والليـــل وبـــرد العاصـــف !

▪▪ الصلح خير

«في الحارة»

دعنـــــــــــي ! دعنـــــــــــي!

لا تتبعنـــــــــــــــــــي ... !

لا تتبـــع خطـــوي ، لا تـــأت

أبـــدًا لـــن أرجـــع للبيـــت

سأضـــم البنـــت إلى حضـــني

هـــي بنتـــي ! لـــن تبعـــد عنـــي

وســـأعرف كيـــف أقاضـــيكَ

وأهـــــدم كـــــل أمانيـــــك

وسأقصـــم ظهـــرك بالنفقـــة

أبـــدًا لـــن تأخـــذني شـــفقة

يـــا خـــائن .... يـــا ناســـي العِشـــرة

مـــا ذنبـــي كـــي تجلـــب ضـــره ؟

مـــاذا لـــو أنـــك لم تـــنس

مـــا كنـــتُ ومـــا كنـــتَ بـــالأمس

أو لســـت أنـــا «زينـــة الحتـــة»

مـــن هـــام بهـــا «الأســـطى شـــحتة»

ميكـــانيكي حـــي «البغالـــة»

ضـــــحيتُ ولم أقبـــــل مالـــــه

لســـواد عيونـــك يـــا ضـــائع

يـــا خائـــب ! يـــا رد شـــوارع

أبـــدًا لـــن أرجـــع للبيـــت

لا تتبـــع خطـــوي ، لا تـــأت

ماذا لـو كانـت لي ليلـة ولهـا الأخـرى

أنســـيتَ التضـــحية الكبـــرى ؟

عامًـــا لم أغضـــب أو أحـــزن

والضـــرة تمـــرح في المســـكن

أمّـــكَ تؤثرهـــا باللحمـــة

وتعـــد عـــلى شـــدقي اللقمـــة

وأبـــوك ... المـــرأة أغرتـــه

فكـــل جديـــد زهوتـــه

أبـــــدًا لـــــن أر ....

لا تقـرب ... آي ... آي .... لا تقـرب

مـــا زلنـــا في ضـــوء المغـــرب

والنـــاس عيـــونٌ تأكلنـــا

وامـــرأةٌ ترقـــب ظِلينـــا

خلـــف الشـــباك المـــردودِ

وحياتـــك ! لم أنـــس عهـــودي

فاســـبق وتســـلل في صـــمت

ســـأعود ... إليـــك ... إلى .. البيـــت!

▪▪ تكلم

أرِحْنــي فــإن الطريــق طويــل ... وكــل الــذي حــول عينــي فنــاء
أريــد النهايــة حمــلي ثقيــل ... أفي الــدرب مــا يســتحق العنــاء؟

***

ســكونك أضــفى عــليَّ الملــل ... وما من صدى غيـر رجـع خطـاي
أعــود؟ وكيــف ومــا مــن أمــل ... وأمضــي؟ ومـا مـن رفيـق سـواي

***

أرحنــي وعلِّــمْ عيــوني البكــاء ... فــإني أحــب الــدموع الغزيــرة
دمــوع الأســى أو دمــوع الهنــاء ... ألــيس الغــدير يــروي زهــوره؟

***

تكلَّــمْ وســب أبــي والجــدود ... لعــل الشــتائم تجلــو الظلــم
أبــا الهــول ! إني سئمت الجمــود ... أريــد التمنــي ، أريــد الألم

***

أريــد ارتطامًــا بصــخرة دربــي ... فــإني أســير بغيــر هــدف
أأمضــي؟ أأرجــع؟ يــا ويــح قلبــي ... تعبــتُ أمــا آن لي أن أقــف !

▪▪ ضحايا الربيع

تهـادى الربيـــع خلـــوب الــرؤى وطيـــر الربـــى حلقـــتْ شـــاديه
وأشـــرق فجـــرٌ دفـــئ الســـنا ودب عـــلى العشـــب والرابيـــة
ومـــر عـــلى وجنـــات الزهـــور وكفكـــف أدمعهـــا الجاريـــة
وأهـــوى عـــلى شـــفتيها طـــويلًا وعـــب مـــن الخمـــرة الصـــافية
وبـين الخمائـل ، تحـت الغصـون قلـــوبٌ تبـــث الهـــوى شـــاكية
شـــبابٌ وحـــبٌ وحســـنٌ نضـــير وجنـــة خلـــدٍ هنـــا زاهيـــة
ولكننـــي رغـــم هـــذا الجمـــال أردد أنغـــــامي الباكيـــــة
وأهتـــف والقلـــب ثـــر الحنـــين وفي مقلتـــي الـــرؤى الداجيـــة

***

ربيـــعَ الوجـــود أتيـــتَ الوجـــود كـــأكرم ضـــيف يـــزور البرايـــا !
حملـــتَ تباشـــير فصـــلٍ ســـعيد وحُمّلـــتَ أغـــلى صـــنوف الهـــدايا
كســـوتَ صـــدور الربـــا بـــالورود وبالخصب بطـن الحقـول العرايا
وأنعشـــت بالـــدفء ثغـــر الميـــاه ولألأت وجـــه الغـــدير مرايـــا
وبعثـــرتَ ألحانـــك الراقصـــات عـــلى الكـــون تعـــزف للحســـن آيـــا
فمـــرّتْ بطيـــف النســـيم ربابًـــا وبالغصـــن دفًّـــا وبـــالطير نايـــا

وأطلقــت مــن ســجنها الكائنــات ووردت بالحــب خــدّ الصــبايا
فيــا مــن حملــت الهــوى والجمــال عــلى راحتيــك كــريم الســجايا
حنانـــك أيقظـــت في الشـــعور وجددتَ في القلـب ذكـرى هوايـا
فـــإني وقلبـــي وروحـــي الســـليب ضحايا جمـال الربيـع ... ضـحايا !

▪▪ عيناك

يــــا حبيبتـــــي أوحشـــتني اليـــوم عينـــاك فهــــل لي
بعــــد طــــول الهجـــر والحرمــــان أن أعبـــر لـــــيلي
وأراك ؟ وأرى الـــدنيا عـــلى ضـــوء هـــواك ؟ يـــا حبيبـــي
آه مــــن عينيــــك مــــن هـــذي العيـــون الحالمــــات
كـــــل مــــا فيهــــا لغـــوزٌ ورمــــوزٌ غامضــــات
فيهمـــــــا أفـــــقٌ ونـــــور وكنـــــوز ومرايـــــا
ومهـــــاوٍ دون لـــــونٍ أو قــــــرارٍ وخفايـــــا
فيهمـــــا غضـــــبة ربٍ وابتســــامات وليـــــد
فيهمـــا روحـــــي تهــــادت فــــوق نـــارٍ وجليــــد
صـــولجانان لعرشـــين شـــباب وجمـــال ... يـــا مليكـــي
بهمـــا طوحـــت في يُسـرٍ بهامـــات الجبـــال ... يـــا مليكـــي
يـــــا لنجمـــين أطـــــلا فـــوق أرضـــي في غــــرور !
آه مـــــن فَخَّـــــى حديـــــد وشـــــباكٍ مــــن حريــــر
أي قلــــب يســــتطيع اليـــوم أن يرتـــــد حـــــرًّا
بعــــد أن فتحـــتَ بـــــاب الجنـــة الكبـــرى فمـــرًّا ...
يـــا لشـــباكين مــــن قصـــرٍ عـــلى نهـــر فينيســـيا
يسكبان الذهب الخمري كالشلال من شمس الأصيل يا جميلي
كلمــــا ســــددت لحظًـــا ثـــم أرخيـــتَ جفونًـــا

خلـــتُ خلـــتُ الكـــون حبًّـــا وهيامًـــا وجنونًـــا !

وتصـــــورتك ظـــــلًا فـــوق أجـــوائي مقـــيم

لإلــــه هدهدتــــه كـــف «أوليمـــب» العظـــيم

ثـــم أحسســـت بإحســـاس غريـــقٍ ومســـافر

مـــد فـــوق الشـــط جسـمًا مميـــت الإحســـاس خـــائر

حـــين هبـــت مـــن أقاصـــي البحـــر «جنيـــة» بحـــر

لم تـــزل تســـقيه مـــن خمـــرٍ وأحـــلامٍ وعطـــر

ثـــم ولـــت حـــين ناداهـــا إلـــه البحـــر : عـــودي

والخيـــال الحلـــو مـــا زال بأحضـــان الشـــريد يـــا حبيبـــي

أوحشَـــــتْني اليـــــوم عينـــــاك تعـــــال لأراك

وأرى الـــدنيا عـــلى ضـــوء هـــواك ... يـــا حبيبـــي !

▪▪ ذكرى شاعرة

إذا مــــا شـــاء لي ربـــي وســـاعة ميتتـــي حانـــت

فـــلا تبكـــوا عـــلى قبـــري فـــرب فجيعـــةٍ هانـــت

وقولـــوا ضـــمها ليـــلٌ وظلمـــة أفقهـــا رانـــت

وأثقـــل ظهرهـــا تعـــبٌ بمـــا حملـــت ومـــا عانـــت

وفـــوق فـــراش أبويهـــا ، فـــراش الطهـــر ، قـــد نامـــت

***

وقولـــوا إنهـــا عاشـــت كبـــاقي النـــاس إنســـانًا

لهـــا قلـــبٌ يناوئهـــا صـــفاء الـــروح حيرانًـــا

ضـــريرًا في تطلعـــه ، ضـــعيف الـــرأي مـــذعانًا

فشـــاد عـــلى ضِـــفاف الـــوهم فـــوق الرمـــل بنيانـــا

وضـــل فمـــا رأي في ثـــورة الأنـــواء شـــطآنا !

***

وكـــان خيالهـــا يســـري عنيـــدًا طائشًـــا غـــرًا

طغـــى كالســـيل منـــدفعًا وحلـــق هائمًـــا حـــرًا

فكانـــت دوحـــة ثكـــلى وحينًـــا نخلـــة حيـــرى

وحينًـــا شـــمعة تخبـــو ولا تبقـــى لهـــا ذكـــرى

ومـــا كانـــت ســـوى طيـــرٍ غريـــبٍ في الربـــى ... مـــرا

***

وقولـــوا إنهـــا عشـــقت ســـنا الحريـــة الباســـم

وعاشـــت حـــرة تهـــوي كمـــا تهـــوي بـــلا عاصـــم

ومـــا عرفـــت عـــلى الـــدنيا لهـــا مـــولى ولا حـــاكم

ولا حســـبت حســـاب الحاســـد النمـــام والنـــاقم

فلـم تـك في الـدنى تخشـى سـوى مـن ربِّهـا الـدائم !

***

وفي ظـــل الهـــوى عاشـــت بقلـــب ثـــائر الحـــسِّ

يهدهـــدها عـــلى أمـــلٍ ويطويهـــا عـــلى يـــأس

وكـــم لقنهـــا درسًـــا فمـــا حفظـــتْ مـــن الـــدرس

وكـم لهثـت وكـم ظمئـت وكـم شـربت مـن الكـأس

وكـان الحـب آخـر زفـرةٍ خرجـتْ مـع الـنفس ...!

▪▪ إلى الملكة دينا

ألقيت بمناسبة تشريف الملكة «دينا»
رابطة الأدب الحديث

الحفل حفلكِ والغناء غنائي ... ماذا أقول وقد بدوتِ إزائي
لما رأيتك راعني ما أبصرتْ ... عيناي خلف الطلعة الحسناء
حسنٌ وراء الحسنِ قد أخفيتِه ... فبدا ـ وإن حاولتِ ـ دون خفاء
نيل وإحساس وقلب شاعرٌ ... في رقةٍ فياضةٍ وإباء
يا من نظمتُ لها القصيد تجلةً ... ما أنتِ غير قصيدةٍ عصماء
دينٌ و«دينا» من سناه تألقت ... كتألق النوار بالأضواء
روحٌ سمتْ بجلالها وترفعت ... بصفائها عن وهدة الظلماء
لم تلهك الدنيا بفتنتها ولا ... طاوعتِ ما فيها من الإغراء
أنى حللتِ أرى الأنام تحدثوا ... بتعجب عن نفسك البيضاء
والمرء إن ملك القلوب فقد بنى ... صرحًا به يعلو على الجوزاء
يا رمز نهضة أمةٍ عربيةٍ ... تزهو النساء به على الجهلاء
لم يثنك الأصل الرفيع عن العلا ... فعلوتِ من خلق ومن آباء
وسعيت نحو العلم ترتشفينه ... ببصيرة وبفطنة وذكاء
ورجعت راسخة العقيدة حرةً ... وعلى يديك رسالة العلماء
ونشرتها بين الشباب جديرةً ... بمكانة التدريس والإلقاء
ونزلتِ ميدان الحياة سعيدةً ... عن طيب نفس لا لأجل ثراء

يــا أيهــا القلــب الكبيــر تحيــةً ... أنــدى شــذى مــن روضــةٍ غنــاء

هــذي هــي الــدار التــي شــرفتها ... لاحــت عــلى زهــور وفي خــيلاء

الفرحــة الكبــرى تشــيع بجوهــا ... وبأهلهـــا وضـــيوفها الكرمـــاء

هــي ليلــة ســنظل نحمــل ذكرهــا ... بـــالود والتقـــدير والإعـــلاء

ونــود لــو ســمح الزمــان بغيرهــا ... وبغيرهـــا وتتابعـــت بلقـــاء

عفــوًا إذا لم أفــض بــالمعنى الــذي ... جاشــت بــه نفســي وعــز رجــائي

فالشــعر إن يطغــى عليــه شــعوره ... عجــزت معانيــه عــن الإفضــاء

■■ حصاد الألم

عجيـــب أن أعـــيش وأن أغنـــي	وقـــد نـــال الفنـــاء منـــاه منـــي
عجيـــب أن أرى الأضـــواء تزهـــو	وأن أصـــغى إلى صـــوتي المـــرن
فقـــد مـــرت عـــلى قلبـــي همـــوم	لـــو انقســـمت عـــلى الأحيـــاء تفنـــى
ولســـت ألـــوم مـــن ســـئموا فولـــوا	ومـــن واســـوا عـــلى حـــرص وضـــن
فلـــو أني حملـــت همـــوم غيـــري	ولـــو غيـــري تحمَّـــل عـــبء حـــزني
لضـــقنا بالحيـــاة ومـــا عليهـــا	ومـــا عـــدنا نقـــارن بـــين خـــدن
ولســـت ألـــوم مـــن صـــمتوا كمـــوتي	وكـــانوا يســـألون الـــنجم عنـــي
نـــبش فيقبلـــون فـــإن حزنـــا	فقـــد قلبـــوا لنـــا ظهـــر المجـــن
ولكنـــي حصـــدت ثمـــار حـــزني	وحنكنـــي الأســـى فجلـــوت ذهنـــي
وبـــت أرى الحيـــاة بعـــين قلبـــي	وكنـــت أرى زواياهـــا بعينـــي
عرفـــت الحـــب في الأفـــراد سِـــفرًا	حوى صـــور الجحـــود بكـــل لـــون
ولكـــن إذ عرفـــتُ فتحـــتُ قلبـــي	وبالحـــب الكبيـــر شـــملت كـــوني
وقلـــت بـــرغم إخفـــاقي ســـأحيا	أصون عـــلى المـــدى مـــن لم يصـــني
فقلبـــي إذ ســـما في ظـــل روحـــي	تســـاوى الأخـــذ والإعطـــاء منـــي

***

ويسّــر لي الأســى صــلتي بربــي	وناجيـــتُ الطبيعـــة في تـــأني
فـــإن عبـــادة الفنـــان نجـــوى	لما في الكـون مـن حسـن لحسـن
رأيـــت الله في ليـــل وصـــمتي	وفي نـــوم الوجـــود المطمـــئن
رأيـــت يـــدًا مضـــوأةً تجلـــت	لتحتضـن الـورى مـن كـل ركـن
فمـــرت فـــوق أفئـــدة اليتـــامى	وكفكفــت الــدموع بكــل عــين
وطافـــت بالجبـــال ذرى وهامـــا	وحـول خطـي النمـال بكـل كـن
فقلـــتُ : حنانـــك اللهـــم عفـــوًا	جهلتـك يـا رحـيم وأنـت عـوني
جهلــت حنانــك الفيــاض يطغــى	عـــلى بحـــر التمـــرد والتجنـــي
فهـــبْ قلبـــي عيونًـــا مـــن ضـــياء	يصــد بهــا عثــار اليــأس عنــي
وزِدْ مقـــدار حبـــك في فـــؤادي	لأمـلأ مـا اسـتطعتُ فـراغ دنـى
لأني إذ أحبـــــك يـــــا إلهـــــي	أحـــب النـــاس والـــدنيا وكـــوني

▪▪ دعاء الأمومة

انتاب ابني ـ علاوة على مرضه العقلي ـ مرض جسماني خطير بعث هذا الدعاء من أعماق قلبي

رب ! إن كنــت إليــك اليــوم أشــكو وأعاتــبْ

فيقينــي أن عــلى شــكواي يومًــا لــن أحاســب

طالمــا دللــت مخلوقــك مــا انفــك يطالــب

يــا أبــي ! يــا رب هــذا الكــون ! يــا رب البرايــا ...

***

صــغتَ لي التمثــال يــا ربِّــي جهمًــا ومشــوه

فمضــيتُ العمــر أشــكوك وأبكــي ... أتــأوه

بغتــةً أحسســتُ ثغــري ســاكنًا لا يتفــوه

وفــؤادي نــاكرًا أنــك خــلاق الضــحايا

***

هكــذا روضــتُ نفســي بعــد ثــورات جنــوني

وقنعــتُ الأمــس مــن دنيــاي بالطفــل الأفــين

واحتفظــت الأمــس بالإيمــان في ليــل ظنــوني

كــان يكفــي ! كــان يكفــي أننــي أرضــي شــقايا !

***

لِـمَ هـذي القسـوة الكبـرى عـلى قلـبٍ شـريد ؟

لِـمَ تعـذيبي وإذلالي بتعـذيب وحيـدي؟

أحسـبتَ اليـوم إيمـاني أقـوى مـن حديـد

وأنـا يـا رب شـكٌ ... وذنـوبٌ ... وخطايـا ..؟

***

ربمـا يـا رب قـد تبغـي هنـائي بفراقـه

ربمـا مـن سـجنه الأرضـي تهفـو لانطلاقـه

ربمـا ... لكـن لي عقـلًا تـردى في وثاقـه

لا يـرى فيمـا تـرى غيـر المآسـي والبلايـا !

***

لِـمَ إذن أعطيتنـي هـذا الهـوى المشـبوب فيَّـا

لِـمَ سـلمتَ لـه قلبـي وقيّـدتَ يـديا

آه لِـمْ أفنيتنـي فيـه ولم تبـق عليـا

لِـمَ لَـمْ تتـركْ لـه شـيئًا عـلى الـدنيا سـوايا ؟

***

أنـت أدرى أنـه أسـباب عيشـي وبقـائي

أنـه الشـيء الـذي يـربط أرضـي بسـمائي

أنـه حتـى وإن سـمم في الكـون دمـائي

غيـر أني لسـت أرضـى جنـةً دون فتايـا !

***

إنــــه قيثـــار روحـــــي لا تدعـــــه يـــــتطحم

كيـــــف إن قطعـــــتَ أوتـــــار فــــؤادي يتـــــرنم

كيــــف أجلــــوك وفي جنبـــــي أفـــــقٌ مـــــتهجم

كيــــف أشـــدو بهـــواك الحـــر في ســـجن أســـايا ؟

***

أنـــــا إن كنـــــت تمـــــردت عـــــلى حكمـــــكَ يومًـــــا

ربمـــــا كـــــان لأني لم أكـــــن عانيـــــت همًـــــا

بعـــــد هـــــذا الألم الجبـــــار لا أملـــــك لومًـــــا

إنمـــا أدعـــوك : هـــل تقبـــل يـــا ربـــي دعايـــا ...؟

▪▪ قتلتني يا ولدي

كمــــا تجعــــد الريــــاح صــــفحة الغـــدير
كغيمــــة تطفــــو عــــلى وجــــه الــــدنى المنيــــر
كصــــرخة غضــــبي بســــمع نــــائم قريــــر
كحــــزة الســــكين فــــوق الطبــــق البلــــور
قتلتنــــي يــــا ولــــدي ... ســــممتَ لي شــــعوري !

***

الكــــون ! مــــا الكــــون ؟ فــــإني لا أرى إلاك
روضــــي الــــذي أينعتــــه تلهــــو بــــه كفــــاك
فطــــائرٌ ينــــذرني ... وطــــائر ينعــــاك
رحمــــاك إن المــــوت في عينــــي وفي تصــــويري !
قتلتنــــي يــــا ولــــدي ! ســــممت لي شــــعوري

***

الحــب ؟ مــا الحــب ؟ وفي قلبــي هــوى مــن نــار
وأنــــت لي أبــــي ، أخــــي ، زوجــــي ورب الــــدار
أنــــت امتلائــــي المنتشــــي في هــــوة الأقــــدار
رحمــــاك ! إن المــــوت في حســــي وفي تفكيــــري !
قتلتنــــي يــــا ولــــدي ! ســــممت لي شــــعوري

إهداء

هذه صورتي إليك ملاكي ... يا ابنة العمر إنها لعداك

كلما تغدر الحياة وتقسو ... وتطوف الغيوم عبر سماك

وترين الذي رأيتُ ومثلي ... كل فرد يرى على دنياك

فانظري ! انظري إليها فإني ... سوف أحيا بصورتي لأراك

إن قلبًا حوى الأمومة يومًا ... هو أقوى من الردى الفتاك

فإذا ما رأيت فيها خيالي ... قد تحانى عليك يلثم فاك

فاحضنيه ولا تئني لموتي ... إنها سنة الذي سواك

واقرئي صفحة الحياة عليها ... فالمعاني التي بها معناك

ثم قيسي تفاهة العيش منها ... وغرور الإنسان في منفاك

وتلاشي وانحلال كياني ... وبقاء الجماد في يمناك

وابسمي ابسمي اذدراءًا وهزءًا ... ليس يستأهل الوجود بكاك

صورة أوضحت معالم نفسي ... فاحفظيها لأستشف رؤاك

فسأمضي وليس عندك إلا ... صورتي وهي ما لها إلاك

وبها سوف تذكرين عهودي ... وتراعين في الوجود أخاك

إنما أنت من ستسأل عنه ... يوم لا يحمل الجواب سواك

والجزاء الذي سأهديك بعدي ... حين أدعو الإله أن يرعاك !

▪▪ تمرد

«إلى ابني»

أقســمتُ أني لــن أحبــك يــا فتــى   إلا بقـــــدْرٍ عاقـــــلٍ وضـــــنين

قلبــي يثــور عــلى حنــان أمــومتي   يـــأبى عـــلي متـــاعبي وشـــجوني

قلبــي يحــب يحــب يشــعر يشــتهي   ويــود لــو ضــم الــدنى يجنــون !

آلاف أشـــــواق وألــــف صـــــبابة   ومئـــات أوهـــام بـــه وظنـــون

وبه استوت كـالجن عربـدة الهـوى   وتمازجـــت بعناصـــر التكـــوين

قلبــي يثــور يهــب يقفــز غاضــبًا   ويــود يفلــت مــن ظــلام ســجوني

وأراه يرســم في الهــوى خططًــا لــه   مســـــتغرقًا في نشـــــوةٍ وحنـــــين

أفنيــه فيــك بنــي وهــو معــذب   يبغــي لــذاذات الهــوى المفتــون

وأود لـــو أنســـاق إثـــر ركابـــه   لكـــن حبـــك لا ينـــي يثنينـــي

يــا قلــب يــا قلــب اســتكن فإنمــا   لــك مــا تريــد ومــا لمــت ببنينــي

تــالله لــن أثنيــك عــن درب الهــوى   لا بل أحثك فــامض هــاك يمينــي!

▪▪ زمان ويا مكان

إذا مــا هرمــتُ وهــد الزمــان كيــاني وصــارت رؤاي قبيحــة
وأمســتْ حيــاتي فراغًــا فراغًــا وبينــي الكئيــب دنــاي الفسـيحة
وكــل الــذي أشــتهي في الوجــود فِراشًــا ولقمــة عــيشٍ مريحــة
فكيف أسلي كآبة ليلي وحتى يومي الذي سوف أقضي أيامـه طريحـة؟

***

سأحكي ! ولكن لمن سوف أحكي؟ وعنـدي حكايـات جيـل كثيـرة
ســأفتح كــل خــزائن قلبــي وأنهــب منهــا كنــوزي النضــيرة
فـإن ضـاق بـي القـوم كلفـتُ نفسـي وأجـرت عنـدي فتـاةً فقيـرة
لتحمــل عــبء حــديثي الثقيــل وتصــغي إلي بعــين قريــرة

***

ســأحكي : «زمــانْ ويامــا كــانْ» وعنــي وعــن حســني الرائــع
ووجهـي الجميـل وخصـري النحيـل وعـن شـعري النـاعم اللامـع
وأمضـــي عــلى لـــذةٍ وانتشـــاء أعــب مـــن المنهـــل المتـــرع
فمـا مـن عجـوز سـوى ربـة الحسـن ـ في أمسـها ـ والصـبا اليـانع

***

ســأحكي : «زمــانْ ويامــا كــانْ» كــأنِّي أحكــي لهــا ألــف ليلــة
وتمضــي الفتــاة تــدلك رِجــلي وســاقي وكــل عظــامي النحيلــة
وتقبــع في الأرض قــرب الســرير فــأفرح حــين أراهــا ذليلــة
ألســتُ اشــتريت صــباها النضــير بمــالي وأفقــدتها كــل حيلــة ؟

***

سـأحكي لهـا كيـف لم يـك يومًـا سـوى قمـرٍ في الفضـاء وحيـد

وأني عاصـرت عهـد العجائـب ؟ عهـد البطولـة في بـور سـعيد

وأنـى في زمنـي كنـت أكتـب شـيئًا جمـيلًا يسـمى قصـيد

سـأحكي وأحكـي فلـن أملـك الغـد إلا حكايـات عهـد سـعيد !

***

سـأغمض عينـي عـن حاضـري وارتـد نحـو الهـوى والضـياء

وتمضـي المواكـب في سـيرها فتونًـا ودنيـا تفـيض بهـاء

وأرنـو ولا شـيء في غرفتـي سـوى الصـمت بحضـن طيـف الفنـاء

وغيـر الصـبية تحنـو عـليَّ وفي يـدها جرعـة مـن دواء

***

رجوتـك يـا رب ألا أعـيش لكـيلا أحقـق هـذا الخيـال

فمـا العـيش إلا شـابٌ وحـبٌّ وإن أوغـلا في دروب الضـلال

فـدعني أمـتْ قبـل أن أسـتفيق وأرقـب مـوتي البطـيء الـزوال

فـإني أطمـع في القـرب منـك وأنـت جميـل ... تحـب الجمـال !

■■ منذ عشرين ربيعًا

منذ عشرين ربيعًا ... في صباي

ها هنا ... كنت أغني لهواي

يا نسيم إسكندرية ! يا مغانيها الشذية !

منذ عشرين ربيعًا ... يا له من عمرًا طويلًا وحزين !

إنه كان بأمسي قدر ما بيني وبينك ... من سنين

وهو في الحاضر عمر العاشقين ... في حياتي

كنت أهواك كبيرًا وكبيرًا بالسنين بالجمال

كنت أهوى الحسن في كل خيال

غير أني اليوم ما عدت أفرق أي وربي ! كلما أسأل قلبي

هكذا يلقي جوابه ... «المهم الاستجابة»

منذ عشرين ربيعًا يا لها من أخيلة ومئات الأسئلة

هذه الدنيا الرحيبة أترى وليت عنها وأنا وحدي أعيش

في دياجيها الرهيبة ؟ أترى تحيا عليها مثلما أحيا غريبة ؟

أم تراك ؟ ... لست غضبي أنه شرع الحياة

وهي ؟ هل تبدو جم

يلة ؟ والذكور ؟ والبنات

أترى فيهن من تدعي جليلة ؟

وخيالي ؟ أتناجيه مرارًا ؟

عبثًا ! إنا نسينا أجمل الأشياء فينا

ذلك النسيان إذ يأسو الجراح

منذ عشرين ربيعًا ! إنه عمر طويل !

ساعة العمر

بينــي وبينــك ســاعةٌ مــرت بنــا   مــا أجمــل الــذكرى ومــا أحلاهــا
هــي ســاعة لا العمــر يعــدلها ولا   يرجــى لنــا بعــد النــوى لقياهــا
أســقيتني فيهــا رحيــق خلودهــا   وأنــا ســقيتك ضــوءها وشــذاها
إن كنــت أنــت نسـيتها يـا شـاعري   أنــا لم أزل أحيــا عــلى ذكراهــا
فلربمــا قــد عشــتَها في غيرهــا   لكننــي فيهــا أعــيش ســواها
لا لــيس لي أمــرٌ ولا لــك مــن يــدٍ   في ســاعة جــاءت ومــا جئناهــا
إذ كيــف كنــا نســتطيع عبورهــا   إن لم يكــن بجناحهــا بخطاهــا
نحن الخجولان اللذان مع الـورى   يــا كــم خفضــنا أعينــا وجباهــا
مــا بالنــا رحنــا نثرثــر في لظــى   ونكــاد نعجــز أن نضــم شــفاها
أو هكــذا شــأن الســواهي في الــدنى   ما عـدتُ أومـن بالـذي يتسـاهى!

***

يـــا للمصـــادفة الحبيبـــة إنهـــا   هــي وحــدها أضــفت نعيم بهاهــا
إذ رحــت تقــرأ يــا عنيــد قصــيدتي   وتقــول لي : «لا أستســيغ صــداها»
ولمحتُ أنــك غِــرتَ مــن أفكارهــا   ومن الهـوى المنسـاب في معناهـا
فهممتُ أخطف من يديك قصـيدتي   والغــيظ يأكــل مهجتــي وحشــاها
لكــنْ أبيــت عــلى فــرض إرادتي   ولويــت ســاعدك الــذي أخفاهــا
ومــع التقــارب والتباعــد ضــمنا   شــيء إذا شــبّهتُ لــيس يضــاهي

شـــيء سـرى كالنــار في جنباتنــا   وثنـى الضـلوع وأحـرق الأفواهـا
شـــيء تملكنــا وقــاد زمامنــا   وطـوى الـدنى في عيننـا ، أفناهـا
ثــم انتبهــتُ وفي يــدي قصــيدتي   والعقــل منــي غائــبٌ قــد تاهــا
هــي ســاعةٌ لا العمــر يعــدلها ولا   يرجـى لنـا بعـد النـوى لقياهـا!

▪▪ خصلة شعر

تُرى كيف استحلن مع الليالي ... وأين مقامهن اليوم صارا

أفوق الصدر وسّدتَ الغوالي ... وأرقدت الشعيرات القصارا

أطي صحيفتين خلال سفر ... قديم العهد آثرن الجوارا

أم أنك شئت أن يغفلن حينًا ... عن الماضي ويسدلن الستارا

وفي درج من الأدراج ناء ... عن الرقباء أحكمت الحصارا

وهل ضاقت بهن النفس يومًا ... بما حملنها العهد اضطرارًا

وخفتَ إذا مكثن غدون نهبًا ... لأنظار العشيقات السكارى

وخفتَ إذا مكثن رأيت طيفي ... وقد احتل الخواطر والديارا

ومن إحدى النوافذ رحت تلقي ... بهن على الثرى ذلًا وعارا

فبددت الشعيرات الغوالي ... وكن لك الأماني والفخارا

ومن شبحي الأخير نفضت كفًا ... كما تنأى عن الثوب الغبارا

وجاءتهن ريح الليل غضبى ... فهِمن مشردات كالحيارى

ترى كيف استحلن مع الليالي ... وأين مقامهن اليوم صارا !

▪▪ تفاهة رجل

وكـــان مســـاء شـــتاء حـــزينٍ رهيـــبٍ تجمـــد في الغرفـــة
وفـــوق الفـــراش الـــدفئ الـــوثير رنـــت في شـــرود إلى لمبـــة
هنالـــك فـــوق صـــوان صـــغير تشـــد وترخـــي بســـخرية
خيـــوط ضـــياءٍ خبيـــثٍ تجـــلى وقـــد رقصـــت حولـــه كائنـــات
لتـــــــــــوحي الـــــــــــرؤى والحيـــــــــــاة ....

***

وألقـــتْ بســـماعة «الهـــاتفِ» وقامـــت عـــلى حـــذر وانفعـــال
ومطـــت عـــلى حيـــرةٍ شـــفتيها وزمتهمـــا في أســـى وانخـــذال
ومـــا زال يســـري صـــدى صـــوتها غريبًـــا عليهـــا ينـــادي: تعـــال
طليقًـــا تـــردده الكائنـــات ســـجينًا بأعماقهـــا الواجفـــة
كزمجـــــــــــــــــرة العاصـــــــــــــــــفة ...
ومـــدت خطـــي في غـــرورٍ وزهـــو لمرآتهـــا كـــي تكحـــل عـــين
تضمر خصرًا ، تعطر صدرًا وتخفض مـن شـعرها خصـلتين
وفي فكرها يتهادى سؤال : «أسوف يطيل المكوث؟ وأيـن؟؟»
وســـارت إلى بابهـــا في ذهـــول وفي اليـــد مزلاجـــه ينتظـــر
خطـــــــــــى العاشـــــــــــق المنتظـــــــــــر ......

***

وفي الصالة الجهمة الواسعة ... على صرخة الكلبة المفزعة
مضت وهو من خلفها تابعٌ يسيران في عثرة ضائعة
كلصين يستبقان الخطى وتحميهما الظلمة الشائعة
وراحت تنحي ستارًا ستارًا وتبعد عنها وعنه الظلال
وتهمس سكرى : تعال !

***

وحين استقرا على وحدةٍ وفاضا هناء ونفح ضياء
تراءى لها ظل شيء صغيرٍ تمدد فوق الصوان ... وناء
وقام فتاها على نشوةٍ ولم يدر ما هو معنى الحياء
كأن التي جنبه «عاهرة» أتاها كريمًا سخي العطاء
وجاء بقرطاس «تفاحة» ومد يدًا ثم قال غدًا
لكِ مني زجاجة خمر ... !

***

ودوم في قلبها عاصفٌ كالخضمْ ....
تفجر حقدًا وحزنًا وفاض سأمْ ...
وراحت تحدق في كل ركن
وما زالت اللمبةُ الساخرة
تقهقه في شهقة فاترة
وتفتح عينًا .... وتغلق عين ... !

▪▪ تناقض

مـع الليــل أســأل قلبــي الحــزين وفي الليل يحلـو اعتـراف النفـوس

وفي الليــل يُفــتح بــاب الســجون وعبــر الحيــاة تطــل الــرؤوس

وفي الليــل نكشــف عنــا القنــاع ونبســط كــل الــذنوب الســحيقة

ويقتـــل فينـــا الظـــلام الصـــراع فيهــوي الغــرور ونبــدو حقيقــة

مـع الليــل أســأل قلبــي الحــزين لمـــاذا تعــيش بظـــل التمنـــي

وكيــف عشــقتَ الــذي لــن يكــون ومــا أنــا منــه ولا هــو منــي ؟

فيهتـــف قلبـــي صـــخوب الــدمِ أنـــــا لم أشـــــذ ولم أجـــــرم

لمـــاذا ريـــاح الشـــمال تجــوب خــلال الزمــان

وفي ســـيرها تلتقـــي بـــالجنوب فيعتنقـــــان ؟

لمـــــاذا يظـــــل غـــــيم أفـــــق ويحنــو عليــه؟

يلبـــي الشـــروق نـــداء الغســـق فيمضــي إليــه ؟

تعربد شمس الضحى فوق نهر حزين؟

تنام طيور الفضاء بجوف الغصون ؟ .... لماذا؟

ويصـــــمت قلبـــــي ولم أكمـــــلِ فمــا زلــت أخفــي اعترافًــا خطيــر

مريــــر المــــذاق وكالحنظـــــل ولكـــن عليـــه الحيـــاة تســـير

أيــا قلــب يــا أفــق ذاتي المضــيء أراك وإن كنـــت تبـــدو حنونًـــا

تحــس بــبعض الشــعور الــدنئ فتحقــد حينًــا وتحســد حينًــا
فــإن كنــت أنــت الأبــي الطهــور تحــس وترضــى بهــذا الشــعور
فكيــف بقلــب شــقي حقيــر ومــاذا بعمــق دجــاه يــدور؟
وإن كانــت القــدم الطــافرة تمــد الشــرور لهــا مرقــدًا
فكيــف بتلــك الخطــى العــاثرة وأي انــدفاع لهــا أو مــدى ..؟
ولكــن قلبــي يــرد الســؤال إذا كنــتُ أحقــد أحســد حينًــا
فنــادى إلهــك رمــز الكمــال لمــاذا خلقــتَ التنــاقض فينــا؟
لمــاذا خلقــت القلــوب الكبيــرة حقيرة .... حقيرة .... حقيـرة ..؟

▪▪ أشجار البلوط

مترجمة عن العبرية

همستْ إليَّ ... متأرجحة في ظهر صيف مضطرم

«ماذا ترى ؟ هو ذا الثرى ! وكياننا الممتد

في ظل حنون ...

أو لا تحسهما ضريحًا قائمًا ...

وجُد لينتزعا المتاعب والشجون ؟

فاقربهما ... أطفئ لهيبك في رطوبة أرضنا

يا عنصر الدم الصخوب ...

لتمتْ ! أجل موتًا حقيقيًا أكيد

موتًا يصاحبه السكون

كم مرة في اليوم أنت تموت من ألمٍ

وتُبعث من جديد ... !

سنقيم منك وليمةً متوزعة ....

النصف للديدان والثاني ... لنا

لغذائنا ... وتستطيع غدًا ... غدًا

أن تُبتعثْ ... في زهر

ةٍ من روضنا

في أي ركنٍ بالدنى ...

فبكل شيء ... من كل شيء ...

تسري الحياة بلا انتهاء ... فتعال لا تخش الفناء

برّدْ دماءك في رطوبة أرضنا

يا عنصر الدم ... يا لِحْم !

وكذا أسرت في حنان ... أغصانها المتأرجحة

متوسلات بينما ...

تلك القبور ... ظلت تحدّق صامته ؟

▪▪ حان وقت الرحيل

ودجـا الليــل والعجــوز تعــاني عــبء ذكــرى شــبابها المنكــود
ومضى الحارس الغليظ : «حان وقت الرحيـل يـا أنـت ... عـودي!»
وانثنــتْ تهــبط الســلالم في صــمتٍ وتطــوي دروبهــا المجهولــة
وطيــوف الــرؤى تعيــد إليهــا ذكريــات كئيبــةً وجميلــة
يــوم كانــت ـ بأمســها ـ زهــرةً يانعــةً بــين فتنــةٍ وتــدلل
علّمتهــا الحيــاة كيــف تثيــر الوجــد في مهجــة الرجــال وتشــعل
يــوم أن كــان حلمهــا البكــر تحظــى بنبيــل يغــدو لهــا كشــريك
فإذاهــا في لمحــة العــين تُختــار عروسًــا وزوجــة للمليــك

***

ومضــت فتــرةٌ تقــدَّر بالعــاملين مــرًّا عــلى جنــاح الريــاح
في ظــلال الحنــان والحــب والمجــد وفي موكــب مــن الأفــراح
وعــلى حــين بغتــةٍ شــبَّت الثــورة كالنــار في قلــوب الرجــال
فــإذا الشــعب نــاقمٌ ضــاق بالتــاج عــلى رأس خــائن محتــال
حــول أســوار قصــره طــاف كــالموج صــخوبًا مجلجــلًا منثــورًا
إنــه بارتطامــه بالصــخور الصــم هيهــات أن يمــل الهــديرا

وإذا الـــزوج في العشـــيَّة قـــد فـــرَّ وظلـــت عروســـه بالـــدار
تنقــذ التــاج للنهايــة أو تبقــى عــلى عــرش طفلهــا المنهــار
بيــد أن الســاعات كانــت ســجلًا مــن بنــان الهــزائم الموصــوله
خضـع الجـيش في رضـاء وأرخـى حـرس القصـر كـل عـزم وحيلـه
ودجـا الليـل والمليكـة مـا زالـت تعـاني طوائـف الـذكريات
ومضـى اليـاور الأمـين ينـادي : «حـان وقـت الرحيـل يـا مـولاتي!»

***

وانثنـت تهـبط السـلالم في صـمت وتطـوي دروبهـا مخذولـة
نحـو منفـى الـذين ينسـون يومًـا مـا لشـعبٍ مـن الحقـوق الأصـيلة
غيـــر أن الزمـــان لم تكفـــه مأســـاتها بـــين غربـــة وشـــقاء
بـل طـوى الـزوج والوليـد سـويًا في دجـى المـوت ، في قبـور الفنـاء
وتكـــر الأعـــوام في ســـأم ، في عزلـــة لا تـــرى ســـوى الأشـــباح
وســـوى الـــذكريات تـــنهش جنبيهـــا وأعبـــاء عمرهـــا والجـــراح
وإذا الزهـــرة النضـــيرة تـــذوي ويجـــف الشـــذى بمـــر الزمـــان
نسـى النـاس مـن تكـون ومـن كانـت وغـاب اسـمها عـن الأذهـان
وتـــراءت لهـــا الحيـــاة كصـــفحات كتـــاب وشـــيكة الانتهـــاء
لحظـة ... ثـم تختفـي مثـل حلـم في دجـى الليـل مثقـل بالبكـاء

***

واعتراهـــا الحنـــين كالنـــار يمضـــي بخطاهـــا لمـــوطن أصـــلي
حـين لبـت وفي يـديها جـوازٌ خُـطّ باسـم غيـر اسـمها الشخصـي
هـا هـي اليـوم في الطريـق إلى عاصـمةٍ غـاب شـكلها والمعـالم
إذ كسـاها العمـران كـل طريـفٍ في المبـاني وفي الريـاض البواسـم
في دروب بـالأمس كـم وقـف الشـعب وحيًّـا مرورهـا ثـم حيّـا
نحـو قصـرٍ قـد ضـمَّ ملكـين حينًـا فغـدا اليـوم متحفًـا شـعبيًا
هـا هـي اليـوم في حنايـاه تخطـو وتنـاجي أجـواءه الزاهيـات
كلـــه ! كلـــه ملـــئ بـــذكراها ولكنـــه عـــديم الحيـــاة
الفـراش الـوثير ! والمقعـد الحـاني ! وحتـى مرآتهـا المصـقولة
أترى تعكس الجمال كمـا كانـت ؟ تـرى تعكـس العيـون الكحيلـة!
أم تراهـــا كـــذلك القـــدر القاســـي عليهـــا عنيـــدة شـــريرة
لا تراعـي الشـعور والحـس ، لا تخفـي تجاعيـد وجههـا المحفـورة

***

واســتقرت هنــاك قــرب جــدار قــد تحــلى بلوحــة زيتيــة
مثلتهـا وقـد أحاطـت بهـا بعـض الحسـان النبيلـة الملكيـة
ومضــت تمعــن التأمــل فيهــا ولهيــب الحنــين مــلء دماهــا
تبصـر الفـن كيـف يـدخر الـذكرى ويبقـى عـلى ازدهـار صـباها
وتنـاهى صـوتٌ إليهـا لطيـف كـان يرنـو ـ وراءهـا ـ للصـورة
صـاح : مـا أجمـل المليكـة ويحـي ! تلـك كانـت جنيـةً مسـحورة
فـإذا الشـك يحتـوي روحهـا ويمحـو حلامهـا المبهـورة
أو حقًّـا ؟ أجـائز مـا تـراه ؟ أتراهـا هـذي الفتـاة النضـيرة؟
ودجـا الليـل والعجـوز تعـاني عـبء ذكـرى شـبابها المنكـود
ومضى الحارس الغليظ ينادي : حان وقت الرحيل يا أنـت ! عـودي!
وكمـا جـرت الخطـى ذات ليـل حـين فـرت مـن قصـرها مخلوعـة
طأطـأت رأسـها الصـغير بجهـد وهـي تنسـاب كالخيـال مطيعـة
وانثنـت تهـبط السـلالم في صـمت وتطـوي دروبهـا المجهولـة
وطيـوف الـرؤى تعيـد إليهـا ذكريـات مـن الهمـوم ثقيلـة

▪▪ سيدي

قــد كـــان قلـــبٌ كنهـــرٍ حــــالمٍ ... لم يعتكـــر بـــالريح أو يتجعـــد
كالهيكل النائي المضيء بلا صدى ... وبغيــر طيـــفٍ ســـاجدٍ متعبـــد
وكقلــب غــابٍ في هــدوء مســائه ... مــن قبـل أن تأتيـه عاصـفة الغـد
قــد كـــان قيثــارًا تراخـــى حســه ... أوتـــــاره الصـــــماء لم تتـــأود
حتـــى رأيتـــكَ لم أعــد أدري ســـوى ... أني انتظرتـك منـذ سـاعة مولـدي
لم أدر مـــاذا قلـــت أو قـــال الهـــوى ... لكن لمستُ حنـان كفّـك في يـدي
قــد تعجــز النجــوى ورب إشـــارةٍ ... جــذبت عنيــدًا للهــوى المتوقــد
يـــا للهـــوى ! حــدثٌ صــغيرٌ تافــهٌ ... صــنع الحيــاة وقادنــا كالمرشــد
فــــإذا أنــــا كشــــجيرةٍ رفافــــةٍ ... غنَّــت بهــا الأوراق للفجـر النـدي
وتكـــاد مـــن فـــرج تطيــر غصــونها ... من غيـر مـا هـدف لهـا أو مقصـد
وإذا أنــــا دوَّامــــةٌ صـــــخّابةٌ ... في عمــق بحــرٍ بالمشــاعر مزبــد
حتى إذا اخترقـت عيونُـكَ مهجتـي ... أيقنـتُ أنـك رغـم أنفـي سـيدي!

▪▪ الدجاجة

باســـــم الإلــــــه ! باســـــم الصـــــليب !

ويـــروح يـــذبحها في كفيــه عـــزم لا يلـــين

فترفـــرف المســكينة اللهثـــى وتهمـــد في ســكون

رحمــاك يــا ربــي وأنــت لنــا الــرحيم الأكبــرُ !

رحمــاك ! هــل هــذي الدجاجــة حــين تــذبح تشــعر ؟

عفـــوًا فكـــم ســـألتك نفســـي في عنـــاد حـــائر

مـــا ســـر حكمتـــك الرهيبـــة في عـــذاب الطـــائر ؟

أيقنـــتُ أن لكـــل فـــردٍ في الوجـــود هنـــا نهايـــة

أيقنـــتُ أومـــن أنـــه في كـــل مـــا ســـددت غايـــة

أيقنـــتُ أن جزاءنـــا يـــا رب مـــن جـــنس العمـــل

أن انتقامـــك لا يحـــد وأن عفـــوك مكتمـــل

لكـــن مـــا ذنـــب الضـــعيف وذنـــب طيـــر أبكـــمِ

مـــا ذنـــب روح في الوجـــود بريئـــةٍ لم تـــأثم

مـــا ذنبهـــا حتـــى تعـــيش عـــلى اشـــتهاء بطوننـــا

ألأجلنـــا يـــا رب حللّـــتَ «الحـــرام» لأجلنـــا ..؟

▪▪ إلى كلبتي

تعترينا أحيانًا فترات من اليأس تنقلب إلى سخرية
واستخفاف بأدق مشاعر الحياة

موتي ! فما العيش من نعم — «بيجو» وما حوت الدنى خير
إني أراك اليوم ساكنةً — أنتِ التي لم تعرفي الصبرا
وأراكِ تنتفضين من ألمٍ — وقد انكمشتِ ذليلةً حيرى
وكأنما تخشين واعجبي — الموت ! وهو الراحة الكبرى
موتي ! فإن العمر مهزلةٌ — مثلتها وأمثل الدورا
ها قد شربت أكلت في نهم — هل في دناك رغائب أخرى
سخر الزمان بنا فأوجدني — وحملت أنت العبء والوزرا
إذ عشتِ طول العمر راهبةً — من غير خل يبعث الذكرى
ماذا؟ أكنتُ أراك سادرةً — في الحب ترتشفينه سكرى
وأنا ؟ أنا الحرمان يقتلني — وأعب طي كؤوسه المرا
موتي ! فلِمْ تتلكئين هنا — أهناك ما يستأهل العمرا؟
نعمُ الحياة جميعها فقدتْ — فعلام تبقى السلوة الصغرى ؟

***

مــوتي ! فــإن حياتــك انطفــأت ... منـــذ ابتـــدأت هنـــا تعيشـــينا

مــن يــوم جئــت هنــا «مقطفــة» ... كالأرنـــب البـــرى تجرينـــا

مـــن يـــوم أن شـــاركتِ عابثـــةً ... «بوســي»[7] هــوى بــاللهو مفتونــا

عضعضـــتها ونزعـــت شـــاربها ... وقرضـــت فـــروة ذيلهـــا حنينًـــا

وهـــي التـــي عاشـــت مدللـــةً ... وكأنهـــا ملـــك يـــدانينا

صـــينيةٌ وفـــدت عـــلى بلـــدي ... وأتـــى إليّ بهـــا المحبونـــا

أكرمتهـــا ولكـــم نكـــرم في ... وطنـي الغريـب وإن يكـن «دونـا»

لكنهـــا كـــالبعض واعجبـــي ... عشــقت وكــم عشــقت فراعينــا

ومضــت كمــا تمضــي الحيــاة بنــا ... فعـــلام أنـــت اليـــوم تحيينـــا؟

---

(7) بوسي : قطة صينية .

▪▪ الهوى المفقود

إني افتقــدتكَ لم أجــد لــك في الفــؤاد هنــا مكانًــا

وظللــت أرهــف مســمعي لم أســتمع لصــدى هوانــا

ومضــيت أختــرق الــدجى وأطــل مــن خلــف الــدموع

عــلى أشــاهد ومضــةً رفافــةً خلــف الضــلوع

فــإذا الــدجى والصــمت ضــما بــين جنبــي الهوانــا !

***

وخرجــت مــن تيــه الفــؤاد إلى متاهــات الحيــاة

ومضــيت أســتبق الخطــى وأمــر عبــر الــذكريات

ومضــى الخيــال يعــود بــي نحــو الســنين الماضــية

قلقًــا ، يفــتش عنــك في أنحــاء ذاتي الخاليــة

متســائلًا : هــل كنــتَ حلمًــا قــد تخلــل أمســياتي؟

***

حتــى رأيتــك مقــبلًا في درب غربتــي الحزينــة

في عمــق روحــك أنــةٌ تحتــاج أطيــاف الســكينة

وعــلى شــفاهك بســمةٌ حيــرى ولحــنٌ ينتحــب

والكبريــاء تفــيض في ضــوء وإشــراقٍ عــذب

وبناظريــك تجــول أشــواقٌ مؤججــةٌ دفينــة

***

فمــددتَ ... مــن منــا أجــاب هــواه؟ مــن مــد اليــدا؟

مـــن راح في ترنيمـــة الأطيـــار يخفـــق منشـــدا؟

مــن كــان أول مــن أحــس دمــاه تلهــب في الخفــاء

مــن ضــم ســاعد إلفــه ومضــى بــه نحــو الضــياء

أتــراك أنــت؟ تــرى الهــوى؟ أم كــان قلبــي مرشــدًا؟

***

وتعثـــرت أقـــدامنا بالشـــوك حينًـــا والصـــخور

ودهـــت صـــواعق دهرنـــا منـــا الجـــوانح والصـــدور

والـــريح تـــزأر حولنـــا وتعضـــنا نـــاب القـــدر

والرعـــد فـــوق رؤوســـنا والمـــوج يهـــدر والمطـــر

وعـــلى الـــدروب تمـــددت كتـــل الدجنـــة كـــالقبور

***

لكننـــا ســـرنا ... وفي أعماقنـــا روح الرضـــاء

نشـــدو ونلهـــج بـــالهوى متجمعـــين عـــلى الوفـــاء

الليـــل حـــول عيوننـــا فجـــرٌ وأضـــواءٌ نقيـــة

وشـــتاؤنا الممتـــد أزهـــارٌ وأنســـامٌ نديـــة

وصـــفير قـــاطرة الريـــاح نـــداء أطيـــار الفضـــاء ..!

***

لكننـــا ســـرنا وفي أعماقنـــا نبـــع الســـرور

روحـــين عانقتـــا الضـــياء عـــلى مويجـــات الأثيـــر

متراقصـــين عـــلى أغـــاني الفـــن شـــوقًا واضـــطرامًا

متمـــايلين عـــلى ارتعـــاش اللحـــن زهـــوًا وانســـجامًا

متضـــخمين بعطرنـــا الممـــزوج مـــن طهـــرٍ ونـــور

***

حتـــى إذا انتصـــف الطريـــق رأيـــت ظلـــك ضـــائعًا !

ولمحـــتُ طيفًـــا آخـــرًا يعـــوي ويـــزأر جائعًـــا

في عينـــه ظمـــأٌ تســـلل منـــه ومـــضٌ كاللهيـــب

متوثبًـــا يرنـــو إليَّ بنظـــرة الـــذئب الرهيـــب

متوقـــد الشـــهوات منطلـــق الرغائـــب ... تابعًـــا !

***

فمضيتُ أسأل أيـن أنـت وأيـن طيفـك ؟ هـل يعـود؟

وطفقـت أبحـث عنـك في لهـف وأحـدق في شـرود

وظللـت أختـرق الـدجى وأطـل مـن خلـف الـدموع

عـلى أشـاهد ومضـةً تهتـز خلـف دجـى الضـلوع

فـإذا الظـلام مغلـفٌ والصـمت منتشـر مديـد

***

ثــم انتبهــتُ فــإذ أنــا بــالأمس ... بــالأمس القريــب
واريــتُ نعشــك أضــلعي في ركنــه الــدامي الرهيــب
إذا هلــــتُ فــــوق الجثـــة النكـــراء أتربـــة الفنـــاء
وعـــلى ضـــريحك قـــد كتبـــت بالاحتقـــار وبالجفـــاء
«مــات الــذي خــدع الهــوى» لم يحتــرم طهــر الحبيــب

▪▪ النواء

انتهينا .....

انتهـــى الـــدرب الـــذي منـــه أتينـــا

إن نكـــن نبغـــي مزيـــدًا مـــن هوانـــا

لِـــمَ أرهقنـــا عـــلى الـــدرب قوانـــا؟

لِـــمْ فقـــدنا فيـــه روحًـــا وكيانًـــا

لِـمَ لَـمْ نمـش الهوينـا ... ؟ لِـمْ جرينـا ..!

ما علينا

حينمـــا جئنـــاه يومًـــا والتقينـــا

لـــو نســـينا أن في الـــدرب ســـوانا

قـــد طـــواه ثـــم لم يلـــق الهوانـــا

لـــو تـــذكرنا ضـــحاياه الحزانـــى

انتهـــوا منـــه كمـــا نحـــن انتهينـــا ...

انتهينا

أيـــن نمضـــي والـــدجى في ناظرينـــا

أي إعصـــارٍ وثلـــجٍ في دمانـــا

وفـــراغٍ هائـــلٍ ضـــمت يـــدانا

إن نكـــن نبغـــي لقلبينـــا الأمانـــا

لِـمْ تركنـا الـدرب حـرًا ... والتوينـا ؟

▪▪ المرأة والحب

«زوزو» سيدة أجنبية ظلت جارتي عدة أعوام وافترقت عنها ، بلغني أنها هجرت زوجها وطفليها وأحبت غيره ، وفي الطريق العام قابلتها حطامًا وطللا ... لم أعرفها وبادرتني بالتحية ، قلت لها عاتبة : ماذا فعلت ؟ أجابت ....

أنـــــا مجرمــــــة ..... أنـــــا مجرمــــــة ...
رحمـاك يـا أختــي الحبيبـة لا تكـوني ظالمـة
هم يجهلون وأنت أدرى الناس أنـت العالمـة
أنا في خضـمِ ... في خضـمِ مـن دمـاء مضـرمة
طفلاي يعتصـران قلبـي والهـوى قـد حطمـه
أمسيتُ في عين الصـديقات القـدامى مجرمـة
وغــدوتُ في حلـق العجـائز بصـقة متبرمـة
وعــلى فــم الطرقــات غنــوة صــبيةٍ مترنمــة
وعــلى جبــين أبــي بــدوت حفــائرًا متقحمــة
وبنــاظري أمــي خيــالًا مــن قبــورٍ مظلمــة
وبخــاطري طفــلي ذكــرى صــورةٍ متهمشــمة
من أي شيء قد خُلقتُ ؟ ومن أنا؟ أنا مجرمـة
أنـــــا مجرمــــــة ..... أنـــــا مجرمــــــة

***

مـا ذنـب هـذا الـزوج حتـى أسـتبيح تألمـه
وأنـا التـي كـم عشـتُ في أحضـانه متنعمـة
ووهبتـه طفلـين قـد بهـرا سـماه وأنجمـه
لا ! لـيس لي مـاضٍ ولا ذكـرى تهـوم حائمـة
قـدري تخيـر لي الطريـق فجئتـه مترسـمة
هل كان في المقدور أن أخفـي هـواي وأكتمـه
وأصـد قلبـي عـن هـواه أصـمه بـل ألجمـه
وأصيح يا قلب ابتعدْ هـذي الـدروب محرمـة
هل كان في المقدور أن أهب الهـوى وأقسـمه
وأعـيش في كنـف الخديعـة حـرةً ومعظمـة
حاشا ! فإن العار أهون لي ... ولسـت بنادمـه!
أنـا مجرمـة ...... أنـا مجرمـة

***

أهـواه يـا أختـي وأعبـده عبـادة مغرمـة
أنـا مـن أنـا ؟ أنـا آلـةٌ في كفـة مستسـلمة
قد بعتُ روحـي للشـياطين التـي ترعـى دمـه
هولي أنا .... وحدي أنا فإذا مضى لـن أرغمـه
بـل سـوف أحتضـن الـردى وأضـمه متبسـمة
لا لسـت أبغـي اليـوم إلا أن أعـيش وأنعمـه
ومضـت وفي خطواتهـا أنـات روح هائمـة
ووجدتني وحدي على الدرب الفسيح متمتمة
«حقًا فـإن حياتهـا للشـعر تصلـح ملحمـة!»

▪▪ مهزلة القدر

«رثاء إلى كل فنان كرم بعد موته عسى أن
يصل إلى آذان من يفتلون الكحك بعد العيد»

نم يا أبي النفس مغتبطًا ... لا تحسد الأحياء في النشر
عانيتَ ما عانيتَ من ألمٍ ... لم تجن غير المكر والغدر
وسهرت والدنيا موسدةٌ ... لم ترع حق الجسم والفكر
تجتاحك الأقدار ساخرةً ... وتضج كالمسجون في الأسر
فالنفس تشقى من مشاعرها ... ولئن بدت موفورة البشر
أرخصت شدوك للأنام وقد ... أفرغته في مسمع الصخر
كحلتهم بالنور فانصرفوا ... كالعُمى بين مهامه القفر
حتى إذا أغفيت منهزمًا ... وطويت صفحة ذلك السفر
جاؤوا على عجل ومغفرةٍ ... ليقدموا لك أمجد النصر
كالشهب إن تسقط تشع سنى ... وكذاك حال الشاعر الحر
نمْ يا أبي النفس مغتبطًا ... اليوم تبلغ غاية الفخر
فالموت للفنان مكرمةٌ ... تحميه من ظلمٍ ومن قهر ...!

▪▪ أمنيات

ليـت لي مرفـأ بـي يحتمـي حسـي إذا ثـار أو أفـاض عبابـه

ليت لي خبـرةً بكـل لغـات الأرض أتلـو بهـا الـورى وكتابـه

فــأرى حلــم زهــرة تتخفــى وأرى عــين نــرجس مرتابــة

وتصـير الجبـال والبحـر والآفـاق يومًـا لنـاظري أهدابـه

ليت للقلب بين ألف صديق مخلصًـا واحـدًا يواسـي عذابـه

ليت عبد النفـاق يصـبح حـرًا وسـجين الغـرور يحطـم بابـه

والخفافيش تسـتجيب لمـرأى النـور والغـاب يسـترد ذئابـه

وتوابيـــت حقـــدنا تتهـــاوى وأزاهيـــر حبنـــا تتشـــابه

ليت للعـين أن تقـاوم سـحر العـين للقلـب أن يحـد رغابـه

ليــت قلــب الفــراغ يملــؤه الله بحــب لذتــه ... ومهابــه !

▪▪ صلاة الفجر

يـــا رب أعـــط الســـائل المحـــروم أســـباب الســـرور

وامـــنح لكـــل مشـــردٍ ركنًـــا موشـــى بـــالحرير

أطفـــئ وقـــود الحـــرب في الـــدول المؤججـــة الســـعير

وامـــح الضـــغينة مـــن فـــؤاد الـــذئب للحمـــل الصـــغير

وعـــلى جبـــين الكـــون ضـــعْ قُبـــل المحبـــة والضـــمير

يـــا رب هـــب للـــروض بهجتـــه وللزهـــر العبيـــر

والعـــش للعصـــفور والهمـــس المـــنغَم للغـــدير

وعـــلى فـــراش الأم أطلـــق ضـــحكة الطفـــل النضـــير

امـــنح جميـــع الكـــون أســـباب الســـعادة والســـرور

وأنـــا؟ أنـــا يـــا رب جـــزءًا مـــن هـــواك ومـــن ســـناه

مـــا دمـــت أنـــت تحبنـــي مـــاذا أريـــد مـــن الحيـــاة ؟

***

يـــا رب إنـــك ســـيدي لـــك تنحنـــي كـــل الجبـــاه

عرفتـــك روحـــي في الضـــياء وفي الجمـــال وفي شـــذاه

عرفتـــك ربًـــا كـــاملًا فـــوق الكمـــال ومـــا عـــلاه

يـــا رب إنـــك نبضـــةٌ هـــي وحـــدها قلـــب الحيـــاة

فلأمتـــزج بـــك مثـــل قلـــب نـــابض تســـري دمـــاه

لأكـــنْ كجـــذعٍ ثابـــتٍ في روض خلـــدك ، في ثـــراه

لأكـــن هشـــيمًا محرقًـــا مـــن نـــار حبـــك ، مـــن لظـــاه

لأكــــن كعشــــبٍ غــــارقٍ وســــط البحيـــرة ، في الميـــاه
تُغنيــــــه كثـــــرةُ مائـــــه ويُميتنـــــي حــــــب الإلـــــه
مـــا دمـــت أنـــت تحبنـــي مـــاذا أريـــد مـــن الحيـــاة !

***

يـــا رب إن شـــئت التعاســـة لي وإن رمـــت الشـــقاء
إني عـــلى الحـــالين راضـــيةٌ بمـــا حكـــم القضـــاء
دع قلبـــي البشـــري يشـــعر بالتجـــارب والعنـــاء
فلـــرب إن أكرمتـــه يـــأبى القناعـــة والرضـــاء
دعنـــي أحـــس تفـــاهتي إن الغـــرور هـــو الـــبلاء
مـــاذا يهـــم إذا أنـــا أشـــقى عـــلى أرض الفنـــاء
مـــا دام رأســـي قـــد تطـــاول خلـــف ســـجني في إبـــاء
ورآك ظـــلًا قائمًـــا حـــول التعـــزي والرجـــاء
مـــا دمـــت أســـقي حقـــل حبـــك بالـــدموع وبالبكـــاء
مـــا دمـــت أنثـــر شـــعلة الإيمـــان في أفـــق الســـماء
لتكـــون أنجمـــي التـــي تغـــزو فـــؤادي بالضـــياء
أمـــنح جميـــع الكـــون أســـباب الســـعادة والهنـــاء
وأنـــا؟ أنـــا يـــا رب جـــزءًا مـــن هـــواك ومـــن ســـناه
مـــا دمـــت أنـــت تحبنـــي مـــاذا أريـــد مـــن الحيـــاة ؟

▪▪ اعطني حقي

مـا تـراه الحـب ؟ مـا كنـه الهـوى؟ أي دنيـا فيــه تبــدو لي مهيضــة
أيــن يــوم كنــت أهفــو نحوهــا فــإذا بــي بــين أحضــان عريضــة
إنهــا اليــــوم خيــــالٌ باهـــتٌ وبقايــا مــن أحاســيس مريضــة
أنــت قــد أنســيتني معنــى الهــوى حينمــا أقســمتُ أني لــن أخوضــه
أنــت قــد أســدلت حــولي ســتره آه كــم اشــتاق أن أجلــو غموضــه!

***

كلمـــا أصــغى إليَّ ذكــر الهــوى وأرى الحــب شــمالي وجنــوبي
تغمــــر الوحشــــة قلبـــي وأرى أي فــرق بــين قلبــي والقلــوب
آه مــن حرمــان قلــب مــن هــوى وافتقاد الحس إحسـاس الشـبوب
قد نسيتُ الحـب مـن فـرط النـوى أي ســر فيــه خــافٍ وغريــب؟
آه دعنـــي يـــا حبيبـــي أجـــتلي مــا الــذي بــين حبيــب وحبيــب !

***

أنــت قــد أنســيتني طعــم الهــوى حــين يســري مــن شــفاه لشــفاه
أهــو حلــوٌ؟ أهــو مــرٌّ؟ كيفمــا كــان إني أشــتهي طعــم الحيــاة
أشــتهي التيــه الــذي يــا طالمــا ألمــح النــاس حيــارى في دنــاه
أشــتهي الســحر الــذي في كونــه حينمـــا يبلـــغ حـــسٌ منتهـــاه
إنــــه حقـــــي وإن مُلْكتَــــه أعطني حقي ! فماذا أبغـى سـواه!

▪▪ اللحن الناقص

بــــالأمس في ظـــل الربيـــع نســـيت أني في الربيـــع

فغفلــت عــن نجــوى الطيــور وعــن أزاهيــر الربــوع

وعـــن الســـنا الوضـــاء والأحـــلام والعطـــر البـــديع

وبقيــت في ركنـــي الصـــغير أعـــيش في دنيـــا الـــدموع

ومضـــى الربيـــع ولم يطبـــب لي جراحـــات الضـــلوع !

***

حتـــى أتيـــت مـــع الشـــتاء مـــدفئًا جحـــري الحـــزين

وكـــأن أضـــواء الصـــباح تنيـــر جـــدران الســـجين

وكـــأن شـــطًا ضـــاحكًا قـــد ضـــم أطـــلال الســـفين

فـــإذا الفـــؤاد عـــلى نـــداء الحـــب يخفـــق في حنـــين

ويـــؤج منـــتفض الجـــواب كانتفاضـــات الجنـــين

***

حتـــى أتيـــت ولم يكـــن لي في طريقـــك مـــن مكـــان

مـــاذا أردتَ؟ ولِـــمْ أتيـــتَ؟ لأي أمـــر أي شـــان؟

لم تعـــرف الألم العتـــي ولم تـــذق طعـــم الهـــوان

لا لم تكـــن يومًـــا شـــريد القلـــب محـــروم الحنـــان

لكـــنْ أراد الله والقـــدر المســـير والزمـــان

***

وقبعـــتَ كالحمـــل الوديـــع عـــلى ســـفوح الرابيـــة

لم تـــدر مـــا ســـر الليـــالي الشـــاديات ومـــا هيـــه

غابـــت وأنـــت فـــررت مـــن أجـــوائهن الزاهيـــة

لتعـــيش بالأمـــل الشـــقي وبالـــدموع الجاريـــة

متقاســـمًا بينـــي وبينـــك كـــأس حـــب خاويـــة!

***

وهنـا فقـدتك عـن هـذا البيـت مـن هـذي القصـيدة

إذ ســطر الــزمن العجــول نهايــة الحــب الشــهيدة

وعــلى تفاهــات الحيــاة تحطمــت مُثــل مشــيدة

ومضيت أبحث عـن بقايـا اللحـن في روحـي الشـريدة

أيكـــون ذاك ختامـــه؟ أبـــت الأمـــاني أن تزيـــده؟

▪▪ الليل عندي

في الليل إذ يـدفق التـدفق في جـوف الفـراغ الأصـم ، في العـدم
في الليل إذ ينطوي مدى الحركات يصبغ المـوت لـون كـل فـم
في الليـل إذ يسـتريح نـاظره إلا مـن الليـل مـن دجـى الظلـم
الليــل عنــدي نــداء آلهــةٍ مخنوقــةٍ في لفــائف الســدم
الليـل دنيـا تحـوي مشـاغلها مثـل النهـار اليقظـان لم تـنم
ومثلـه عربـدت مشـاعرها لم تطـو غيـر الـدروب والقـدم
الليــل ! يــا للــدجى مغــامرة مليئــة بــالوعود والكــرم
أخـبط في جوفـه محلقـةً في سـجن الطـائر المحـيط دمـي
وأنثنـي كائنًـا يحقـق أوهـام الـرؤى في حقـائق الحلـم !

▪▪ عيد الأم

سـلُوا قلـب الأمومـة إذ تجـلى ... يرفـرف بالأمـاني مسـتظلًا

أذلـك ضـوؤه أم ذا شـذاه ... أم العيـد الـذي وافى وهـلًا

فتـى الأوطـان كـن حـرًا أبيًّـا ... ولا تنكـر لمـن ربتـك فضـلًا

تنـام ومـلء جنبيـك الأمـاني ... بـأجواء مـن الأحـلام جـزلى

ويثنيهـا الحنـان عليـك يقظـى ... فتسـهد لـن تمـل ولـن تكـلا

عـلى المهـد الحبيـب تمـد كفًّـا ... وتبسـط كالشـراع عليـك ظـلًا

إذا ناديـت لبـتْ في خشـوعٍ ... ولم تـر في هـواك الـذلَّ ذلًا

بـدونك تسـتوي الـدنيا لـديها ... وتغـدو شمسـها في العـين لـيلًا

فـإن ملكـت كنـوز الأرض طـرًّا ... فمـا حملـت كـأغلى منـك حمـلًا

وإن مسـتك أحـداث الليـالي ... تلقفـت الأسـى مـن حيـث حـلا

فيـا قلـب الأمومـة يـا جبـالًا ... مـن الأعبـاء أنـتَ ولسـت تـبلى

ويـا نبـع الحنـان ويـا غـديرًا ... ترقـرق بالشـذا طهـرًا ونـبلا

خطـرتَ عـلى قلـوب مـن وفـاء ... فـأهلًا يـوم عيـد الأم .. أهـلًا !

▪▪ ذكرى لقاء

يــا حبيبــي كــان التلاقــي عيــدًا فتمنيـــتُ كـــل فـــرد ســـعيدًا

كـــان ذاك اللقـــاء في ركـــن روض لم تـــر العـــين حســـنة مشـــهودا

وتلاقـــت عيوننـــا فـــذهلنا إذ ضـــممنا رجاءنـــا المنشـــودا

وتوالـــت عـــلى العيـــون طيـــوفٌ مـــن أمـــانٍ تواصـــل التجديـــدا

آه مـــن لمســـة الأنامـــل تســـري في كيـــاني فينثنـــي عربيـــدًا

آه مـــن .... آه منهـــا إن فيهـــا الفنـــاء فيهـــا الخلـــودا

إن في الحـــب عالمًـــا لـــيس منـــا شـــاء ربـــي عـــلى الـــورى أن يجـــودا

وتســـاءلتَ : مـــا الـــذي بـــي يســـري ولِـــمَ الصـــمت ضـــمنا معقـــودا

قلـــت : لا شـــيء غيـــر أني أمضـــي في سماء الهوى وأطـوي الحـدودا

أنـــتَ علمتنـــي الطمـــوح وألهبـــت خيـــالي المقيـــد المشـــدودا

صرت أهوى الضـباء في كـل شـيء وأراه المهـــيمن الممـــدودا

فترهفـــت بالشـــعور مـــن الحـــب وطهـــرت قلبـــي المعمـــودا

ولمست الحنان والعطف في الكـون وفي النـــاس تافهًـــا ومجيـــدا

في انســـياب الغـــدير في أنـــة الغصـــن إذا اهتـــز بالريـــاح شـــهيدا

في المـــواء الكســـير للقـــط في نبحـــة كلـــب طـــوى النهـــار شـــريدًا

وعجيـــب أن ألمـــس الحـــب في قلبك أنـت الـذي يصـب جحـودا

فتـــراءت لي الحيـــاة جمـــالًا وضـــممتُ الوجـــود والموجـــودا

ونســـيت الفنـــاء والظلـــم والحقـــد ومـــن كـــان للهنـــاء حســـودا

▪▪ الحاكم والرعية

في عصـــر يـــوم بـــديع بـــين الربـــى والربـــوع
تحـــت الغصـــون الشـــذية
مشـــى أميـــرٌ كـــريم عـــفٌّ أمـــينٌ حكـــيم
الـــنفس فيـــه أبيـــه
وراح يمضـــي خفـــاء ويصـــحب الرفقـــاء
في نزهـــــةٍ صـــيفية
فجـــاع والقـــوم جـــاعوا وفتشـــوا مـــا اســـتطاعوا
عـــلى ثمـــارٍ هنيـــة
حتـــى رأوا عـــن قريـــب عبـــر الطريـــق الرحيـــب
حديقـــــةً أهليـــــة
فحوطوهـــا جميعًـــا وهاجموهـــا ســـريعًا
بلهفـــــةٍ وحميـــــة
فـــإذا بصـــوتٍ رهيـــب صـــوت الأميـــر الحبيـــب
في صـــيحة ناريـــة
إن صـــرتُ لصًّـــا حقيـــرًا ولم أراع الضـــــميرا
لغايـــــة نفســـــية
مـــاذا ســـيفعل بعـــدي شـــعب يمثـــل مجـــدي
وكيـــف تغـــدو الرعيـــة؟

▪▪ الجبال

«مترجمة عن الفرنسية»

كشف الفجر عن وجوه الجبال ... طاردًا وحشة الدجى والظلال
فتراءت بعيدةً ذكرتني ... طول بعدي عن مأربي ونوالي
يا لهذي الجبال تشبه حبي ... عاليات كطيفه المتعالي
قممٌ فوقهن قلبي أسرى ... وتلاقت رغائبي ونضالي
وأصولٌ من الوفاء تبدتْ ... ثابتات على مدى الأجيال
وسهول بها الينابيع تسري ... صافيات كدمعي السيال
إن هذي الرياح أنفاسي اللهثى ... وهذا الأنين لحن الليالي
إن هذي السفوح مرعى خصيبٌ ... وشقائي يقتات عشب خيالي
أين منها الزهور لا عطر يندى ... وتعرّيتُ من شذى آمالي
هكذا غابت الفوارق عنا ... غير فرقٍ مهمّا تضاءل غال
هو أن الثلوج تطفو عليها ... ولهيب الغرام في أوصالي !

▪▪ كنز الضمير

أيهـــا الليـــل ! ســـأعطيك صـــفائي وســـكوني
وشـــذا روحـــي وأضـــواء حيـــاتي وعيـــوني
ســـوف أعطيـــك ضـــميرًا فيـــه كنـــز أبـــدي
ووجـــــودًا كلـــــه نـــــبض وروح شـــــاعري
وسأضــفي فــوق ظــل الصــمت أنغــام لحــوني!

***

أيهـــا الليـــل ســـتغدو في الـــدجى فجـــرًا طروبًـــا
ســـأروي ببحـــار الشـــعر واديـــك الجـــديبا
وبأفكـــاري الغـــوالي كالفراشـــات البهيـــة
وبأوكـــــار خيـــــالي وبآهـــــاتي الشـــــذية
سأصـــوغ الـــروض والنســـمة والزهـــر الرطيبـــا !

***

أعطنـــي الحـــب ! ولا تبخـــل عـــليَّ أعطينـــه !
خلنـــي أســـعد بهـــذا الحـــب أفنـــى العمـــر فيـــه
أعطنيـــه ! أمـــنح القلـــب حيـــاة عاطفيـــة
كلهـــا وجـــد وأشـــواق ونـــار أبديـــة
لـــيس للعـــيش ـ بغيـــر الحـــب ـ معنـــى أرتضـــيه !

▪▪ الشاعر والطبيعة

أنت ! يا أنبل القلـوب ويـا أوسـع صـدر لأرحـم الأمهـات

أنت! يا أقدس المعابـد يـا أقـوى قـوى في عـوالم الكائنـات

أنـت إن ثُـرت فالخطيئـة منـا ! إنمـا نحـن كالطفيليـات

نحن نسري في جسمك الناعم الغض وفينا تصلب الأمـوات

غير أن الوجود يحمل حينًا شـاعرًا ضـج مـن شـقاء الحيـاة

ويرى الأمن في يديك ويحمي روحه في أحضـانك الـدافئات

منك قد أدرك الحقيقة واستشـرف عمـق العـوالم الأخريـات

إنـه وحـده الـذي يقـرأ السـفر مليئًـا ومتخمًـا باللغـات

فنـداءاتك الخفيـة في جنبيـه نـبضٌ يـؤج بالعاطفـات

وابتسام الرضى عـلى ثغـره منـك بريـق الضـياء في النظـرات

والندى اللؤلئي فوق اخضرار العشب شعر منضـد النغمـات

إن في رعشـتيكما بـوح سـر بالـذي أج مـن لظـى الشـهوات

والـدموع التـي بعينيكمـا مـا هـي إلا ومـيض فجـرٍ آت

وبقلبيكمـا الكبيـرين حـبٌ دافـقٌ يمـلأ الـدنى بالحيـاة

وهـواكِ الـذي يقيـد خطويـه عـلى صـخرة مـن العـادات

فارحمي ! كلما تجهمت غضبي شردتْ روحه مع العاصفات

فـإذا مـا غفوتمـا هـام طيـف الأزل المسـتنير فـوق الشـفاة

وترامى في هدأة الحلم صوتٌ هو لحـن الـدعاء والصـلوات

فلو أن الوجـود لم يبـق فيـه غيـره فاسـكبي حنانـك هـات !

▪▪ اللعبة البالية

«لماذا نحن إلى الماضي ولا نطلب العودة؟»

الطفل إذا امتلك اللعبة حطمها رغم نضارتها

قد تبدو للعين حطامًا لكن تحتفظ بجدتها

فيظل يحن لمرآها ويلملم بقيا جثتها

****

لكن لعبتنا لم تحطم كنا طفلين كبيرين

فحملنا اللعبة في حرصٍ ولعبنا لعب مكيرين

فإذا باللعبة قد بليت تافهةً للعين

****

أبلتها لمسات الأيدي والزمن العاتي قد عجل

فطوى بمعالم فتنتها وبزهوة رونقها الأجمل

فمللنا اللعبة عفناها وسئمنا منظرها المخجل!

****

ولذا فالحب نهدهده ونحن لذكراه دومًا

ونعود فنذكر مرآة لنفر ولن نرجع يومًا

منظره البالي قد أبلى قلبين غريرين وأدمى !

▪▪ ربيع وخريف

أيهــا الطــارق وســط الليــل أبــواب حيــاتي

أيهــا الموغــل في أعمــاق أســراري وذاتي

أنــت يــا منبــع أحلامــي ونجــوى ذكريــاتي

لا تلمنــي إن رأيــت الخــوف يجتــاح ضــلوعي!

يا ربيعي !

جئتنــي يــا حلــو رفافًــا عــلى مــتن خريفــي

جئتنــي تــرقص خطــارًا عــلى أشــلاء جيفــي

جئــت تــدعوني إلى الحــب وللضــوء الشــفيف

للمنــى ، للــدفء للأشــواق والحلــم البــديع

يا ربيعي!

جئــت تغــزوني أنــا العــزلاء إلا مــن شــجوني

وتمنينــــي ومــــا في قــــدرتي غيــــر الحنــــين

وتــــذر الكــــون والآفــــاق في عــــين الســــجين

وتبــث الجنــة الخضــراء في جــدب ربــوعي

يا ربيعي!

أنت قـد أذهلـت عينـي حـين أسـربت كمشـرق

لِــمَ لَــمْ تمهــلْ لأســتوعب نفســي وأحقــق

فأحييـــــك وفي جنبـــــي شـــــوق يتـــــدفق

وأعيــد الأمــن والهــدأة في قلبــي الجــزوع؟

يا ربيعي!

الصِــبا المفتــون يــدعوك فلِــمْ جئــت إليــا

أو أغرتــــك تـــرانيم الهــــوى في شــــفتيا

كيــف عانقــتَ بقايــا الضــوء تغــزو مقلتيــا

وتناســيت مــع الليــل أنينــي ودمــوعي ؟

يا ربيعي!

كلمــا قربــت خطــوي نحــو دنيــاك الجميلــة

خفــتُ خفــتُ القــدر الغاشــم والــدنيا البخيلــة

وتحسســـت عــلى كتفــي يــد الليــل الثقيلــة

وتراجعــــتُ لجحــــري بلهــــائي وجــــوعي

يا ربيعي!

▪▪ اصمت يا قلبي

اصمت لا تبك ولا تضحك فعلى الحالين أنـا وحـدي
سيان الضحك أو الشكوى ما عادت ثوراتـك تجـدي
لا تشــرح لا تــرو خفايـا الأزمـات ولا تقلـق نفســي
أبغضـــتك تـــتحكم فظًـــا وكرهـــت عبوديـــة ظـــالم
واليــــــوم ســـــــأعتزل العـــــــالم
عالمـــــــــك ال..... الحـــــــــس

***

ضحكاتك تخدع إحساسـي وتجـدد في نفسـي وهمـي
وبكـاؤك يخنـق أنفاسـي ويهـد البـاقي مـن عزمـي
فـادفن أفراحـك كبخـار مسـجون في بطـن الصـخر
ووراء جـــدار كرامتنـــا أخـــف الأحـــزان المنشـــورة
واحجــــب في برديـــك الصـــورة
لا تبســـــك للأعـــين ســـرى!

***

خـف الضـجة واحلـم واسـبح في تيـه دنـاك المنسـية

دق النــاقوس فــلا تــنهض فالصــمت تعــابير حيــة

رحماك ستقفز من صدري لا الحزن ولا الفرحة تجدي

لا تهتـــف أنـــك محتـــاج أن .... الكبـــرى

في هـــــوة أعمـــــاق أخـــــرى

فعــلى الحــالين ..... أنــا وحــدي !



(4)

أنا والليل

(1961)



إهداء

إلى أختي العربية ... في أي مكان من الدنيا تقيم .

إليك مع الأحرار في كل وطن تحرر .

أو خلف الأسوار في كل بلد عربي مستعبد أو مستعمر .

إليك يا أختي وقد حملت أمانة الجيل معلمة وأما .

وشاركت في نشر المعرفة فنًا وأدبًا وعلمًا .

وخضت معارك التحرير فلم ترهبي سجنًا ... بل لم تدخري دمًا .

إليك يا أختي وقد أسهمت بالقلم شاعرة وكاتبة .

وزدت باللسان والبيان عن قدسية القومية العربية خطيبة ونائبة .

ورفعت راية العروبة في كل مكان خفاقة وعالية .

إليك يا أختي جهد أخت شاعرة .

مناط فخارها إيمانها بالعروبة على مستوى العقيدة الطاهرة .

إليك يا أختي الكادحة والمكافحة ... في كل هذه الميادين الرائعة أهدي ديواني الرابع .

جليلة رضا

▪▪ النغم الحنون

من وحي بيان الرئيس عن الحركة الانفصالية في سورية

في روحي يتسلل صوتُ — صوت يسري في أعماقي
ينساب فيهتز البيت — ويجول الدمع بأحداقي
ينساب قويًا ورزينًا — وعميقًا عمق الأبدية
ينساب بطيئًا وحزينًا — يحمل أعباء البشرية

***

ويضج العالم من حولي — فوَّارًا مصطخب اللون
وتموج الأصداء بليلي — وتمر الأشباح بعيني
وكأن طيورًا في الأفقِ — ونخيلًا يكتسح القمة
وزهورًا تهمس في رفق — وضياء يخبط في الظلمة

***

ويكـــف «المـــذياع» ويصـــمت ويـــرن «الهـــاتف» في ســـمعي

ورفيقـــة أحلامـــي[8] تهتـــف: أســـمعتِ؟ فـــأجهش بالـــدمع

تبكـــي .. أبكـــي .. عبثًـــا نصـــغي ونحـــاول نســـرد مـــا نشـــعر

فتؤجـــل مـــا كنـــا نبغـــي وأعـــود لنجـــواي أفكـــر

***

مـــا أروع قلبـــك يـــا ناصـــر وأرقّ شـــعورك يـــا ثـــائر

يـــا نغمًـــا يشـــربه قلبـــي

حلـــوًا وشـــفيفًا وحنونًـــا ....

أنـــا أعـــرف أنـــك كطبيـــبٍ نستأصـــــل في الأمّـــــة داءَ

ولأن الرجعيـــــــة أفعـــــــى تمـــتص عروقًـــا ودمـــاءَ

ولأنـــــك شـــــهمٌ وقـــــويٌّ والقـــوّة تجلـــب أعـــداءَ

ولأنـــــك مبعـــــوثٌ فينـــــا

في ظـــــل التـــــاريخ الأكبـــــر

وحنانـــك كـــالأب ... بـــل أكثـــر

ولـــــذلك قلبـــــك يتفطّـــــر

حزنًـــا وعتابًـــا وحنينًـــا ...

***

(٨) تشير الشاعرة إلى صديقة لها لبنانية تجمع بينهما الناصرية على مستوى العقيدة .

ولأنـــــك إنســـــانٌ حــــرٌ تفتخـــــر بـــــك الإنســـانية
ولأنـــــك تـــــؤمن في ثقـــــةٍ وضـــــميرٍ بمبـــــادئ حيـــــة
ولأنـــــك رمـــــز القوميـــــة ولأنـــــك بطـــــل الحريـــــة
آثـــــرت ســـــلامة ســـــورية
حقنًـــــا لـــــدماء عربيـــــة ....

***

وبـــــرغم التجربـــــة المـــــرة ولأنـــــك أعطيـــــت الثـــــورة
عمـــــرك .... وســـــيبقى للثـــــورة
ولأن الأنجـــــم تتـــــألق والمعـــــدن تصـــــهره المحـــــنُ
والســـــحب الجهمـــــة تتمـــــزق والجـــــرح يضـــــمده الـــــزمن
ولأن الوحـــــدة حتميـــــة
وحـــــدود بـــــلادي وهميـــــة
فسيمضـــــي التيـــــار الجـــــارف والـــــدفع الثـــــوري الزاحـــــف
كـــــي يصـــــبح نهـــــرًا هفهافًـــــا
ويعـــــانق أفقًـــــا وضـــــفافًا
وســـــتبقى القوميـــــة قلعـــــة ونجـــــدِّد لجمـــــال البيعـــــة

▪▪ سر القوة

من وحي صورة للرئيس وهو يصلي

والله لـــــن يقســـــو عليــــك الله ... مــا دمــت تــأبى أن تخــاف ســواهُ

هــو ذا «جمــال» رئـيس أعظــم أمــة ... ولأجــل حــب الله تحــت خطــاه

لملــوك أهــل الأرض أعــلى رأســه ... وحنــى الجبــين لربــه ... مــولاه

هــي ذي الكرامــة تسـتفيض كرامــة ... والمجــد أقــوى المجــد في معنــاه

هـــذا هـــو الســـر العظـــيم لقائـــد ... أضــحت عمالقــة الــورى تخشــاه

الله أكبـــــر ! إنمـــــا إيمانـــــه ... الثـــورة الكبـــرى لـــه والجـــاه

الله يعلــــــم أنــــــه متجــــــردٌ ... مــن مــأرب في الكــون غيــر رضــاه

لا الحكـــم يفتنـــه ولا الـــدنيا ولا ... مـــا رددت في مدحـــه الأفـــواه

الله يعلــــــم أنــــــه لا يبتغـــــي ... غيـــر الهنـــاء لشـــعبه وعـــلاه

هــذا هــو النصــر المحقــق للــذي ... مـــن عـــون ربـــي يســـتمد قـــواه

.. أحقًا يضيع ؟

إلى صديقة من دمشق

وكل الذي كان بيني وبينك ... أحقًا يضيع ؟

وفي لحظةٍ من جنون مريع ... وكيف؟

وليس الذي كان ... أمرًا زهيدًا

فما هو إلا الحياة ... وأسمى معاني الوجود

وشرع إله ... ولحن خلود

فكيف ... وكيف ؟ أحقًا يضيع ؟

***

وما زال «بَرَدَى» وشط الجمالِ

يناجي خيالي ... ويذكر وجهي الحزين ...

وإن مرَّ طيف السنين

فما زلتُ في عينه حاضرة ...

وما زال بيتي بالقاهرة ...

يحن إليكِ ويحنو عليكِ ...

وجدرانه الناعمات الدفيئة ....

تناجي خيال فتاة بريئة

وذكرى ليال مضيئة

قضتها هنا ... تبث المنى ...

بقلبين يفتقدان الأمل ... ويغترفان كؤوس الملل

وتطويهما الفكرة الساهمة

بأعماق غيمتها الواجمة

وما زال طيفك عبر الديار ... وفي كل حجرة

يهمُ ويقفز مثل الطيور

يردد حلم الغدِ ... على المقعدِ

وفوق السرير ... وفوق الدَرج

يخفة روحِ رقيقة ... رقيقة ... وحتى الحديقة

وأزهارها ... تعيد الأماني وتجترها ...

وما زال فيها ربيع شذاكِ ... وضوء خطاكِ

وحتى الشجر ... هنا ينتظر ... بعين على دربه حانية

حلول زيارتك الثانية

وحتى الخدم ... إذا ما ذكرتك طاف الألم ...

بأحداقهم وأضافوا السؤال :

«متى ستعود فتاة الشمال ؟ ...»

وأسأل نفسي ولا أستطيع ... أكل الذي كان

حقًا يضيع ؟ وكيف ... وكيف ؟

***

وكنت إذا ما تأخر عنك خطابي قليلًا

تدفق ألف خطاب عليَّ ، يذوب حنانًا وينساب طولًا

ويبدي لهيب الحنين إليَّ ... ويحفل بالشعر والقصةِ

كسائر أبناء سوريةِ

وأتلو سطوره ... وأبسط نوره

على مقلتي ... وفي ظلمتي ...

فهل كل هذا يضيع ... وهل يستطيع

***

يبث الجفاء دعاة انفصال ...

ويبعد بيني وبينك سادة مال ؟

بلى ... تستطيع قوى الشر تخمد صوت الشعوب

ولكنها لن تميت القلوب ...

فإن الشعوب لها أمرها ... ورغبتها هي قانونها ...

وآمالها واقع لا محال ..

وفي الغد سوف تعود الرسائل ...

وأرسل هذا النشيد إليكِ ...

وأرقب ردكِ فورًا وعاجل

وبشرى حضورك للقاهرة ...

وذات صباح نضيرٍ ... نضير ...

سأرنو وأنتظر الطائرة ...

وقد هبطت في المطار الكبير ...

وأحضن فيك حنان العذوبة

وضوء العروبة ... وثم نسير ...

ونبكي من الفرحة الشاملة

وثم نسير ....

إلى الوحدة الحرة الكاملة

.. قمة كلمة

بــالأمس قضــينا أعوامًــا نتمــرغ في الــذل ونقبــع

ســلب الأعــداء إرادتنــا فغــدونا للغاصــب طــوع

كنــا إذ نصــرخ تتلاشــى الصــرخة كالأنــة في الأضــلع

ونحــاول نمشــي نتعثــر ونحــاول أن نقــف فنركــع

وبــرغم الخــوف تمردنــا حينًــا لكنَّــا لم نتبــع

وخشــينا العاقبــة وخلنــا مــا نلنــاه هــو المطمــع

***

فــإذا إنســان مــن أرضــي ينــتفض بعــزم وبهمــة

عربــي -يــا خــيُّ -وحــرٌّ أخلــص عربــي في الأمــة

مــن بلــد «بنــي مــر» فقيــرٌ وغنــيٌّ بكنــوز الحكمــة

انــتفض مــن الأســر طليقًــا واقتلــع بكفيــه الظلمــة

وارجتــث الطــامع والخــائن واقتــاد الشــعب إلى القمَّــة

وتمــرد في وجــه العــالم ، وانطلقــت مــن فمــه ... كلمــه

***

لا ... لا ... أطلقهـا بتحـد ، بصـمود الحـر ، بإيمـان

أطلقهــا في ثــورة يوليــو ، في وجــه إلــهِ الطغيــان

أطلقهــا وأمــام جيــوش تغزونــا مــن كــل مكــان

وأمـام الـبغض ، أمـام الحـب ، أمـام الإغـراء الحـاني

لا ... لا ... وانطلقت كالمارد لنشـيد حقـوق الإنسـان

لا ملكيــة ، لا تبعيــة ، لا اســتعمار عــلى أوطــاني !

■■ تحية الشعب للثورة

أحييـــكِ يـــا ثـــورة الملهمـــين ... تحيـــة شـــعبٍ وفيٍّ أمـــين

أحييـــك في كـــل يـــوم يمـــر ... وأطبـــع شـــكري فـــوق الجبـــين

أنـــا الشـــعب كنـــت أقضـــي الحيـــاة ... عـــلى مـــوطني كالغريـــب السـجين

أرى الحكـــم بـــين أكـــفٍّ الطغـــاة ... وأرضِـــيَ يحتلهـــا الغاصِـــبون

وقلبـــي ... وقلبـــي رهيـــب أســـاه ... يمـــوج بكـــل أســـى البائســـين

ومـــا كنـــت أرنـــو ســـوى للإلـــهْ ... فقوتـــه هـــي حصـــني المكـــين

وحـــين انطلقـــت أيـــا ثـــورتي ... كأعـــذب ضـــوء ســـرى في العيـــون

شـــعرتُ الحيـــاة ودفءَ الحيـــاة ... ومعنـــى الحيـــاة ومـــن ذا أكـــون

وفتّحـــتُ عينـــي عـــلى مـــوطني ... فـــإذا أنـــا صـــاحب هـــذا العـــرين

وفتحـــتُ عينـــي عـــلى قـــادةٍ ... يعيشـــون مـــثلي ولا يملكـــون

حيـــاتهم عـــرقٌ وكفـــاحٌ ... جنـــودٌ عـــلى خـــدمتي ســـاهرون

وأطفـــالهم ينهلـــون الـــدروس ... مـــع ابنـــي وبنتـــي ولا يـــأنفون

وفتحـــت عينـــي عـــلى حـــاكم ... هو الغيـــث ينعش جـــدب الغصـــون

وفتّحـــت عينـــي عـــلى نهضـــةٍ ... بنائيـــةٍ مـــن أســـاسٍ متـــين

وفتّحـــتُ عينـــي عـــلى طفـــرةٍ ... ثقافيـــةٍ مـــن جميـــع الفنـــون

فهبّـــت مـــواهبي الكامنـــات ... وأثمـــرتُ كـــل شـــهيٍّ ثمـــين

وشـــبت بروحـــي قوميـــة   سـرت في القلـوب كنـار الأتـون
وفتحـت عينـي عـلى وحـدةٍ   تتـوج نصـري بنصـرٍ مبـين
فجئتـك أنشـد مـن فرحتـي   وأهتـف والقلـب ثـر الحنـين
أحييـك يـا ثـورة الملهمـين   تحيـة شـعب وفيٍّ أمـين

***

أحييـك أنـت انتفاضـة روحـي   ونبـع قـواي وأنـت المعـين
فقـد حسـبوني شـعبًا ضـعيفًا   فخيبـت فـيهم ظنـون الظنـون
وقـد حسـبوني لـن أسـتقل   فطهـرتُ أرضـي مـن الغاصـبين
وحلـوا هنالـك في بورسـعيد   فطـرتُ لأسـتقبل الزائـرين
وعـدت وفي راحتـي القنـال   وأمجـاد أجـدادي الأولـين
وقـد حسـبوا أن سـحب الرعايـا   سـيخلي القنـاة مـن المرشـدين
فرحـت أديـر القنـال ووحـدي   قبلـت التحـدي مـن المعلنـين
وحسـبوا إذاعـاتهم ستسـيطر   حينًـا عـلى أذن السـامعين
فبثـوا السـموم ، سـموم الدعايـة   لكـن عـلى مـن ؟ عـلى السـاخرين
وحسـبوا العروبـة مـن دسـهم   سـتنأى يسـارًا وتنـأى يمـين
أخـي اليعربـي إذا مسـني   سـلاحك يومًـا فأنـت الطعـين
فبينـي وبينـك لحـم ودم   وميثـاق روحٍ ومـاضٍ وديـن!

***

وظنــوا الحصـــار يزعـــزع روحـــي ويقضـــي عـــلى قـــوة الجـــائعين
فـــزودت نفســـي بإيمـــان نفســـي وصـــنت التجـــارب كـــي أســـتبين
ورحـــت أهيـــئ لابنـــي الحيـــاة ليـــأمن شـــر الزمـــان الخـــؤون
وهـــا قـــد بنيـــت وأبنـــي المصـــانع كـــي أســـتحث قـــوى العـــاطلين
وهـــا أنـــا أحفـــر أرض القنـــال لتتســـــع الغـــــدَ للعـــــابرين
وهـــا أنـــا أبنـــي الســـدود لنـــيلي لأدخـــــل في زمـــــرة الخالـــــدين
وهـــا أنـــا أنشـــد مـــن فرحتـــي وأهتـــف والقلـــب ثـــر الحنـــين
أحييـــــك يـــــا ثـــــورة الملهمـــــين تحيـــــة شـــــعب وفيّ أمـــــين

***

أحييـــــك يـــــا ثـــــورة الثـــــائرين وأرقيـــك مـــن أعـــين الحاســـدين
صـــنيعك فـــوق قـــوي الكائنـــات وســـــر انتصـــــارِك ســـــرٌّ دفـــــين
فلـــــو أن جـــــيلًا أراد الحيـــــاة وكـــافح حتـــى تحـــدى المنـــون
لمـــا قـــام مثلـــك بـــالمعجزات وفي فتـــرةٍ مـــن قصـــار الســـنين
ومـــا احتمـــل العـــبء والتبعـــات كمـــا قـــد حملـــت ومـــا تحملـــين

***

وقـــد يســـألونك عـــن ثـــورتي　　وكيف استطاعت تـدك الحصـون

فقـــل يـــا أخـــي إنهـــا ثـــورةٌ　　لأجـــل الكرامـــة لا تســـتهين

وقـــل يـــا أخـــي إنهـــا ثـــورةٌ　　تمـــج الـــدماء وتـــأبى الأنـــين

فدائيـــــة وهبـــــت نفســـــها　　لخيـــر العروبـــة في كـــل حـــين

أبـــــت أن تحـــــرر أبناءهـــــا　　وتتـــرك إخوانهـــا الآخـــرين

فمـــا في التحـــرر مـــن أوســـطٍ　　ونصـــف التحـــرر ذل مهـــين

وقـــل يـــا أخـــي أنهـــا أقســـمت　　بـــرب الخلائـــق والمرســـلين

ســـتحيا لتشـــهد علـــم الجزائـــر　　يخفـــق حـــرًا بنـــور اليقـــين

ســـتحيا لتحضـــن ســـوريتي　　وتطـــرد حكامهـــا المجـــرمين

ســـتحيا لتشـــدو ونشـــدو جميعًـــا　　نشـــيد الرجـــوع مـــع اللاجئـــين

***

فـــردد معـــي يـــا أخـــي في العروبـــة　　لحـــن الوفـــاء لأم حنـــون

نحييـــك يـــا ثـــورة الملهمـــين　　تحيـــة شـــعب وفيٍّ أمـــين

▪▪ شهرٌ يمر

يـا وحـدتي يـا وحـدة الأجيـال نفـديك بـالأرواح والأمـوال
شـهر يمـر وأنـت بعـد حزينـةٌ تتنهـدين عـلى أسـى قتـال
الأمـس في عينيـك يسـري خافقًـا ونشـيده المنغـوم في استرسـال
فلقـد ولـدت كمـارد في عزمـه وبرقـة الأنسـام في الآصـال
ونمـوْت وسـط الشـرق أينـع غـادةٍ وكأنهـا بـدرٌ بعمـر هـلال
يـا وحـدتي جـددت فيَّ مشـاعري وسـرى حنينـك في دمـي وخيـالي
أنا كنـت قبـل رؤاك أحضـن ثـورتي وأضـم في آمالهـا آمـالي
أنـا كنـت أحتضـن الضـياء وإنمـا مـا زال في جنبـيَّ ركـنٌ خـال
كانـت أمـانيَّ الكبـار تحثنـي نحـو الضـياء الأكبـر المتعـالي
حتـى وجـدتك وحـدةٌ عربيـة فوجـدت ذاتي بعـد طـول سـؤالي

***

واليـوم أسـأل والفـراق يهـزني مـا الفـرق بـين الأهـل والآهـال
إن العروبـة أسـرة أفرادهـا رغـم البعـاد عـلى هـوى ووصـال
لم يهـدمون كيانهـا بـأكفهم ويفرقـون الشـمل كالجهـال
إني عـلى وطنـي أحـس كـأنني جسـدٌ هنـا متمـزِّق الأوصـال
والنيـل كـم يهفـو إلى بَـردَى وكـم يطـوي شـطوها مـدينتي كالضـال

***

يا أرض ! يا آفاق ! يـا دنيـا اشـهدي — هــذي انطلاقــة دولــة الأبطــال
ســنمرّ! نكتســح الصــخور بقــوةٍ — ورواســب العهــد القــديم البــالي
إنــا نناضـــل في ســـبيل حياتنــا — وهــمُ لأجـل ضـروب الاسـتغلال
يــا أيهــا الــوطن الكبيــر إلى العــلا — واتبـع مسـيرك خلـف خطـو جمـال
الوحــدة الصــغرى جهــادٌ أصــغرٌ — فـــإلى الجهـــاد الأكبـــر الفعـــال
إن الطريـــق وإن يكـــن متجهمًـــا — لكـــن الأهـــداف الطريـــق غـــوال

▪▪ إلى مجاهدة جزائرية

أختــاه ! يــا فخــر النســاء ومنبــع الــروج النقيَّــة

يـــا كنـــز إيمـــان ونبـــل وانتفاضـــات حييـــة

يــا مــن بعثــت مــن الــرؤى والــوهم روح الواقعيــة

أشــعلت باللهــب المقــدس ، بــالمنى ، بالشــاعرية

وبكـــل معنـــى للحيـــاة ، مســـارب الـــنفس الخفيـــة

فإليــك يــا عربيــة الأخــلاق مــن قلبــي التحيــة !

***

أنــا مــن أنــا ؟ أنــا لســت أملــك في يــدي غيــر القلــم

لكـــن لي قلبًـــا تمـــزق بـــالجراح وبـــالألم

كـــم مـــن أخٍ لي في الجبـــال بكـــل ركـــن يعتصـــم

وهنـــاك أحـــرار الجزائـــر في الســـجون وفي الظلـــم

أواه ! كـــم بـــذلوا لأجـــل بلادهـــم روحًـــا ودم

مـــا أعظـــم الحريـــة الشـــماء ! مـــا أغـــلى القـــيم !

***

سـيمد يـا أختـي لـك الفجـر الطـروب غـدًا شـروقه

ولســـوف تنفـــتح النوافـــذ في انتبـــاه مســـتفيقة

وستشـــربين غـــدًا نســـيمًا طازجًـــا عبـــر الحديقـــة

وتـــرين بلـــور الســـماء يشـــف في المقـــل الرقيقـــة

ولســـوف تتكئـــين في فـــرحٍ عـــلى الشـــمس الطليقـــة

ولسـوف يحتضـن الهنـاء الحلـو طيفـك يـا شـقيقة !

***

لا تحســـبي هـــذا النشـــيد إليـــك إغـــراء الحيـــاة

إنَّـــا شـــدوناه هنـــا والليـــل يســـبح في دجـــاه

وســرى الصــدى مــن قلبنــا البــاكي مهيبًــا كالصــلاة

فــإذا القيــود عــلى الثــرى وإذا الضــياء عــلى الجبــاه

والثـــورة الكبـــرى تـــؤج لظـــى وتقتلـــع الطغـــاة

وإذا النشـــيد هنـــاك فـــوق الشـــط يحتضـــن القنـــاة!

▪▪ مقبرة البيض

يا أبيض الخدين إني أسود ... لكنني نحو العلا سباق
بيضٌ وكم في قلبكم من ظلمةٍ ... سود ويغزو قلبنا الإشراق
أنا لم أعد حيًّا كشاة تقتني ... وأمام جزاري العتي أساق
أنا كم حرمت ولفني ثوب البلى ... ودمقسكم وحرير كم براق
كم جعت في وطني وجوفك متخمٌ ... واستغلقت في وجهي الأرزاق
عجبًا لكم تستنزفون دماءنا ... فإذا صرخنا ترعد الأشداق
ألكم معايرني بأني أسود ... ولي الخضوع المر والإطراق!
من قال عن فئة تقود زماننا ... والشعب في ذل لها منساق
من قال إن الدوحة الكبرى هنا ... تهوي بها ويجذعها الأوراق
إني لأسأل أين مجلس أمننا ... وقراره المرسوم والميثاق
ما زال يغفو في سبات دائم ... وتغض عن أحداثنا الأحداق
القارة السوداء مقبرة لكم ... يا بيض إن دماءنا أشواق
النعل نعلك سيدي لكننا ... قد طاولت آفاقنا الأعناق
فاضرب فنحن البربرية كلها ... عند الحروب وما لنا أخلاق
سنثور ثائرة الوحوش بغابنا ... ودماؤكم كالماء سوف تراق
إني أفقت لأجتلي حريتي ... واستيقظت أفريقيا العملاق!

▪▪ وطني الكبير

من وحي مجزرة الموصل

وطــن العروبــة ! كلنــا جرحــى بجرحــك ... كلنــا
دمــك الشــهيد هنــاك يغمــر كــل شــبر هاهنــا
وأنينـــك المخنـــوق ردده بكـــاءً قلبنـــا
فاصــبر عــلى ضــيم الزمــان فــإن عزمــك عزمنــا
وغــدًا ... غــدًا ســيعم فجــرك كــل أرجــاء الــدنى
ونصــير قلبًــا واحــدًا يشــدو بألحــان المنــى

***

وطــن العروبــة ! كــم أود أراك موفــور الرغــابِ !
وأعــيش للغــد كــي أراك مزقــت أســتار الضــباب
وأراك كعبــة كــل فــوجٍ آمــنٍ بعــد اغتــرابِ
وأرى «جمــالًا» قــد نــأى عــن ظهــره عــبء العــذابِ
وأراء في ظــل اتحــادك ضــاحكًا وســط الروابــي
وأرى ســوالفه التــي ابيضــت تعــود إلى الشــبابِ!

***

وطني الكبير علـى يـديك وضـعت يـا وطنـي مصـيري
ولأجـل حبـك قـد غفلـت اليـوم عـن وطنـي الصـغير
ومزجتــه بــك كــامتزاج النهــر بــالبحر الكبيــر
ورفعـــت رايتـــه وراء لوائـــك الحـــر الضـــمير
وطنـي فصُـن تضـحيتي ، صـني مـن الخطـر الخطيـر
وادفـع بهـذي الطغمـة الحمـراء في جـوف القبـور !

***

وطنـي عهـدتك مـوطن الأحـرار مـن قـدم الزمـانِ
فـإذا تغلغـل فيـك منـذ الأمـس سـم الأفعـوانِ
وكفـرت بالأديـان ، بـالقيم المجيـدة ، بالمعـاني
وغـدوت سـجنًا للضـمير ، وللكرامـة ، والأمـانِ
لتمـت إذن ! لتمـت علـى الإيمـان في ظـل التفـاني
لتمـت! فـإن المـوت أفضـل للأبـي مـن الهـوانِ

▪▪ نداء العودة

إلى كل عدوة للقومية العربية أبعث
هذا النداء

عــودي! فمــا زلنــا عــلى شــط الرجــاء وفي انتظــارِ
عــودي! فــإن الــدرب مفــروش بأضــواء النهــارِ
عــودي إلى حصــن الكرامــة ، للعروبــة ، للــديار
فســيهبط الليــل الحــزين وأنــت أنــت بغيــر دارِ

***

عــودي فــإن خضــنا غمــار اليــأس منــك فلــن نعــودا
عــودي! فقــد نقســو عليــك غــدًا وقــد ننســى العهــودا
ولــرب تلفظــك القلــوب كبصــقةٍ ملئــت صــديدًا
فالعضــو يبتــر حــين يحــوي الســم منتشــرًا مديــدًا

***

الـــدار مـــا زالـــت تـــئن بلهفـــة البـــاكي عليـــكِ
وشـــموعها النعســـانة اتقـــدت لتلفـــت ناظريـــكِ
والله ! حتـــى الله ... رغـــم دجـــاك مشـــتاق إليـــكِ!

***

عـــودي ! فـــإن ضـــياءك المزهـــو وهـــم لا حقيقـــة
ودليلـــك الأعمـــى يســـير عـــلى شـــفا حفـــر ســـحيقة
وســـماك الحمـــراء تحـــرق هامـــة الأنثـــى الرقيقـــة
أواه مـــا أقســـى العتـــاب مـــن الشـــقيقة للشـــقيقة!

***

عـــودي! فمـــا أنـــت التـــي تـــأبى العروبـــة يـــا شـــقية
أخجلتنـــا نحـــن النســـاء، وصـــمت جبهتنـــا النقيـــة
وحطمـــت ذاتـــك حـــين حطمـــت التقاليـــد الأبيـــة
فلترجعـــي ، لمـــا تـــزل مـــن عطفنـــا الماضـــي بقيـــة !

■■ الضمائر الميتة

خطفــوه وهــو يســير ســير العــابرِ ورمــوه في النهــر الكبيــر الزاخــرِ

خطفوا الصغير وما أتى ذنبًا سوى أن الصــغير يحــب عبــد الناصــرِ

جــاءوا الــديار وفتشــوا أنحاءهــا بــالأمس في كنــف الظــلام البــاكرِ

ورأوا بــركن الــدار تمثــالين قــد صــيغا لناصــرنا ، لأعظــم ثــائرِ

كـــان الصـــغير يراهمـــا في داره كنــزين مــن أمــل ونــور ســاحرِ

كانــا لــه نعــم العــزاء وقــد مضــوا بأبيــه يومًــا نحــو ســجن آســرِ

وبكى الصــغير وقــد رأى فيمــا رأى كنزيــه بــين أكــف جمــع كــافرِ

وتقلصـــت كفـــاه في عصـــبية متحــديًا قومًــا بغيــر ضــمائرِ

لا تخرجوا بهما ولا ... لا تحطمــوا أمــلي الكبيــر وكــل كــل ذخــائري

إني ضـــممتهما بأعمـــاق الـــدجى وشـــدوت في جويهمـــا كالطـــائرِ

هــو ذا جمــال أراه بعــد أبــي .. أبــي وأبثــه أمســي وأشــكو حاضــري

ولكــم ســبحت عــلى غــدير جبينــه نحو الغد المرجو ، عبر خــواطري

ولكــم تلمســت الأنامــل وجهــه في لهفــة نشــوى وصــمت طــاهر

وعــلى ســناه غفــوت معتمــدًا عــلى ربــي وناصــر ناصــري ومــؤازري

لا تخرجــوا بهمــا ويكفــيكم هنــا أحــزان أمــي واحتــراق مشــاعري

وكلـــوه بالأقـــدام في ســـخرية وتبــادلوا همســات قصــد مــاكرِ

ومع الصــباح، مــع انطلاقــة شمســه والكون يسبح في الســكون الــوافرِ

خطفــوه وهــو يســير ســير العــابر ورمــوه في البحــر الكبيــر الزاخــرِ

▪▪ من بورسعيدية

إلى آخر جندي هارب

لا تنظــر خلفــك يــا أحمــق ، لا تنظــر نحــو الأنــوارِ
يــا آخــر جنــدي يهــرب مــن بلــدي كــاللص الفــارِ
لا تنظــر خلفــك فالخيبــة تتبــع ظلــك في إصــرارِ
ووراءك تــاريخ يكتــب «النصــر» عــلى كــل جــدارِ
والشــعب الأســمر قــد عــانق شــلال ضــياء زخــار
وشــهيد حملــت صــورته أمٌّ وتزغــرد بفخــارِ
ورئيســك «إيــدن» تمثــال مشــنوق في كــف صــغارِ
و«موليهك» في الشــارع يجــري منســاقًا في شــكل حمــارِ
عد! عد! فالشــاطئ يلفظكــم ويغــض الطــرف بإحقــارِ
وانقــل للعــالم صــرختنا يــوم العــدوان الغــدّارِ
«سنحارب ، سـنحارب» قلنـا ، سـنحطم رأس الفجـار
ومشــينا كتلــة إحســاس بســلاح الحــق البتــار
لا فرقة ، لا بغضــاء ، ولا هــدف للشــعب ســوى الثــارِ
ومضــينا لم نفقــد عزمًــا نتحــدى غــزو الأشــرارِ
فهزمنــا أســطورة دول عظمــى تتمــرغ في العــارِ

■■ الرسالة الأخيرة

أرسل «محمود» الضابط العربي إلى خطيبته يقول : «إن أعداء القومية العربية سجنوني وأفقدوني النصر ، إنني إما ذاهب إلى الموت أو سأبقى أعمى طول حياتي ، اتركيني ! سأكون عالة عليك لو عشت : إنني أحلك من وعدك لي بالزواج» : فكان جوابها هذه الرسالة :

وصـلت رسـالتك الحبيبـة بينمـا أنـا مـن تلهـف الانتظـار أعـاني

وصـلت ورحـت أفضـها محمومـة والقلـب في وثـب وفي خفقـان

وصلت ورحت أشم مـن صـفحاتها عطـر الحبيـب وذكريـات زمـاني

وقرأتهـا بـين الخشـوع كأنمـا هـي بعـض آيـات مـن القـرآن

وسكبت فوق حروفهـا مـن أدمعـي مـا تحتـوي مـن أدمـع عينـان

وصـلت وإني الآن أكتـب ردهـا مـن أيـن أبـدأ أو يخـط بنـاني

تتـزاحم الأفكـار عبـر خـواطري لكـنَّ أمـرًا واحـدًا أضـناني

غضبي عليك فكيف تسـمح راضـيًا أن يعتريـك الشـك في إيمـاني

هيهـات تـأمرني بهجـرك إننـي أسـمو عـن التفكيـر في الهجـران

ألأنهـم قـد أفقـدوك نـواظرًا ترتـاب في إخلاصـي المتفـاني

أنـا إن عزمـت عـلى الـتخلي لحظـة وإذا رضـيت فلـيس في إمكـاني

أحببـت فيـك الأمـس رمـز رجولـةٍ واليـوم رمـز بطولـة الشـجعانِ

شـرفٌ عظـيمٌ أن أكـون أنـا التـي ترعـاك طـول العمـر في تحنـانِ

شـرفٌ عظـيمٌ أن أحـس بـأنني شـيء تحـس لـه بـبعض حنـانِ

شـرفٌ لـديَّ أكـون زوجـة ضـابطٍ فقـد الـرؤى ذودًا عـن الأوطـان!

***

حبي ! ويا حبي ! ويا أغلى المنى   يا نور قلبي ... يا وجودي الثاني!

محمود! لا تخش العمى فنواظري   سأرى لك الدنيا بها وتراني

ما قيمة الإنسان إن يك مبصرًا   تمشي على الدم ثرة الألحانِ

وكم انطوى في الأرض جذعٌ غائرٌ   يهب الحياة الألف غصنٍ رانِ

أنا إن شقيت لأجل بعدك إنما   طبع الهوى طاغٍ على الوجدانِ

لكنني وسط الفجيعة لا أرى   في البعد غير مذلة الأوطانِ

أخشى على وطني الحبيب إذا نأى   عنه الأسود يموج بالذؤبانِ

أنا قبل أن أغدو لديك خطيبة   بنت الحمى ودماه في شرياني!

***

عملاء الاستعمار مات ضميرهم   وهمُ عبيد المال والسلطانِ

إن عذبوك مهددين فقل لهم   لا السجن يرعبني ولا سجاني

أنا لن أبيع لأجلكم قوميتي   وعروبتي وكرامة الإنسانِ

أنا لن أساوم بالحياة وبالدنى   حرية في قبضة الشيطانِ

حريتي ألا تكون عروبتي   أسباب تعذيبي وسرَّ هواني

حريتي هي أن أصير مواطنًا   لي الحق في أمني وفي اطمئناني

حريتي هي أن أناجي خالقي   وأضمه في السرِّ والإعلانِ

فإذا ركعت فما لرب آخر   وإذا سجدت فما لرب ثانِ

***

محمـود! أخشـى أن أبـث مخلـوفي ... فكفـاك مـا تلقـاه مـن أحـزانِ
قد يحكمـون عليـك حكمًـا جـائرًا ... وأعـيش بعـدك في دجـى حرمـاني
لـيكن عـزاءك أن تحـت رصاصـهم ... دمـك الشـهيد يسـيل كالطوفـانِ
أمثالـك الأبطـال لا يفنـون بـل ... هم خالـدون عـلى مـدى الأزمـانِ
يحيـون في أصـلاب أمـتهم سـنى ... حـرًا يضـيء طريقهـا بأمـانِ
أصـداؤهم صـوت المـؤذن معلنًـا ... حـق الشـعوب ووحـدة الإخـوانِ
فـاذكر إذا حـم القضـاء ولم أفـز ... بـرؤاك غيـر مضـرج الجثمـانِ
إني وحقـك لـن أحيـد عـن الهـوى ... لا لـن أغيـر موضـعي ومكـاني
إني اتخـذتك منـذ يـوم لقائنـا ... رجـلى الوحيـد وتـوأمي وكيـاني
فـإذا حييـت فـإنني لـك زوجـة ... وإذا فنيـت فأنـت زوجـي الحـاني

.. انتفضي يا أخت

إلى أختي هناك في الإقليم الشمالي

إن دق الفجر على بابك خجلًا كالضيف المتكلفْ

وسمعت الأطيار تقطر أنغامًا كالدمع الأجوفْ

وشممت هواءك أنفاسًا تختنق من الظلم وترجفْ

ورأيت اللبلاب الصاعد فوق سياج البيت توقفْ

ولمحت فراشات أثيرك تتلوى في الأرض وتزحفْ

أختاه! وإن حل مساؤك جهمًا! كصباحك ومغلفْ

ولمست حنانًا مجهولًا ينساب بجنبيك ويدلفْ

فثقي أن الكون يردد أنات فؤادي المتلهفْ

وامتزجي بالروح يروحي فالجرح على الجرح يخففْ

****

أختاه ! وأختك لا تألو ترعاك على البعد وفية

وتقدر محنتك الكبرى وتقدس فيك القومية

أختاه! على كتفك عبء فرضته عليك الوطنية

وبكفك تاريخ بلادك ورسالة رب قدسية

تلــك المأســاة عــلى أرضــك تجربــة للــروح قويــة
وصـــراع بـــين عروبتـــك الشـــماء وبـــين التبعيـــة
فانتفضــي يــا أخــت وثــوري في وجــه دعــاة الرجعيــة
أخواتــك في مصــر شــعور يحتضــن مشــاعر ســورية
إن شئت فداء للوحـدة ، لنمـت ... ولتحـي .. الحريـة

■■ فاجعة أغادير

أغـــادير! قلبـــي عليـــك حـــزين　　يمـــوج حنانًـــا ويشـــدو نشـــيده
وروحـــي ترفـــرف فـــوق ربـــاك　　كأرواحـــك الضـــائعات الشـــريدة
ويـــا ليلـــة مـــن ليـــالي القضـــاء　　غفـــوت ككـــل الليـــالي ســـعيدة
فجـــارت عليـــك ســـهام الفنـــاء　　وصرت الذبيحة ، صرت الشـهيدة

***

وكنـــت أغـــادير طـــول الزمـــان　　مدينـــة شـــمس وعطـــر حنـــون
يباســـق نخلـــك مثـــل قـــوام　　رشـــيقاتك الســـاحرات العيـــون
بمتنزهـــات الهـــوى والشـــباب　　بفيلاتـــك العـــاطرات الجبـــين
فصـــرت لأقـــدارك العاتيـــات　　بثـــأر الـــدماء ومـــأوى المنـــون

***

أغـــادير! رغـــم البعـــاد أراك　　وأســـمع أناتـــك الضـــائعة
وكـــفّ المعـــاول والحـــافرين　　تغـــذي بطـــون الثـــرى الجائعـــة
ذراع هنـــاك وســـاق هنـــا　　وفي كـــل عـــين رؤى جازعـــة
عـــذابات عشـــرين ثانيـــة　　كـــدهر طوتـــه يـــد الفاجعـــة!

***

فيـــــا حكمـــــة الله فيمــــا أراد وما قـــد يريـــد ومـــا لا يريـــد

عظـــات نعيهـــا وقـــد لا نعيهـــا ولكـــن فيهـــا معـــاني الوجـــود

ومـــا أنـــا أملـــك لي مـــن عـــزاء سوى الحزن يبعـث هـذا القصـيد

وثغـــر يتمـــتم عبـــر الزمـــان فمنهـــا خلقنـــا ... إليهـــا نعـــود

▪▪ وصية أم لاجئة

ولـدي! أحـس اليـوم قـرب منيتـي وأود أن تصـــــغي إلى أقــــوالي
فلقـد تكـون سـمعت ألـف حكايـة عمـا جـرى في مـوطني وجـرى لي
لكننـــي أخفيـــت قصـــة ليلـــة ظللـــت بـــذاكرتي تعكـــر بـــالي
إذ كنـت غصـن العـود هشًـا لينـا يخشـى عليـك تحمـل الأثقـالِ
آثـــرتُ أن تغـــدو كبيـــرًا عـــاقلًا حتـــى تحـــس بوقعهـــا الفعّـــالِ

***

وآه لـــو تـــدري الـــذي قاســـيته في ليلتـــي الأولى مـــن الترحـــالِ
إذ كنـت في داري الحبيبـة حينمـا فوجئـت وسـط الليـل بالأنـذالِ
نهبـوا الـذي في البيـت مـن خيراتـه وتقاسـموا مـا فيـه مـن أمـوالِ
وأتـى أبـوك عـلى نـداء كبيـرهم هيـا اخرجـوا حـالًا بـلا إهمـالِ!
وتسـللت كـف الشـقيّ بجـرأة نحـوي تعيـث بنضـرتي وجمـالي
وهـوى أبـوك عليـه وحشـا ضـاريًا يرميـه باللكمـات دون كـلال
وسـرى الـدم العربـيُّ في أعراقـه وأبـى الفـرار معـي بغيـر نضـالِ
وسمعت صوت رصاصـة ممزوجـة بـأنين طفـل مسـتغيث غـالِ
ورأيـت أختـك في السـرير صـريعة والفـرش يغـرق في الـدم السـيالِ
فسـقطت لا أدري أكانـت سـاعة أم يـا تـرى مـرت عـليّ ليـالِ

ثـم انتبهـت فـإذا أبـوك عـلى الثـرى ... ميتًـــا ولكـــن ميتـــة الأبطـــالِ

من هذه اللحظات لا أخشى الـردى ... فلقد شعرت به ... ولسـت أبـالي؟

وهربـــت مـــن داري كـــأنَّ جهنمـــا ... خلفـي وأشـباح الجحـيم حيـالي

ومشيت يا .. يا كم مشيت بلا هـدى ... أخفيـك في حضـني ككنـز غـال

هــد المسـير خطـاي حتـى أننـي ... مـا زلـت أشـعر بـالخطى كجبـال

ولكم بكيتَ فرحت أرضعك الأسى ... والــدمع يــا ولــدي وذلــة حــالي

***

وظللـــت أفتـــرش الرمـــال شـــريدة ... وتمـــر بـــي الأيـــام كالأجيـــالِ

حتى استكنت هنـا بـداخل خيمتـي ... يا بؤس عيشـي في دجـى الأطـلال

***

كـم مـرة ، ولــدي ، تركتــك نائمًــا ... وخرجت أسرح في الطريق الخـالي

الليــل مــن حــولي يلــف وشــاحه ... والبــرد يهــزأ مــن ردائــي البــالي

فتقـــول لي نفســـي إلام .. إلى متـــى ... أمشـي وطيـف البـؤس في أذيـالي

وتقـــول لي نفســـي لأيـــة غايـــة ... أحيـا ومـا اسـتحققت غيـر زوالي

فأشيح عـن نفسـي ظـلام وجودهـا ... ويشـع عبـر الأفـق ضـوء هـلال

أرنـــو إليـــه عـــلى أســـى ويمـــد لي ... درب الغـــد المفـــروش بالآمـــالِ

فأرى «جمـال» عـلى طريـق عروبتـي ... متطلعًـــا للفجـــر في إجـــلالِ

وأصـيح يـا بطـلي ومنقـذ أمتـي ... إن الفنـــاء يـــدب في أوصـــالي

خـــذني إلى أرض الحقيقـــة والمنـــى ... إني ســـئمت تـــوهمي وخيـــالي

«يافـــا» تنـــاجيني وتبســـط كفهـــا ... وربوعهـــا تهفـــو إلى اســـتقبالي

أنـا لا أريـد اليـوم أغمـض أعينـي إلا عـلى إشـرافها المتعـالي

وعلى الثرى الوضـاء ينفض كـاهلي عـبء السـنين ووطـأة الإذلال

أورثتــه ثــأري وحقــدي كلــه وبثثــت فيــه عواصــفي ورمــالي

فإليــك قوّتــه وعــزم شــبابه ليفك عـن وطنـي دجـى الأغـلال

إني لواهبــة إليــك بــه دمــي وعقيــدتي الشــماء واسـتقلالي !

هــذي ، بنــي ، حكــايتي لا تنسـها يــوم الــوغى وهزيمــة العــزال

ســتظل تصــرخ في الــدجى رنانــة واثــأر لأملـك يـا فتـى الأشـبال

عــش للفــداء وللعروبــة والعــلا واتبـع مـع الأحـرار خطـو جمـال

■■ عبثًا يخبو

حـين أقسـمنا عـلى السـير طـويلًا لم نكـن نجهـل دربًـا وسـبيلًا

لم نكـن نجهـل مـا سـوف نعـاني أي عـبء قـد حملنـاه ثقـيلًا

غيـر أنـا مـن بعيـدٍ قـد لمحنـا وحـدةً كبـرى وإشـراقًا نبـيلا

فمشـينا فـوق أشـواك الربـى لا نبـالي إن غـدا الجـرح علـيلًا

***

هكـذا الأحـداث في أرض العـربْ دولـة تـدنو وأخـرى تنسـحبْ

إنهـا قوميـة كالنـار تسـري لـيس يعنيهـا التـواء وشـغبْ

كلمـا هبـوا إلى إطفائهـا عبثًـا يخبـو سـناها الملتهـبْ

ويـل مـن يلهـو بهـا ... يـا ويلـه! سـوف يرتـد هشـيمًا وحطـبْ!

***

إنهـا مصـر التـي وسـط المنايـا وأسـاطيل الغـزاة الغاشـمين

إنهـا مصـر التـي حـين أغـاروا غـورتهم في ديـاجير المنـون

أي فـردٍ عاقـل يرقـب منهـا هـذه الشـمَّاء يومًـا أن تلـين

رضـى الظـالم أو لم يـرض عنهـا لـيس يعنيهـا رضـاء الظـالمين

***

فليثـر مـن شـاء في الـدنيا علينـا كـل حكـم مسـتبد سـوف يفنـى

حاربونـا الأمـس شـعبًا مسـتكنًا واسـتباحوا أرضـنا غـدرًا وجبنـا

غيـر أنـا لم يكـن شـيء لـدينا غيـر عـزم ثابـت في جانبينـا

فرفعنـا الـرأس حـرًا ومشـينا وعـلى الله اعتمـدنا ... فانتصـرنا!

▪▪ مصر تناشد سورية

سـوريتي الحسـناء يـا سـوريتي   يـا أعـذب النجـوى وأحـلى كلمـةِ
أختـاه! يـا أخـت العروبـة إننـي   أدعـوك باسـم الحـق والحريـةِ
باسـم انتصـارات وأحـلام لنـا   عشـنا بهـا في ظـل جمهوريـةِ
أدعـوك باسـم صـغارنا وحقـوقهم   وبمـا عـلى الآنـاء مـن تضـحيةِ
لا ترهبـي حكمًـا تسـلل في الـدجى   لا تخضـعي للقيـد والتبعيـة
دقـت نـواقيس الحيـاة فهشـمي   يـا أخـت بالقـدمين رأس الحيـة
هبـي كمـا هبـت عواصـف أمتـي   وتمخضت في سيرها عـن ثـورتي
الجـوهر الشـفاف أنـت بكـل مـا   في الجـوهر الشـفاف مـن إشـراقة
تتنـازلين! وكيـف؟ مهمـا أخمـدوا   فيـك الصـدى سـتجلجلين بقـوة
مـن نحـن يـا أختـاه؟ أيـة قـوة   في الكون تعصف بالشعوب الحيـة
شـعبان جمعنـا إلـهٌ قـادر   ليسـت مشـيئة ناصـر ومشـيئتي
ودمشـق هـل تنسـى محيـا ناصـر   في السـاحة الفيحـاء فـوق الشـرفة
وهـي التـي كـم مـرة ضـمته في   أحضـانها في لهفـة وصـبابة
وهتافهـا يعلـو السـماء وينثنـي   مـن قاسـيونك طائفًـا بالغوطـةِ!

***

أنــا مصــر أحمــل حــرةً قــوميتي علمــا يرفــرف في سـماء عروبتــي
فإذا وجـدت اليـوم مـن قـد خـانني ونسوا أمام المـال عطـف أمـومتي
بــاعوا فلسـطين الحبيبــة وانثنــوا ينســـحبون إلى دمشـــق الحـــرة
عـــرب ولكـــنَّ العروبــة مـــنهمُ برئـــت وكـــم حـــاطتهم باللعنــة
أصـــداء أســـياد لهـــم ومضـــللو عقل الشعوب وهم أساس الفرقـة
أنا إن وجدت اليوم مـن قـد خـانني عـــار أفـــرط في أداء رســـالتي
لا لـــيس يعنينـــي تقلـــب ســـادة أعـــوان الاســـتعمار والرجعيـــة
متـــربعين عـــلى كراســـي حكمهـــم مثـــل الـــدمى الرقاصـــة الخشـــبية
فقــد امتحنــت اليــوم فيــك وزادني يا أخت إصـرارًا حـدوث المحنـة
أنــا لــن أبــدل مــن قداســة وحــدتي وتثـــبط الأحـــداث فيَّ عزيمتـــي
لكننـــي منـــي ســـأدعم قـــوتي ومن الشوائب سوف أغسل جبهتي
ســـأحيل حـــزني ثـــورة دفاعـــةً وألـــف بالإيمـــان جـــرح الطعنـــة
وأحــول الــدمع الســجين بمقلتــي عرقًـا أشـيد بـه صـروح الوحـدة
وبكـــل طاقـــاتي وإمكـــانيتي سأصـوب الأهـداف نحـو الغايـة
وغدًا مـع الفجـر القريـب سـنلتقي وتلفنــا الأضـــواء يــا ســـوريَّتي!

▪▪ أنا والليل ... ووحدتي

ربـــة الصـــمت وأخـــت الليـــل يـــا ســـرَّ الزمـــان!
وحـــدتي الأم ! ويـــا أعمـــق حـــب وحنـــان
هـــا أنـــا عـــدت إلى حضـــنك في ظـــل الأمـــانِ
بعـــد أن مثلـــت دوري كـــاملًا بـــين البرايـــا ...

***

اخلعـــي عنـــي قنـــاعي ، مزقـــي الآن ســـتاري
وانفضـــي عنـــي عبثـــي وامرحـــي الآن بـــداري
هـــؤلاء النـــاس مـــا أســـخف أحـــداث النهـــار
أغلقـــي البـــاب علينـــا ، إننـــا صـــرنا عرايـــا

***

ادخـــلي المحـــراب إني فيـــه وحـــدي لا أنـــام
ثـــم حيـــي الراهـــب الأســـود عمـــلاق الظـــلام
أنـــت عـــذراء وهـــذا الليـــل بكـــرٌ وغـــلام
إننـــا أقـــدس ثـــالوث عـــلى أرض الخطايـــا

***

قـــبلي في الليـــل يـــا أختـــي جبينـــي ، قبلينـــي !
وانحنـــي لي ، إننـــي أغـــلى رفيقـــات الســـنين
فيـــك كـــم أعشـــق حريـــة شـــكي ويقينـــي
وصـــراع الخيـــر والشـــر بأعمـــاق دجايـــا!

***

اتركينـــــي الآن أمشـــــي في مســــافاتي الخفيــــة
اتركـــي عينـــي ترنـــو نحـــو أجـــوائي الدجيــة
إنهـــا أســـطع نــــورًا مـــن قلـــوب البشـــرية
فهـــي كـــم تحمـــل أعبـــاءً وكـــم تطـــوي بلايـــا

***

فـــإذا الســـاعة دقـــت أخمـــدي الـــدقات فيهـــا
مـــا لنـــا والوقـــت في خلـــوة روح نشـــتهيها
وإذا الأشـــباح مـــرّت ، أبعـــديها ، أبعـــديها
إنهـــا تقلـــق حلمـــي وانطلاقـــي ورؤايـــا

***

إن عنـــدي كلمـــات دون بـــدء وانتهـــاءِ
وإشـــارات تخـــاف اللمـــس في ظـــل الضـــياء
إن هـــذا الليـــل لـــيلي ، وهـــو ليـــل الشـــعراء
نحـــن بـــين النـــاس نحيـــا غربـــاء وضـــحايا

▪▪ مات حيًا

قلبـــي كـــالمولود الغـــضِّ

كالســـهل المنبســـط الأرضِ

كالبيـــت المفتـــوح البـــابِ

لا يخشـــى ســـطو الأغـــرابِ

كرمـــادٍ في جـــوف الموقـــدْ

كالمســـرح إذ خـــتم المشـــهد

الآن رجعـــــــــــــت إلى ذاتي

وحيـــاتي رجعـــت لحيـــاتي

لا عـــبء يغـــوص بحنبيَّـــا

لا طـــوق يقيـــد خطويـــا

أصـــبحت بجفـــة عصـــفورِ

أصـــبحت أطيـــر مـــع النـــور

حبـــيِّ الماضـــي أمســـى قشـــره

قشـــرة فاكهـــة مصـــفرة

نُزعـــتَ ومســـحتُ بهـــا ريقـــي

ورميـــت بهـــا عبـــر طريقـــي

ومشـــيت أهدهـــد أحلامـــي

وأدوس الحـــب بأقـــدامي

وتنفســـــت الأرض بقـــــوة

وانتفضـــت مـــن جـــوف الهـــوَّة

وتـــــدفق فجـــــر اطمئنـــــاني

وتغنـــــي الطيـــــر بألحـــــاني

حتـــى الأنجـــم صـــارت حـــرة

لا تخشـــــى نظـــــراتي المـــــرَّة

فضـــــلوع الشـــــباك تـــــدانت

وســـــماء الأوهـــــام تـــــوارت

واللمبـــــة أرخـــــت جفنيهـــــا

وابتســـمت تمســـح خـــديها

ووســـــادة أحلامـــــي ابيضَّـــــت

ودمـــــوع الســـــهد بهـــــا جفـــــت

ورجعـــت لنـــــار المـــــدفأةِ

للبيـــت ، لعرشـــي ، مملكتـــي

والقطـــــة لعقـــــت أقـــــدامي

والكلـــــب تمـــــدَّد قـــــدَّامي

وســـمعت أحاديـــث الســـجارة

وخـــلاف الصـــبية في الحـــارة

ونســـــيت كآبـــــات الأمـــــس

وانتفضـــــت إطراقـــــة رأســـــي

ووهبــت الأحيــاء ســروري وضــحكت بقلبــي وشــعوري

ورجعـــت لنفســـي ولـــذاتي وحيـــاتي رجعـــت لحيـــاتي

شـــيء في قلبـــي يطعننـــي شـــيء كالنـــار وكالســـيفِ

الجـــرح يعـــود فيـــؤلمني أتـــراه الحـــب؟ أيـــا خـــوفي!

▪▪ حديث الماء للماء

مـــاذا يقـــول المـــاء للمـــاء إذ يعـــتلي جـــوف المواســـير
ويهـــيم عبـــر طريقـــه النـــائي منـــــدفقًا نحـــو الصـــنابير ؟

***

أتـــراه يشـــعر أنـــه يجـــري تحـت التـراب لغايـة كبـرى؟
أم يـــا تـــرى يشـــتاق للفجـــر متمنيًـــا دنيـــا لـــه أخـــرى؟
هـــو قطعـــة مـــن نهـــره الأكبـــر نزعـــوه مـــن أحضـــانه الحلـــوة
إذ كـــرروه وحينمـــا كـــرِّر ألقـــوه بـــين بـــراثن الهـــوة
الأرض شـــرخ صـــدرها شـــرخًا فتلقفتـــه بحـــزن مكبـــوت
وبـــداخل الماســـورة اســـترخى وكأنـــه في جـــوف تـــابوتِ

***

تمشـــي عـــلى دنيـــاه في نـــزق ودنـــاه بالأضـــداد مجموعـــة
مـــيلاده في شـــرفة الأفـــق وفنـــاؤه في جـــوف بالوعـــة
لكنـــه لم يـــرض أن ييـــأس بـــل ســـار في عـــزم وإمضـــاء
هـــو بالـــدجى والأرض مســـتأنس مـــن لي بســـر المـــاء للمـــاء ...!

▪▪ عندما تنام القاهرة

منذ وقت مضى بعيدًا بعيدًا غابـت الشـمس في الـدروب الدجيـة

هبطـــت ســـلم الفضـــاء عروسًـــا تتهـــادى في حلـــة ذهبيـــة

وتـــوارت فخلفـــت في ســـمائي حـــزن أم عـــلى فـــراق صـــبية

منذ وقت مضـى ومـا زلـت وحـدي والخيـالات في عيـوني حية

أرقـــب الأرض والفضـــاء ولـــيلًا مـــن ربيـــع المدينـــة القاهريـــة

أي ســـحر وأي دورق عطـــر ســـكبته يـــد المـــلاك النقيـــة

إيـــه يـــا أنـــت يـــا مدينـــة شـــعبي ومهـــاد الحضـــارة الأزليـــة

كـــل شـــيء عليـــك يبعـــث ســـحرًا وغموضًـــا ونشـــوة وحميـــة

هـــا هـــي القلعـــة الرهيبـــة تبـــدو مـــن خـــلال المـــآذن الروحيـــة

جثمـــت خلفهـــا الجبـــال ســـجودًا لتـــواريخ أمـــة عربيـــة

هـــا هـــو النيـــل قـــد تمطـــى كســـولًا مســـتظلًا بـــالأنجم الفضـــية

إن نجمًـــا وراء نجـــم تهـــاوى كالضـــحايا في ســـاحة حربيـــة

والعمـــارات تســـتطيل وتكبـــو كعفاريـــت قصَّـــةٍ وهميـــة

والفـــوانيس تســـتوي واقفـــات كتماثيـــل ربـــة وثنيـــة

والـــدروب التـــي تضـــج حيـــاة قـــد تـــراءت في وحشـــة قفريـــة

وبقايـــا الأشـــباح تمضـــي ســـراعًا مثـــل طيـــف الرجـــاء والأمنيـــة

والملاهـــي التـــي تفـــيض ضـــلالًا أفرغـــت جوفهـــا ونامـــت تقيـــة

والبســـاتين مـــن بعيـــد تراخـــت واســـتراحت مـــن الـــرؤى الآدميـــة

كـــل شـــيء عـــلى المدينـــة يغفـــو بـــين أحضـــان غيبـــة حســـية

بح صـوت العملاقـة الآن ... كلـت قـدماها .. ونامـت الجنيـة!

***

كـل شـيء ينـام غيـر غـلام يـذرع الـدرب في خطـى ملكيـة
حـاملًا سـهمه الرشـيق ، جمـيلًا وعـلى الثغـر وردة قرمزيـة
بعيـون هـدب وشـعر جثيـل ، ضـاحكًا للظـلام في سـخرية
إنـه الحـب ! يـا كيوبيـد رفقًـا ! يـا إلـه المشـاعر القلبيـة
أيهـذا المليـك حسـبك فخـرًا أن حكمـت الوجـود والبشـرية
كـل قلـب حللـت فيـه إلـه كـل روح لمسـتها سـرمدية
الشـياطين في حمـاك اسـتحالوا منبـع الهـدى والـدروب السـوية
والغزاة الوحـوش صـاروا عبيـدًا قـد غـزتهم سـهامك الوحشـية
وقلـوب الصـخور والشـوك لانـت وتجلـت قطيفـة مخمليـة
ولـك الله ! كـم تخطيـت يـا حـب حـدود الأمـاكن الزمنيـة
فغـدا الكهـل في يـديك غلامًـا وغـدت جـدة الصـبي صـبية
وغـدا الـثلج والصـقيع عـلى القطـب الشـمالي نـار أفريقيـة !

***

لهـف نفسـي لكـم أسـائل نفسـي وأنـا أرقـب البيـوت حييـة !

مـا الـذي خلـف هـذه الجـدر الصـم؟ وراء النوافـذ الخشـبية

كلهـــا كلهـــا تخبـــئ أحلامًـــا ونجـــوى وصـــورةً فنيـــة

كـــم حيـــاة بهـــا كمـــوت ومـــوت كحيـــاة وكـــم رؤى عكســـية

كـم عـراء مقـدس وبكـاء ثمـل ، كـم مـن ضـحكة دمويـة !

إنهـــا قصـــة الحيـــاة تجلـــت في ضـــلال الســـكون والحريـــة

فامض يـا حـب نحـو كـل بنـاء وابعـث النـور تحـت كـل حنيَّـة

أنــت أنــت الربيــع في كــل قلــب ومثــار الإلهــام والشــاعرية

هــا أنــا أســكب التأمــل لحنًــا تحــت أقــدام ظلمــة قدســية

إن روحي تنساب بين شـفاهي وهـي سـكرى بالوحـدة الأبديـة !

▪▪ عتاب إلى القلب

يكفيـك يـا قلـب مـا غنيـت يكفيكـا ... ألم تــر الليــل يــا قلبــي يناديكــا؟
قضــيت عمــرك تشــجيهم وتطــربهم ... وأنـــت وحـــدك لا خـــلٌ يناجيكـــا
إذا ضــحكت عــلى الــدنيا بأجمعهــا ... فما ضحكت على الـنفس التـي فيكـا
لهفى عليك ستمضــي العمـر في نـدم ... لا ضوء بعد غروب الشمس يجلوكـا
ســـيركلونك يـــا قلبـــي بـــأرجلهم ... وسوف ينسون رغم المجد ماضـيكا
يا قلب أنثى نمـتْ في الشـرق ضـائعة ... تـــرى التقاليـــد تفنيهـــا وتفنيكـــا
نقضـت عنهـا قيـود الـذلل في شـمم ... وسرت في الدرب تسـتجلي نواحيكـا
فكنـــت أول قلـــب في صـــراحته ... ألغى الرقيـق وكـان الأمـس مملوكـا
وكنتُ أولى ضحايا الصـدق في بلـدي ... فقــدت لــذة عــيش كــي أجاريكــا
عـلى حسـاب حيـاتي إذ مضـت عبثًـا ... مضــيت تغمــر بالألحــان واديكــا
هجـرت إلفـك إلـف العمـر منطلقًـا ... لكــي تحــرر مــن خــوف أغانيكــا
لـــولا التوحـــد لم تجهـــر بعاطفـــة ... ولا ســـردت بـــإخلاص أمانيكـــا
لولاه يا قلب ، لولا الشعر ما اجترأت ... توافــه النــاس تهجــوني وتهجوكــا
هــذا نصــيبك يــا قلبــي رضــيت بــه ... مالي أعـاني وكيـف اليـوم أشـكوكا؟

▪▪ الربيع

هـــلَّ فصـــل الحـــب والـــدنيا تغنـــي

وقلـــوب النـــاس تهفـــو للعنـــاق

كـــل شـــيء فـــوق أرضـــي فيـــه منـــى

فيـــه حـــب وحنـــين وانطـــلاق !

ذلـــك البســـتان كـــم ينـــبض حيًّـــا

كـــل ظـــلٍّ فيـــه قـــد ضـــمَّ صـــباحه

إنـــه الجنـــة تبـــدو وســـط دنيـــا

رفـــرف الصـــدق عليهـــا والصـــراحة

كـــل شـــيء فيـــه قـــد شـــب وليـــدا

باعثًـــا في كـــل وجـــه بتحيـــة

ضـــاحكًا يهفـــو إلى الحـــب ســـعيدًا

زاهـــدًا يهـــدي عطايـــاه الســـخية

هـــا هـــي الأزهـــار تحـــت الشـــمس تفـــتح

ثـــوب إغـــراء موشـــى بالضـــياء

الثنيـــات بـــه تنـــأى فتفضـــح

موضـــع الفتنـــة حســـنًا ورواء

هـــا هـــو الطـــائر قـــد مـــل عروشـــه

وهفـــا بـــالروح نحـــو المشـــرق

فـــوق غصـــن زاهـــر ينقـــر ريشـــه

مســـــــــتعدًا لاجتيـــــــاز الأفـــــــق

كـــــــل صـــــدر بالنياشـــــين تحـــــلى

قطـــــــرات النــــــور والطـــــــل بريــــــق

والنســــــيم الحـــــر ســـــر يـــــتجلى

مـــــــن وراء الليـــــــل شـــــفافًا رقيــــــق

***

أيهـــــا الـــــورد ويــــا فخــــر الزهــــور

باقـــــة الحــــــب وإغـــــراء الفــــــراش

أيهـــــا الجــــدول ، يــــا ســـرب الطيـــور!

يــــــا غصــــــونًا في ارتقـــــاص وارتعــــاش

ظللـــــــــوني كــــــل أيـــــــام حيـــــاتي

واحضـــــنوا صـــــوتي طـــــويلًا وطـــــويلًا

واملــــؤوا الـــــروض بنجــــوى ذكريــــاتي

واتركـــــــوا آثـــــار أقـــــدامي دلــــــيلًا

ربمـــــا يــــــأتي ربيــــــع لا أحيــــــي

فيـــــه أنفـــــاس النســـــيم الســـــاهرة

فـــــاذكروا في نشـــــوة الضــــوء النقـــــيِّ

أن بـــــين الـــــروض مـــــرت شــــاعرة!

نحـــــن في الـــــدنيا إذا غـــــاب الربيــــع

مـــــثلكم نحيــــا شــــــتاء ممــــــتهن

حـــــين يأتينـــــا ليجتـــــث الضـــــلوع

ذلـــك الحاصـــد مـــن يـــدعي «الـــزمن»؟

ذلـــــك الآكـــــل في غـــــدر صـــــغاره

مـــن يـــذري عمرنـــا مثـــل الريـــاح

خامـــــدًا في قلبنـــا المشـــبوب نـــاره

غارسًـــــا أشـــــواك دمـــــعٍ وجـــــراح

فاســـــكبوا الآن بجنبـــــي الأمـــــان

مالنـــا والغـــد والـــدنيا لـــدينا

والســـما ترنـــو بعطـــف وحنـــان

والهـــوى الســـيد عبـــد في يـــدينا؟

■■ إسكندرية في الشتاء

إســكندرية ـــــ مــا أصــابك؟ إنهــا نفــس الحكايــة
هــي قصــة امــرأة بــدت في حســنها الصــيفي آيــة
لم يبــق للعشـــاق بعـــد شـــتائها أمـــل وغايـــة
أو تلــك خاتمــة الحســان الغيــد؟ يــا بــؤس النهايــة

***

دارت بــك الــدنيا ويــا ويــل الجمــال مــن الزمــانِ
حملتــــك مــــن دفء العذوبــــة للبــــرودة والهــــوان
فبكيــت شــاحبة الجبــين ، بكيــت ضــائعة الأمــاني
ومــــلأت بالمســــتنقعات الســــود أحشــــاء المكــــان

***

أيــن العبيــد؟ عبيــد حســنك ، أيــن عشــاق الجمــال؟
أيـــن الألى مـــن آخـــر الـــدنيا أتـــوا رغـــم المحـــال
أغـــــريتهم وســــلبت وقــــتهمُ ومــــا ضــــنوا بمـــــال
ورميـــــتهم في البحــــر عابثـــــة فعـــــاثوا بالرمـــــال

***

الضـــفة الشـــقراء كـــم قصـــص بهـــا كانـــت تـــدور
أيــن انطــوت ضــحكاتها النشــوى كألحــان الطيــور
أيــن الهــوى والغمــز والقــبلات مــن خلــف الصــخور

وصـــدى الأكاذيـــب الحبيبـــة والأمـــاني والغـــرور

***

ذهبـت ولم تتـرك هنـا فـوق الرمـال سـوى الضـياع

وملامـــح الهجـــران حينًـــا والقطيعـــة والـــوداع

وسـوى زئيـر البحـر يخـبط ضـاربًا صـدر البقـاع

ودمـــوع شـــاعرة لهـــا قلـــب أثيـــري الشـــعاع

***

السـيل يغمـرني وحبـات الثلـوج تـدق رأسـي

والــريح مــن حــولي تصــفر في أســى دام ويــأس

والبـرد ينشـب نابـه ويـدب في أغـوار نفسـي

والبحـر ! يـا للبحـر عربيـد تجـرع ألـف كـأس!

***

هــذا هــو الصــياد يرقــب ثــورة البحــر الإلــه

قــد شــد زورقــه وأرخــى الحبــل واســترخت خطــاه

وطوى الشـباك ومـا طـوى الصـبر الحلـيم عـلى أسـاه

يـــا أيهـــا البحـــر العنيـــد امنحـــه أرزاق الحيـــاة

***

إســكندرية ! يــا عــروس البحــر حســنك لا يغيــب
إعصــارك المجنــون يصــرع كــل إحســاس مريــب
وشــتاؤك الــواهي تــدب بــه الحيــاة مــع الغــروب
والليــل فيــك الليــل فيــك نــداؤه مغــر حبيــب!

***

فــوراء جــدران البيــوت يمــوج ســحر مفتــنن
وهنــاك مــدفأة ومصــباح وركــن مــؤتمن
وهنــاك تجلــس «جــدة» الأطفــال تســتوحي الــزمن
تحكــي حكايــة «ابنــة الســلطان والشــاطر حســن»

***

حتــى إذا مــر الشــتاء نفضــت عنــك أســى الجمــود
ورجعــت - يــا حــظ الطبيعــة - للأمــاني والعهــود
وبــدأت - يــا حســن النهايــة - فجــر عمــرك كالوليــد
ليــت الأنــام لهــم ربيــع كــل عــام مــن جديــد!

▪▪ تحالف

انتهينـــا ... كتـــب الحـــزن عـــلى بـــابي كتابـــه

«هاهنـا داري ... وهـذا البيـت لي حصـن الكآبـة»

انتهينـــا ! وتحالفنـــا بـــلا أدنـــى اعتـــراض

واســـــتقر الـــــرأي حـــــرًا واســـــتفاض

جاءني بالأمس ضـيفًا متكلـف ... وعـلى البهـو توقـف

نـــار في وجهـــي وأرعـــد، ثـــم أرغـــى وتوعـــد

لِـمَ تخفـين وجـودي مثلمـا يخفـي العشـيق؟

إننـــي أكثـــر مـــن زوج وأغـــلى مـــن شـــقيق

أنـــا لي كـــل الحقـــوق ، فلمـــن هـــذا العقـــوق؟

سـوف أمضـي ... تاركـًا أمسـي ، ونجـوى ذكريـاتي

صحت في يأس ممض إن تـدعني فلمَـنْ أحيـا حيـاتي؟

أنـــت لي المعجـــزة الكبـــرى التـــي تـــروي الشـــجر

أنـــت نـــوري المســـتتر

أنـــت أحـــلام انتظـــاري

وشـــــعوري المنفعـــــل

وإذا أعرضـــت عنـــي ... فلمـــن قلبـــي يغنـــي

وهـــــــو يســـــــتجدي الأمـــــــل؟

هكـــــذا عـــــدنا وقســـــمنا حيــــاتي

فـــلي الفـــن كفنـــي ... ولـــه عمـــري وذاتي

وانتهينـــا ... كتـــب الحـــزن عـــلى بـــابي كتابـــه

هـــا هنـــا داري وهـــذا البيـــت لي حصـــن الكآبـــة

▪▪ الزهرة الذابلة

وضــعوا الزهــرة النضــيرة يومًــا في إنــاء منســق الألــوان

فــوق رف مــن الــديار أنيــق بالتماثيــل والــدمى مــزدان

وسـقوها الهـدوء والحلـم الحـر وعـين الرضـا وجـو الأمـان

ثــم قــالوا : مــا بالهــا تتــراءى في ذبــول وصــفرة وهــوان؟

رأسها الشـامخ المهيـب تهـاوى فـوق صـدر الإنـاء في خـذلان

نحــن لم نقــس ، لم نضــن عليهــا بالأمــاني وبــالهوى المتفــاني

أتـرى الليـل قـد أطـل عليهـا والتـوى العـود في أكـف الزمـان؟

تمتمـت نفسـها الحزينـة في صـوت عميـق مسترسـل الألحـان:

***

كنـت روحًـا عـلى الريـاض وثوبًـا يـوم أن أهرقـت دمـي كفـان

كـان مهـدي الثـرى وأفقـي غطـائي ودمـاء الحيـاة في شـرياني

قـد يكـون المسـاء قطـب في وجهـي حينًـا وغـام في أجفـاني

ويكون الفراش جرح خدي وارتـوى النحـل مـن دمـي الولهـان

وتكـون الغصـون أثقلـن ظهـري وتـربعن فـوق عـرش مكـاني

والأزاهيــر قــد أثــرن ظنــوني وتحــدين غيــرتي وافتتــاني

غير أني أحسست نفسي تحيـا ، تلـك كانـت عـلى الربـى أكـواني

تلك كانت هـي الحيـاة بمـا تحـوي مـن النـور والظـلام العـاني

كلمــا مســني الفتــور تســاءلت لمــاذا وجــدت في بســتاني

ألا نعـي الحظـوظ والقـدر المـر وأمضـى الحيـاة في الأحـزان؟

أيهـا اليـأس لا تمـر بروضـي ، أيهـا الضـعف لا تمـس كيـاني

أنـا إن لفـت الهزيمـة روحـي أي مغـزى للعـيش؟ أي معـان

ولمـن شـيدت الجبـال إذا لم أك أهفـو إلى اعـتلاء الأمـاني؟

***

ولقـد يشـتهي الغريـب سـؤالي كيـف أمضـيت في الربـى أزمـاني

كـل شـيء لـه هنالـك روح ، كـل شـيء كانـت لـه عينـان

عشت فيها طليقة الروح نشـوى ، رغـم قيـدي سـخية الوجـدان

رب قيد في الـنفس أشـقى وأقـوى مـن قيـود اليـدين والسـيقان

الفضـاء الفصـيح يعتـق أنفاسـي ويضـفي السـنا عـلى تيجـاني

كـان لي في رؤاه كـل صـباح ضـمة الحـب واللقـاء الهـاني

ألـف سـر هنـا بأعمـاق روحـي خبأتـه الريـاض في كتمـان

كم رأيـت النسـيم يهـدي إلى الـروض رسـالات عاشـق حيـران

وسـمعت السـماء تفضـي إلى الأرض بسـر الخلـود والإيمـان

فتعلمـت كيـف يمكـن أن تنضـم شـتى الزهـور في اطمئنـان

نحـن نحـن الزهـور نـؤمن بالحسـن وسـحر الطبيعـة الفتـان

ربنـا الخيـر نفتديـه رحيقًـا والهـوى الثـر والمنـى أبـوان

***

آه مـن قبضـة الظـلام وأنفـاس شـياطين هـذه الجـدران

هــذه الحجــرة الأنيقــة والــرف جمــادان ، بــل همــا قبــران

كيف يقوى السجين أن يقطـع العمـر عـديم المنـى بـلا أوطـان

أعطنـي تربتـي التـي أنـا منهـا وأعـدني لـلأرض يـا ... سـجاني

قــد رشــف الحنــان مــن ثــديها النــامي وضــمت أحضــانها

رب أرض أرق صــدرًا وأحنــى مــن قلــوب تجـيش بالخفقــان

هكـذا أذبـل القطـاف عبيـري ! مـن تـراه عـلى حيـاتي الجـاني؟

كــل شــيء لمســت فيــه وفــاءً غيــر أني خُــدعت في الإنســان

..الإمبراطورة الحزينة

كـــالزهرة المغمـــى عليهـــا تحـــت أعبـــاء القـــدم

كـــالروح ضـــائعة الـــرؤى والحـس تحتضـــن العـــدم

تتلفتـــين هنـــا لأمسِـــك كالســـفوح إلى القمـــم

وهنـــاك «ديبـــا» بـــالهوى والحســـن تـــنعم ناضـــره

أواه مـــا أقـــى الحظـــوظ وكـــم تـــدور الـــدائرة!

***

أنـــا يـــا ثريـــا اليـــوم جازعـــة عليـــك وفي كـــروب

أنـــا لم أقـــف يومًـــا بهـــذا الموقـــف الـــدامي الرهيـــب

أنـــا لم أعـــش عمـــرًا كعمـــرك كلـــه خصـــبٌ جـــديب

أنـــا لم أكـــن زوج إمبراطـــور بفتنـــة ســـاحرة

لكـــنَّ لي قلبًـــا رهيفًـــا لي مشـــاعر شـــاعرة!

***

عيشـــي فكـــم في الكـــون مـــن أمـــل يـــداعب مقلتينـــا

ليســـت معـــاني العـــيش أزواجًـــا وأولادًا لـــدينا

البنـــت تُهمـــل والفتـــى إن شـــبَّ قـــد يقســـو علينـــا

والـــزوج إنســـان لـــه أخطـــاؤه المتـــوافرة

والصـــبر بلســـم جرحنـــا والله يهـــدي الصـــابرة

***

والله ! مـــا معنـــى اســـمه إن لم يكـــن معنـــاه حبًّـــا

والحـــب إنســـانية ضـــمت قلـــوب النـــاس قلبًّـــا

لا تحســـي «ديبـــا» فمـــن يـــدري الـــذي تطويـــه كربـــا

دنيـــاك بالأمـــل المجـــدد والمفـــاتن زاخـــرة

هيـــا ارقبـــي أحـــداثها الغضـــبى بعـــين ســـاخرة

▪▪ إلى خادمة

لا تقـــولي اليـــوم ســـــتي ... أنـــــت ســـــتي

أنـــــت في الحجـــــرة في أقصـــــى الحديقـــــة

كـــــل مـــــا عنـــــدك أشـــــياء عتيقـــــة

فســـــرير مـــــن حديـــــد وحصـــــير

كيفمـــــا يحيـــــا الفقيـــــر

وأنـــــا أملـــــك «فـــــيلا» كالقصـــــور

وأثاثًـــا مـــن خشـــب «الآرو» وفرشًـــا مـــن حريـــر

وســـــط بســـــتاني النضـــــير

ولي الـــــورد الشـــــهي

والجمـــــال العبقـــــري ..... !

وإذا أحببـــــتُ أن تـــــأتي ســـــريعًا

جـــــرس جنبـــــي يناديـــــك مطيعًـــــا

فـــــإذا القهـــــوة والشـــــاي أمـــــامي

وإذا طيفـــــك يـــــدنو في احتـــــرام

غيـــر أني أتمنـــى ... آه مـــن قلبـــي المعنـــى

أن أكـــون اليـــوم أنـــت .... بيتـــك المضـــحك بيتـــي

فخـــذي الآن هـــدومي ... إنهـــا تحـــوي همـــومي

البســـيها ... لا تخـــافي أن يـــراك النـــاس فيهـــا

إننـــي كـــم أزدريهـــا ... وخـــذي كـــيس نقـــودي

وحليي وعقودي ... إنها حمل كبير .. إنها حظـي المريـر

أنت تجرين كما تجـري الحمامـة وأنـا حـولي غمامـة!

أي شـــيء لـــك يفـــرح ... يفـــتح الصـــدر ويشـــرح

أي هدمـــه أي لقمـــة هـــي في ظنـــك نعمـــة

وأنـــا الـــدنيا بمـــا فيهـــا بعينـــي ضـــيقة

واحتمـــــالات نعيمـــــي مرهقـــــة

أنـــت أغنـــى بالرضـــاءِ ، مـــن تفاهـــات ثرائـــي

نحـــن صـــنف الشـــعراء ... لا نـــرى غيـــر الكآبـــة

والأمـــاني والضـــياء ... حـــول عينينـــا ســـحابة

لا تقـــولي اليـــوم ســـتي فأنـــا عبـــدة همـــي

قلـــــق يمـــــتص دمـــــي

أعطنـــي نفســـك يـــا .... يـــا خادمـــة

وخـــذي منـــي روحـــي الواجمـــة ...!

▪▪ رب الدار

وتركت بعدك في الصباح دياري   وأنا على غيظي وثورة ناري

وذهبت أشكو منك عند أقاربي   وبحدة الإفضاء آخذ ثاري

وعلى الطريق تبخرت من خاطري   ذكرى الإهانة والأسى والعار

حتى وصلت فلم أجد بمشاعري   ما يستدل به على الإعصار

راوغتهم وجلست أرغي بينهم   وأخوض بالضحكات كل حوار

عارضت نفسي في الشكاية مثلما   يتصرف الأزواج في استهتار

وذهلت كيف نويت أكشف سرنا   وحياتنا قدسية الأسرار

وأجاب عقلي يا بنية إنه   رغم الخلاف المر رب الدار

ولمحت في قلقٍ خيالك قائمًا   بيني وبين الأهل في إصرار

وخشيت أروي عنك أية هفوةٍ   لتظل في الأذهان رمز وقار

وكأنما بالأمس لم تك غاضبًا   متوحشًا في ثورة الأشرار

وي! قد نسيت وما نسيتك لحظةً   فارقتني فيها بلا إنذار

منديلك الشفاف يمسح أدمعًا   تهمي على خديك في مدرار

وعلى الشفاة تحية مبحوحة   ألقيتها في ذلة المنهار

ووجدتني يا ضعف قلبي في الهوى   أخشى عليك من النسيم الساري

وأخاف تسرف في همومك شاربًا   ومدخنا ما شئت من سيجار

سلمت في عجل وعدت كما أنا   أطوي بعمق جوانحي أخباري!

▪▪ في الشارع

مــــالي أدب عـــلى الطريـــق كشـــاردٍ ينعـــي أســـاه
وأخـــوض أغـــوار الزحـــام كقشـــةٍ وســـط الميـــاه
لم أغمـــر الـــدنيا بأســـئلتي وأحـــدق في انتبـــاه
وعلى فمي هذا الصدى المخنـوق : «مـا سـر الحيـاة؟»

***

هـــذا القطيـــع الآدمـــي عـــلام يجـــري في انـــدفاع
ســـيظل يجـــري مثـــل مـــن ســـبقوه في دنيـــا الصـــراع
متصـــادمًا بـــالكنف حينًـــا ، باليـــدين وبالـــذراع
حتـى إذا عبـر الطريـق طـوى الوجـود بـلا وداع ...!

***

هـــي غابـــةٌ يرتادهـــا الحيـــوان ذو العقـــل القـــدير
عبـدًا لمـن ؟ للـنفس ، يـا للـنفس مـن وهـم كبيـر
يمشـــي وتســـتهويه كـــل ســـخافة العـــيش المريـــر
ويســـير في بلـــه الغـــرور إلى الفنـــاء ... كمـــا أســـير!

***

وجـرت عـلى خـدي الهزيـل يـدي تعرقـل سـير دمعـه
وتفلســـفت نفســـي تعزينـــي وتغمـــرني بمتعـــة
هـل لـو عرفـت نهايـة الـدنيا أرى في الكـون روعـة
وإذا خلـدت هنـا أمـا في عيشـي الأبـدي لوعـة ؟

▪▪ ليالي الهناء

مضـيت حبيبـي ومـالي سـواك! وكيـف تغيبـت عـن ناظريـا؟
أحـس بيـتم كئيـب كئيـب عفـا الله عنـك ! قسـوت عليـا
مضـيت وخلفـت لي الـذكريات وبيتـا يضـم شـذاك النـديا
وفي كـل ركـن أحـس الحيـاة وقلبًـا يمـوج وينـبض حيًـا
وأمضـي أسـامر بعـض الأثـاث فيرنـو حزينًـا ويصـغي شـقيا
وأسـأل هـذا السـرير الصـموت لمـاذا اسـتكان وكـان عتيـا
وكيـف تراخـت وسـائده ويـا كـم طوتهـا المشـاعر طيـا
ونحـن بأحضـانه نسـتميت حيـاة ونحيـا فنـاء شـهيا
ونشـرب أنفاسـنا البكـر حتـى تفـيض الصـدور وتشـرق ريـا
ويضـحك منـا الغـرور العنيـد ويمضـي الخيـال بنـا شـاعريا
فنحسـب أن هوانـا فريـد وأنـا ابتكرنـا الهـوى الأزليـا
وأنـا اخترقنـا حـدود الحـدود وجبنـا مـدار السـها والثريـا
وأني عشـقت أديبـي المجيـد كـاتبي الملهـم العبقريـا
وأنـك أحببـت شـاعرةً يـدوي صـداها الحنـون دويـا
وبـين اشـتباك اليـدين العنيـف وضـوء الأبـاجور فـوق المحيـا
يتمـتم صـوتك في مسـمعي رهيبًـا رقيقًـا حييًـا
أحقًـا سـيخلد هـذا الهنـاء وتبقـى فُلانـة بـين يـديا؟

***

ويثقــل جفنيــك هــذا الســؤال كأنــك تحمــل عبئًــا قويّــا
فــأنهض حتــى أصــد الخيــال وتقفــز خلفــي طروبًــا فتيّــا
وفي ركـــن صـــالتنا نســـتعد لـــنجلس كالعـــاقِلين ســـويا
تحكــي حياتــك ! أحكــي حيــاتي ومــا كــان طــي الزمــان خفيــا
وفي ذهلــة عــن معــاني الوجــود أراني عشــقت الخضــوع الأبيــا
فــأهوى بجســمي تحــت خطــاك وأرنـــو إليـــك مليّـــا مليّـــا
وأســـند رأســـي عـــلى ركبتيـــك وأحضـــن ســـاقيك في ســـاعديا
وتحنـــو عـــليّ فيعصـــف زهـــوي كـــأني أخضـــعت فيـــك نبيـــا
ويطبـــق ثغـــرك في ثـــورات الجنـــون الطمـــيِّ عـــلى شـــفتيا
فــأبكي وأضــحك نشــوى بحبــي وأضـــغط حينًـــا عـــلى راحتيـــا
لعـــلي أصـــدق أني أعـــيش وأن زمـــاني أضـــحى ســـخيًا
ويعلـــو نـــداء المـــؤذن حـــرًا ويســـطع فجـــر الوجـــود جليـــا
ومـــا زال فينـــا حنـــين التـــداني ومـــا زلـــت أصـــبو وتصـــبو إليـــا
كـــذلك مـــرت ليـــالي الهنـــاء فعـــد لي حبيبـــي وكـــن لي وفيّـــا
مضـــيت! وكيـــف ومـــالي ســـواك غفـــا الله عنـــك قســـوت عليـــا!

▪▪ فات الأوان

مامــــا! وشــقَّ الصــوت في زهــو	جــو الــديار كلحــن عصــفورِ
مامــــا! وهـــلَّ خيالهــا نحــوي	متراقصًـــا كالغصـــن في النـــور
فـإذا الجريــدة مــن يــدي تهــوي	وأغـــوص في أعمـــاق تفكيـــري

***

وســمعت صــوتًا ضــجَّ في نفســي	وكأنــــه أصـــــداء شـــــيطان
فـــات الأوان فــــأين لي أمســـــي	ومضــى الشــباب ومالــه ثــان!
فــات الأوان؟ فيــا دجــى يأســي!	وأثـــار فيَّ الصـــوت أشـــجاني

***

ووجـــدتني كـــالوردة ازدهـــرت	في روضــــةٍ جـــدباء شـــتوية
وارتـــدت الـــنفس التـــي شـــردت	زمنًــــا إلى أعماقهــــا الحيــــة
وإذا عــلي خــدي قــد انحــدرت	أغــلى دمــوع العمــر ناريــة!

***

فبكيـــت عمـــرًا مـــرَّ في اللعـــب	وبغيــــر فكـــرٍ مجهـــدٍ واع
وبكيـــت حزنًـــا دونمـــا ســـببٍ	وتضـــاحكا مــــن غيـــر إقنـــاع
ورضـــي بـــلا شـــيء ولا طلـــب	ولأجــــل لا ســـــبب ولا داع
همســـت فتـــاتي الحلـــوة النشـــوى	هــــذا الوجـــوم بغيـــر إنـــذار
عاهـــدتني أن تســـردي الشـــكوى	مـــاذا وربـــي حـــل بالـــدار
أنـــا في انتظـــار الســـر والنجـــوى	ومضــــت تقبلنــــي بإصــــرار

***

فأجبـــت يـــا ذاتي وتكـــويني هـــو عاصــفٌ قــد دار في ذهنـــي

مامـــا نـــداء منـــك يشـــجيني ولكـــم يبـــث النـــور في عينـــي

ولكـــنَّ طفلـــك ســـوف يـــدعوني يـــا جـــدتي فـــأموت مـــن حـــزن

***

قالـــت: وكيـــف وأنـــت لي أختـــي وصـــديقتي ورفيقـــة العمـــر

لا تعبئـــي مـــا قيمـــة الوقـــت مـــا دام فيـــك نضـــارة الفكـــر

الطفـــل ســـوف يقـــول : يـــا تنتـــي فلتضـــحكي يـــا أم في بشـــر

***

تمتمـــت فلأهـــزأ مـــن الـــزمن أنـــا يـــا ابنتـــي مامـــا فنـــاديني

ســـأظل أســـمعها لتهزمنـــي وعـــن الهـــوى الغـــدار تثنينـــي

ســـأظل أســـمعها لتســـجنني في ســـجن أبنـــائي وتحمينـــي!

■■ اعتراف

هـــذا المســـاء أود أنـــزع مـــن فـــؤادي كبريـــائي

إني تعبـــت مـــن التمـــرد واســـتكنت إلى الرضـــاءِ

يكفـــي عـــلام تشـــامخي وعـــلام أســـرف في الإبـــاء

والحـــب طفـــل لا يحـــب ســـوى الســـذاجة والغبـــاء

***

هـــذا المســـاء أود أن أفضـــي إليـــك بكـــل ســـري

لا تبتســـم إني أحبـــك لســـت أشـــدو الآن شـــعري

هـــي كلمـــة مـــلأى بكـــل صـــراحتي عـــذراء تغـــري

هـــي ثـــروة مـــا كنـــت أبـــذلها لغيـــرك طـــول عمـــري!

أنـــا كنـــت كالمســـلولة الصـــماء أجهـــل مـــا الحيـــاة

***

كانـــت أحاسيســـي الغزيـــرة لا تعيـــر لـــك انتبـــاه

أنـــا لم أكـــن وطنـــتهن عـــلى مراســـيم الصـــلاة

أنـــا كنـــت كـــافرة بحقـــك أنـــت ، بالحـــب الإلـــه؟

***

حتـــى رأيتـــك ثـــائرًا بـــالأمس كالأســـد الطعـــين

وعرفـــت أنـــك كنـــت تخفـــي العـــزم في ظـــل الســـكون

ولمســـت فيـــك الســـحر رغـــم صـــرامة الوجـــه الـــرزين

وشـــعرتُ يـــا يـــا كـــم شـــعرت بنـــار حبـــك ، بـــالحنين؟

***

لــو لم تثــر بــالأمس أنــت لأجــل نفســك ، للرجولــة
لـــو لم تحقـــرني أنـــا وأنـــا العريقـــة والأصـــيلة
لكرهـــتُ حبّـــا مائعًـــا ينســـاب في ظـــل الســـهولة
وأبيـــت أعـــرف في الهـــوى شخصـــية كســـلى هزيلـــة

***

أنــا قــد عشــقتك خالصًــا مــن كــل أســلحة الجمــال
أنــا لســت أعتبــر الجمــال يشــدنا نحــو الرجــال
إنــا نحــب النضــج ، نضــج الفكــر في ظــل الخيــال
وتذوب في الرجل القــوي الــروح ، مــؤتمن الوصــال !

▪▪ أغنية الشاعر

أنــا مــن يملــك الــدنيا وكــل دنــاي أشــعارُ
وجــودي قبــل أن أوجــد قــد وشــمته أقــدار
يكلــل هــامتي نــور وتحــرق مهجتــي نــار
وشــعري عنصــر الــدنيا ففيــه الحــب والثــار
وروحــي نســمة تســري ونافــذة وأســتار
ولــيس لــديَّ مــن خــل فخــلي الظــل والــدار
نبــيٌّ فــارسٌ ملــكٌ وشــيطان وســحار

***

أنــا مــن عشــت ظمآنًــا ولــيس لغلتــي منقــع
وهــذي الكــأس كأســكم بكــل هــوى الــدُنى تتــرع
قــذفت بهــا وراء الظهــر فارغــة ولم أشــبع
ففخــري مــن دنــى أخــرى ونــور مــن ســنا أبــدع
وخلــف جبينــي المحمــوم كــونٌ آخــرٌ أوســع
أطيــر وراء أنجمــه وقــد أهــوي وقــد أصــدع
ولكــن نشــوة التحطــيم تســكرني فأســتمتع

***

ومــن روح الطبيعــة جئــت ، صــاغ الله أســراري
فــإني النبــع في بــدئي ، وإني الجــدول الســاري
وفي زهــوي بتكــويني وفي جــولات أفكــاري
غــدرت النهــر مجتاحًــا أمــامي جسـر أســواري
إلى البحــر الكبيــر هنــاك في أحضــان أقــداري
وحيــث يلــف أذرعــه عــلى جســمي بإصــرار!

***

وأنـــى الغـــاب يغمـــرني ســـكونٌ غـــامضٌ مقلـــق
إذا عبـــر الـــورى دربـــي فـــدربي مظلـــم مطبـــق
عليـــه تـــئن أوراقـــي بوجـــه شـــاحب مرهـــق
ولكـــن لي تســـابيحي وهمســـي الخاشـــع المطـــرق
وفي أعمـــــاق أعمـــــاقي ســـــماءٌ لونهـــــا أزرق
يفضـــض جـــدولي قمـــرٌ ويـــرعش دوحتـــي مشـــرق

***

وإني الجبـــل العـــالي بعبئـــي الزاهـــد المثقـــل
وهـــذا الفجـــر إن يشـــرق فـــلي مـــن قـــبلكم مرســـل
ولي خطوتـــــــه الأولى ولي إشـــــــعاعه الأول
ولكنـــي أحـــنُّ عـــلى مـــدى أفقـــي إلى أســـفل
أصـــد زوابـــع الـــدنيا وأبســـط ظلـــلي الأكمـــل
ومـــن أحشـــائي الجرحـــى أشـــيد البيـــت والمنـــزل

***

ربيـــع النـــاس أشـــواقٌ وكـــونٌ مـــن صـــباباتِ
ولكـــن لي أنـــا وحـــدي ربيـــع في ســـنا ذاتي
وليـــلٌ شـــاعرٌ مـــثلي تـــدفق بالخيـــالاتِ
وتحـــت أنـــاملي أمضـــي عـــلى ألحـــان آهـــاتي
أزف الفكـــرة النشـــوى إلى المســـتقبل الآتي
وأســـكر بـــالرؤى وحـــدي وأزهـــو باعترافـــاتي

***

خريـــف النـــاس في الـــدنيا ديـــاجيرٌ وأمطـــارُ
ولي وحـــدي خريـــفٌ في صـــميم القلـــب منهـــار
فكـــم يغـــزو دمـــي ليـــلٌ ويغـــزو الـــروح إعصـــار
وكـــم تســـري كآبـــاتي ولـــيس لهـــن أســـرار
فـــأذكر أننـــي فـــنٌ وأن الفـــن جبـــار
وأصـــرع في الـــدجى قلقـــي وتلهـــب رعشـــتي نـــار
وأمضـــي عازفًـــا نـــايي عـــلى شـــفتي أشـــعار
نبـــيٌ فـــارسٌ ملـــكٌ وشـــيطانٌ وســـحار

■■ متى تعود؟

حبنـــا يـــا حبنـــا الغـــالي أجبنـــا — أي ذنـب قـد جنينـا يـا جحـود؟

نحــن دللنـــاك حتــى صــرت منَّــا — كيــف آثــرت هروبًــا وشــرود؟

نجــن إذا ملكتنــا منـــك اتكأنـــا — فــوق جسـر واقعـي مـن حديـد

ورأينـــا العمـــر نهــرًا فعبرنـــا — مشـــرئبين عـــلى نهـــر الخلـــود

جئتنــا يــا حــب كالعاصــف فينــا — خاطفًــا كــالبرق هــدار الرعــود

نحــن لم نختــرك حتــى تصــطفينا — ثـــم تنـــأى غائبًـــا عنَّـــا بعيـــد

كنــت قيــدًا فمــددنا معصــمينا — وطلبنـــا منـــك إحكـــام القيـــود

وتوســـــدنا أمانينــــا ونمنـــــا — تحــت أقــدامك زهــوًا كالعبيــد

كنزنـــا الضـــائع لا شـــيء لـــدينا — يبعث الحـرص عـلى عـيش زهيـد

عــد كمــا كنــت فإنــا قــد ملأنــا — بهجــة القلــب نفــورًا وصــدود

قــــد فقـــدناك فصـــرنا غربـــاء — مثلمـــا يفقـــد زوجـــان وليـــد

وتحسســـــناك في القلـــب هبـــاء — فمتــى يــا حبنــا الغــالي تعــود؟

▪▪ إنسانة

أنــا لســت حاقــدة عليــه وإنمــا — غضــبي عــلى أقــداري الغضــبانة
صنت الحبيب ولم يصـن حبـي وإن — أضـــفى عـــليَّ حنينـــه وحنانـــه
يــا كــم بــذلت لكــي أفــوز بعطفــه — وأنـــا بـــرغم إبائـــه إحســـانه
وتقلبــت نفســي عــلى طــرق الهــوى — وترســـــمتْ في لونهـــا ألوانـــه
فغــدوت حينًــا كــالملاك أمامــه — وغـدوت عنـد اليـأس كالشـيطانة
ووهبتــه الــدنيا بفرحــة نورهــا — وبثثـــت في أعماقـــه أحزانـــه
وحســـبتني عقـــلًا يعـــز وجـــوده — وظننـــت أني في الهـــوى فنانـــه
لكننـــي أخفقـــت في إرضـــائه — وفشــلت لم أرجــع لــه إيمانــه
ثــم انتبهــت عــلى حقيقــة أمــره — وبكــل تجربتــي فهمــت كيانــه
فـــإذاه إنســـان بكـــل عيوبـــه — وصـــفاته وحياتـــه الحيرانـــة
فعزفــت عــن بحثــي وحــب تطــرفي — ورضــيت أن أغــدو لــه إنســانة

▪▪ نادني

حين تصحو على الحقيقة والواقع من حلمك الوثير المترف
وترى كونك المديد ولكن ليس بالعين بل بروح مرهف
فإذا الكون مسرحٌ من رياء وغرور وخدعة وتكلف
وإذا العيش والأماني والحب خيالات شاعر ومؤلف
وإذا الوحدة الكئيبة تنساب إلى حضنك الكئيب وتدلف
وإذا الليل ماردٌ يبعث الموت بجنبيك موحشًا ومخرف

***

نادني! نادني! فمن آخر الدنيا ألبي النداء لن أتخلف
من وراء البحار ، من خلف هذا الأفق ، من عمق ليل مغلف
لن أضل الوصول فالطير يرتد إلى العش آمنًا ومرفرف
فإذا ما تعذر الركب حينًا فسأمشي بخطوى المتلهف
وإذا كلت الخطى وتهاوت فسأحبو على يديَّ وأزحف

***

ستراني جوار قلبك أحنو وأواسي عذابه وأخفف
وستمتد راحتاك إلى قلبي لتجتث ما زرعت وتقصف
فإذا القلب مخمليُّ الأماني ، ناعم اللمس كالحرير مهفهف
فسألقي على الطريق بذلي وعتابي وهجرك المتعسف
وأوافيك شاطئًا من حنان وهزارًا بلحن حبك يعزف
نقطع الوقت في الصلاة لحبينا وفي معبد الهوى نتصوَّف

لـن نطيـل الكـلام فالحـب لـن يتـرك إلا أرواحنـا تتكشـف

والإشارات قد تحـرك أمسـينا وقـد تلمـس الجـراح فتنـزف

***

فإذا ما صحوت في الغد يومًا بعـد حلـم مـن الخيـال مزيـف

نـادني! نـادني! فمـن آخـر الـدنيا ألبـي النـداء لـن أتخلـف!

▪▪ انطواء

أيهـــا الغاضـــب منـــي لا تكـــن ســـر شـــقائي

اســـتمع لي ! أنـــت لا تـــدرك معنـــى لانطـــوائي

إنـــــه دائـــــي ولكنـــــي أرى فيـــــه دوائـــــي

إنـــــه بلســـــم جرحـــــي ونـــــداء الكبريـــــاء

عبثًـــا أهـــرب مـــن نفســـي وأطـــوي ذكريـــاتي

أنـــا أهـــواك ولكـــن هكـــذا أحيـــا حيـــاتي

***

لـــك أن تعصـــف كـــالريح بأغصـــاني وزهـــري

لـــك أن تشـــرب ظمآنًـــا ينـــابيعي ونهـــري

لـــك أن تبنـــي ســـدًا حـــول دربـــي وممـــري

لـــك أن تخنـــق في كفيَّـــك ألحـــاني وشـــعري

لـــك كـــل الحـــق أن تحكـــم حتـــى حركـــاتي

غيـــر أني لي وحـــدي لـــيس للغيـــر حيـــاتي

***

أنـــا كـــالزئبق لا أبـــدو ســـوى خلـــف الزجـــاج

كفـــراش الليـــل أفنـــى لـــو تلمســـت الســـراج

كســـجين العمـــر كـــم أشـــقى إذا اجتـــزت الرتـــاج

أنـــا لي الوحـــدة إكليـــل ولي الأهـــوام تـــاج

فامتثـــل لي العـــذر يـــا حبـــي وهـــوِّن ســـيئاتي

أنـــا أهـــواك ولكـــن هكـــذا أحيـــا حيـــاتي

***

إن روحـــي مثـــل أرواح الفـــراعين القـــدامى

لم تـــزل تبعـــث مـــن جـــوف «المســـلات» كلامًـــا

فـــإذا شـــئتَ وضـــوحًا ثـــم نقـــرت الرخامـــا

ضـــجَّ صـــوت الـــروح مـــذعورًا صـــخوبًا ... ثـــم نامـــا

أصـــغ في صـــمت ولكـــن لا تفســـر كلمـــاتي

فأنـــا وحـــدي كتـــابٌ مغلـــق يطـــوي حيـــاتي

***

ســــوف لا أخـــرج مـــــن قــــوقعتي إلا لرمســــــي

إن حرمــــــاني دنيـــــا مــــــن ملــــــذات وأنــــــس

وعـــــذاب الصـــــمت قلــــب نــــابض يبهـــــر حســـــي

وانطـــــواء الـــــنفس إيمـــــانٌ بــــه أعبـــــد نفســــــي

وفتـــــوري هـــــو إعصـــــارٌ يـــــداري رغبـــــاتي

أنــــا أهــــواك ولكــــن هكـــــذا أحيـــــا حيـــــاتي

إن شمســـــي ضـــــوءها الباهـــــت في كهفـــــي حريـــــق

وســـــمائي فـــــوق مـــــن يعبـــــر تهـــــوى وتضـــــيق

وخطـــــى لـــــيلي أفـــــاعٍ جائعـــــات تســـــتفيق

وعـــــلى بـــــابي عمـــــلاق لـــــه الســـــيف رفيـــــق

ابتعـــــــــد! لا تتوغـــــــــل في ســـــــــراديبي وذاتي

أنــــا أهــــواك ولكــــن هكـــــذا أحيـــــا حيـــــاتي

▪▪ لست أعشق

أطمــــئن اليـــــوم لـــــن تســــمع منـــــي أي كلمــــة

ســـــوف يغــــدو عمـــرك البـــاقي معــــي أهـــدأ نغمــــة

كلـــــــه عنـــــــــدي رضـــــــاء وســـــــرور

وبـــــــه استســــــــلام أصـــــحاب القبـــــور

لـــــن أخــــالف ... لـــــن أنـــاقش ... لـــــن أثـــور

وإذا قلـــــــت يمينًـــــــا أو يســـــــارًا .. سأســــــير

ســــــوف أمحـــــو كــــــل أســـــباب أســــاك

وعنـــــــادًا كـــــــاد يـــــــودي بهـــــــواك

ولأني ســـــــــوف أغــــــــدو كالغريبـــــــة

فســــــــأبدي الاحترامـــــــــات المهيبـــــــة

للـــــــذي أضـــــفى عـــــلى عـــــرش الــــديار

صـــــــــولجانًا مـــــــــن وقـــــــــار

جـــاهلًا حكـــم الشـــعور ... لا وربـــي لـــن أثـــور

إنمــا أنــت الــذي ـ رغــم خضــوعي ـ ســوف تأســف

وإلى ثـــــــورة قلبـــــــي ولســـــــاني تتلهـــــــف

إننـــــي أعـــــرف قلبـــــي ... إنــــــه غـــــرٌّ وأحمـــــق

فـــــــإذا لان وأرخـــــــــى وترفـــــــــق

إنمـــــــا معنـــــــاه أني لســـــــت أعشـــــــق

▪▪ صور شتوية

سـحبٌ قائمـة تتهـادى مـن خلـف النافـذة برفـق
سـحبٌ والـريح تبـددها كـالنهر السـابح في الأفـق
أرنـو وأفكـر في شـيء ثمـة أشـياء في فكـري
سـأحاول أنفضـها عنـي فالليلـة أطـول مـن عمـري
أفكـارٌ ثـائرةٌ تهـرب مـن عقـلي وتصـدُّ خيالـه
كعصـابة إجـرامٍ تفلـت في عنـف مـن وجـه عدالـة

***

مـن خلـف زجـاج الشـباك المبتـل بأمطـار شـتائي
الـدنيا تعكـس في عينـي صـورًا مـن وحـي الظلمـاء
والشـجر العـاري في وجهـي يضـحك ضـحكات منكوبـة
كحبيـب في لحظـة مـوتٍ يرنـو ويـودع محبوبـه
والبـاب الخلفـي يصرصـر في صـدأ ... وغسـيل الجـارة
يلتـفُّ عـلى الحبـل بغـيظٍ ويصـفق ... يلطـم إعصـاره

***

الـــدنيا كالســـجن الأكبـــر والأرض عليهـــا كســـجينه

وخـــروف الأنجـــم كوشـــوم في صـــدر ووجـــه المســـجونة

وســـماء تعتصـــر بجهـــد حالـــب مقلتهـــا المخزونـــة

وثيـــاب الأفـــق مهلهلـــةٌ بجـــراح نجـــوم مطعونـــة

والجـــرح الأكبـــر يستســـلم لضـــماد الســـحب الدمويـــة

وأمـــامي الليـــل كعمـــلاق يـــنفخ شـــدقيه بوحشـــية

***

أمشـــي في الحجـــرة كـــالحيرى وخطـــاي تـــدق اللاشـــيا

مـــن يحمـــل عنـــي مهزلتـــي ، مـــن يحطـــم قيـــدي الأبـــديا

ســـؤل تتلاحـــق مـــن حـــولي وتبـــث ســـخافة أشـــعاري

لكـــن النـــار ســـتأكلها ، مـــا أعظـــم فائـــدة النـــار ...!

أمشـــي وامـــرأة في صـــمتٍ تحتـــل مكـــاني ... مذهولـــة

امـــرأة آتيـــة منـــي ... امـــرأة أخـــرى مجهولـــة !

▪▪ رسالة إلى الله

صـــباح الخيـــر يـــا ربـــي صـــباح النـــور والفـــلِّ
لقـــد أصـــغيتُ في لـــيلي إلى الأســـرار ... فـــاغفر لي
ثـــوت أمـــي جـــوار أبـــي بـــركن الـــدار في ذل
وقالــت: «أيــن كنــتَ اليــوم؟» قــال: بحثــتُ عــن شــغل
فصـــاحت : لم تجـــد طبعًـــا وكيـــف نعـــيش يـــا ويـــلي !
أجـــاب : غـــدًا يعـــدلها فربـــي صـــاحب الحـــل

***

بكـــت أمـــي وقـــد كتمـــت أنـــين الـــدمع في حســـرة
وقالـــت : لم أعـــد أقـــوى عـــلى التفكيـــر في بكـــرة
بتـــاع العـــيش أنـــذرني ســـيأخذ في غـــد أجـــره
وأقســـم بـــالطلاق فلـــن يشـــككنا ولا مـــرة
وصـــحب البيـــت مـــن شـــهرين لم نـــدفع لـــه الأجـــرة
أراد اليـــوم أن يلقـــي بعفشـــي خـــارج الحجـــرة !

***

أجـــاب أبـــي : كفـــاك الآن مـــا أديـــت مـــن خيـــر
فـــرب صـــغيرنا يصـــحو ويشـــعر بالـــذي يجـــري
لقـــد ذاكـــر قبـــل النـــوم في جـــد وفي صـــبر
ونـــام عـــلى منـــي كبـــرى وفي إغفـــاءة البشـــر

فكيـــف نحمـــل الغصـــن الرطيـــب عواصـــف الفقـــر
كفـــاك الآن مـــا قيـــل : الصـــباح ربـــاح مـــن يـــدري ؟

***

وألقمـــت مهجـــة المصـــباح آخـــر شـــهقة جهمـــة
وران الصـــــمت إلا مـــــن أنـــــين الأم في كلمـــــه
لقـــد نضـــبتْ قلـــوب النـــاس أيـــن العطـــف والرحمـــة!
وقـــام أبـــي وقـــد صـــلى العشـــاء بغمـــرة الظلمـــة
وتمـــتم بأســـطا كفيـــه نحـــو الســـقف في همـــه
غـــدًا ســـيحلها ربـــي ... فنـــامي الآن يـــا حرمـــة

***

وهـــا هـــو ذا «غـــد» يـــأتي ويـــأتي الحـــل كـــي نســـعد
وهـــا أنـــا قبـــل أن أبلـــغ مدرســـتي وأن أقصـــد
كتبـــتُ إليـــك يـــا ربـــي لعلـــك تـــذكر الموعـــد
بحقـــك لا تقـــل أبـــدًا بـــأني جئـــت أســـتنجد
فـــإن أبـــي ســـيحزنه شـــقاء صـــغيره الأوحـــد
وإن أبـــي لـــه عشـــمٌ كبيـــر فيـــك لا ينفـــد

▪▪ أقوى من الهوى

هجـرت زمـان الشـعر زهـدًا وراحـةً — وصنت بقايا العمر مـن لوثـة المجـد

وعفـت انطـواء الليـل بـين قصـائدي — وإطراقـة المصـباح والفكـر والسـهد

فحطمـت قيثـاري وأغلقـت معبـدي — ويممت نحو الحـب موفـورة السـهد

وذات صـباح جئـت أسـناف عطـره — وأرنو إلى الأجواء من شرفتي وحـدي

ودفـــق قلبـــي بالجمـــال وســـحره — وغنـي مـع الأنسـام والطيـر والـورد

ودارت بـي الـدنيا وأحسسـت أننـي — نفضت ثياب المـوت في جنـة الخلـد

فإذ بي أرى روحي على الشعر تنحنـي — وتلـثم طـرف الـذيل في رهبـة العبـد

وتبكـي كمـا لم تبـك يومًـا نـواظرٌ — وتبدي من الأشواق والوجد ما تبـدي

فأيقنــت أن الشــعر أوغــل في دمــي — وإني بـرغم الهجـر موصـولة العهـد

وأن حيـــاتي دون شـــعر رخيصـــةٌ — ومـا مـرَّ يُحسـب ولـيس بـذي عـد

وأيقنـت أن الفـن أقـوى مـن الهـوى — وأغلى من الأنفـاس والـروح والولـد

▪▪لم يتغير

لا تقـــــل لي أن حبـــــي صـــــار أصـــــغر

ربمـــا حبـــي تطـــور ... إنمـــا لم يتغيـــر

إنـــــه كـــــان ســـــخيًا ودفوقًـــــا

وغـــــدًا الآن رزينـــــا وعميقًـــــا

قـــد يكـــون منظـــر النـــار إذا شـــبت مثيـــرْ

إنمـــا كـــل حريـــق ينطفـــي رغـــم الســـعير

كـــــل حـــــب كـــــان يغـــــلي يتبخـــــر

وتعـــــيش النـــــار في القنـــــديل أكثـــــر

إنهـــا نـــار هـــدوء واتـــزان ، تمـــلأ الأعـــراف نبضًـــا

إنهـــــا دفء ونـــــور وحنـــــان

إن حـــي عـــاش طـــولًا ، لـــيس عرضًـــا

لم أعـــــد أعشـــــق هنـــــدامًا وشـــــكلًا

صـــرت أهـــوى فيـــك تفكيـــرًا وعقـــلًا

لم أعـــد أومـــن بالحـــب الصـــموت ، إنـــه كـــالعنكبوت

يغزل الوقت سوادًا وملـل، ونسـيجًا مـن لعـاب وقبـل

فـــــتكلم وتكلـــــم ، لا تـــــدعني أتـــــألم

الحـــديث الحلـــو كـــم يغـــري ويســـكر

إنـــــه مـــــن ثغـــــرك الصـــــخري ســـــكر

ربمـــــا القبلــــــة تبـــــــدو كإطـــــــار

إنمـــــا الكلمـــــة صـــــورة ... والحـــــوار

هـــــــــو روح قـــــــــد تســـــــــتر

هكـــــذا حبــــي تطـــــور

إنمـــــا لم يتغيـــــــر

▪▪ قسمتي

أحبـــك قلبـــي وأحبتنـــــي وكنـــا مثـــالي غـــرام أمـــين

وطـــال البعـــاد وجـــافيتني لأتفـــه ســـبب وأوهـــى ظنـــون

ومـــرت ليـــالٍ وهلَّـــت ليـــالٍ وأنـــت بطيـــف اللقـــاء ضـــنين

***

وقلـــت أعلـــل قلبـــي الحـــزين وأنفـــض أفكـــاري الحـــائرة

يريـــد التظـــاهر باللاشـــعور وفي قلبـــه شـــعلةٌ ثـــائرة

ويهـــوى التباعـــد حتـــى أثـــور وهيهـــات ! إني لـــه قـــاهرة!

***

وحـــين مرضـــتُ ولم تســـأل ولا مـــر صـــوتك عبـــر الأثيـــر

تيقنـــتُ أنـــك لم تهمـــل ولكنـــي نســـيتَ هوانـــا الكبيـــر

وضـــاع ـ عـــلى حســـرة ـ أمـــلي بـــأن جفـــاءك محـــض غـــرور

***

ورحـــت الملـــم قلبـــي الكبيـــر وأمحـــو ســـنين الهـــوى الزائلـــة
وبـــين ضـــلوع احتقـــارٌ رهيـــب لنفســـي الغبيَّـــة والجاهلـــة
ونظـــرة حـــزنٍ وهـــزء مريـــب تـــداعب إطراقتـــي الذابلـــة
وفي عمـــق يأســـي وفي وحـــدتي وبـــين دمـــوع الأســـى والشـــقاء
شـــعرت يـــدين عـــلى جبهتـــي وقلبًـــا يبـــث بقلبـــي الضـــياء
غريبًـــا ولكنـــه قســـمتي وأنبـــل قلـــب يضـــم الوفـــاء .....

▪▪ الذكريات

هذه القصيدة وضعت للغناء

أتريـــدني أحيـــا عـــلى ذكراكـــا ... هيهــات أني قــد نســيت هواكــا
أنا كنـت أحفـظ ذكرياتـك إن تكـن ... حفظــتْ عهــودَ غرامنــا شــفتاكا
أســـقتني كـــأس الفـــراق مريـــرة ... فشـــربتها والـــروح في يمناكـــا
ورضيتُ مـا قسـم القضـاء ولم يعـد ... لي مــأربٌ في الكــون غيــر رضــاكا
وحييـــت في ظـــل البعـــاد وفيـــة ... وأبيــت في ديــن الهــوى إشــراكا
وتســـاءلت نفســـي لأيـــة غايـــةٍ ... أحيــا وقــد حــرم الفــؤاد رؤاكــا
فأجبتهـــا للـــذكريات أعيـــدها ... وتعــود بــي نشــوى إلى دنياكـــا
ومضـيت أذكـر مـن زمانـك جنـةٌ ... عانقـــت في أجوائهـــا الأفلاكـــا
وظننـت أنـك مـدركٌ تضـحيتي ... ومقـــدرٌ مـــا أرتضـــيه هلاكـــا
فـــإذا هـــواي عـــلى شـــفاه عـــواذلي ... تتـــآمر الـــدنيا بـــه ... وإذاكـــا
تغــزو الريــاض وتســتبيح أزاهــري ... وتمــدُّ فــوق دروبــي الأشــواكا
أنـــا لم أكـــن أهفـــو لحـــب كامـــلِ ... مــا كنــت أعتقــد الحبيــب ملاكــا
لكننـــي آثـــرت صـــون كرامتـــي ... وهتفــت يــا قلبــي الجريح كفاكــا
وأبيــت أعشــق فيــك طفــلًا طائشًــا ... يزهـــو بقصـــة حبنـــا ضـــحَّاكا
ضـــاعت ليـــالي الـــذكريات وكلمـــةٌ ... ما كنــتُ أســأم ذكرهــا ... أهواكــا
لي عـــزة الـــنفس الأبيـــة في الهـــوى ... أقســـمت لـــن أحيـــا عـــلى ذكراكـــا

▪▪ وردتان

كانتـــا يومًـــا عـــلى كفيَّـــه بســـتاني زهـــور
كانتـــا في معبـــدي القدســـي ينبـــوعي بخـــور
كانتـــا ليلـــة حـــب كانتـــا مشـــرق نـــور
قـــال لي اختـــاري وألقـــى بهمـــا فـــوق الســـرير

***

كانـــت الصـــغرى كطفـــلِ داخـــل الكلـــة يبســـم
ثغرهـــا مـــا زال مخنـــوق الأمـــاني ، كـــان بـــرعم
قلـــت : أهواهـــا شـــفاها ناضـــجات الحســـن تلهـــم
أعطنـــي الكبـــرى ففيهـــا أمســـها العربيـــد مـــبهم

***

واقتســـمنا .... ليتنـــا لم نقتســـم عطـــر الســـعادة
ورقـــدنا أينـــام الحـــب في ظـــل العبـــادة؟
واقتربنـــا والهـــوى المشـــبوب مســـلوب الإرادة
واقتربنـــا ... والعـــزولان عـــلى طـــرف الوســـادة

***

مرَّتـــا فـــوق خـــدودٍ وعيـــونٍ وشـــفاه
عشـــتا عمريهمـــا في عمـــر ليـــل ومـــداه
ذاقتـــا ممـــا تـــذوقنا بأعمـــاق دجـــاه
مـــن دمـــوع وابتســـام وفنـــاءٍ وحيـــاة

***

وانطـــوت ليلـــة حـــبٍّ كـــان أســـمى مـــن دنانـــا
وأطلـــت مقلـــة الفجـــر عـــلى ركـــن هوانـــا
فـــإذا الحلـــم تـــوارى وإذا الواقـــع بانـــا
وعـــلى الأرض تراخـــت في عنـــاء وردتانـــا

***

همـــا الآن أمـــامي وســـط درج الشـــفنيرة
هـــا همـــا في الـــدرج تمتـــدَّان كـــالأفعى الضـــريرة
تنفثـــان الأمـــس في عينـــي وتمتصَّـــان نـــوره
والهـــوى المـــدفون في جوفيهمـــا ينعـــي مصـــيره

***

وردة تغفـــو وأخـــرى تلـــثم الـــدرج بعـــينْ
أيهـــا الـــدرج الـــذي يســـجن فظًـــا وردتـــين

أيهـــا الـــدهر الـــذي كفَّـــن أغـــلى جثتـــين
كانتـــا أنفـــاس حبِّـــي كيـــف تطويهـــا وأيـــن؟

***

أيهـــا الـــدرج الـــذي ضـــمَّ حليـــي وعقـــودي
كيـــف جمَّعـــت تفاهـــاتي بأمجـــاد خلـــودي
اســـخر اليـــوم مـــن المـــاس وطـــوِّح بـــالنقود
أتـــرى ابتعنـــا بهـــا يومًـــا وفـــاء للعهـــود؟

***

هـــا همـــا الآن عـــلى كفـــي وفي ظـــل حنـــاني
آه حتـــى ذكريـــات الحـــب أبلاهـــا زمـــاني
هـــا هـــي الأوراق تنحـــل كأنقـــاض الأمـــاني
هـــا همـــا بعـــد الليـــالي والمآســـي توأمـــان!

▪▪ الشيء المجهولُ

يـا حبيبـي هـل تـذكَّرتَ مسـاءً لم تـزل ذكـراه في جنبـيَّ حيَّـة
فيـه كـم صـغنا فنـون العاطفـات وتوسَّـدنا الأمـاني المخمليـة
واحترقنـا بلهيـب القـبلات وملأنـا الجـوَّ ألحانًـا شـجية
وخشـينا أن نثيـر الكائنـات وانتبـاه الأفـق والـدنيا الحييـة
والهـوى مـن غيـر مجـداف تهـادى سابحًا يطـوي المسـافات الخفيـة
سـاذجًا كالطفـل منقضًـا كنسـر عاريًـا كـالفجر كالشـمس الصبية
قلـت لي والحـب يغـلي في دمانـا ثـائرًا يفشـي بسـر الأبديَّـة
هـذه الليلـة لـو جـادت يـدانا بالـذي جـادت بـه الـدنيا السـخية
وعـلى الأحيـاء قسـمنا هوانـا؟ لأذاب الحـب قلـب البشـرية

***

بغتـةً حـلَّ سـكونٌ قاتـلٌ وتراخـت في فتـورٍ سـاعدانا
وعـلا في الجـوِّ سـدٌّ هائـلٌ وسـرى بـردٌ مميـت في دمانـا
ومـن الشـباك نجـمٌ آفـلٌ مـرَّ جهمًـا فـوق أنقـاض هوانـا
صحتُ في صـوتٍ عنيـدٍ قـد ترامـى قاطعًـا أفكارنـا السـود الشـقية
ضـمني أقـوى مـن المـوت إذا مـا ضـمَّ في كفيـه روحًـا آدميـة
ضـمني جسـمًا شـفيفًا قـد تسـامى ضـمني في نشـوةٍ سـكرى عتيـة

***

قلـت : مـا جـدوى التـداني ويحنـا ... نحــن لا نــدري إلى أيــن المسـير

يـــا غرامـــي إن شـــيئًا بيننـــا ... يطفــئ الحــب ويمــتص الشـعور

كلمـــا جئنـــا نغنـــي حبنـــا ... جاءنا يسـعى إلى الصـمت المريـر

***

قلـت: فلننقـذ هـو أنـا مـن جديـد ... إن مـــا خلنـــاه أوهـــامٌ مريـــره

ذلـــك الشـــيء رهيـــبٌ وعنيـــد ... غيــر أنَّــا ســوف نجتــث بــذوره

***

وبحثنـــا عنـــه في قلـــب النهـــار ... وتلمَّســـناه في عـــين القمـــرْ

وطوينا الأمـس سـيرًا ... والجـدار ... بيننـــا يعلـــو مهيبًـــا منتصـــر

والتقينـــا بأحاديـــث طـــوال ... ومعـــانٍ وحقـــوق ورغـــابْ

ومحونـا الشـك مـن لـوح الخيـال ... وطرقنـا بالأمـــاني كـــل بـــاب

***

ومضـــينا نســـتعيد الـــذكريات ... فـــإذا الـــذكرى زمـــان قـــد تأكـــل

لم يعـــد يكفـــل للحـــب الحيـــاة ... أو يعيـــد الأمـــن فينـــا ويواصـــل

وإذا الـــدمع بعينينـــا ســـجين ... وخيـــوط اليـــأس تلتـــف علينـــا

وإذا الليـــل صـــموت وحـــزين ... والكـــرى الغالـــب يغـــزو مقلتينـــا

.. حنينُ من نارُ

انتصــف الليــل ولكنــي مــلأى بــالفكر وبــالحسِّ

أســمع أصــداءك تــدعوني وكــأني مــا زلــت بأمســي

وأشــم عبيــرك مــن حــولي نهــرًا مــن عطــر الفــردوس

وأنا أغـرق في أنفاسـك ، أشـرب أنفاسـك مـن نفسـي

والحــب العربيــد الثــائر يتــدفق ، يلهــث في كأســي

بي حبٌّ في روحـي ، حـب في قلبـي ؟ حـب في رأسـي

***

الليلــة صــوتٌ يــدعوني هــو صــوت الحــب الجبــار

يــــدفعني في لجــــة أرضٍ وســــماءٍ كبــــرى وبحــــار

بـي رعشـة عشـب صـخري يتملمـل تحـت الإعصـار

بــي ثــورة غــاب قدســي كشــفته عيــون الــزوَّار

بــي صــرخة قمــر مخنــوق بــأكف ضــباب منهــار

بــي نــدم الإنســان الأوَّل وحنــين الحطــب إلى النــار !

الليلــــة بــــي حمــــى تســــري وتــــوج بأعمــــاقي ثــــورة

أتســــاءل لِــــمَ تنــــأى عنــــي وأمــــام نســــاء مغتــــرة

هــل تحســب أني شــاعرةٌ لا تعــرف معنــى للغيــرة؟
كــلا ... فبعــادك يشــقيني ويجرعنــي الكــأس المــرة
فأنــا في الحــب مراهقــة تتملمــل في فــرش الحيــرة
وأنــا امــرأةٌ كنســاء الشــرق أغــار عليــك مــن النظــرة

▪▪ بين عالمين

ولدي الوحيد ! علام تضحك في الفراش وتبتسم؟
ولمن تشير وما أمامك هاهنا غير الظلم
نم هادئًا أقلقني متحركًا ... دعني أنم
عذبت أمك يا فتى ... عذبتني حتى العدم!

***

فهنا على يمناي أنت تضج في ضحك أفين
وعلى يساري الآن أختك تذرف الدمع السخين
تبكي من الدنيا وتضحك أنت ! ما أحلى الجنون
ما دام فيه الوهم والأحلام والليل الحنون!

***

اصمت! بعثت الرعب في جنبي ، رعبًا مؤلمًا
وبعثتِ أنتِ اليأس، أنت الموت ، ويلي منكما
كلنت يدي والضرب لا يجديكما ، وكبرتما
حتى أراني طفلةً تنساب في حضنيكما !

***

من منكمـا المجنـون مـن هـو عاقـل؟ يـا ويـح نفسـي

وأنـا؟ أنـا؟ مـن أي صـنفٍ منكمـا مـن أي جـنس!

أنـا لم أعـد أبكـي كأختـك ، لم أعـد أشـدو ببؤسـي

مـن عـالم النسـيان ؟ لا إني أحـس بـألف حـس

***

خصـلاتك السـود الطـوال عـلى جبينـك تشـرقُ

وأراك رمـزًا للجمـال بغيـر عقـلٍ يفـرق

والليـل في قلبـي ـ كرأسـك فـوق صـدري ـ مطبـق

قـل لي بربـك مـا تـرى في أي شـيء تحـدق؟

▪▪ الصيف

هــا أنــا أنســاب في حضــن الطبيعــة بــين دنيــا ترتــدي أغــلى الحلــل
غيــر أني لســت غضــبى أو وديعــة لــيس بــي يــأس ولا ثــم أمــل

***

إنــه الصــيف الموشــى بــالخمول ســاعة الظهــر ونــوم البشــرية
إنـــه اليـــوم الـــذي يبـــدو ملـــول وطـــويلًا طـــول عمـــق الأبديـــة

***

كـــل شـــيء هاهنـــا حـــي وميْـــت كـــل شـــيء في وجـــودٍ وضـــياع
كـــل شـــيء فوقـــه يمتـــد صـــمتُ وعليـــه الشـــمس قـــد أرخـــت ذراع

***

الكـــروم الحمـــر تبـــدو مـــثقلات في مخـــــاض مســـــــتمر وألم
والينـــــابيع تأنـــــت في ثبـــــات في انتظـــار الســـير مـــن كـــف النســـم

***

والمـــروج الخضـــر تحســـو في تبلـــد كـــأس شـــمس تتلظـــى محرقـــة
كـــل حـــين بعـــد حـــين تتنهـــد تحـــت أعبـــاء الأمـــاني المرهقـــة

***

وعـلى الأغصـان كـم طيـر تململ　　　واحتمـى بـالعش مخنوقًـا أسـير
كلمـا زقـزق في جهـد .... تسـلل　　　عبر سمعي صوت أمـوات القبـور

***

إنــه الصــيف إذا انشــقَّ النهــار　　　كـل صــاح فيــه غــافٍ وبليــد
كــل حــي في جمــود وانهيــار　　　غيــر أني منــه أســتوحي القصــيد

▪▪ ميراث أم

آه مــا أقســى شــعور المــرء في هــذا الوجــود
حينمــا يرتفــق الشــرفة في مشــرق عيــد
فــإذا الــدنيا بعينيــه صــفاء وحنــان
وإذا الفرحــة والزينــة في كــل مكــان
وهــو يرنــو وبجنبيــه قبــورٌ وعويــل
وطريــقٌ ملتــوي الســحنة جهــمٌ وطويــل

***

إنــه قلبــي الــذي عــاش يغنــي للظــلام
علمتــه الأم أن يجهــل معنــى الابتســام
آه حتــى بعــد أن ولــت وغابــت عــن عيونــه
مثلمــا كــان يعــاني ، لم يــزل طــي ســجونه
كــم تمنــى كلمــا عــانق حبًــا وحبيــب
لــو يــذوق العطــف مــن أم وتنســاه القلــوب !

***

لم يــا أمــي بعثــت الحــزن في قلبــي الصــبي
لم يــا تركيــة العنصــر لم تحنــي عــليَّ
قــد تجاهلــت شــعوري وأنــا بنــت العروبــة
كــان في قلبــك صــخر وبجنبــي عذوبــة
انظــري كــم صــرت حيــرى والــدجى يغمــر طيفــي
طيــب الله ثراهــا ، إنهــا أمــي ... ويكفــي!

▪▪ قبر وقبر

أنـــا كلمـــا فكـــرت أن هنـــاك لي قبـــرًا وحيـــد

كحمامـــة بيضـــاء فـــوق الســـفح مـــن جبـــل عتيـــد

تمضـــي الســـنون ولم يـــزل يغفـــو عـــلى حلـــم ســـعيد

ويـــرى القبـــور قـــد اســـتحمَّت بالميـــاه وبـــالورود

وتضـــج في أذنيـــه همهمـــة التجشـــؤ كـــالرعود

وهـــو الـــذي عصـــف الخـــواء بجوفـــه ، حـــرم الوليـــد

فـــأراه يحـــدق بـــي وراء الغيـــب في نهـــم شـــديد

وأراه يحـــدق بـــي عـــلى غـــيظٍ وإصـــرارٍ عنيـــد

ويعـــد مائـــدة الحيـــاة ويـــوقظ الـــدود البليـــد

أنـــا كلمـــا فكـــرت فيـــه أحســـه رغـــم الحـــدود

متمـــددًا بـــين الضـــلوع وفـــوق قلبـــي كالحديـــد

▪▪ غزو

مــن أيــن جــاء الحــب في غيبتــي   أنــا التــي حصَّــنت قلبــي الشــريد
يــا للمحــيط قــد غــزا ضــفتي   من خلف خـط الاسـتواء البعيـد؟

***

غــزا شــطوطي الرخــوة الناعمــة   فارتعشـــت دفاقـــة بالميــــاه
واســـتيقظت أعماقهـــا النائمـــة   يا حـب يـا أقـوى قـوي في الحيـاة

***

إني أنـــا أرضــك يــا كــم حــوت   مــن مــنجم غــالٍ وكنــزٍ ثمــين
كفـــك يـــا مهنـــدس حـــددت   مكــان الاســتغلال فيهــا الــدفين

***

أرضٌ بعيـــدة المـــدى غـــائرة   لم تكشـــفها أعـــين البـــاحثين
وضـــعت فوقهـــا خطـــى ظـــافرة   وصحت : أنـت لي طـول السـنين!

***

لكننـــي أخشـــى الضـــنى والهـــوان   فالريح تنعـي اليـوم مـوت النهـار
ألا تـــرى يـــا حـــب آن الأوان   أن أغلـق البـاب وأرخـي السـتار!

***

ويحي ! ألبـي الحـب كالمسـتغيث   وفي الـــدجى أهفـــو إلى مشـــرقي
كــم فيلســوف في ســياق الحــديث   وفي التصـــــرفات كـــــالأحمق!

***

يـــا قبضـــة الريـــاح عشـــبي يـــئن   وتحــت وطــأة الهــوى يــنكمش
وغصـــني الأجـــرد لا يســـتكن   أوراقـــه فـــوق الثـــرى تـــرتعش

▪▪ صورة

مزَّقتُهـــــا ووقفـــــت شـــــاردةً   أرنـــــو إلى أنقـــاض جثمـــاني

وجمعتهـــــا في راحتـــــي مزقًـــــا   فتجمعـــــت أطيـــاف أحـــزاني

وإذا الفـــم المقطـــوع يســـخر بـــي   ومـــــآتم العينــــين تنعـــــاني

***

هـــي صـــورة عاشـــت مهيمنـــةً   تطغـــى عـــلى إحساســـي الثـــائر

يـــا كـــم مـــن الأعـــوام تحرســـني   بوجودهـــا مـــن طيشـــي العـــاثر

يـــا كـــم مـــن الأعـــوام تحـــدق بـــي   وكأنهـــــا لي طيفـــــه الآخـــــر

***

كانـــت لـــديَّ إلهـــة الـــذكرى   أرنـــــو لهـــا خوفًـــا وإجـــلالًا

تنســـاب بـــين مشـــاعري الأخـــرى   فتحيلهـــــا نقضًـــــا وأطـــــلالًا

كانـــت هـــواي الخـــالص البكـــرا   يـــا كـــم عقـــدت عليـــه آمـــالًا؟

***

مـــن باقـــة التقـــديس يـــا أمـــلي   أنـــا لم أنـــل عـــودًا ببســـتانك

قدســـــتني في صــــورة جمــــدت   وكفـــرت بـــي في ظـــل هجرانـــك

فمزقتهـــــا وهمــــت عاتبــــة   مـــا كـــان أحـــوجني لإيمانـــك

▪▪ قلبي للبيع

تعبـــــتُ وأبغضـــــت حريتـــــي   وصـــارت قيـــودًا تحـــزُّ يـــدي

ســـئمت التوغـــل في وحـــدتي   وعفـت التهـرب مـن كـل شـي

فحريتـــــي حـــــرة كـــــالهواء   ولكنهـــا الســـجن في نـــاظري

هـــي الـــوهم عشـــت عـــلى ظلـــه   فمـــن يشـــتريها ويحنـــو عـــليَّ؟

***

ســـئمت الحيـــاة بغيـــر انفعـــال   بـــلا أي معنـــى ولا رغبـــة

خُلقـــتُ أطيـــع فكيـــف أطـــاع   وأحيـــا لأفـــرض شخصـــيتي

أريـــد احتكـــاري فمـــن يشـــتريني   ويأخـــذ منـــي حريتـــي؟

■■ صدره

صدره الأسمر العريض سباني ... فنسيت الوقار في الإنسان

وعبرت الزمان نحو ليال ... نام رأسي عليه في اطمئنان

يا جدار الأحلام والأمن والدفء ... ومأوى المسافر التعبان !

يا طريقَ السماء ! يا مهبط الأرض ... ونبع الضياء والنيران

يا حقول النماء والخصب والفيء ... وعش العصفور في البستان

يا بناء الشموخ والنبل والعز ... وطود الطموح في الفنان

صيغ فولاذه القوي من الرقة ... حتى استعرَّ من خفقان

فرحة العمر كنت يا صدر عندي ... وانفجار الحياة في شرياني

لست أنساك حين كنت وسادي ... تطرد الهم عن جبيني الحاني

ويدي في منابت الشعر تندس ... برفق كمشية الثعبان

والوجود الوجود محض سراب ... أي شيء لديَّ في الحسبان

***

يا حبيبي ما كنت أدرك يومًا ... أي بؤس في الهجر سوف أعاني

فوق بركانك الأمين تعثرتُ ... بصخر الشقاء والحرمان

وعلى شطك الأمين تعثرت ... بصخر الشقاء والحرمان

ومن القمة المجيدة أهويتُ ... إلى سفح وحدتي وهواني

أي قلب حملته مستبد ... خلف صدر مستسلم عريان!

▪▪ سجين القلب

أيها القلب ما الذي فيك يسري — أي شيء أخفيته عن عيوني
إن وجهًا وراء قضبانك السود — تراءى مولولًا في أنين
مدَّ لي في الدجى يديه وهل لي — أن أمد اليدين للمسجون؟
وأنا مثله سجينة نفسي — خلف أسوار وحدتي وشجوني
إنه الحب ! وذلك الغر يصحو — بعد أن غاب في سبات المنون
ملَّ طول الرقاد في هوة الأمس — وعاف السكون طي سكوني
وأراد الحياة رغم تلاشي — أراد اقتلاع كل حصوني
كيف أقوى على احتمالك — والقلب مليء بكل جرح دفين
إيه من ليلك الطويل وليلي ! — حين أقضيه في احتساء ظنوني
أيها الحب رحمة بكياني! — رحمة منك بالفؤاد الحزين
فدم الحب في عروقي يسري — ودم الأم حائل يثنيني
غير أني على ندائك نشوى — كل ما فيك ساحر يغريني
أنت من أنت ؟ أنت تسلب روحي — باعثًا فيَّ عربدات الجنون
أنت طفل مدلل وجميلٌ — تحت خطويه هامتي وجبيني
إنك الشر غير أني أهواك — مليئًا بكل شر ثمين

أنـــت أنـــت المجلـــد الضـــخم في حرفين خطًّا مـن عنصـر التكـوين

لم تـــزل فيهمـــا المعـــاني ســـرًا رغـم طـول الهتـاف والتخمـين

وإذا ضـــمك الفـــؤاد تغنـــت كـــل أوتـــاره بكـــل اللحـــون

فـــرح متعـــب وحـــزن مـــريح وانتفاضـــات طـــاعن مطعـــون!

إنـــك العمـــر جمَّعْتـــه ثـــوان في لقـــاء مدلـــه مفتـــون

أنـــت خصـــر وســـاعد في صـــراع واشـــتباك مســـلح مـــأمون

ووصـــول إلى امتـــزاج دمـــاء مســـتحيل الوصـــول والتمكـــين

وهـــروب مـــن الحيـــاة إلى كـــون كفيـــل بعيشـــنا وضـــمين

شـــهقة تحمـــل العواصـــف طـــرًا وزفيـــر يـــؤج مثـــل الأتـــون

وســـماء في نظـــرة مـــن صـــفاء ومحـــيط في دمعـــة مـــن شـــجون

أيهـــا الحـــب رحمـــة بكيـــاني رحمـــة منـــك بـــالفؤاد الحـــزين

▪▪ غابة الشعر

خشـــن شـــعرك الحبيـــب إليـــا خشـــن حـــين ينثنـــي في يـــديا
كلمـــا أغـــرق الأصـــابع فيـــه قلـــب قلبـــي يـــذوب في جنبيـــا
أي نجـــوى بـــه وأي نـــداء عبقـــريٍّ الهـــوى سـرى شـاعريا
أي مـــوج بـــه تـــدفق حـــرًا ضـــاحكًا واثبًـــا خجـــولًا حييًّـــا
كـــل خـــيط بـــه كعـــرق تلـــوى برغـــاب الحيـــاة ينـــبض حيًّـــا
كـــل تجعيـــدة حنَّيـــة واد ضمت السحر والغمـوض الخفيا
كـــل تجعيـــدة كضـــحكة ليـــل كانشـــقاق الشـــطوط تطلـــب ريـــا
قمـــمٌ فـــوقهن عينـــي أســـرت وهـــوى القلـــب تحـــتهن هويـــا
آه كـــم كـــم أغـــار منـــه إذا مـــا شـــرب العطـــر مـــن يـــديك نـــديا
غابـــةٌ قـــد طويتهـــا ذات ليـــل فضَّـــض الـــنجم نهرهـــا القدســـيا
وتفيـــأتُ ظلهـــا في انتشـــاءٍ وتنســـمت عطرهـــا المســـكيا
وتهاديـــت في مماشـــي دجاهـــا نحـــو حلـــم يضـــمني أبـــديا
فـــاكفهرَّت غصـــونها كـــافرات بحنـــاني وأغلقـــتْ عينيـــا
ونأيـــت عنيـــدةً في غـــرورٍ واســـتبدت فجرحـــت خـــديا
قلـــت : يـــا حـــارس الجنـــان ترفـــقْ أي تـــاج لبســـته عربيـــا

لــك أن تســلب القلــوب بشــعر ولــه الحــق أن يكــون عصــيا

ثـــائرًا ثـــائرًا كســـاحة حـــربٍ مســـتبدًا عـــلى المغيـــر عتيـــا

يـــا حبيبـــي دعنـــي وشـــعرك حينًـــا واســـتبح لي خضـــوعه العـــذريا

***

ثـــم أغرقـــتُ في ثنايـــاه وجهـــي وتلقفـــتُ موجـــه العـــذريا

▪▪ الهوّة الملعونة

إذا مللــــت المــــرور الرتيـــب مـــن أعوامـــك

وحـــين تســـأم هـــذا القطيـــع مـــن أغنامـــك

وتختفـــي عـــن ضـــجيج الحيـــاة خلـــف ظلامـــك

***

ســـــتلتقي في الليـــــالي بهـــــوةٍ ملعونـــــة

كنـــا ملأنـــا ثراهـــا بحقـــدنا ، بالضـــغينة

بطيشـــــنا ، وبثـــــورات نفســـــنا المجنونـــــة

***

ولم نكـــن نتـــوانى عـــن ملئهـــا في انـــدفاعٍ

فأظلمـــــت بالتنـــــائي ودفقـــــت بـــــالنزاعِ

وحطمـــت مـــا تبقـــى مـــن حبنـــا المتـــداعي



(5)

صلاة إلى الكلمة

(1976)

أيتها الكلمة

أيتهـــا الكلمـــة صـــوغيني فنًـــا يرتفـــع بـــدنياه

صـــوغي مـــن إيمـــاني مرســـى للهـــائم في بحـــر أســـاه

لمـــي أعمـــاق المحطومـــة وردًا أتـــنفس بشـــذاه

فـــالألم هـــو الفـــن الخالـــد ... هاتيـــه فكـــم أتمنـــاه

وخـــذي عمـــري أجـــر نشـــيدٍ قـــد باركـــه الله

جليلة رضا

■■ الاسم المقدس

كنســـمة فجــر ســـخي العبيــر كوشوشــة النبــع بــين الصــخور

وفـــوق ميـــاه الهـــوى الملتهـــب كجســـرٍ بأعمـــدة مـــن ذهـــب

يـــــؤدي إلى جنـــــة تائـــــه يرتـــــل ســـــكانها الآلهـــــة

تســـابيه اســـمٍ يمـــوج منـــي هـــو اســمك يــا مصــر يــا مصــرنا

***

لكـــلٍّ عـــلى الكـــون مـــا يشـــتهيه ويفنـــى بكـــل المشـــاعر فيـــه

وإني أحبـــك حـــب الفـــداء أحبـــك يـــا مصـــر في كبريـــاء

أحبـــك أرحـــب صـــدر لأم أيـــا نجمـــة فـــوق بحـــر الألم

وكان اسمك الحلـو وحـي المغنـى وكـــل معـــاني الجمـــال يفنـــى

***

نقشـت اسـم مصـر بـأغوار قلبـي عـــلى كـــل بـــابٍ وفي كـــل درب

وضـــحكته في عيـــون القمـــر ونغمتـــه في شـــفاه الـــوتر

وأســـكرت نيلـــك مـــن خمـــره وخضــرت أرضــك مــن عطــره

وكـــان اســـمك الحلـــو في ذكريـــاتي وقـــود هـــواي ونـــبض حيـــاتي

***

▪▪ عودة المهاجر

طيـــري عـــلى مـــتن الميـــاه الجاريـــات الثـــائرة
ودعـــي الريـــاح الواثبـــات تشـــد خطـــوط طـــافرة
إني أعـــود ، أعـــود في شـــوق لأرضـــي الطـــاهرة
وأحـــن للـــوطن الحبيـــب فأســـرعي يـــا بـــاخرة

***

الأرض والبحـــار يهتـــف : قـــد وصـــلنا فاســـتعدوا
ومـــع النـــداء يـــؤج في قلبـــي حنـــينٌ مســـتبد
وأطـل مـن بـين الصـفوف أشـير أضـحك ثـم أعـدو
ومعـــالم الـــوطن الحبيـــب عـــلى مـــدى عينـــي تبـــدو
هـــذا هـــو المينـــاء لـــن يثنـــي خطـــاي إليـــه قيـــد
والأفـــق والأضـــواء والشـــمس الدفيئـــة تُســـترد

***

اللهجـــة المصـــرية المعطـــار تســـري في حنـــين
يـــا وقعهـــا المنغـــوم في ســـمعي كنـــاي الحـــالمين
لأقـــبلن إذن تـــراب الأرض ... ولأحـــن الجبـــين !

***

▪▪لن ينام الثأر

الرسمُ والألحانُ والأشعارُ

عبثٌ إذا عبثت بنا الأقدار

صليت للكلمات عمرًا كاملًا

وجثت على محرابها الأفكار

وكفرت بالكلمات حين ترنحت

وأصابها يوم الهوان دوار

يا شهرنا المشئوم : يا شهر الأسى

أو ما عراك من الفجيعة عار

حزنٌ وكم حزنٍ حملتُ وإنما

هو ذلك العملاق والجبار

والحزن قد يأسوه خلٌ صادقٌ

الاه فهو الخل وهو الجار

ووجدتني أهذي وربي عاذرٌ

وهو العليم بنا هو الغفار

لم لمْ تكف الأرض عن دورانها

لم لم يعقب الليل البهيم نهار

لم لم يمتد جبل المقطم هاويًا

ويجف نيل بلادنا الهدار

لكنني كفكفت دمعي حرّة

والحر لا تلهو به الأخطار

ناديت مصر ومصرنا مسكينةٌ

قد هزَّ كل كيانها الإعصار

يا مصر إنك قمةٌ وضاءةٌ

والقمة الشماء لا تنهار

وإذا بكيت فليس عيبًا إنما

العيب أن يجري بك التيار

فالحزن يمضي بالنفوس ليأسها

واليأس في زمن الحروب دمار

فلترفعي يا مصر رأسك عاليًا

فبنوك هم أبناؤك الأحرار

قد أقسموا والنار في أعراقهم

والعزم ، كل العزم ، والإصرار

فلرب عين تستريح هنيهةً

وتنام لكنْ لن ينام الثار ... !

***

■■ عمالقة

هل نام الشعب المصري بجوف التابوت وأرخى جفنيه ؟

يا عاري لو قلنا نام !

وتحنّط قرب الأهرام !

ونقلناه إلى المتحف بين الأشباح

ومضينا نحكي ونترجم للسياح

ونشير إليه .....

يا عاري لو عشنا نجتر الأمس ونحن نيام

نقتات أمانينا منه ونشبع دون طعام

لو شيدنا للوطن الغالي قبر النسيان

ووجدنا في اللغو الأكبر حول الرمس

فرصتنا الكبرى الذهبية ...

كي نحكي كل مشاكلنا الفردية ... وهموم النفس ....

ونندب حظّ الإنسان ...

يا عاري لو زهرنا طرحتنا وعمامتنا كي نبيض

وطفنا بالكعبة وسجدنا في قدس الأقداس ...

وتعبنا ... وجلسنا فوق الأرض ...

نضرب أخماسًا في أسداس ...!

نتثاءب ، نرتشف القهوة ... نتجشأ ... ويمر الوقت

ولقد يرغب بعض منَّا في قطع حبال الصمت

فنعود كما كنا من زمن الأزمان

نفتح للبعض البخت

لنرى مستقبلنا في الفنجان

يا عاري لو قلنا مات الفرعون وحنطناه

لو لم نتلمس في داخلنا هيبته وقواه ... !

لو لم يبحث كل منا في عمق الأعماق ... عن عملاق

▪▪ شهر رمضان

ها قد عبرت العام في عجلٍ لكي تخطو إلينا

يا شهرنا المحبوب إنك أجمل الذكرى لدينا

الليل يا رمضان يغمرنا ويغزو مقلتينا

يا أيها الحادي ترفق بالخطى ... وامشي الهوينا

لا تأتنا إلا ونحن مهيئون لعودتك

لك فرحة في القلب فاجعلنا نحس بفرحتك

لك هزة في الروح نقتبس نورها من شعلتك

لا تأتنا إلا وفجر النصر بشرى رؤيتك

***

أتجيء يا رمضان والعرب الأباة مهددون ؟

وتمرْ وسط مدافع الأعداء منخفض الجبين ؟

أتجيء والإسلام في غضب على الظلم المهين

والمسجد الأقصى يدنسه البغاة الآثمون ؟

***

أتراك ترضى أن نغني أو نصفق للهلال

ودماء أمتك الأبية لم تزل فوق الرمال

وأنين جرحاها يدوي في الصحاري والجبال

والبغي ـ يا ويل الحقيقة ـ جاثمٌ عند القنال ؟

***

أتراك ترضى أن تدق الباب باب المسلمين

فنصوم نحن الشهر في أمن ونفطر هانئين

ونقر في دفء وآلاف العرايا نازحون

واللاجئون هناك من عشرين عامًا صائمون !

***

إنا نريدك أن تجيء ولست بالماضي شبيهًا

ونريد أن تأتي وقد أجليت مغتصبًا كريهًا

ونريد أن تأتني وقد ضمت فلسطين بنيها

وتحررت أوطاننا وتألقت زهوًا وتيهًا

***

إنا نريدك أن تجيء ونصرنا في راحتينا

والنور فوق جبيننا والحق منتسبٌ إلينا

يا ضيفنا المحبوب إنك أجمل الذكرى لدينا

يا أيها الحادي ترفق بالخطى .... وامشي الهوينا !

***

▪▪ دقت الساعة

إنها مصر تناديكم فهبّوا للقتال

يا شبابي ... أنا لا أرجو المحال

أيها الرضّع لا تبقوا نيامًا

أيها الشعب الذي يأبى الفطاما

قد غفوتم ألف عام ... كل عام مرّ يبدو ألف عام

منذ أن بات عرين الأسد ملهى للذئاب

منذ دون في فلسطين الأعاصير الغضاب

آن لي أن تخرقوا جوف السكوت ...

إن خصمي عنكبوت ... إنهم كالعنكبوت

يغزلون الغد في صمتٍ مريب

خلف أسوار يقينٍ وحقيقة

يستغلون الزمن .... بالدقائق .... بالدقيقة

بينما أنتم تغنمون المواويل الرتيبة ... للحبيبة

تذرفون الدمع من أجل امرأة ...

تشربون المر من أجل امرأة

وتضيع الأرض من أجل امرأة

فإذا جاء المساء

ارتديتم كل ما فاق الأماني من ملابس

ثم سرتم في علوٍّ وانتفاخٍ .. كالخنافس

نحو أودية الدمار ... أيّ عار .. أيّ عار !!

إن أجيالًا ستأتي بعدكم

سوف تذكر حتمًا عصركم ... !

هذه الأجيال هل تسلب هذا الحق منكم ؟

أنتم الملاّك للحاضر أنتم ....

دقّت الساعة دقّات الحياة ... !!

فلتسيروا نحو أعدائي حفاة وعراة ...

فالملايين التي تمشي بلا أدنى سلاح ...

تملك الحقد ذخيرة ... تملك الغضبة نارا ...

تملك الإيمان فوزًا وانتصارا ...

فازحفوا فوق الرمال

اعبروا اليوم القنال

ازحفوا فوق البطون ...

حاربوا ! هل تسمعون ؟

▪▪ رد إلى الشاعر

أختاه : جرحك كيف أضمده وبي جرحٌ مثيل

أنا لن أقول اليوم فجر النصر يحتضن الحقول

لكنما الشيء الذي تتلمسين به الدليل

هو أن رغم مصابنا ، فالحق باقٍ ... لا يزول

***

ماذا بربك جد فينا من غريبٍ ... أو مثير !

ماجدٌّ مر بغيرنا ورواه تاريخ العصور

فليمض أمس بحزنه .... فغدٌ هو الأمل الكبير

وإذا انطفأ مصباحنا ، فانزيت مخزونٌ وفير

***

أختاه : ما ذنب الصغار ليرتدوا ثوب الشجن

فليلعبوا .... فلهم وجودٌ آخرٌ ... ولهم زمن

ولنا الكفاح ، لنا الجراح ... لنا المآسي والمحن

نحن الكبار ضريبةٌ لبقائهم ... نحن الثمن

***

غنّي لهم يا أخت عن شعبٍ هنا صان الجوارا

كم غنوةٍ بعثت بقلب الطفل ثورات كبارا

فإذا شدوتِ فخبّريهم أن في الأعراق نارا

والثأر أصبح غايةً نحيا لها ... وغدًا شعارا

***

لا تحسبي هذا النشيد عزاء أرواح غريقة

فلسوف تتكئين في فرحٍ على الشمس الطليقة

إن الطريق وإن يكن جهمًا بمرآة الحقيقة

لكنّ أهداف الطريق لنا غوالٍ ... يا شقيقة ...

***

▪▪ من مقاتل إلى زوجته

لا أنت جانيةٌ ولا أنا جان

إن الخطيئة في دم الإنسان

لكنني رغم الحقيقة عاتبٌ

بل غاضبٌ من دمعك الهتّان

أنا لن أزورك طالما ودّعني

عند الرحيل بحرقةٍ وهوان

ولذا منعتُ زيارتي ... ألغيتها

ووهبتُ تصريحي لفردٍ ثان

وغدا إذا حلّ المساء لديك لا

تتوقعي أن تسكني أحضاني

وتجمّلي ما شئت أن تتجمّلي

أنا لن أبارح خندقي ومكاني

إني عزمتُ على القطيعة فترةً

حتى أُحسّكِ ثرّة الإيمان

بالله ، بالنصر القريب ، بجيشنا

بجنودنا الأبطال ، بالأوطان

يا خجلتي من زوجةٍ عربيةٍ

تبكي رحيل الزوج للميدان !!

***

إني لأعلم أنني متغيّرٌ

قد غيّرت مني ظروف زماني

فلقد عهدت فناك صبًّا هائمًا

بك يا صغيرة ، مفعم الوجدان

عهدٌ مضى وطوته أكفان البلى

لا وقت عندي للهوى الولهان

إني هجرت صناعة الأحلام يا

زوجي وعفتُ غرائز الأبدان

دنياي ليست للنجوم أعدّها

شوقًا إليك كعاشقٍ سهران

أنا هاهنا بدمي يعربد ظامئًا

للثأر ... لا لمحبةٍ وحنان

أنا ها هنا متأهبٌ ، متحفّزٌ

مترقّبٌ لعدوّنا الخوّان

فغدًا أذود عن البلاد مدافعًا

بعزيمتي وشبابيّ الريّان

أنا لا أبالغ في التفاؤل إنما

هو مدفعي يأتيك بالبرهان

***

أنا يا فتاتي سوف أكشف صادقًا

عما أحس من الأسى وأعاني

فلقد ظننتك بعد أن ذبحوا السنى

والعطر والأطيار في البستان

ستهللّين إذا رجعتُ لجبهتي

خذني هناك فقد سئمتُ مكاني

أأعيش في بيتي الهنى كدميةٍ

يُلهى بها ... وأخبّ في فستاني

أأضج من بُعد القرين وأشتكي

ذلّ الفراق ولوعة الحرمان

وظني أهمّ نديّ من زوجٍ مضي

فهو المقيم ونحن مرتحلان

خذني إلى الميدان إني قوّةٌ

فعالةٌ ... خذني إلى الميدان

أنا قبل أن أهوي وأغدو زوجةً

بنت الحمى ... ودماه في شرياني !!

***

فلتأملي خيرًا وكوني زوجةً

عربية الأخلاق والإيمان

وإليك رغبة من يجود بروجه

من أجل مصر وشعبها المتفاني

قولي لأمي دعوةً مشبوبةً

من قلبها لله أن يرعاني

فلتحت أقدام الأمومة جنة

الفردوس ... أرجو الله أن تلقاني ...

***

▪▪ نقسم لك

الآن وقد هدأت فيك الثورة بعد الإجهاد

الآن وقد خيّم حولك ظلّ الصمت

لن نعترف بأحكام الموت

لن تفصلنا عنك الأبعاد

فستبقى في الأعين والوجدان

وسنسمع كل صباحٍ صوتك يهتف في الآذان

«صباح الخير عليكم يا إخوان»

ولسوف تظل بقامتك الممددة في كل زمان

كسليمان ....

منتصبًا فوق الأرض ... مستندًا فوق عصاك

وملوك وإخوان الجان ...

ترهب قوّتك ... وتخشاك ... نقسم لك

***

الآن وقد صلبوك على جبل الشهداء

بمسامير الغدر الوحشية

الآن وقد نمتَ بأحضان القاهرة الشماء

وبعيدًا عن حقد البشرية

لن نهرب نحن إلى الصحراء

لن نلجأ إلى خوف المضطهد إليها

كي نبني الأديرة عليها

لن نخشى تعذيب الرومان

لن يذبحنا أعوان القيصر

فتعاليمك إيمان الإيمان

وجميع تلاميذك رهبان

من أكبرهم ... حتى الأصغر ... نقسم لك

***

الآن وقد عدت إلى أرض الأجداد

وتركت الأسرة يرعاها باريها

تحت الشمس المحرقة الأجساد

والفقر الموحش يطويها

لن نظمأ نحن ... ولن نلهث ... لن نركض بين الجبلين

لن نصرخ .... لن نذرف كل دموع العين

فسننهش بأظافرنا أحشاء الأرض الصخرية

وسنُطفي حر الرمضاء بأنداءٍ فجرية

وستنبثق أمام خطانا آلاف بثارٍ من زمزم

وستهوي الأفئدة إلينا

وتعانقنا ... وتسلم ... نقسم لك

***

الآن وقد أرخيت الساعد وأرحت اليد

وصنعت الفلك المنشود وأمنّت الغد

وتعبت فأسندت الرأس على الشطّ الدائم

وتركت الأهل وأحبابك في الفلك العائم

لن تخشى الماء الصاعد حتى الأعناق

فسنصنع نحن الأطواق

وسنمضي في موجٍ كالبحر أمام التيار

نتحدى .... ونصارع كف الأقدار

ونذير الدفة في كل مكان .... ومكان ...

لتحطْ سفينتك أخيرًا ...

فوق الجودي .... بكل أمان .... نقسم لك .

***

▪▪ إلى ضيوفنا الكرام

قبــــل أن تخطـــوا عـــلى أرض الحمــــى

حيـــث يُرخـــى طـــائر الجـــو جناحـــه

انفضــــوا عبـــر الصـــحاري حملكـــم

واملـــؤوا الوجـــدان عطفًـــا وســـماحة

وليضـــم الخطـــب شـــملًا ضـــائعًا

ولتمـــدوا كلكـــم قلبًـــا وراحـــة

فالخلافـــات التـــي مـــرّت بنـــا

لم تعـــد في الحاضـــر العـــاني مباحـــه

نحـــن عـــربٌ نحـــن عـــربٌ طالمـــا

ينشـــر الأفـــق عـــلى الـــدنيا صـــباحه

كـــل فـــردٍ هاهنـــا يرنـــو إلـــيكم

فارشًـــا بالحـــب ميـــدانًا وســـاحة

فلتحلـــــوا فـــــوق أرضٍ حـــــرةٍ

ترتجـــي مـــنكم أمانيهـــا المتاحـــة

ولـــــيكن مـــــؤتمر القمـــــة في

قمـــة الإخـــلاص صـــدقًا ... وصـــراحة

■■ صلاة تحت العاصفة

يا الله ! يا رب الأمن وربّ الإعصار !

ارحمنا ! فالبرد القارس جبار ... وعظام الأحياء مناخل

والريح تبعثرنا مزقًا ... وتزلزل أعماق الأشجار

والوطن المزهوّ الشامخ مقلوب الأوضاع

والسطح يغوص .... يغوص .... يغوص إلى القاع ... يا الله !

***

فلقد ذقنا كل مرارة دنيانا ... وعرفنا الموتا

وتشردنا تحت العاصفة الكبرى .... بيتًا بيتًا ...

هذا الحزن الموغل فينا هو حزنٌ مجهول الأسماء

هذا العبء الضخم الجاثم فوق صدور الأحياء

هو كل أنين الجرحى ... كل قبور الموتى تثوي في القلب

هو ألم الحب ... لأرض الحب ... يا ربّ الحبّ ...

فاجعلنا في ظل رضاك ... ولتغفر ضعف الإنسان

فالإنسان ... هو أغلى ما صاغته يداك

***

▪▪ إلى أمة العرب

شيئان دونهما الوجود هباءٌ

وحياتنا هي والفناء سواء

حريةٌ .... وكرامةٌ ... وهما هنا

في مصرنا .... ميراثنا الوضاء

خضنا لأجلهما الوعى وتخضّبتْ

أوطاننا ... واستشهد الشهداء

***

يا أمة العرب الأبية إنني

أرنو إليك وفي الفؤاد رجاء

يا أمة العرب الأبية انهضي

فالركب جارٍ في الورى عداء

قولي لأعداء الحياة ألا اغربوا

عن أرضنا ... يا أيها الجبناء

أنا سوف أعتصر الضياء بقبضتي

فمشيئتي قدرٌ لكم وقضاء

ولأهدمنّ غروركم بمعاولي

ليرفّ في صدري الحبيس هواء

سأمرّ ، أكتسح الصخور بقوّتي

أنا حرةٌ ... أنا حرةٌ ... شماء

فإذا عثرت فليس عيبًا إنما

العيب أن ينتابني الإعياء

وإذا سقطتُ سقطتُ فوق رؤوسكم

إن الحياة مع الركوع فناء ...

***

يا عرب ! لموا الشمل في قومية

تحدو سناها الثورة البيضاء

الوحدة الكبرى أداة نضالنا

وتجاوبٌ لشعورنا ونداء

الوحدة الكبرى حقيقة ذاتنا

وتقدّمٌ لشعوبنا ورخاء

والحكم عدلٌ والشعوب إرادةٌ

والعلم أسلحةٌ لنا وبقاء

▪▪ انفجار

تفجـــــرّ قلبـــــي شـــــظايا	ونـــــاء بحـــــزن دفـــــين
عـــــلى مصـــــر أُمّ الضـــــحايا	عـــــلى مصـــــر ... أُمّ البنـــــين
تفجـــــر قلبـــــي حبًّـــــا	وزهـــــوًا بشـــــعب الفـــــداء
وناشـــــد في الليـــــل ربّـــــا	يخفـــــف عنـــــه الـــــبلاء
تفجّـــــر قلبـــــي مُنـــــىً	تصـــــون الجمـــــال الحـــــزين
فلبنـــــان فردوســـــنا	يدنّســـــهُ المعتـــــدون
تفجـــــر قلبـــــي المعنـــــي	لأهـــــل الشـــــمال الحبيـــــب
فســـــوريا هـــــي القلـــــب منـــــا	وشـــــريانـنا والوجيـــــب
تفجـــــر قلبـــــي ضـــــيقًا	مـــــن العـــــرب الحـــــاكمين
وناشـــــد حلفًـــــا وثيقًـــــا	ووفقًـــــا بـــــه نســـــتعين
تفجّـــــرتُ نـــــار جحـــــيم	تفجّـــــرت حقـــــدًا وحزنًـــــا
عـــــلى دولٍ لا تقـــــيم	لمعنـــــى العدالـــــة وزنًـــــا
أخـــــي العربـــــي تعـــــالى	نفجـــــر فينـــــا الإرادة
كفانـــــا الـــــرؤى والخيـــــال	كفـــــى الكلمـــــات المعـــــادة
جنـــــاحي الكســـــير المهـــــيض	يحـــــن لحضـــــن الفضـــــاء
أخـــــي ! أنـــــت مـــــثلي مـــــريض	لنجـــــرع كـــــؤوس الشـــــفاء

▪▪ أغنية إلى فارس الميدان

بطل العروبة ! منقذ الأوطان :

يا أيها الجنديّ في الميدان

يا باقة خضراء في روض المنى

قد أشرقت بربيعها الريّان

أشعلتَ باللهب المقدس معزفي

وبعثتَ فيه حرارة لإيمان

هي ذي يدي مُدّت تحيي راحةً

شفافةً بضيائها النوراني

قد طرّزت ثوب الخلود لأرضها

وكست خصوم الأرض بالأكفان

اليوم أحني في خشوع هامتي

لك يا ابن مصر ويا فتى الفتيان

اليوم أهتف : إنني مصرية

فتردد الدنيا صدى ألحاني !!

***

يا مصر ، كم عامٍ طويتِ ذليلةً

بين الأسى والصمت والأحزان

زعموكِ خائفة فزاد غرورهم

وعروا عواء الذئب للحملان

ما كان صمتك عن خضوع يائس

بل كان صمت المدرك اليقظان

بل كان بحثًا عن حقيقة ذاتنا

عن جوهرٍ في هوّة النسيان

غلّفت دربك بالسكون مجّدةً

في السير لم تنسى خديعة جان

فالمرء إن ينس الإساءة في الوغى

هانت عليه كرامة الإنسان

***

حتى إذا نادى البشير تقدّموا

آن الأوان لوثبة الشجعان

فارقتَ بيتك ناسيًا متناسيًا

اسم الزقاق ولوحة العنوان

وهتفتَ يا سيناء إني قادمٌ

كي أستردك من يد الخوّان

فإذا سقطتُ فإن جذعي راسخٌ

يهب الحياة لألف غصنٍ ران

بي رعشة المحموم طال رقاده

بي نشوةٌ تسري بكل كياني

أنا ذاهبُ يا مصر .. إني ذاهب

أهناك من يثني خطى الطوفان ؟

هدفان لي … نصرٌ يرافق عودتي

أو رايةٌ لفي بها جثماني !!

***

وعبرتَ … ما أسمى العبور عقدة

فوق الصراط وفي حمى رمضان

وعبرتَ حيث الشمس أرخت جفنها

ليمر ركب الحق في اطمئنان

وعبرت حيث الماء رق كأنه

مهد الوليد ونسمة البستان

وعبرت حيث الكائنات جميعها

قد ساهمت في الصمت والكتمان

حتى إذا ارتعشت وراءك ضفة

تخشى مصير مقاتل متفان

أتت أمامك ضفة مسجونة

وشكت إليك ضراوة السجان

فحطمت في شمم الأبي قيودها

ونفضت عنها ظلمة القضبان !

***

صهيون ! هل بقيت لديك صديقة

في الكون لم تنبذك في استهجان

حتى الأفارقة الذين سحرتهم

بالغش مجوا صحبة الشيطان

لله در أصالة عربية

فاضت بكل محبة وحنان

لو صغت ألف قصيدة في نيلها

لفشلت عن عجز وضعف بيان

هذا التجمع بعد طول تمزق

كيف استقام وتم عبر ثوان؟

ومن المحيط إلى الخليج تسابقت

بالمال والأرواح والأبدان

فبدت كما عرض الكتاب لذكرها

هي خير ما صاغت يد الرحمن

***

واليوم يا أبطال شدوا عزمكم

لا تأمنوا الأعداء يا إخواني

وغدًا إذا غدر العدو تقدموا

ولترجعوا وعلى الشفاه أغان

هي كلمة من رائعات زعيمنا

ستظل في الأسماع والأذهان

«لقد انقضى عهد الهزيمة والأسى

لا ، لن تعود عقارب الأزمان...»

..شهيد وحرة

ذات يوم واجهت مصر فتاها

وهي تُلفى لأمر في عزم ولهفة

«أيها الطفل الذي ضل وتاها

ليس لي ابنٌ هنا ينظر خلفه

فاعبر اليوم قناتي وتقدم

لست حرًا طالما لست بحرة

إنني أم ولكن .... لست أرحم

حيث يكفي ما أصاب الأم مرة

***

لا تلمني أيها الطفل المدلَّل

لست شيئًا هينًا أنت لدي

أنت حبي وحناني ... أنت ذرات كياني

وخطى يمشي عليَّ ... بجناح من حمامة

وجبين كجبين الفجر ... مزهو الكرامة

عربي الكبرياء ... فيك صبر الأنبياء

ناعم الإحساس ، عذري المنى ... حلو الدعابة

كاسر الأنياب ، في برديك أحراش وغابة ...

***

غير أني حين لامست الجراح

فوق صدري .. فجوات ... فجوات

ورأيت النسر محطوم الجناح

وهو يهوي ... آه يا للذكريات

عندما شاهدت ريح الليل تنجب

في رمالي الشقر أعشابًا مريرة

عندما انقضت على الشط لتشرب

من دمي الأخضر جرذان حقيرة

***

هكذا ... أدمى فؤادي كلماتي ...

حينما ضاقت بعيني حياتي ... فتقدم ... ثم عد لي ساكبًا في راحتيا

فرحة العمر لديَّا ... أي أنغام مرنات وضحكات طويلة

سوف أهديها إليك : كم أقاصيص نضال وحكايات بطولة

سوف تعلو شفتيك .

وإذا عدت بليلك احترس من حزن أمك

***

لا تدق الباب فالقفل ثقيل

والأماني عبر جناتي سقيمة

خلف بابي عالم الصمت الطويل

حيث غاضت من ينابيعي الأمومة

لا تقل لي هكذا شاء القضاء

لا تقل لي هكذا شاء القدر

لا تجبني بأنين ... أو بكاء

بل على صخرة قلبي ... انتحر !

سكن الصوت ولم يسكن صداه

فإذا الميدان نبض وحياة

ومضى الطفل المدلل فتوضأ ثم صلى ثم كبر ثم هلل

ومضى يهدر كالبحر ويزأر

وهي في أحضان سيناه الوفية

أبدًا ... لا ينثني ... أو يتقهقر

ذو الجبين الحر .... والكف القوية

يتحدى الهول ، يجتاح العدا

وبعينيه انتشاءٌ وبريق

صدره مرجل حقدٌ ... والصدى

لم يزل يحدو سناه كرفيق

كانت الظلمة ترخي ساعديها

حين ألفته رصاصاتٌ عتية

فوق أرضٍ طالما حنَّ إليها

وفداها اليوم بالروح الأبية

صاح ... والبسمة تعلو شفتيه

صاح للصوت الذي في مسمعيه

«لست حرًّا طالما لستُ بحرة»

أنتِ حرّة ! أنتِ حرّة ! أنتِ حرّة !

▪▪ قصة شعب

وقــالوا لنــا حــين حــم القضــاء ... حـــذار البكـــاء حـــذار الألم
فلـــيس مـــن النبـــل والكبريـــاء ... لكــم أن تظلمــوا أســارى النــدم
وكـــــان نــــداؤهُم المرتجـــــى ... غــدًا ســـوف نهـــزمهم ، ننـــتقم
فكــم مــن بــلادٍ طوتهــا الحــروب ... وعــادت مــع النصــر تعلــو القمــم
فعيشـــــوا كأمســـــكمُ عــــاكفين ... عــلى العمـــل المنـــتج المنـــتظم
فــنحن حمــاة الحمــى الملزمــون ... بنيـــل الحقـــوق وبـــذل الهمـــم
فعشــــنا كـــــرغبتهم في ســـــلام ... يـــــداعبنا الأمـــــل المبتســـــم
ولكـــن أســـأنا معـــاني الكـــلام ... أســأنا العظــات ، أســأنا الحكــم
وشـــيئًا فشـــيئًا تـــوالى الزمـــان ... وســبعٌ مــن الســنوات الحــرم
نســـينا عليهـــا الأســـى والهـــوان ... نســـينا حزيـــران شـــهر الـــنقم
وواقعنـــــا المســـــتبد الرهيـــــب ... وراحــــت جراحاتنــــا تلتـــئم
وســـاد الضـــياع جميـــع النفـــوس ... ورافقنــــــا في دروب العــــــدم
وكـــان لنـــا أن نخـــوض الـــوغى ... ومـــن أي بـــاب لـــه نقـــتحم
فخضـــنا المعـــارك ضـــد الغـــلاء ... ونقــص الفــراخ وســعر اللحــم
وخضـــنا القتـــال لأجـــل الثـــراء ... وبيعـــت لأجـــل الثـــراء الـــذمم
وخضـــنا الليـــالي لأجـــل النقـــاش ... ومـــن أجـــل أغنيـــةٍ أو نغـــم
وخضـــنا الحـــروب لأجـــل النســـاء ... ومتنـــا غرامـًــا بكـــرة القـــدم

***

وذات صــــباحٍ مجيــــد مجيـــد | ســـيبقى نشـــيدًا عـــلى كـــل فـــم
أفقنــا عــلى النــور يغــزو القلــوب | ونـــــار بأعراقـــــا تضـــــطرم
نفضـــنا التفاهـــات عـــن ظهرنـــا | تفاهاتنـــــا البالغـــــات الســـــأم
وقمنـــا نمـــارس حـــق الأبـــاة | وفي النظـــرات تحـــد أشـــم
فمـــا غـــاب يومًـــا لنـــا جـــوهرٌ | أصـــيلٌ ورثنـــاه منـــذ القـــدم
وخضـــنا أتـــون المعـــارك حتـــى | دفعنـــا الضـــريبة روحًـــا ودم
وكـــان عبـــورٌ وكـــان انتصـــار | وســـيناء تحضـــننا في نهـــم
ولمــــا التقينــــا عــــلى أرضــــها | رفعنـــا الـــرؤوس ، رفعنـــا العلـــم
فعــــادت لشــــعبٍ كرامتــــه | وعادت معـــانٍ .... وعـــادت قمـــم

▪▪ إلى فدائية

يا ذات الشعر المجدول المنسدل على غصن البان

يا أشهى من ثمرة تفاح تعلو ربوة لبنان

وأرقّ من الطلّ الفجريّ على عودٍ أخضر

يا نبعًا منبثقًا من نهر الكوثر

يا بنت العشرين ربيعًا مرت كمرور الأبدية

يا قلب الطفل العادي من غدر البشرية

يا من يدعونك : إرهابية !

***

قصة أرضك من يحكيها يا بنت فلسطين

من منَّا يسردها دون دموعٍ وأنين

حلمٌ كالكابوس وما أقسى الأحلام

صورٌ من بؤسٍ وشقاءٍ وظلام

وخيامٌ يتقاتل من فيها ... كي يبقى فيها

وبطاقات ... وأواني العدس ... وكسرة خبز ...

وحفنة أرز ... وعيال يبكون ... جياع

وضياعٌ .... وضياعٌ .... وضياعٌ ....

أهناك معانٍ أقسى للوحشية ؟

فقدان وطن ؟ ما الموت إذن ؟

يا من يدعونك إرهابية ؟

***

لو كان بوسعي ، لوقفتُ على قمة هضبة ... أهتف للدنيا مزهوّة

وأمرتُ العالم أن يجثو فوق الركبة .... للبنت الحلوة

للعود النابت من أرض خصبة ... فالعالم ما زالت فيه بقية خير

تتحدى أعوان الشر

تتجسد في نكران الذات

في بنت فلسطين العربية

يا قبسًا من نور يقتحم الظلمات

يا من يدعونك إرهابية !

▪▪ عاشق العلم

كانت قوارب جيشنا تجتاز أمواج القنال

والركب نحو الضفة الأخرى تهيأ للقتال

كانت مُهمتهُ هناك خطيرةً ... رغم السلاح

فجوار «رأس العش» يوجد موقعٌ لا يستباح

زحف المشاة إليه في حذرٍ وهم متربصون

لم يبق غير العابرين على القناة ... القادمين

وهناك في أحد القوارب كان «مختار» البطل

عيناه تلتقيان بالأفق البعيد على أمل

ويداه مطبقتان في زهوٍ على العلم الأمين

ويضمّه كأبٍ يضمّ بصدره أغلى البنين

***

مختار كان فتى رهيف الحس ، يحلم بالضياء

وبكل أزهار المحبة .... كل أجنحة الوفاء

كانت أمانيه الكبار طوال أعوامٍ شقيّة

أن يرفع العلم المظفر فوق سيناء الأبية

يا كم تمنى أن يجود الدهر في كرمٍ عليه

فحباه قائدُه وصحبتهُ بما يصبو إليه

***

والآن يرمق من قريبٍ وجه سيناء الرقيق

ويداه ترتعشان في غضبٍ ويهمس للصديق

«محمود ! قل لي هل هنالك رؤيةٌ أنسى وأعنف

من رؤية العلم العدو على ربى سينا يرفرف ؟»

***

وتشبّ عاصفةٌ من النيران حول القاربِ

فتنام أصداء الجواب على شفاه الصاحب

وتُصيب مختارَ الأبيَّ رصاصةٌ من غادر

ويميل جبهتُه العنيدة في خضوع قاهر

وتميل محمود عليه وينثني ثر الألم

فإذا الدماء بصدره قد خضبت صدر العلم

وإذاه يهتف وهو في إغفاءة النفس الأخير

«يا محمود ! ارفعني هناك لأرفع العلم المنير!»

وتسير قافلةُ الحياة لتُنجز العمل الأهم

لا شيء يوقف سيرها ... لا موت ... لا جرح ودم

ويخوض أبطال القناة معارك الحصن الأليمة

ويجشمون عدونا الغدّار أهوال الهزيمة

ويشبّ محمود ويرفع راية النصر المجيد

فيرفرف العلم الأبيّ مضرَّجًا بدم الشهيد

***

يا سائرًا قرب المكان وقد عبرتَ الضفّتين

انظر إلى العلم المقدّس واحن رأسك مرّتين

أولاهما للراية الشماء تعلو أرضنا والثانية

لمن أفتدي علم الكنانة بالدماء الغالية !

▪▪ كلكم عبد العاطي

اليــــــوم عبــــــد العــــــاطي   تفــــــوز بــــــالأنواط
مكرمًــــــا في النــــــوادي   وســــــائر الأوســــــاط
يــــا مــــن يــــداك حديــــدٌ   والجســــم مــــن مطــــاط
وضــــرب خصــــمك جمــــعٌ   ولــــــيس بالأقســــاط
اليــــوم يســــأل شــــعري   في رهبــــة المحتــــاط
تــــرى لمــــن ســــأغني   لقمــــان أو ســــقراط
فقلــــت أعظــــم مجــــدًا   هــــو ابــــن مصــــر العــــاطي
الواهــــب الخلــــد خلــــدًا   للنيــــل والفســــطاط
الفــــارس الــــروح زهــــدًا   لمصــــرنا كبســــاط
يــــا خيــــر جنــــد وأنــــتم   يــــا خيــــرة الضــــباط
يــــوم العبــــور ســــخرتم   بــــالخط والخطّــــاط
فكلكــــم يــــا جنــــود   الــــبلاد عبــــد العــــاطي

▪▪ الفجر الجديد

«من وحي خطاب الرئيس»

كـــلامٌ يـــا أبـــا الأنـــوار حلـــوٌ — تـــدفق بالجمـــال وبالعذوبـــة
كـــلامٌ يســـتحث الخبـــر فينـــا — ويـــدعونا إلى المثـــل النجيبـــة
ســـمعناه فعانقنـــا الأمـــاني — ورددنـــاه كـــي نســـتاف طيبـــه
وقـــد لهثـــتْ بمهجتنـــا الخلايـــا — ظمـــاءً للحيـــاة المســـتطيبة
فمـــن يـــدعو النفـــوس إلى التصـــافي — لـــه في القلـــب أصـــداءٌ مجيبـــة

***

لـــك الله الـــذي خلـــق البرايـــا — وأودعهـــا ضـــمائرها الرقيبـــة
تـــود وكـــم تـــود لمصـــر دنيـــا — كســـاها الحـــب أثوابًـــا قشـــيبة
وفجـــرا مشـــرقًا يحنـــو عليهـــا — وينســـيها لياليهـــا الكئيبـــة
وأرضًـــا فوقهـــا الإنســـان يحيـــا — بـــلا خـــوفٍ ولا عـــينٍ مريبـــة
وفيهـــا الفـــرد يعمـــل في نشـــاطٍ — ويأخـــذ مثلمـــا يعطـــي نصـــيبه

***

أبـــا لُبنـــى ! أطـــل الفجـــر نـــارا — مقدســـــةً فعانقنـــــا لهيبـــــة
دعـــوتَ الأمـــس مصـــر إلى التفـــاني — فخاضـــت لجـــة الحـــرب الرهيبـــة
وأصـــدرت القـــرار فكـــان بعثًـــا — يـــــذكرنا بمنـــــفٍ أو بطيبـــــة
مباركـــــةٌ عواصـــــفنا إذا مـــــا — نضـــت عنَّـــا مـــذلتنا المعيبـــة
فلـــيس هنـــاك أغـــلى مـــن دمـــاء — تـــراق لأجـــل ســـيناء الحبيبـــة

***

أمـــــانٍ في خطابــــك زاهيـــــاتٌ   وشـعبٌ لا ولــن يعصــي خطيبــه
سـنحيا تحــت ظلمــك في ســلامٍ   عــلى أرض بمــا حملــت رحيبــة
تعــيش بهــا الكهولــة في احتــرام   وينمـــو الطفــل في أيـــدٍ طبيبــة
ويبنــي الكــل للأوطــان صــرحًا   عليــه تــرف رايتنــا المهيبــة
وتبقــى أنــت ذخــرًا للمعــالي   وتبقــى أنــت ذخــرًا للعروبــة

■■ مدينة الأقزام

ذات يومٍ .... سرتُ وحدي دون أهداف وقصد

كان عبثان على كتفي ... تقواي وزهدي

كان شيءٌ طعمه مرٌّ ... بحلقي يتدفق

وأمامي كان سورٌ ... بابُهُ عالٍ ومغلق

جئتُهُ أنشد بعدًا وهدوءًا وسكينة

فإذا السور بناءٌ هائلٌ يحوي ... مدينة !!

***

وفتحتُ الباب في حرصٍ ولكن في ثباتِ

كانت الأشباح تحبو في مماشي طرقاتي

وإذا الأشباح أقزامٌ تداني خطواتي

وتمعنتُ طويلًا في الوجوه الزاحفات

وتبينتُ شبيهات لها عبر حياتي

قلت: من أنتم ؟ أجابوا : نحن أنتم يا فتاتي !

***

نحن كنَّا في صدور الناس نجتث الذنوبا

كل مسخ كان للإنسان عينًا ورقيبًا

كل مشخ كان ربًا ... كان عملاقًا رهيبًا

ذنبنا أن أبينا أن نجاري أو نُجيبا

نحن حالفنا عقولًا وتحدينا قلوبًا

فطُردنا .... ونُبذنا ... وارتضيناه نصيبًا

***

قلتُ : إني أعرف الآن وجودي وزمانه

ذلك الوجه فلانٌ ... ذلك الوجه فلانة

هؤلاء الناس في دنياي رمزٌ للأمانة

إن يكونوا لفظوكم فلقد حازوا مكانه

إن صدري مل هذا الرب فليهجر مكانه

وكفى قلبي هوانًا ... وكفى نفسي مهانة ...!

***

قفز العملاق فوق الأرض قزْمًا واستقر

فإذا عبثي تلاشى ... وإذا قيدي انكسر

والمنى العذراء تستجلي هواي المنتظر

وعلى كفي شمسان وفي قلبي قمر

غير أني عندما عدتُ إلى دنيا البشر

خلت شيئًا ما بأعماق فؤادي يحتضر

***

كان هذا الشيء ... شوقًا وحنينًا لصغيري

كان ذكرى من تنكرتُ له وسط غروري

كان تيها وضياعًا واحتقارًا لشعوري

بغتة شاهدت خلفي ... قزى يقفو مسيري

ضارعًا يبغى رشادي ، باكيًا ينعي مصيري

فحملتُ الربّ في صدري ... وأرجعتُ «ضميري»

▪▪سماء الغرور

فراش الروض ! يا قلبي لماذا تنشد البحرا ؟

وتأمل أن تحلق في رحاب سمائه ... حرًا !

تقول : سئمت أزهاري وعاف رحيقها ثغري

أأزحف فوق عشب الروض والعيدان كالحشرة

وتُرضيني الحياة هنا؟ وكيف؟ وفي دمي ثورة

وشوقٌ عارمٌ يهفو إلى أحلامي الخضر ؟

***

فراش الروض ! لا تهرب إلى أفق بلا آخر

تحلق فيه مشدود الجناح وتائهًا حائر

تجر جرك الرياح الهوج في رحلتها الكبرى

ويعروك الدوار هنا بين المد والجزر

وتخطبك الصخور الصم حيث سواعد البحر

تضيف إلى ضحاياها الكثار ضحية أخرى

***

حباك الروض بالآمال لكن لم تصن وده

لمست عذوبة الأعماق حين عبثت بالوردة

ومن خصر النسيم درست رقص النور والأمل

وذقت الحب مسكى الشذا في حضن ريحانة

وكم ضحكت تلك المرآة حين علوت غدرانه

وطرت على جناح الشمس ترفل في سنى الحلل

***

أتدري أن طير البحر لم يسلم من الغرق

وأن الفجر في أفق البحار بحمرة الشفق

وأن الزورق التائه يبكي في أسى أرضه

فعُد لي يا فراشي الحلو : يا ذهبي ويا نوري

ولا تجنح إلى الأخطار في أوهام مغرور

ونقلْ خطوك الهفهاف بين خمائل الروضة ....

▪▪ الزائر الغريب

مع الليل أصغى إليه يحوم حول الديار ويغزو الحديقة

ومن ثقْب بابي أراه يسير على العشب في خطوات رقيقة

ويُبعد عنه أكفَّ الزهور وقد طوّقتْ في عنادٍ طريقه

ويقرص خدًا لياسمينةٍ : ويغمض أعينها المستفيقة

ويحنو على الفل في فرحة ويبعث حينًا بصدر الشقيقة

ويحضن أذرع لبلابة تمطت أمام الفضاء طليقة

***

هناك على مقعد من رخام أرى الضيف تحت ظلال الشجر

ولا شيء يؤنس وحدته ، سوى الليل في صمته والقمر

ونبشه طير عصاه الرقاد وأنّات عود هوى يحتضر

ويعلو النداء عميقًا رهيبًا كصوت السماء ، كصوت القدر

«تعالي إليَّ لكي تسعدي ، فإني الحياة لكل البشر

وإن لم تجيء سآتي أنا ... وفي كل ليل هنا ... أنتظر

وأنسى السنين وعبء السنين ، وأنشد لحني وأشعاريا

وألبس ماعز عندي وراق ، وأعقص شعري بمرآتيا

وأملأ كأس الغريب بشوقي ، وأملأ كأسي بأحلاميا

ومن ثقب بابي أراه أمامي فيهبط قلبي لأقداميا

وتبدأ حرب الصراع الرهيب ، وأحكم إغلاق أبوابيا

ويرجع ضيفي بغير لقاء ... حزينًا ... ويهجر بستانيا

***

وفي الصبح أفتح بابي الكبير .... وعبر الحديقة أقفو خطاه

فيهمس غصنٌ إلى جاره ... وترنو الخمائل لي في انتباه

وتبدو الحديقة في زهوها ... قد استقبلت في الظلام إله

فمن كل ركن تهادى عليه ، وفي كل وجه نبات رآه

يشع ضياء ... ويسري عبير ... وتدفق من جانبيه المياه

فاذكر أني سمعت الغريب ينادي «أنا الحب ! إني الحياة !»

■■ الليل والمرأة

عنـدما ترخـي الـدياجي سـترها	فـوق أنفـاس الوجـود الهادئـة
ويــذوب اللــون إلا واحــدًا	يتحـدى النظـرات الهادئـة
ويضـيف العـش حينًـا طيـره	ويضـم البحـر حينًـا شـطئه
أتـرى يـدرك يومًـا رجـل	مـا الـذي يحكيـه ليـلٌ لامـرأة؟

***

إنـه يحكـي لنـا سـر الوجـود	ويبـث الضـعف فينـا والإرادة
فهـو إنسـانٌ وشـيطانٌ مريـد	ينسـجان الوقـت كفـرًا وعبـادة
وهـو طيـرٌ بجناحيـه يشـيد	قمـة الأحـزان فينـا والسـعادة
وهـو كـونٌ قـابعٌ في عقـل أنثـى	مسـتريحٌ فـوق شـبر مـن وسـادة

***

أي مـاض قـد حملنـا عبـأه	مـن قـديم نحـن والليـل قـوائم
أدركـت حـواء معنـى ليلهـا	قبـل أن يـدرك مـا معنـاه آدم
كانـت الأفكـار تغـزو رأسـها	وهـو ثـار هـادئ الأنفـاس نـائم
ضـيعت جناتهـا لكنهـا	صـنعت كونـا لطفليهـا وعـالم

***

فتــرة الحمــل وإســقاط الجنــين | من حشا الدنيا وقد نـاءت سـقيمة
عنـــدما يولــــد فجـــرٌ ويبـــين | هــذه السـاعات سـاعاتٌ أليمــة
نحــن نحياهــا مــع الليــل الحــزين | حينمــا يطــوي عــلى ذل نجومــه
نحـــن نحياهـــا بجهـــد وأنـــين | مثلمـــا نجتـــاز آلام الأمومـــة

***

نحن نسقي الليل من كأس الوصـال | عاطفــات مفعمــات بالرغائــب
وهــو يهــدينا عــلى مــتن الخيــال | عربــات مســرعات وحقائــب
وبهـــا نعلـــو صـــخورًا وجبـــال | نتحـدى الأفـق حينًـا والسـحائب
ثـــم نجثـــو في خشـــوع وابتهـــال | تحـت أقـدام المعـاني والمواهـب

***

نحن نسقي الليل من كـأس الـدموع | أدمعًـا تهمـي عـلى وجـه الحقيقـة
ونمـــد اليـــد في غـــور الضـــلوع | حيث لا نحشى دياجيها السـحيقة
أي أنثـى في حمـى الصـمت الوديـع | لا تخـوض الليـل صـمّاء غريقـة
إننـــا نحيـــاه أعمـــارًا تضـــيع | وهــو يمشــي عــابرًا فينـا طريقـة

■■ الآلهة والجريحة

أغرقــتُ كفــى في حنايــا جــدول   وغرقــتُ مــن أمواجــه العطــرات

ومزجتهــا بتــــراب روض يــــانع   وعجنـــت آلهـــة مـــن الجنـــات

أتقنــتُ صــنع الحــبّ حتــى أنني   ضــــيعتُ في إتقانـــــه أوقــــاتي

شـــكلته طفـــلًا ضـــحوكًا لاهيًـــا   يحبــو ولكــن مغمــض النظــرات

أمـــا الجمـــال فصـــغته متألقًـــا   في غـــادةٍ قدســـية اللمحـــات

والكبريـــاء منحتهـــا ظـــلًا ســـرى   كالتــاج حــول منابــت الخصــلات

والخيــر يــا للخيــر مــن أعبائــه   كم ذا رســمت لــه مــن القسـمات

ثــم انتبهــت إلى الضــمير فصــغته   عينًـــا تطـــل عـــلى مـــن شـــرفاتي

وصـــنعت للحريـــة الكبـــرى يـــدًا   عملاقـــةً مفتولـــة العضـــلات

ووهبت مصر أرق ما بي مــن هــوى   فصـــنعتها نفســـي وصـــورة ذاتي

حتــى الخيــال ســجنته مــتململًا   في الطــين مثــل بقيــة الأخــوات

وتــأود الجســد الطــري بقبضــتي   فهمســـت تلـــك آلهـــة الرغبـــات

حتـــى إذا كفـــت يـــداي هنيهـــةً   وشــردت في حلمــي وفي ســبحاتي

مـــر الأنـــام عـــلى بـــين مصـــفقٍ   ومهلـــل في دهشـــة الصـــرخات

لم يعلمـــوا مـــا ضـــرهم إن يعلمـــوا   أني عجنـــتُ مـــع الثـــرى عبـــراتي

ووهبــت آلهتــي دمــي ومشــاعري   ولهيــب أنفاســي ونــبض حيــاتي

▪▪ الشاعر.... والمشاعر

نامي : فقد أغلقت حاني ، لم يعد يأوي السكارى

نامي! فقد لف الظلام ببرده قلق الحيارى

أنا لي ملاذٌ هاهنا تحت اللحاف ... وملجأ

أنا لي على صدر الوسادة للمشاعر مرفأ

أو ما لهوت ؟ أما سبحت ؟ وخضت أمواجي نهارًا ...

***

أنا كم رجوتك يا أحاسيسي الدفوقة أن تجفي

ورفعت أصبعي النحيل أمام عينك كي تكفي

عربدت كالفرس الجموح وثرت كالأسد الهصور

وجرفت ... كم سد جرفت ... وكم جسور ... كم جسورِ

أواه ! أين أفر منك وأنت في كوخي وكهفي

***

مهدي البريُ الآن تُرعش صمنه كفُّ الستائر

الآن ما جدوى الغطاء وفي دمي إحساس شاعر

الآن أمسيتُ الفريسة للوحوش الكاسرة

الآن يبطش بي الخيال وتستبد الذاكرة

يا نار ! هل نارٌ لديك أحر من نار المشاعر !

▪▪ عندما يحب الشاعر

تتساءلين لِمَ القطيعةُ والجفاءُ ... لِمَ الغضبْ ؟

أنا يا فتاتي لم أقصرْ في هواك بلا سبب

لكنني بالأمس جئتُ أباك أستجدي النسب

إني طلبت يدي الحبيبة من أبٍ رفض الطلب

وأجابني : من ذا تكون ؟ أشاعرٌ ؟ يا للعجب !

الشعر تسلية البليد وليس مالًا أو حسب

***

إني الملوم فقد عشقتك دون وعي أو رجاء

لم أدر أن الأرض ليس لها مكانٌ في السماء

وظننتُ أن المال أضعف من هواي وكبريائي

وأنا الذي من فرط حبي قد مرضت بكل داء

عندي من الأشعار أبياتٌ مذهبة الضياء

لكنّ وحقكِ لم أجد بكنوزها ثمن الدواء

***

أنا لست أملك يا فتاتي غير أوهامي السحيقة

إني أسير على شطوطٍ كلها جثثٌ غريقة

أنا ليس لي ذنب سوى أني تبنيتُ الحقيقة

وفتحتُ أبواب المشاعر والأحاسيس العميقة

فإذا قبلت فأنت أنثى تحمل النفس الرقيقة

لا لن يريد أبٌ حياة البؤس لابنته العريقة

***

أنا كم غرستُ النور والآمال في قلب الشجر

وأقمتُ أفراح النجوم لكي يباركها القمر

وخطبتُ أسراب الرياح العاشقات إلى المطر

وعقدتُ للدنيا مراسيم الزواج من القدر

أنا كم زففت الكلمة النشوى إلى حضن الوتر

وفشلت حين أردت أن أحظى بحلمي المنتظر

***

الأرض قد هرمت وشاخ الشعر قيثارًا ونابا

والروح عند هبوطها انكمشت على أرض الخطايا

فاستودعي الحب النبيل ... وودعيني يا منايا

ودعي المصير ... فإننا الشعراء قد صرنا ضحايا

إني الفقير هنا على وطنٍ سخيٍّ بالعطايا

فالشرق لم يهضم سوى حقي ، ولم ينكر سوايا

***

▪▪ قصة الأزل

وطأطـــأ آدم رأسًـــا ذلـــيلًا   وأســـند حـــواء بـــين يديـــه

ومـن مقلـة الشـمس كانـت تسـيل   خيـــوطُ دمـــاءٍ عـــلى وجنتيـــه

ولـــف الســـماء فـــراغٌ كبيـــر   وفي الأرض صـمتٌ حـزينٌ عليـه

***

وســـارا ونجواهمـــا ذكريـــات   وشـــوقٌ وحـــبٌ وحـــزنٌ مريـــر

فكـــم لبســـا مـــن ثيـــاب الضـــياء   وكـــم شـــربا مـــن كـــؤوس النميـــر

وكـــم وقفـــا في رحـــاب الإلـــه   نقيـــين لا يعرفـــان الشـــرور

***

وســـارا وحـــواء ترفـــع حيـــرى   عيونًـــا إلى الأفـــق مـــن دربهـــا

لعـــل ... لعـــل الإلـــه يحـــن   ويصـــفح عنهـــا ... وعـــن ذنبهـــا

وشـــمس الغـــروب تبـــث ظـــلالًا   مـــن الرعـــب ... ينســـاب في قلبهـــا

***

ومـــن عينهـــا شـــعرت في ذهـــول	بمســـاء وكـــان دمـــوع الحيـــاة
وهيـــت ريـــاح المســـاء عليهـــا	ولم تـــر مـــن دربهـــا منتهـــاه
ومثـــل النســـاء تعـــالى صـــداها	لمـــاذا لمـــاذا انتقـــام الإلـــه؟
وطوقهـــــا آدم في غـــــرور	ودفـــأ بالصـــدر هـــذا الجمـــال
وأخمـــد أنفـــاس ظبـــي شـــريد	وألـــبس حـــواء جلـــد الغـــزال
وســـار ومـــن كـــل ظفـــر تســـيل	دمـــاءٌ وفي العـــين ليـــل الضـــلال

***

وســـــار طـــــويلًا طـــــويلًا	وقـــد تبـــع الهـــاربين القمـــر
وألقـــى أخيـــرًا وألقـــت أخيـــرًا	بعبئيهمـــا تحـــت ظـــل الشـــجر
وفي ذلـــك الليـــل «قابيـــل» جـــاء	وســـجل في لوحـــة مـــن قـــادر

▪▪ تكريم الأديبة

«إلى الدكتورة نعمات أحمد فؤاد»

ضـــوء الطفولـــة في عينيـــك نـــاداني ونبـل طبعـك يـا نعمـات أغـراني

ســرى النــداء تعــالى كــي نكرمهــا فقلــت لبيــك إني خيــر معــوان

أختــي الصــغيرة قــد نالــت بهمتهــا مــا لم أنلــه أنــا مــن كــف أزمــاني

فــإن شــدوتُ بهــا أشــدو بنهضــتنا وإن زهــوت بهــا أزهــو بإنســان

فليشــهد اليــوم مــن لا زال مــدعيًا أن النســاء عــلى جهــل ونقصــان

لــيس التفــوق مقصــورًا عــلى رجــل ولا النبــوغ لجــنس دونــه الثــاني

النصــف للنصــف إحيــاءٌ وتكملــةٌ وللمحــيط بــرغم البعــد شــطَّان

هذا العبير سرى من زهـرة نضـجت قبـل الأوان وشـبت دون حسـبان

هذي الأنوثـة تخفـي خلـف رقتهـا عزم المناضـل في سـاحات ميـدان

ما استغنت اليوم بـالتعليم عـن أدبٍ وبالشـهادات عـن صـدق وإيمـان

آيــات فنــك يــا نعمــات معجــزةٌ إني لأقســم في ســري وإعــلاني

لو عُدَّ عشرون من نعمات في وطنـي لفــاق مجــد بــلادي كــل بلــدان

▪▪ صلاة إلى الكلمة

انطلقي من جوف الظلمة

يا جسد الفكرة يا كلمة

هيا ... هزي ... هزي قلمي

وانتفضي في ثورة ألمي

يا أصبع عملاقٍ يفرد أجنحة الفن المنهزمة

قولي شيئًا ... شيئًا يصعد ... يتواثب يعلو للقمة ...

يا جسد الفكرة ... يا كلمة !

***

أيتها الكلمة كم يحمل معناك شقاء وسعادة !

شطآنك أرضٌ وسماءٌ وحروفك كفرٌ وعبادة

وإذا استعصيت على شفتي لن يبلغ فتني أمجاده

فانطلقي أيتها الكلمة ... انطلقي عزمًا وإرادة ...

وخذي عمري أجر نشيدٍ عذري أشهد ميلاده

***

كم صورٍ أثرت في ذهني ، نقلتها الشفتان فقيرة ...

ولحون غردها قلبي ... فانسابت بكماء ضريرة

وحروب في داخل نفسي ، خرجت للعالم مقهورة

فانطلقي أيتها الكلمة .... انطلقي أصلًا ... لا صورة

وخذي عمري أجر نشيدٍ عاري أحسن تعبيره ...

***

كم ليلٍ تنساب الذكرى ، صورًا وحقائق وظنونا

فتغوص الكلمة في حلقي ، كمحيطٍ يبتلع سفينا

ويموج فراغ في قلبي كالمسجد دون مصلينا

وعلى باب الكلمة أهتف : انطلقي شوقًا وحنينًا

وخذي عمري أجر نشيدٍ يتلوه العالم مفتونا

***

أيتها الكلمة صوغيني فنًّا يرتفع بدنباه

صوغي من إيماني مرسى للهائم في بحر أساه

لمي أعماقي المحطومة وردًا أتنفس بشذاه

فالألم هو الفن الخالد ... هاتيه فكم أتمناه

وخذي عمري أجر نشيدٍ قدسي باركه الله

■■ الريح وصندوق الجواهر

أنا كلما ألقاك أغدو لصةً كبرى خطيرة

أنا كلما ألقاك أسرق منك أشياءً كثيرة

حتى إذا حان الوداع ، مضيتُ في طرقي الضريرة !

ومعي كنوزك كلها ... ومعي جواهرك النضيرة !

***

هذه الكنوز أضمها نشوى ... تهدهدني الأماني

هذي الكنوز هي ابتسامتك المليئة بالحنان

وبريق عينك ، والشذا ، وصدى كلامك والمعاني ...

هي كل ما أضفيته عبر اللقاء ... على كياني ...

هي باقةٌ أمضي بها فيرفّ بي جوٌّ معطر

***

وأحسّ أني قد ملكت كنوز قارون وأكثر

وأسير من درب لدربٍ أحضن الدنيا ... وأعبر

والكون في عيني روضٌ مورق الأغصان أخضر

***

حتى إذا انتصف الطريق وأنت في جنبي حاضر

فإذا بريح الشك تعبث بي وتجتاح الخواطر

وتروح تسرق تحت جنح الليل صندوق الجواهر

وإذاي خاوية المنى ... وإذاي خاوية المشاعر

***

ويجيء موعدك الجديد ... يهل في ليلي ويشرق

وأنا جوارك كم ألملم ما تجود به وتُغدق

فإذا انتهى وقت اللقاء وفي يدي الصندوق مغلق

أنساب سارقةً كنوزك من جديدٍ ... ثم ... أسرق

السراب

يمـــر عـــلى الكائنـــات صـــباحًا فيـــوقظ فـــوق الفـــراش نيامـــه
ويمضــي يحــي بكــل اشــتياق ويهــدي إلى كــل فــرد ســلامه
ويحصــي بصــبر جميــع الــرؤوس وفــوق الجبــاه يخــط علامــة
ومـــن مقلتيـــه يصـــب الضـــياء ويقشــع عــن كــل عــين غمامــة
فنصـــحو وقـــد غمرتنـــا الحيـــاة بفــيض أحاسيســـها المســـتهامة
ونمشــي ســكارى وطيــف الغــرور يصــب فنشــرب كــأس المدامــة
ونركـــب عرباتنـــا المـــذهبات ونعبـــر أقـــواس نصـــر مقامـــة
ويبـــدو الوجـــود صـــغيرًا علينـــا وفي مقلتينـــا يفـــيض ســـآمة
فنتركـــه صـــاعدين الفضـــاء وقــد ألهــب الــوهم فينــا ضــرامة
نطيــر ونلهــث خلــف الســراب وفي كــل ركــن نطيــل الإقامــة
حيــارى ولا شــيء غيــر صــدانا وجهــد الجنــاح ودمــع الندامــة
وعنـــد المســـاء يعـــود إلينـــا ليكمــل بــين الضــحايا انتقامــه
فيمشـــي عـــلى كـــل رأس عنيـــد ويركلـــه في التـــراب أمامـــه
وكـــالوحش ينشـــب أظفـــاره ويغــرس في كــل قلــب ســهامه
فنســقط صــرعى وفي الصــدر جــرحٌ عميــقٌ وفــوق الشــفاه ابتســامة

■■ عام جديد

يا عام كم عام سواك مضى وخلف لي دجاه

ومشيت في سردابه وخطاي تعثر في خطاه

وشربت ملح الدمع من قمم الثلوج على الشفاه

وخرجت مثخنة الجراح لكي أعود إلى سواه

يا هذه الأكذوبة الكبرى التي تُدعى الحياة ... !

***

إني لأعلم ما تخبئ في الطريق وما تداري

خطوات عمرك كلها محفورة فوق الجدار

الصيف يمضي كالشتاء ، مع المساء مع النهار

أنا قد أراك وإنما أنت مجهول القرار

ماذا وراء الغيب يا ربي وما خلف الستار؟

***

من ألف عام جئت تغرس في حنايا الروض ورده

هل كان لهوًا ما صنعت أم انتقامًا أم مودة

وتركتها للريح تلطمها بإصرارٍ وشدة

الوردة البيضاء ألبسها الشتاء الجهم برده

لن تستطيع اليوم أناملك الرقيقة أن تصده

***

يا عام إنك كائن حيٌّ وعملاقٌ مديد

أخشاك حين تهل ثم أزف مقدمك السعيد

أبكي الذي ولى عجوزًا ... ثم احتضن الوليد

فإذا شببت ، إذا هرمت أعود أسأل من جديد

ستعود ! وي ! ستعود للدنيا ... ولكن هل أعود ؟

.. نصف سيجارة

سـيجارة البنـى ! سـيجارة — مـن أي دنيـا جئتنـي يـا صـديق
مـن عـالم الحـب ودنيـا المنـى — مـن جـوف قـارورة عطـر عتيـق
يـا نصـف سـيجارٍ طـواه الـبلى — ولم يـزل يبـدو رشـيقًا أنيـق
تلتـف حـول خصـره «ماركـةٌ» — فـاخرة تحمـل صـنفًا عريـق
أنـا التـي أشـفقت فيمـا مضـى — عليـك لم ألقـك فـوق الطريـق
أتيـت محمـولًا عـلى ثغـره — تغمـر بالـدخان وجهًـا رقيـق
وغـاب لم يأخـذك في ركبـه — ولا رنـا في الـركن نحـو الغريـق
أتيـت محمـولًا عـلى ثغـره — تـنعم في زهـرٍ بطيـب الرحيـق
أرجوحـة تهتـز منصـوبةً — في قـائمين مـن فصـوص العتيـق

***

بقيـة المـزاج ! سـيجارة ! — عكـرت «كيفـه» بهـذا العقـوق
كـم مـرةٍ أشـعل فيـك اللظـى — وكم وكـم أطفـأت أنـت الحريـق
حتـى إذا أفـرغ كبريتـهُ — رمـاك في عنـف بغـيظ وضـيق
يـا أيهـا المنكـوب في حظـه — ضيعت مـن عمـرك مـا قـد يفـوق
مـا قصـة العصـيان؟ مـا سـره — من أنـت حتـى لا تفـي بـالحقوق
أبيـت أن تفنـى عـلى ثغـره — من لي بهذا الموت ... يا للفـروق!
أبيـت أن تسـري بأنفاسـه — يـا للتوغـل الشـهي العميـق

***

سـفينة البحـار ! مينـاؤه كان لنـا مرسـى المنـى والشـروق

أنـا وأنـت الآن نطفـو عـلى بحـر مـن الأوهـام داجٍ سـحيق

▪▪ ثلاث أغنيات فرنسية

«العنكبوت»

ذات يومٍ ضمّت الصدفة شتى الكائنات

من وحوش ، من طيور ... من صنوف الحشرات

كل فردٍ راح يُثني .... راح يمدح ...

في حماسٍ ... دودة القزّ ... ويشرح

أي أعمالٍ مهمّاتٍ جليلة ... هذه الدودة تعمل ...

وخيوطٍ من حرير ناعماتٍ وأصيلة هذه العذراء تغزل

غير أن العنكبوت .... وحده كان يعارض فارد الأذرع ، قابض

كلما أصغى لمداح أجاب : «ربما ... لولا ... ولكن ... يا صحاب»

صاح بين القوم ثعلب : أيها السادة إني لست أعجب ...

حين يسخر ذلك السيد بالذم ويجزل ...

فهو الآخر ... يغزل

■■ اللبلاب

هتفت اللبلاب يومًا من علٍ للأقحوان

«أنت يا مسكين تطوي العمر في هذا المكان

زاحفًا كالأفعوان ... وذليلًا كالجبان

أي حظّ حد من عودك حدًّا واستباح

حيث تُدميك نسيمات الصباح ـ بينما عودي يعلو في أمان ...

وهو يغفو فوق ظهر السنديان

هتف القحوان : إني لست أنكر ... غير أني سوف أذكر

لستَ في مسراك أهلًا للتفوق

أنت سباقٌ ولكن ... في التسلق

وأنا من عون روحي أستمد

وإلى قوّة ذاتي أستند ...

▪▪ العندليب

مرَّ في الغابة يومًا سيدٌ جمُّ الثراء

كان يهفو للتمشي حيث أن الضيق خلّ الأغنياء

عندما أصغى لشدو العندليب ... وهو في ثوبٍ قشيب

مدّ رب المال نحو الغصن في عنفٍ ذراعه

حاسبًا كل أمانيه ـ كما اعتاد ـ مطاعه

غير أن الطير ولى هاربًا فانثنى يسأل جهمًا ، غاضبًا

كيف تحيا هاهنا أغلى الطيور الصادحة ؟

بينما قصري ملئ بطيور نائحة

فأجاب التابع الماكر في ظل ابتسامة : أيها السيد موفور الكرامة

كل شيء تافهٌ سهل الظهور .... وأمام العين في كل صباح

والنفيس الحرّ في جوف الصخور ... عبثًا تحظى به دون كفاح ...

▪▪ شجرة الليمون

قتلوكِ يا ليمونتي الحسناء

حرموك في فصل الربيع الماء

فوقفتِ في البستان عارية المنى

تتوسطين غصونك الجرداء

وحضنت شبَّاكي الفسيح ضريرةً

تتلمسين بحجرتي الأحياء

وأطل وجهك من خلال ضلوعه

جهم الملامح ، عابسًا ، مستاء

ليمونتي الجرداء : لا ، لا تخجلي

ما ضاع حسنك في الرياض هباء

إن الدمامة والجمال كليهما

يتبادلان الأخذ والإعطاء

فالموت قد أعطاك سحرًا غامضًا

يُضفي عليك قداسةً عذراء

والموت قد أعطاك حزنًا قاسيًا

متوحشًا يستوقف الشعراء

ليمونك الغالي عصرت رحيقة

وصنعت منه لفلذتي دواء

أنا لست باكيةً عليه بقدر ما

أبكيك أنت ضريرة صمّاء

أختاه ! لا تزني الوفاء بروضةٍ

نسيتك وازدهرت شذًا وسناء

فلرب عشبٍ تحت جذعك غائرٍ

يبغي لأجلك أن يموت فداء

وإذا رأيتِ الناس أكثر قسوةً

وأشد من هذي الرياض عداء

يكفيك أن هناك قلبًا واحدًا

مثلي يشاطرك الشقاء شقاء

ولقد تصب الشمس فوقك نارها

لكن روحك تكشف الأجواء

وإذا النسيم أبى عليك سلامه

لن ترهبي في عريك الأنواء

فمتى الذبيح ... يحس نزف دمائه؟

ومتى الرياح تحارب العزلاء؟

▪▪ تكريم شاعر

«إلى الشاعر محمد مصطفى الماحي»

قالوا انظمي شعرًا عن «الماحي» فقلت أتى هنائي

إني سأهجو شعره فالنظم أسهل في الهجاء

وخطى الشرور قصيرةٌ والخير موصول الغناء

وعلام أخفي الحق؟ لا بل قلتُ ، قصر في ثنائي

ما قال عن ديوان شعري كلمةً تغدو عزائي

نسي النساء ! فويله من شر ألسنة النساء

هيهات أرجع عن هجائك ... إنه حكم القضاء

***

وتلمست كفاي نسخته بقلب ثائر

يا أيها «الماحي» على بحر القريض أعاصري

كيف التشفي منك والألحان ملء مشاعري

أيقنتُ حين قرأت شعرك أن شعرك قاهري

لحنٌ شفيفٌ واقعيٌ كالضياء السافر

جمع السلامة والعذوبة في انطلاقة طائر

جمع القديم مع الجديد مع البديع الساحر

متفجرًا كالنبع يسري من فؤادٍ طاهر

متضمخًا بشذا الصداقة والوفاء النادر

لا غرور إن الشعر مرآة لنفس الشاعر

▪▪شتاء العام

شتاءٌ ضيقُ الأنفاس دماع وبكَّاءُ

يطل على الورى جهمًا كأن الناس أعداء

ويحجب شمسه عنا ويسكب حزنه فينا

فرفقًا أيها المغرور هلا ترعوي حينًا ؟

على من أنت غضبانٌ ؟ وممن أنت مستاءُ؟

***

شتاءٌ وارم الأشداق ملتحفٌ بغيماته

تباكى ثم أبكاني ... وأرهقني بأناته

طريد الكون ، صعلوكٌ ، طفيليٌّ ومجهول

أشل الخطو ، معلولٌ وفوق الصدر محمول

ولا شيءٌ به يمشي سوى دقات ساعاته

***

أتدري يا شتاء العام كم أنقصتَ من قدري

أنا في الصبح منديلٌ قديمٌ ماج بالعطر

أنا كالطائر الصيفي يشدو للورى حبه

على جدرٍ مهدمةٍ وفوق سقائفٍ خربة

أنا في الليل قنديلٌ بلا زيتٍ ... ألا تدري؟

***

ولكن ... كيف قنديلٌ بلا زيتٍ ولا نارٍ؟

وهذا الدفء في روحي وفي أغوار أغواري

وهذا الخافق الوثّاب يملأ عالمي قوّة

ويفري البرد أوصالي فأسخر منه مزهوّة

ولي قلمي ... وقرطاسي ولي في الليل أشعاري ؟

▪▪ وراء الحياة

«عندما أدخلت ابني مصحة الأمراض العقلية»

هنالك عبر الطريق الطويل

بضاحيةٍ من ضواحي المدينة

وحيث الهدوء يسود المكان

وتعفو على جانبيه السكينة

وينمو على ظهره شجرٌ

رحيب الظلال يهزّ غصونه

هنالك سورٌ سميكٌ سميك

طويل المسافة يخفي سجينه

وبابٌ بلون رماد القبور

وقد أغلقته قيودٌ متينة

إذا مرَّ طيفٌ عليه استعاذ

ومدَّ الخطى وأشاح عيونه

تفتَّح مصراعُهُ ذات صبحٍ

وكانت دموعي تسيل سخينة

فقلت : تقدَّم رعاك الإله :

وأدخلت ابني ... وعدتُ حزينة

▪▪ إلى ابنتي

«من وحي زوجها الراحل»

ماذا نصنع للطارق باب الدار بعنفٍ يا بنتي ؟

ماذا نصنع للداخل دون استئذان

ليبددَّ أفراح البيتِ؟

ماذا نصنع نحن الضعفاء

والحرب هنا عزلاء

من نحن لكي نتحاشى المنجل في كف الحاصد

من نحن لكي لا نحني الرأس أمام القانون السائد؟

ما نحن سوى نفَسٍ تذروه رياح ...

ولذلك يبكي الأفق علينا كل صباح

***

من خلف السور نطلّ ونسأل دون مجيب

من أين تجيء الروح ... وأين تغيب ؟

ويمر الركب مع التيَّار .... لأن الموج له تيَّار

ونضم الدنيا في شغفٍ ... ونعشِّش كالأطيار

وتدور الساعة دورتها ... وتجفّ على الروض الشجرة

والهوَّة .... ترنو منتظرة !

وتدق الباب يدُ المجهول

وتظل المشكلة الكبرى من غير حلول

وبرغم الحزن ، برغم الدمع توسّلنا المؤلم

يلتهم الثعبان الأنجم !

***

لكنَّ عزاء الإنسان هي تلك الشعلة من إيمان

هي تلك الراحة نلمسها في الجسد المحتضر المرهق

ووثوب الروح إلى المطلق

والسر المنكشف أخيرًا يبدو في العين

والبسمة فوق الشفتين

▪▪ شاطئ الإيمان

أجـــل ! هــــو الله أهــــواه وأهــــواه

أنَّـــى أســـير فـــإن القلـــب مـــأواه

عانقـــتُ فيـــه رغابًـــا جـــاوزت أمـــلي

لا المجـــد يبلغهـــا قـــدرًا ولا الجـــاه

فاســدل ســتارك يــا دهــري عــلى بصــري

واهـــبط بليلـــك واســـتجمع خفايـــاه

وأنـــت يـــا ســـاعد الإعصـــار ، يـــا قـــدرًا

في هـــوَّة اليـــأس كـــم ألقـــى ضـــحاياه

صـــوب ســـهامك نحـــو القلـــب في غضـــب

ومـــزق اليـــوم في عنـــفٍ بقايـــاه

هيهـــات للقلـــب أن يخشـــاك قاتلـــه

وأن يـــئن وأن يُفضـــي بشـــكواه

ومـــن أيـــن ينفـــذ ســـهمٌ في جوانحـــه

وهـــو الملـــئ بنـــور الله مـــولاه

الشـــمس تســـطع في جنبيـــه ضـــاحكةٌ

والعطـــر يقطـــر مســـكًا مـــن زوايـــاه

اليــــوم يـــا قلـــب لا أنـــواء تُرهبنـــــي

ولا ريـــــــاح ولا بحـــــــــر وأمــــــــواه

إني عــــــلى شـــــاطئ الإيمـــــان آمنـــــةً

معـــي المنجـــيَّ معـــي الحـــامي معـــي الله

▪▪ جولة داخل النفس

كـــــان الربيـــــع يفـــــيض بالإشـــــراق
ويبـــــث نـــــور الكـــــون في الأحـــــداق
ووقفـــتُ فـــوق الـــدرب ثابتـــة الخطـــى
وأنـــــا عـــــلى صـــــمتي وفي إطراقـــــي
ووقفـــتُ والـــذكرى تمـــوج بخـــاطري
والـــذكريات هـــي الوجـــود البـــاقي
عشـــرٌ مـــن الســـنوات مـــرَّت هاهنـــا
في مســــــكنٍ ولي بغيــــــر تــــــلاق
قـــد هدَّمتـــهُ يـــد البنـــاء بقســـوةٍ
وطـــوت معالمـــه بـــلا إشـــفاق
وبـــدت عـــلى نفـــس المكـــان عمـــارةٌ
تعلـــو المـــدى وتشـــب كـــالعملاق
ووقفـــتُ والأمـــس القريـــب يهـــزني
ويشـــد في عنـــف القـــويِّ وثـــاقي

أهفـــــو إليــــه بحلـــــوه وبمــــره

مـــــا دام منتزعًـــــا مـــــن الأعمـــــاق

هـــي جولـــةٌ في مســـكني قمنـــا بهـــا

أنـــا والخيـــال ... ولوعـــةَ الأشـــواق

***

ومشـــت بـــي الـــذكرى أجـــول بفيللتـــي

وأنـــا كطفـــلٍ طـــائع منســـاق

وفتحـــتُ بابًـــا للحديقـــة واســـعًا

وعبـــرتُ تحـــت ســـقيفة ورواق

وعلـــوتُ ســـلَّمها العتيـــق خفيفـــةً

وأنـــا وظلِّـــي في مجـــال ســـباق

فـــإذا الكـــلاب تحـــس دبَّـــة خطـــوتي

وتـــنطّ في لهـــث وتلعـــق ســـاقي

ودخلـــتُ تحمينـــي الـــديار بصـــمتها

والصـــــمت للعـــــزلاء درعٌ واق

ودلفـــتُ نحـــو البهـــو أنشـــد مقعـــدًا

يـــا كـــم عليـــه شـــردتُ في اســـتغراق

فـــإذا النوافـــذ تســـترد نفوذهـــا

وتفـــرّ مـــن مزلاجهـــا الخنَّـــاق

وإذا الســـتار يـــرفّ حـــولي راقصًـــا

وإذا الأثـــــاث يضـــــمني بعنــــاق

هـــي جولـــةٌ في مســـكني قمنـــا بهـــا

أنـــا والخيـــال ... ولوعـــةَ الأشـــواق

***

ومشــت بــي الــذكرى أجــول بمطبخــي

ودنـــوتُ مـــن صـــنبوره الـــدفَّاق

ورأيـــتُ مملكتـــي بكـــل جلالهـــا

تزهـــو بعـــرشٍ لامـــعٍ بـــرَّاق

ورأيتُنـــي في مطبخـــي مشـــغولةً

والوقـــت يمضـــي آخـــذًا بخنـــاقي

فهنـــا ســـلقتُ هنـــا قليـــتُ وهاهنـــا

ذقـــتُ الطعـــام كـــأمهر الـــذواق

وهنـــا ســـهوت عـــن المواقـــد لحظـــةً

كـــاد الشـــواء يصـــاب بـــالإحراق

وهنـــا عصـــرتُ طمـــاطمي وفـــواكهي

وهنـــا فتحـــتُ فطـــائري ورقـــاق

فـــالفن كـــل الفـــن عنـــد رجالنـــا

في كـــف طاهيـــةٍ وراحـــة ســـاق

والشـــرق رغـــم رقيـــه لمـــا يـــزل

يـــــزن النســـــاء بلـــــذة الأطبــــاق

هــــي جولــــةٌ في مســـكني قمنــــا بهــــا

أنـــــا والخيــــال ... ولوعـــــةُ الأشـــــواق

***

ومشـــتْ بـــي الـــذكرى أجـــول بمخـــدعي

في حيـــــرة المتهيــــــب المشــــــتاق

فهنــــا اســـتقر الكـــونُ فـــوق وســـادةٍ

محمومــــــــةٍ حملتـــــــه في إرهـــــاق

وهنـــا غـــدوتُ بمخـــدعي روحًـــا ســـرت

مــــــن ســــجنها الأرضـــــي للآفـــــاق

وهنــــــا التنــــــاقض كلـــــه في كـــــائنٍ

لقـــــى الأســـــى مــــن قلبـــه الخفَّـــــاق

وهنـــا فرحــــتُ هنـــا ضــــحكتُ وهاهنـــا

مســــــحت دمــــــوعي أســـــطر الأوراق

وهنـــا مللـــت هنـــا زهـــدت وهـــا هنـــا

أَجَّ الهـــــوى والشـــــوق في أعراقـــــي

وهنـــا نســـجتُ مـــن التوحـــد حلـــةً

رصَّـــــــعتها بالـــــــدين والأخـــــــلاق

هـــي جولـــةٌ في مســـكني قمنـــا بهـــا

أنـــا والخيـــال ولوعـــةُ الأشـــواق

***

ومشـــتْ بـــي الـــذكرى أجـــول بروضـــةٍ

ملتفـــــة الســـــيقان والأعنـــــاق

لـــو صـــغتُ ألـــف قصـــيدة في حســـنها

لســـخرتُ مـــن عجـــزي ومـــن إخفـــاقي

واســـــتقبلتني بالرضـــــاء ســـــخيَّةً

ومتـــى الســـخيُّ يضـــيق بالإنفـــاق

فهمـــتْ عـــلى رأســـي الثمـــارُ كـــدورقٍ

وصـــفتْ عيـــونُ الجـــدول الرقـــراق

وقضـــيتُ وقتـــي كلَّـــه في شـــمَّةٍ

في نشـــــقةٍ في قضـــــمةٍ ومـــــداق

وفمـــي المخضـــب يرتـــوي مـــن كرمـــةُ

أغـــرت بكـــأس نبيـــذها أشـــداقي

فـــإذا هنـــا عـــرس وتلـــك أزاهـــري

والطيـــر والينبـــوع هـــم أحـــوافي

وإذا أنـــا وســـط الحديقـــة ربـــةٌ

للحـــبّ ... أهـــل حـــديقتي عشـــاقي

هـــي جولـــة في مســـكني قمنـــا بهـــا

أنـــا والخيـــال ... ولوعـــة الأشـــواق

ومشـــتْ بـــي الـــذكرى جـــوار شـــجيرةٍ

مُســـحتْ كنـــوز الـــورد في إغـــداق

وجفـــتْ أمـــامي في ارتعـــاشٍ وردةٌ

وتســـــــترتْ بالغصـــــــن والأوراق

فهتفـــتُ : كيـــف الحـــرُّ يأســـر حـــرةً

كيـــف الجحـــود ولـــيس مـــن أخلاقـــي

أبـــدًا يـــدي لم تُـــدم وجنـــة زهـــرةٍ

جلســـت عـــلى عـــرش الربـــى الـــلألاق

حســـبي الشـــذا المســـكي يســـري في دمـــي

حســـبي الجمـــال يـــذوب في أعمـــاقي

حســـبي هنـــا الـــدنيا بغيـــر خديعـــةٍ

حســـبي هنـــا الـــدنيا بغيـــر نفـــاق

ســـكان بســـتاني الـــوفي تقبّلـــوا

منـــــي الأمـــــان وردَّدوا ميثـــــاقي

أنـــتم هنـــا رُفقـــي وأنـــتم صـــحبتي

أنعـــمْ بكـــم مـــن صـــحبةٍ ورفـــاق

هـــي جولـــةٌ في مســـكني قمنـــا بهـــا

أنـــا والخيـــال ... ولوعـــةُ الأشـــواق

***

وأفقـــتُ مـــن وهمـــي وعمـــق تخـــيّلي

والنـــاس مـــلء الـــدرب والأشـــواق

كـــلٌّ يســـير إلى نهايـــة عمـــره

ومقيَّـــــدًا بـــــالموت كـــــالأطواق

وتســـاءلتْ نفســـي لأيـــة غايـــةٍ

نحيـــا ... وأيـــن مفـــاتح الأغـــلاق

لكننـــي حـــين ارتفعـــت هنيهـــةً

بـــالعين نحـــو مشـــارف الآفـــاق

ســـكنتْ أعاصـــيري وذابـــتْ ثـــورتي

وتمـــازج المخلـــوق بـــالخلاق

فســـخرتُ مـــن يأســـي ومـــن قلقـــي ومـــن

حــــزني وصـــحتُ عـــلى رضـــى ووفـــاق

لا حـــــيَّ غيــــرك يـــا إلهـــي خالـــدٌ

لا حـــــيَّ غيــــرك يـــا إلهـــي بـــاق

هـــي جولـــةٌ في مســـكني قمنـــا بهـــا

أنـــا والخيـــال ... ولوعـــةْ الأشـــواق

▪▪ العالم الجاهل

عجبًا لمن يشدو بشعر جليلة
ويكاد يتَّحد القريض دليله
شعري يقدره ، يقدس فنَّهُ
ويراه نجوى حرَّةٍ وأصيله
لكنني أنثى وقبل قصائدي
لي قلب عاشقةٍ ووجه جميله
أهواه وهو يفيض علمًا زاخرًا
لكنه جهل الهوى وأصوله
فإذا نظمتُ له الهوى قال : الهوى
في شعرها هدفٌ وليس وسيلة
وإذا سردت مشاعري نادى بها
الواقعية عندها معقولة
وإذا شدوت الحبَّ صاح مصفقًا
يا كم تجيد بصوتها ترتيله

وإذا دنـــوتُ فمـــا يـــرى فيمـــا يـــرى

منـــي ســـوى الأوزان والتفعيلـــة

يـــا طـــول بـــالي في هـــواه وإن أكـــن

أهـــواه راضـــيةً ومـــا للقلـــب حيلـــة

▪▪ عتاب

مريضٌ أنت يا حبي ... مريضٌ دون أن أدري ؟

ومن يعنيه أمرك أنت ... من يهواك ؟ من غيري ؟

كأني لا أعيش اليوم في دنياي من أجلك

كأني لستُ رغم البعد أدنى منك من ظلك

ولست أخاف في شغف عليك كابنتي البكر ... !

***

مريضٌ دون أن تُفضي إليّ ودون أن تشرح ؟

أشطرٌ تحت مبضعه وشطرٌ عابثٌ يمرح

وكيف تغيب عن عيني وأنت الأمن في غابي

ومن يأوي ومن يسقي عصافيري ولبلابي

وكيف الداء يجرؤ أن يصيبك دون أن أسمح !

***

لماذا لم تكاشفني لأبذل ما بقدوري ؟

ومن أغلالك الكبرى لماذا شئت تحريري ؟

لماذا لم تعرضني لكل هبوب إعصارك

ألستُ الوردة المعطار فوق غصون أشجارك

وليس لديك من عمل سوى شمي وتقطيري ؟

***

كأنك لم ترد يومًا من الأيام جناتي !!

كأنك لم تعد أملي ووجهك ليس مرآتي

كأن أصابعي ليست شموعًا وسط سراديبك

كأن تنفسي عبثٌ وليس يخور محرابك

ورِيّكَ ليس من نبعي ومن آبار واحاتي !!

▪▪ بلا ثياب

مطرٌ ... مطر ... مطرٌ غزير ينهمر

وهناك عبر طريقها وسط الرياح العاتية

كانت تسير ... رأيتها ... وبلا ثياب ... عارية !!

رشت عليها السحب فيض دموعها يا للمصير !

وتوغلت في الدرب عاثرة كشحاذ ضرير

خجلي ... تمد يدًا لتخفي صدرها ... صدر العذارى

والكل مبتعدٌ يشيح بوجهه خزيًا وعارًا

***

أعطيتها عكازتي ... وبسطتُ شالي فوقها عطفًا عليها

فرمتهما في عزةٍ وتملصت مني وغضت ناظريها

قالت وفي نبراتها عبء الزمان

لا تقربي ! أخشى عليك من الهوان

من ألف عامٍ ... ألف عامٍ ... أنثني عبر الطريق ..

منبوذةً ... وبلا رفيق

إلا من البلهاء محدودي الذكاء

ومن الصغار الأبرياء

***

ومع العواصف والرياح العاتية

والليل يوغل في مهاويه السحيقة

تممتُ : من ؟ من أنت ؟

قالت : الحقيقة !!

ولذا ترين فإنني لابد أمشي عارية ؟

▪▪ دعاء لأجل الحمير

«عن الفرنسية»

إذا ما شاء لي ربي وحانت ساعتي الكبرى

سأمضي في ضحى يومٍ يكون الحقل مزدهرًا

سأختار الطريق أنا ... بكل إرادتي ... حرًّا

وأحمل في يدي اليمنى عصاي ... وأعبر العمرا

***

سأهتف للحمير وقد تراءت عبر طرقاتي

أنا «فرنسيس» يا صحبي ... سأمضي نحو جناتي

فهيا واصحبوا خطوي وعيشوا في السموات

فليس هناك من قاس سيضربكم ... ولا عات

***

سأبدو وسط أصحابي أمام الله لن أخجل

سأبدو وسط آلاف وآلاف من الأرجل

وكم أذنٍ مجرحة وذيل كاد أن يُفصل

وعين ... يا لها عينًا : تكاد من الأسى تُقفل

***

سأطلب منك يا ربي جواري خلدك البضة

لتقطف للحمير الجوخ والتفاح في الروضة

وعند الكوثر الرقراق مثل سبائك الفضة

سنعكس في مراياه تواضع روحنا الغضة

■■ الفجر الأخير

الليل في قلب المدينة غارق في لا قرار

والصمت لصٌ زاحفٌ متسلّقٌ سور الديار

وأنا على الشباك أسند في شرودٍ مرفقين

والساعةُ الخجلى تدق وراء ظهري دقتين

والروضُ تحتي غائبٌ في حلمه المعشوشب

والنسمةُ العذراءُ لمسة عاشقٍ متهيب

والقلب مسرح كل أحلام الوجود الفانية

دبّت عليه مشاعري كالراقصات الحافية

والروح كالأم الحزينة فوق شط الذكريات

ترنو إلى أطفالها يلهو بهم موجُ الحياة

ولمحتُ نجمًا لم يزل في مقلتيه الضوء يسري

فهمستُ في تنهيدةٍ حرى وشوقٍ : أنت فجري ... !

▪▪لقاء ووداع

ماذا أقول وقد تحدى في هواه الزوبعة

وثنى يديَّ بقوةٍ فرضيت أن أمشي معه

ونسيتُ كم عينٍ تحدّق خلفنا متتبعة

والأمس والذكرى المليئة بالهموم المفزعة

***

كان النهار نهار أحلامٍ ونجوى ممتعة

والبحر يهمس للرمال الشقر سرًّا أودعه

ومشيتُ والدنيا بعيني روضةٌ متضوعة

وانساب بحرٌ آخرٌ في القلب يفرد أذرعه

ومشى بقامته الجريئة في خطىً متدفعة

عيناه في عيني واحتضنت يداي أصابعه

عينان بحرٌ فيه كم يلقى المغامر مصرعه

ورنوتُ للعنق المديد هنيهةً متطلعة

والياقة البيضاء في رفقٍ تدور وفي دعه

ووددتُ لو مرَّت عليه شفاهي المتضرَّعة

***

وسألت : والقصص التي تروى أليست مقنعة ؟

أو لم تدق من بعد من بعد حبي كأس حب مترعة؟

وأشار في ألمٍ إلى ركن يجاور أضلعه

يا أنت ... أنت هنا على عرش الهوى متربعة

أرهقتِ هذا القلب ... بل جففتِ فيه منابعه

عبثًا أحاول أن أحب ... فكل حب مضيعة ...!

وأنساب يسأل في أسىً ومرارةٍ متجمعة

أترى فؤادك أنت قد حفظ الهوى أم ضيعه ؟

وغفا على شفتي الكلام فلم أشأ أن أضلعه

قلت : الوداع ، أجانبي في أنةٍ متقطعة

لا ، لن يكون لنا وداعٌ ... ثم كفكف أدمعه

***

ورجعتُ كم ثغرٍ بدا نحوي يسدد مدفعه

عتبوا عليَّ ... أجبتهم : ماذا عسى أن أصنعه

قد شدني في قوةٍ ... وثني القوام ... وشرعه

وتبسمت عيناه لي ! فرضيت أن أمشي معه !

▪▪ وبعد ... ؟

أيـا عقـلي ! ستشـقى لا تلمنـي   فـإني قـد نهيتـك لم تطعنـي
أتجـري خلـف سـر الـروح حتـى   تكـاد تضـل في شـكٍّ وظـن
وتقـتحم السـماء بـلا حيـاءٍ   وتقـرع بـاب ربـك باليـدين
ومـا بـال الملائـك في علاهـا   قد انزعجت مـن الصـوت المـرن
وحـواء وآدمهـا ... لمـاذا   تلاحـق بالسـياط المـذنبين
أتأمـل أن تحـل اللغـز يومًـا   وأنـت وراء قضـباني وسـجني
وهـل مصـباحك الحـابي كفيـل   بـأن يجلـو حقيقتـه لعينـي
«وبعـد؟» تقولهـا وبـلا حـرابٍ   سوى الصمت الضـرير المستكن
أتـدري أن غُـواص الـلآلي   أصـابهمُ الـدوار وكـاد يفنـي
وأن النـور لم يُكشـف لإنـسٍ   وأن البـاب لم يُفـتح لجـن
ولم ترفـع يـدٌ طرفًـا لثـوبٍ   كسـا المجهـول في سـترٍ وأمـن
وأنـك إن عـدلت هجـرت وهمـا   لتحيـا في سـلامِ المطمـئن
أحسـك شـاعرًا غـرًّا جريئًـا   يميـل إلى التعـالي والتجنـي
لـديك الأرض فـاذرع كـل شـبرٍ   عليهـا بالخيـال وبـالتمني
توغـل في الكهـوف وفي البـراري   وطـف بـالكون مـن ركـنٍ لـركن
وكـن ربًّـا إذا مـا شـئت خلقًـا   عـلى أرض حـوت أربـاب فـن
قل للصخر : أنبت ... سوف ينمو   وقـل للبحـر : أعـزف لي ، يغنـي

ومُــر نجــم الســماء يهــل ظهــرًا ويحتــــرق التــــراقص والتثنـــــي
وقــل لــلأرض حربًـــا أو ســـلامًا ســـتتبع مـــا تريـــد بغيـــر ضــــن
ولكـــن لا تمـــد الطـــرف يومًـــا إلى مـــا خلــف أســـواري وكـــوني
وعـــش كـــالغير منبســـطًا بسيطًا ولا تبحــث فــإن البحــث يضــني
وإني مــن فضــولك ســوف أشــقى وإني كـــم أخـــاف الغيـــب ... إني

▪▪ صعب عليَّ

صعبٌ عليَّ أقول كان وأنت نبع العاطفات

أأقول كان؟ وكيف كنتَ ... وأنت لي ماض وآت

أنا لا أحسك قد مضيت ولا أراك سوى حياتي

صعبٌ على أخط اسمك في سجل الذكريات

***

ما زال نهرُ الحب يزخر بالمفاتن والجمال

ويشق قلب مدينتي العلواء في جوف الليالي

ما زال يدفق بالمنى متحديًا سد المحال

ومراكبي تمشي عليه محملاتٍ بالغلالِ

***

ما زال شباكي يُطل على الروابي والبطاح

وظلال مصباحي تراقص في الدجى خصر الرياح

ومآذني البيضاء تعلو الأفق فاردة الجناح

وخطاي تركض في جنونٍ خلف قاطرة الصباح

***

قد ألتقي بالريح تبكي في نهايات الطريق

ولربما حُرم المسافر في الليالي من رفيق

ولقد تغوص سفينة الأيام في غور المضيق

لكن لي شالًا وعكازًا ... وطوقًا للغريق ...

***

أنا عابد عشق التصوف لم يعد شيءٌ لديه

أنا لست أملك من فضائي غير ما ترنو إليه

ومن الهوا سوى الذي قد ضم عطرك في يديه

أنا ليس لي الأرض ركنٌ غير ما تمشي عليه

***

أأقول كان ! وأنت قد أوغلت في روحي وذاتي

أأقول كان ؟ ولم أزل أهديك أحلى أغنياتي

أأقول كان ؟ لمن أصب إذن كؤوسي المترعات

صعبٌ على أخط اسمك في سجل الذكريات

▪▪ إلى صديقة

إن نكن شئنا وضوحًا وتصافينا طويلًا

غير أن الجرح ما زال بجنبينا عليلًا

لم يزل شبهُ ضبابٍ سابح في مقلتينا

لم يزل شبه ارتخاءٍ في تحيات يدينا

لم نزل نحمل عبئًا من دجى الماضي ثقيلًا

***

أنت تأبين اعترافًا بخطاياك الجليَّة

وأنا أكشف ضعفي ضعف نفس بشرية

ثقلت كفة أخطائي بعينيك سحيقة

لم لا تهوين بالأخرى وتبدين «حقيقة»

أنت من طينة أرضي .... وأنا لست نبية ...

***

أنا لا أهوى التمادي في دياجينا ... لنبعدْ

إنني أوثر بعدًا وانفصالًا عن تردد

الصداقات نفوسٌ عارياتٌ كالضياء

وهي في الشدة أخذٌ وهي في اللبن عطاء

وأنا أعطيتُ كلي ... دون أهدافٍ ومقصد ....

■■ عالم تافه

وبيتٌ كل ما فيه تفاهاتٌ ... تفاهاتُ

يضم مشاكل الدنيا وتغمره الخلافات

وأهل البيت أنواعٌ وأزواجٌ وزوجات

ولكن كلهم حقًّا ثعابيت ... وحيَّات

ففيه أراملٌ فرحي ... لأن رجالها ماتوا

وفيه البنتُ غانيةٌ لها في العشق جولات

وفيه الطفلُ دانيةٌ وقد صنعته عادات

***

هو الدنيا مصغرَّةً ... وللعالم مرآة

ولكنْ عالمُ بشعٌ تغذية السفالات

شقيتُ به بلا ذنبٍ وضمَّتني المتاهات

فكم قرعوا هنا بابي على فمهم شكايات

وسبَّ البعضُ بعضهمُ ولُفِّقت الروايات

وما أنا بينهم قاضٍ ... وإني بينهم شاة

ولم أسلم أنا الأخرى فلي منهم شكايات

وهل سلمتْ لهم في البيت أحياءٌ وأموات !

***

فيا ربي ويا ربَّاه ... لي سؤلٌ وغايات

أهذا البيت لي قدرٌ ! وتعذيبٌ وأنَّات ؟

أنحيا فيه شاعرةٌ لها في الشعر آيات

ويقتحمون دنياها ... ودنيا الشعر جنَّات

وهل أصبحت تافهةً وبتُ كما هم باتوا

وعن بيتٍ من الأحجار تروي الشعر أبيات ؟

▪▪ الطيور المهاجرة

أجل ! جفَّت زهور الروض وافترشتْ هنا الأرضا

وكانت بالشذا الفوَّاح تحت الشمس مزهوَّة

وفوق الغصن أطيارٌ يجادل بعضها بعضًا

أولى الصيف ؟ ولي الصيف ؟ يا أيامه ، الحلوة !!

***

طيورُ الروض قد هرعت لتعقد لجنةً كبرى

وصاح الطائر الأول يدعوهم إلى الصمتِ

أثينا ! إنني أمضي إليها مرَّةً أخرى

وفوق المعبد السامي ، سأبني في غدٍ بيتي !

***

وصاح الطائر الثاني : خذوا في الحال عنواني

«سطوح سراية الفرسان ـ رودسْ ـ داخل الخيمة

هناك على عمود القصر سوف أشيد بنياني

فإني أعشق الأضواء ... إني أعشق القمَّة !

***

وزقزق طائرٌ : أزمير عندي الملجأ السمُح

أهيم بسقف مقهاها على كركرة الشيشة

وكل زبائن المقهى هم الحجَّاج ... والسبحُ

ولست أهاب من ضيفٍ عمامته وطربوشه ...

***

وصاحتْ بينهم أمّ : بعلبكُ كل آمالي

وعامًا إثر أعوامٍ أشد جناحي الطائر

وهذا العام يصحبني إلى الآثار أطفالي

فمذ شبوا وصفتُ لهم جمال المسكن الآخر

***

وتمتم طائرٌ هرمٌ : سأقصر من مسافاتي

وسوف أحط في «مالطة» فجسمي متعبٌ مرهق

على شرفاتها البيضاء أغفو طول أوقاتي

وتحت سمائها الزرقاء ... عند محيطها الأزرق

***

وردَّد بينهم طيرٌ : أنا للدفء مشتاق

وإن الشرق يدعوني وقاهرتي ووديها

سأقبع في مآذنها ، وبي أمنٌ وإشراق

وأبني من ثراها الغضٌّ أعشاشًا تناغيها

***

وصاح أخيرهم : مهلًا ، أنا مشتاي في طيبة

ملوكٌ في جلال الصمت تحرس بهوها الطاهر

وفي التيجان أمكنةٌ لعشِّ الطير مثقوبة

فإن المجد يُغريني ... ويغزو قلبي الثائر

***

وصاح الجمع : كم بحرٍ سيطوينا ونطويه

وكم أرضٍ غداة غدٍ سنعبرها ... وكم أفقِ

وغاب السرب عن عيني وأوغل في أمانيه

ولم يترك هنا في القلب غير لواعج الشوقِ

***

جناحًا : أيها العصفور كي أسري مع الراكب

أليس الشاعر الصدَّاح طيرًا في أغانيه

لماذا عن رحاب الأفق والأحلام والحب

لماذا قيدُهُ الأرضيُّ يُبعده ... ويُقصيه ؟

▪▪ ذكريات

يـا حبيبـي قـلْ لمـن يسـأل عنـي　　إننـي مـا زلـتُ في دور التمنـي
دارت الأفــــلاكُ في أبراجهــــا　　وأنـا مـا زلـتُ للحـب أغنـي
ذلـك الحـب الـذي أهملتَـهُ　　إنـه كـوني وأحلامـي وفنـي

***

يـا حبيبـي لسـتُ أنسـى زمنًـا　　سـاير الحـبَّ خطانـا فالتقينـا
في رياضٍ عانقتْ شمسَ الضحى　　وهـي في أفراحهـا تـومي إلينـا
يـــا لطيفـــين عليهـــا هتفـــا　　كـل مـا لـبس الـدنيا في يـدينا

***

لسـتُ أنسـى النيـل والليـل معًـا　　وعيـون البـدر تهـدي السائريْنِ
والصـفاف السُـمر في تجوالنـا　　تغمض العين وتُرخي الساعدين
وجثونـــا فاغترفنـــا حفنـــةً　　وشـــربنا فغـــدونا تـــوأمين

***

يـا لهـا مـن ليلـةٍ طفـتُ بهـا　　غابـة الشـعر أغنـي للأمـل
والجبـــين الحـــر في عليائـــه　　يفـرش النـور لسـارٍ مرتحـل

وفمـــي الغـــارق يطفـــو ســـاجًا   ثـــم يرســـو فـــوق ميناء القبـــل
رُبَّ ليـــلٍ مـــرَّ طيفـــان بـــه   تحـت أفـقٍ ممطـرٍ ينعـي دجـاه
توَّجـــتْ رأســـيهما حبَّاتُـــه   وجلـتْ روحيهمـا كـفُّ الميـاه
فـــإذا الليـــل أمـــانٌ كلُّـــهُ   وإذا الأمطـــارُ دفءٌ وحيـــاة
كيـف يرضـى ظـامئٌ حرمانـه   بعـد أن أسـقتْهُ كفَّـاك الوصـالا
كيـف تقصـيه عـن الـدنيا التـي   كم عليها الأمس قد صـال وجـالا
طالمـا أعطيتـه حـقَّ الهـوى   فهو يرعى في الهـوى حقًا حـلالًا

■■ الضوء الخابي

هـــو جســـمُ مشـــوَّهٌ مبتـــورُ   في طريقـــي أراه حـــين أســـير
وتمـــرُّ الأيـــام وهـــو طـــريحٌ   فاقـد الحـسِّ ، ضـائعٌ مهجـور
إنــــه جنــــةٌ لفــــانوس نــــورٍ   كــان يومًــا للكائنــات ينيــر
وطوتْــهُ الريــاحُ والــريح كــا   النـاس تـوالى السـكون ثـم تثـور
فتهـاوى عـلى الرصـيف جريحًـا   قُـــرحُ كـــل جســـمه وبثـــور
أفـرغ الجـوفُ مـا بـه مـن ضـلوعٍ   فبـدا الغيـب وانجـلى المسـتور
وغـــدا مهمـــلًا فلـــيس يـــداوي   أو يُـــواري عـــن عيننـــا ويغـــور
لســتُ أنســاه حــين كــان منــارًا   بالرضـى الثـرّ والعطـاء يمـور
وجـرى الطفـل حولـه في حبـورٍ   وشـــدا فـــوق رأســـه العصـــفور
ومشـــى عـــابرُ الطريـــق جريئًـــا   حـين نـام الـورى وخـفَّ العبـور
ورنـــتْ أعـــين الصـــبايا إليـــه   وتضـــاحكن والضـــياء فخـــور
لهف نفسـي ! أهكـذا الخيـر يفنـى   ويموت السـنا ... ويخبـو النـور؟

▪▪ نحن والزمن

إذا صادفتنا يومًا ستدهش حين تلقانا

فقد مرَّ الزمان بنا وأضحكنا وأبكانا

وجعَّد وجهنا حينًا ... وشيَّب رأسنا آنا

***

سيلهمك اللقاء بنا قصيدًا رائعًا حرًا

ستحكي عن أمانينا وعن قصَّتنا الكبرى

وتشدو فوق أطلال الهوى والأمس والذكرى

***

ستحكي أننا كنَّا لفجر هواك أنواره

وكان جمالنا سحرًا وكان الصوت قيثاره

وكان الوجه ورديًّا فصار رماد سيجاره

***

أجل ! يجري الزمان بنا ولكن ... لا نجاريه

فما زال الفؤاد يهيم في نجوى أمانيه

وإن الدهر لم يترك سواد غصونه فيه

***

أجل ! مرَّ الزمان بنا ولكن خلف مبنانا

تحدَّيناه آونةً وأهملناه أحيانًا

وما كنَّا على صلةٍ به يومًا ولا كانا

▪▪شتاء الحياة

أيهــذا الشــتاء مرحــى ومرحــى	يــا ليــالي الشــتاء يــا مســراها
طــال فينــا تثاقــل الصــيف حتــى	قــد مللنــا الطيــور في نجواهــا
وســئمنا الوضــوح فيــه ومــرأى	صــور الكــون تســتعيد رؤاهــا
وزهـــدنا في الجـــري والعبـــث	اللاهي وزهر الربـى وعطـر نـداها
وتلونـــا النهـــار صـــفحة نـــورٍ	لا تضـــمَّ الجديـــد في معناهـــا
وعبرنـــا الظـــلام ســـاعات حـــبٍّ	تافهــات المنـــى بـــرغم شـــذاها
وبــدا الــدفء في العــروق ســدودًا	قــد تعــوق الــدماء في مجراهــا
يــا شــتاء الحيــاة والعمــر مرحــى	خطــوات الطريــق أنــت مــداها
أنــت كنــه النفــوس أنــت وأســرار	هواهـــا وضـــعفها وقواهـــا
فـــالغيوم التـــي بســـطتَ همـــومٌ	أفرغتهــا الضــلوع مــن مثواهــا
والرعـــود التـــي تـــدوِّي رغـــابٌ	ثـــائراتٌ تضـــج مـــن شـــكواها
والأعاصـــيرُ قـــوَّةٌ تتحـــدَّى	أن يعـــيش الـــذليلُ في دنياهـــا
والغمـــوضُ الحبيـــبُ يبعـــث كونًـــا	مـــن طيـــوفٍ تُشـــيرنا ذكراهـــا
والغـــلالاتُ تستشـــف جمـــالًا	ســـاحر اللمـــس ، حالمًـــا تيَّاهـــا
كـــلَّ شـــيء بغيـــر ســـترٍ عقـــيمٌ	ما عـدا الـروح في رحـاب سـماها

■■ ضياع

أنا فوق المقعد التائه في المقهى الكبير

وأمامي «هو» يرنو في انتشاءٍ وسرور

وعلى المائدة البيضاء كوبٌ من عصير

لم يزل طعمٌ بحلقي خشنٌ منها ... مرير

***

هو يحكي شارحًا أيام بُعد وشقاء

وبقلبي ـ بعد نار الشوق ـ ثلجٌ وانطفاء

ساعةٌ تمضي ... وأخرى وأنا أصغي إليه

بينما عيني على الفنجان تنصَّب عليه

لست أدري أي إغراء به ... أيَّ نداء ... !

***

فمن الطرف إلى القاع رسومٌ كالظلال

مثلها في الرأس مرسومٌ وفي عمق الخيال

أأنا أحببتهُ هذا الذي يجلس قربي .... ؟

وعلى حلم لقاء اليوم كم هدهدتُ قلبي ؟

يا ضياع العمر منِّي !! يا تفاهات الليالي!

▪▪ الحب الثاني

دمشـــق! بـــي لوعـــةٌ حيـــرى يؤججهـــا

حـــبٌّ يشـــاركني حبـــي لأوطـــاني

مصـــرُ الحبيبـــةُ كـــم عاشـــت منعمَّـــة

بحبـــيَّ البكـــر مـــن أزمـــان أزمـــاني

فرشـــتُ تحـــت خطاهـــا الـــروح راضـــيةً

وعشـــتَ عمـــري أرعاهـــا وترعـــاني

مـــالي أحـــس كـــأني اليـــوم عاشـــقةٌ

أهفـــو إليـــكِ عـــلى شـــوق وتحنـــان

أتيـــتُ أرضـــك والأحـــزان تُثقلنـــي

فخـــفَّ قلبـــي واســـتروحت أحـــزاني

وفـــوق صـــدرك صـــدر الأم كـــم شـــربتْ

روحـــي الصـــفاء وكـــم جـــدَّدت إيمـــاني

«الغوطتـــان» ويـــا إغـــراء ســـحرهما

لـــو عشـــتُ مـــا صـــغتهُ في ألـــف ديـــوان

ونهـــرك العاشـــق المنســـاب في ضـــحك

مـــــا زال يرفــــل في أحـــــلام نيســــــان

«وقاســـــيونك» مــــاذا حـــول هامتـــه

أكليــــل مجـــدك أم أضـــواء كيـــوان

مــا زلـــت أذكــر في «الفــردوس» رابيــة

روحًـــا صـــعدتُ إليهـــا دون إنســــاني

وبـــين «دمَّـــر» في أرجـــاء روضـــته

قـــــرأتُ آيــــة خـــــلاق وفنَّـــــان

مـــالي أمـــام جمـــال الشـــام مـــن حـــولي

غيـــر الرضـــوخ لحـــبٍّ آخـــرٍ ... ثـــان

▪▪ قلب الأم

يا رب عفوك إن اللغز حيرَّني

فهل أبوح ... وما في الدين إكراه؟

خلقت للأم قلبًا لستُ أفهمه

هل فيه منك ؟ أخاف الجهر أخشاه

حوى السماء بما ازدانت وما حبت

ورقَّ بالحبِّ حتى شفَّ مرآة

إن كان ثمة خير في عواطفا

فمن يديه توالى ... من عطاياه

من أين يوهب في الآلام قوَّته

وكيف يبلغ رغم النوء مرساه

هو الحياة فما اسماك مبدعها

هو الوجود ... وأنت الله ... الله !!

▪▪ المنادية

يا أولاد الحلال !! بنتي الصغرى تاهت بالأمس

ضاعت منذ غروب الشمس

هي بنتٌ بيضاء البشرة ... غضَّة

تلبس فستانًا في لونه الفضة

ولها قدمان من المرمر ... وشفاهٌ في طعن السكر

ابنةُ عامين على الأكثر

***

غاب أبوها وتوارى خلف الأسوار

غاب وخلَّفني وحدي في الدار

غاب وخلَّفها تنعش أيامي المحزونة

وتبث بأعماقي دفئًا ... ومني وسكينة

***

أنا من غير فتاتي روحٌ شاحبةٌ محمومة

اليأس الأكبر ينفث فيَّ همومه

أنا كالبستان العاري في ليل شتاء

تلطمني الريح وتصفع أوراقي الصفراء

أنا عشت العمر أراعيها وأراعيها

وعشقتُ الزهد ... فلم أطمع إلا فيها

****

يا ابنة خطواتي المكدودة أوحشت عيوني !

ليطلَّ ضياؤك وليزحف فوق جبيني

وليدفق سيلًا عطريًا عبر شراييني

ألقيتُ بعبثي في نهر سناكِ المغداق

ومنحتك شوقي العارم يا للأشواق !

****

يا أولاد الحلال ... من شاهدها منكم ... ليقُلْ !

وله عند الله ثواب ... هي تُدعى «بارقة أمل»

بارقةٌ من أملٍ .. غاب

▪▪ السحرتي الإنسان

مثلما يسري فراشٌ فوق أكمام الزهور

مثلما يبسط غصنٌ ظله فوق الغدير

مثلما يحمل غابٌ سره عبر الدهور

هكذا قلب «السحرتي» إنه قلب كبير

***

ضمَّ في جنبيه كونًا مثل صنوف العاطفات

عشق الحسن وجوهًا وقلوبًا وصفات

وارتدى الحقَّ شعارًا باذلًا روحًا وذات

إنه قلبٌ كبيرٌ ضمَّ أسرار الحياة

***

قلبُهُ الفجريُّ لا يرضى له غير القمم

غير أن الفجر إذ يكشف أستار الظلم

فهو في الأفق غريبٌ تائهٌ بين السدم

وهو في الأفق جريحٌ ينزف الأضواء دم

إنه قلبٌ أبيٌّ ونزيهٌ وعفيف

وعلى الظلم جريءٌ وعنيفٌ وعنيف

وهو في الجد مهيبٌ : وهو في المزح ألوف

وهو قلبٌ صادق الإحساس حرٌ وشريف

▪▪ أغنية الصباح

أيهـــا الطـــارق الحيـــاة ملـــولًا

في صـــباحٍ مـــنغَّم الأوتـــار

قُـــم تقـــدمْ وســـر عـــلى الـــدرب حـــرًا

ضـــاحك الوجـــه في ســـنى الأنـــوار

وامـــض في رحلـــة النهـــار فتيًّـــا

في شـــموخٍ وعـــزَّةٍ واقتـــدار

واغـــز هـــذا النهـــار بالعمـــل المـــتقن

حتـــى تفـــوز بالإكبـــار

واغـــز هـــذا النهـــار بالأمـــل الحلـــو

ونـــور اليقـــين والإصـــرار

فـــإذا مـــا التقيـــتَ باليـــأس حينًـــا

فتغلَّـــبْ عليـــه بالإنكـــار

وإذا مـــا التقيـــتَ بالليـــل حينًـــا

فـــانتزعْ منـــه ألـــف ألـــف نهـــار

كـــن مضـــيئًا كمقلـــة الشـــمس بشًّـــا

كمحيّـــا الضـــفاف والأنهـــار

كـــن رقيقًـــا ثـــر الوداعـــة غضًّـــا

مثـــل قطـــر النـــدى وعـــود الثمـــار

وارهـــــف الســـــمع فالطبيعـــــة تتلـــــو

لـــــك أغـــــلى اللحـــون والأشـــعار

ولـــــتكن زهـــــرةً تفـــــيض عبيـــــرًا

في نفـــوس مـــن الحنـــان قفـــار

وابتســـــم ابتســـــم رضـــــاءً وحبًّـــــا

فابتســـام النفـــوس كالأمطـــار

تبعـــث الـــروح في الجـــديب مـــن الأرض

وتكســـو الـــذبول ثـــوب نضـــار

لا تعـــد الســـنين ، لا تحســـب العمـــر

فلـــيس الشـــباب بالأعمـــار

إن قلبًـــا حـــوى الطبيعـــة يومًـــا

لهـــو طيـــرٌ يشـــدو مـــع الأطيـــار

قـــمْ تقـــدمْ وســـرْ عـــلى الـــدرب حـــرًّا

وتوكَّـــل عـــلى الإلـــه البـــاري

▪▪ الإرارة

على قطفةٍ من ترابٍ خصيبٍ ببستان بيتي ترف شجيره

أمامي ، ورائي ، ومن كل ركنٍ أراها تحدق في كل حجرة

تميل على شرفتي بانداعٍ وفي نزقٍ كالغلام المراهق

وبالعين ـ عين تجيد البراءة ـ تتبع خطوي هنا وتلاحق

هنالك فجرٌ على رأسها وهمسٌ بأعماقها أبدي

ومملكةٌ تحت أقدامها وسجادةٌ من شذا مخملي

وحريةٌ في انطلاق الفضاء وتسليةٌ في غناء الطيور

وقدسيَّةٌ في سكون المساء ورعشان حبٌّ وأحلام نور

***

تفكر ؟ وي ! قد تفكر حينًا ... وقد تتألم مثل البشر

وفي عبثٍ قد تمدّ الذراع ، تداعب أنثى وتغري النظر

تُحسّ ... أجل .. قد تحسّ الحياة وتُحرقها الشمس في القاهرة

وتعشق ، حين تحب ، المياه ، وتهوي ينابيعها الطافرة

وكم ذا عشقت شذاها الرقيق وأوراق أغصانها الوارفة

ولكنني كم أسائل نفسي : لماذا تظلّ هنا واقفة ؟

وقارنتُ بيني وبين الشجر ... وبين الوقوف وبين المسير

وأحسستُ زهوًا تحدى القدر ... لأني أسير ... لأني أسير

■■ في مهب الريح

الشهر العاشرُ ... والجو دفئ ...

والدرب على الضفتين ... مضيء

لا شيء سوى ورقة ... شاحبة الوجه منطلقة

تجري في نبلٍ ووقار

وكأن بها شبه دوار

تتمرغ فوق الأسفلت ... وأكف الريح تطيرها

فتحط على الإفريز ... وتنام على عتبة بيت ...

وهي وإن كانت في تيهٍ وضياع

فبعينيها حب استطلاع

واستهزاءٌ بالحظ ... وبالصدفة ...

وضياءٌ مجهولٌ مبهمْ

فعلى عتاب الليل المظلمْ

الميت قد يترك خلفه

شيئًا يتحدى ويثور

ها هي ذي تقفز وتدور

ومع الدوران المتنشج ... تتدحرج ...

ملأى بالطيبة ... مزهوة ...

والموت الفارد أذرعه نحو الهوّة

في وحشية ... يحتفظ لها بالعذرية ...

***

وسألتُ الورقة : يا مسكينة ؟

كيف رضخت لأقدارٍ مجنونة ؟

كيف تركت الهمس الساري في أحضان الروضة ...

والجدول ... حيث تعب شفاهك ذوب الفضة

وصدى الليل الحالم يشدو بالأشواق

وبعدت عن الأسرار الحلوة ... أسرار العشاق ...

والآن إلى أين تسيرين ... إلى أينا ؟

تطوين الكونا ...

***

فأفاقت تلك المنبطحة كالبلهاء ...

وهزّت كتفيها ...

وأجابت ... وظلال الحيرة في عينيها .

«أنا لا أعلم ... لكني ..

حيث الأشياء على أرضي ...

تمضي ... أمضي»

■■ حنان الأمومة

«أبغض الحلال عند اللّٰه الطلاق»

رفرف الليل علينا في سكونٍ كالملاكْ

دعْ يدينا يا قريني في انضمامٍ واشتباك

وعلى فرش الأماني بُحْ بأسرار هواك

فإذا شاهدتَ في عيني شرودًا وارتباك

اغتفر لي سر حزني ، من ترى يحنو سواك

إنني في حضنك الغالي ... ولكني هناك

إنه طفلي يناديني بعيدًا ... وبعيدًا

«آه ماما .. آه ماما ... إنني أغفو وحيدًا»

***

إنه طفلي ينادي وأنا أصغي شريدة

ها أنا أرقد وحدي آه يا ماما العنيدة

كيف ترضين فراقي ، كيف تحيين سعيدة

إنني أشعر جوعًا وعراءً وبرودة

وأرى في حجرتي السوداء أشباحًا مديدة

وأبي في الحجرة الأخرى مع الزوج الجديدة

إنه طفلي يناديني بعيدًا .... وبعيدًا

آه ماما .. آه ماما ... إنني أغفو وحيدًا

***

إنني أخطأت في حقك يا نور حياتي

جئتني زوجًا وفيًّا ، جئتني شطّ نجاتي

كنتُ أطوي تحت ثوب العرس أشلاء رفاتي

فاغفر الآن شرودي اغتفر لي ذكرياتي

ها أنا في حضنك الغالي ولكنْ ... أين ذاتي ؟

إنه طفلي يناديني بعيدًا .... وبعيدًا

آه ماما .. آه ماما ... إنني أغفو وحيدًا

▪▪ وقال القمر

وذات مساءٍ رأيتُ القمر

وكان على أفقه يحتضر

وما كان فوق الطريق سواء

ووقع خطاي ... وطيف القدر

وكان المساء شريحة ثلجٍ معلق

لمست صداه طيورًا تحلق

بأعشاشها ... وبدون جناح ...

لمستُ صداه طنين ذبابٍ يناغي الجراح ...

لمستُ صداه لحومًا طرية ... كحية ...

تحسن بطون الثرى في الخفاء

وتقرع بالذيل باب السماء

لمست الصدى وتر قدًا تلوى وجن ألم

وذاب عدم ... وأما القمر ...

فقد كان وجهًا بغير صور

وكانت هناك غيومٌ كثيرة ... تخبئ نوره ...

ولما رآني أبحث عنه وأرثى الضياء

تربع في جلسة الكبرياء ... وشرع في مقلتي مقلتيه

فأمهلتُ خطوي لأصغي إليه ... وقال

***

محال محالٌ يصيب ضيائي الجمود

فمن هاهنا مر روح الوجود .... وسربلني بالحياة

ولون من ناظري المياه ... ورقرق عطري في نشوةٍ ...

تراشف إكسيرها العاشقان ...

وطوق عمري في وحدةٍ ... تضم الزمان

وهدهد أنفاسي الناعمات شراعًا بنهر الخيال

تعادى على ضفته الهوى واستحم الجمال

***

وكنت الضحية ... أسير ... وباللور كأسي يدور

وحمام وجهي مياه الغدير ... وما كان لي عندكم من رجاء

سوى حفرة في الوجود عميقة ...

لكي يستقر عليها الضياء ... وتبدو الحقيقة ...

بلا عرق في ثراها قذرْ ... بغير سموم نفاق البشر

ومر الزمنْ ... وأقسى عذاب ضياع الأماني

بغير ثمن ... ورغم الجراح أحب الأمل ...

وأجهل معنى الملل ... وتضحك سخرية مقلتاي ...

فهيهات تجرين خلف خطاي

لأن الضياء ينادي الضياء ...

فهيا انفض الغيم عن ناظريك ... تحدّى القدر ...

لتستمتعي ... يا فتاة الظلام ...

بضوء القمر !!



(6)

العودة إلى المحارة

(1982)



الإهداء

منذ خمسة وعشرين عامًا أهديت ديواني الأول «اللحن الباكي» إلى ولدي الوحيد الذي لا يدرك أنني أمه ، ومرَّت الأعوام وتوالت الأحداث على وطني الحبيب ، وكانت مشاعري الفياضة تلزمني أن أُهدي كل ديوان يصدر لي بعد ذلك إلى مصرنا الحبيبة .

واليوم وقد استتبت الأمور ، ورفرف السلام على ربوع الوطن .

اليوم وقد أرهقني المسير ، وقبل أن أبلغ المنحنى، ويتلاشى الظل .

أُهدي إليكِ أنت ـ ابنتي الوحيدة ـ هذا الديوان .

إنه صفحات قلب يزخر بالحب لك والإيمان بالله عز وجل .

والدتك جليلة رضا

عضو لجنتي الشعر

بالمجلس القومي ـ والمجلس الأعلى للثقافة

■■ حاملة السلة

إليــك ... فسـلتي مــلأى بكــل عبيــر وجــداني

إليــك اليــوم أهــديها عــلى نــأي وهجــران

ســهرت الليــل أرســمها أحــدد مــن زواياهــا

وأغلــق تحتهــا قاعًــا ... وأفــتح فوقهــا فاهــا

وفي صــبر جــدلت الخــوص مــن عِرقــي وشــرياني

***

وحــين ضــفرتها لــدنت بطيــب رشــاش أنفاســي

وتوجــت الجبــين الحــر مــن عرَقــي ومــن ماســي

وثبــت الجوانــب بالضــلوع ، نزعــت أضــلاعي

ورحــت أزم أعينهــا لكــي أخفــي مــدى القــاعْ

وقلــت : إليــك أهــديها فتلــك ثمــار أغراســي

***

وكنــت ملأهــا وردًا يمــوج بعطــر أحــزاني

بأنــات الريــاح الهــوج فــوق بحــار أزمــاني

برجــع صــدى ســراديبي الطويلــة في ممــراتي

فلــم أمــلأ ســوى نفســي ولم أجمــع ســوى ذاتي

ولم أقطــف لـــك الأزهـــار مـــن بســـتان جيـــراني

***

وكنـــت فرشـــت آمـــالي بـــداخل ســـلتي الحلـــوة

وســـربلني الهـــوى بـــالنور ، أعطـــاني الهـــوى قـــوة

فـــإن الحـــب دللنـــي ولم يســـخر بأســـمالي

فكـــم غنـــى مـــع الصرصـــور حـــول فراشـــي البـــالي

وكـــم رقصـــت خطـــاه عـــلى دبيـــب خطـــاي مزهـــوة

***

وحـــين ملأتهـــا حتـــى بـــدت للعـــين مكتملـــة

وأضـــفى الســـائل القـــاني عـــلى أعطافهـــا ظلـــه

طرقـــت البـــاب أســـتجديك تقبلهـــا بمـــا فيهـــا

فقـــد طفـــر الهـــوى منهـــا ، تقـــاطر مـــن حوافيهـــا

طرقـت البـاب في عـزمٍ ... وجئتـك أحمـل السـلة ..!

▪▪ حوار مع النفس

دقــت الســاعة نصــف الليــل ... هيــا للرحيــل
اهبطــي الــوادي ومــري بــين هاتيــك الســهول
ثــم ســيري في مســافاتي ولا تخشــى هــواني
وانظــري هــل مــن غريــب جاءنــا عبــر الزمــان
إن يكــن ... فلتطرديــه ... فهــو يــا نفســي دخيــل

***

إن ســـهلي فيـــه أشـــجار كثيفـــات الظـــلال
إنهـــا تمـــتص آفـــاقي وتســـتدني خيـــالي
ثمــري يــا نفــس عــن ســاقيك حتــى تصــعديها
وارفعــي الســاعد ، هيــا شــذبيها ... شــذبيها
آه مـــا أقســـى الطفيليـــات في روض الجمـــال !

***

هاهنـــا جـــذع عقـــيم يتحـــدى في العـــراء
وهنـــا قشـــر ســـقيم وغصـــون في التـــواء
إن تكـــلي فابتريهـــا فهـــي ســـم في العـــروق
إن عنـــدي معـــولي الـــدامي ومنشـــاري الـــدقيق

إن تكـــن آلات هـــدم ... فهـــي آلات بنـــاء ...

***

انتهينـــا ... لا تخـــافي الآن مـــن نـــزف الجـــراح

فغـــدا في كـــل غصـــن ســـنرى ألـــف جنـــاح

إن تكـــوني قـــد مـــلأت الآن ســـهلي بالضـــحايا

أنـــت قـــد طهـــرت أنفاسًـــا وضـــوأت حنايـــا

فاصـــعدي واديـــك جـــذلي ، ثـــم نـــامي للصـــباح ..!

▪▪ حين أراك

أنـــا حـــين أراك أحـــس الأشـــياء الســـهلة

أمـــنح كـــل عـــذابات حيـــاتي ... مهلـــة

أكســـر مـــرآتي ... أرجـــع طفلـــة

أهجـــر عـــاداتي ... أعتـــزل اليـــأس

أغلـــق أبـــواب مغـــاراتي الجبليـــة

أقفـــز مـــن فـــوق النافـــذة الخلفيـــة

لأســـير أمـــام الشـــمس ...

أرتكـــز .... عليـــك

***

أنـــا حـــين أراك أجـــوب بســـاتيني اللغويـــة

أســـتخدم كـــل الأنـــوال

لأحـــوك فســـاتيني اللفظيـــة ...

في حجـــم الأفعـــال.

ولكـــي تبـــدو ناصـــعة ، ملســـاء ، نقيـــة ...

أتحاشـــى الخـــدش ، أتـــلافى اللمـــس ...

وأزركـــش كـــل زواياهـــا بخيـــوط الهمـــس ...

كـــــي تبهـــــر ... عينيـــــك

***

أنـــا حـــين أراك أصـــد ريـــاح الرغبـــات

أنطلـــق بعيـــدًا ... أتحـــرر مـــن جـــو الغابـــات

أبعـــد أقـــدامي عـــن أقـــذار الشـــارع

أكتشـــف خطـــورة معنـــى العمـــر الضـــائع

أغلـــق قلبـــي كـــالرمس ...

حتـى لا تخـتلط عليـه الأصـوات.

أنفض عبئي ، أفرد ظهري ، أفرِغ فوق الـدرب الكـأس

كـــــي أصـــــل إليـــــك..

***

أنـــا حـــين أراك أضـــم الأضـــداد الموصـــولة

أستوعب معنى العيش ومعنـى المـوت بيسـر وسـهولة

أسـتوعب معنـى الراحـة كيـف تكـون وكيـف تُحـس

مـن أوهـى رمـش في الأعـين يهتـز فيكشـف أسـراره

مـــن أصـــغر طـــرف في الأصـــبع حـــين يمـــس

كتفًـــــــا منهـــــــارة ...

ويحيـــــــل الـــــــنفس ....

قـــــدرًا بـــــين يـــــديك ....

***

أنـــا حـــين أراك أهـــد الهيكـــل ، أهـــزأ بالقربـــان

أستأصـــل مـــن قلبـــي أغلـــظ ، أقـــوى ، أطـــول شـــريان

أنـــزع مـــن قلبـــي شـــريان الأم

أدعو نفسي في مأدبة العُمي ، الصُـم

أشـــرب مـــن كـــأس الســـلوى والغفلـــة والنســـيان

فـــإذا ودعتـــك في صـــمت ورجعـــت إلى الأمـــس

أعطيتـــك زهـــري وحليـــي وثيـــاب العـــرس ...

كودائـــع تُـــدخر لـــديك ...

▪▪ التجربة الكبرى

يـــا قلـــب ! يـــا شـــيخي الـــذي نهلـــت
شـــــفتاه كـــــل منــــابع الخبــــرة
كـــم خضـــت تجربـــة ... وتجربـــة
ومشـــيت فـــوق الشـــوك والزهـــرة
وعبـــــدت آلهـــــة ... وآلهـــــة
ســـقطت مـــع الأزميـــل منكســـرة
ولبســـــت أقنعـــــة مزيفـــــة
أخفـــــت وراء ســـــتارها الفكـــــرة
وشـــربت كـــأس الحـــب طـــافرة
حتـــى الثمالـــة ... عذبـــة ، مـــرة
أتـــرى التجـــارب كلهـــا فرغـــت
لم يبــــق في ينبوعهــــا قطــــرة ؟

***

يـــا قلـــب ، يـــا طيـــري الـــذي ســـبحت
أحلامــــه في الأفــــق منتشــــرة
جربـــت كـــل أمـــور عالمنـــا
وســـبرت غـــور الســـهلة الـــوعرة
أودعـــت ســـرك مقمـــرًا ألقـــا
وكشـــفت أنـــت مـــع الضـــحى ســـره

وعلـــــوت بحــــــرًا واعيًـــــا حــــــذرًا
ولقطـــــــــت مـــــــن أعماقـــــــــه درره
وترنحــــــــت قـــــــدماك في وهــــــــن
فســــــقطت كـــــالمخمور في الحفـــــرة
أتــــــرى فرغــــت مــــن التجـــــارب أم
لمــــــا تــــزل تبلــــــوك منتصـــــرة ؟

***

يـــــا قلـــب ، يـــا نهــري الـــذي دفقــت
أمواجـــــــه بـــــــالأمس منهمــــــرة
كــــــم عاصــــــف نــــــاداك ملتمعًــــــا
عانقتـــــــه بمشـــــــاعر حـــــــذرة
أرغيـــــت ثــــم هـــــدرت منطلقًـــــا
وعبــــرت كـــل جســــورك الخطـــــرة
واليـــــوم كـــــم تنســــاب في دعـــــة
وبخطــــــــوة مأمونــــــــة ... حــــــرة
أتــــــرى التجـــــارب كلهــــا فرغــــت ؟
لا ... والتــــــي في الغيـــــب مســـــتترة
عنــــــد المصـــــب هنـــــاك تجربـــــة
كبـــــرى ... تعــــد خطـــــاك منتظـــــرة ... !

▪▪ مأساة عصفورة

مسـاء الخيـر يـا أختـي ، مسـاء الخيـر يـا جـارة
وقفـت هنـا عـلى الشـباك أسـتجديك منهـارة
فهـل ترضـين أن تصغـي بـلا ضـيقٍ إلى ألمـي
وترتـاحين آونـة مـن الأوراق والقلـمِ
وتسـتمعين في عطـفٍ إلى شـكواي يـا جـارة؟

***

لقـد غـادرت أبنـائي لأعلـوا الآفـاق مسـرورة
فـرغم أمـومتي ـ كمـا تـدرين ـ عصـفورة
أجـل حلقـت في الآفـاق صـاعدة ومنحـدرة
وحـين رجعـت بعـد الـعصر لم أعثـر عـلى الشـجرة
فـأين أريـح أجنحتـي وأيـن أنـام يـا جـاره ؟

***

وحـين رجعـت يـا ويحـي ولم أعثـر عـلى بيتـي
رأيـت عـلى الثـرى شـبحا تمـدد في دجـى الصـمتِ
فكيـف وكيـف يـا أختـي ؟ وأنـت أمامهـا دهـرًا
سـمحت لسـاعد الحطـاب أن يغتالهـا قهـرًا
ويـذبح كائنًـا حيًـا أوى الأحيـاء يـا جـارة

***

لقـــد كانـــت لأبنـــائي مـــع الأحـــلام أرجوحـــة
وكـــل وعودهـــا كانـــت لهـــم بـــالأمس ممنوحـــة
وكانـــت بالثيـــاب الخضـــر تحمـــيهم مـــن العـــينِ
وتعقـــد نـــدوة في الليـــل بـــين الغصـــن والغصـــنِ
فيســـتمعون للأســـرار منســـجمين يـــا جـــارة

***

وهـــم كـــانوا ســـكارى مـــن كـــؤوس نســـيمها الصـــافي
ومـــن خمـــر الشـــذا والطـــل في أصـــباحها الـــوافي
وكـــانوا يرمقـــون الأفـــق في نظـــرات مبهـــور
وينتظـــرون مســـراهم بأجنحـــة مـــن النـــور
فـــأين الآن أبنـــائي ؟ وأيـــن العـــش يـــا جـــارة؟

***

أجيبـــي ... هـــل أعيـــد اليـــوم إشـــعال الهـــوى الخـــابي
وأرفـــع رأســـي المنكـــوس فـــوق رفـــات أحبـــابي
وأنســـى قســـوة الماضـــي وأصـــنع لي «غـــدًا» مزهـــو
وأبنـــي هاهنـــا عشًّـــا عـــلى شـــباكك الأخضـــر
أجيبـــي ، إننـــي حيـــرى ، أريـــد الحـــل يـــا جـــارة !

▪▪ عندما يموت الشاعر

مــاذا يحــدث في الخــارج لــو أن الشــمعة في الحجــرة

ذابـــــت قبـــــل طلــــــوع الفجـــــر؟

هـــــل يتــــأخر موعـــد مولـــــد بــــذرة؟

هـــل يقطـــع هـــذا الحــادث أحــلام الطيـــر؟

هـــل يتوقـــف مــاء الجـــذع عـــن الســـريان؟

هـــــــل ينقلـــــــب الميــــــــزان؟

أيحـــــــد اللـــــــبلاب خطـــــــاه؟

هـــــــل يتخلخـــــــل عـــــــرش الله ؟

أيظـــــــل الليـــــــل بغيـــــــر نهـــــــار ؟

يُخمـــــــد في الليـــــــل صـــــــفير قطـــــــار ؟

تتحلـــــــل كـــــــل الـــــــذرات؟

هـــــــل تُـــــــنكس أعـــــــلام الأوطـــــــان؟

هـــــــل تخطـــــــئ في العـــــــد الســـــــاعات؟

واحـــــــد .... خمســـــــة ... اثنـــــــان ...

***

لا شـــيء ... ولكـــن في الـــداخل تتغيـــر كـــل الأزمـــان

تفنـى اليـاء ... وتفنـى السـين ... وتبقـى ال ... كـان

يفنـــــــى الخيـــــــر ... ويفنـــــــى الشـــــــر

تفنـــى أدوات النصـــب وكـــل حـــروف الجـــر

تخـــرس ألســـنة الصـــفحات وتمحـــى اللمســـة

تهـــرب مـــن ثقـــب البـــاب الأســـماء الخمســـة

يرتـــاح القلـــم أخيـــرًا مـــن قيـــد الإبهـــام

يمشـــــي الخفـــــان ... بـــــلا أقـــــدام

يرتفـــع الـــرأس المتخفـــي في صـــدر الأحـــزان

ينقطـع أنـين الصـور المصـلوبة فـوق الجـدران

يتجمـــد نهـــر الشـــمع ... تـــذوب الأضـــواء

تُلغـــــــى القاعـــــــدة ... والاســـــــتثناء !

▪▪ الشاعرة والفكرة

تعـــالى أننـــي يقظـــى أجـــوب البيـــت في حيـــرة

ونـــام النـــاس لكنـــي ســـأطوي الليـــل منتظـــرة

تركتـــك منـــذ أيـــام لتكتشـــفي رؤى الكـــون

وأطلقـــت الجنـــاح الحـــر نحـــو عـــرائس الفـــن

تعـــالي والمســـي كتفـــي وعـــودي الآن ... يـــا فكـــرة

***

تركتُـــكِ تعبـــرين البحـــر نحـــو الضـــفة الأخـــرى

تـــرى أعرفـــت ســـر الغـــاب ، ســـر النجمـــة الحيـــرى

تـــرى أضـــممتِ - ســـيدتي - ضـــياء قبـــل الـــوردة

وهـــل حُملـــتِ أعماقًـــا وظـــلًا يـــؤنس العـــودة

وهـــل هـــبط الجنـــاح عـــلى جبـــال عـــوالمي الكبـــرى ؟

***

تــرى أشــربت مــن نبــع رحيــب الصــدر مغــداق

وهـــل حلقـــت في أفـــق يفـــوق مـــداه آفـــاقي

وهـــل أوغلـــت ســـادرة وراء الغيهـــب المـــبهم

وعريــت الهــوى المســتور تحــت جــوانح البــرعم

تعـــالى ، إننـــي يقظـــى ، معـــي قلمـــي وأوراقـــي !

***

تعـــالي وامنحينـــي الـــوحي في صـــدق وحريـــة

تعـــالي وارســـمي للعقـــل لوحـــة فنـــه الحيـــة

ســـأبدأ رحلـــة الكلمـــات والتصـــوير والمعنـــى

سأســـبح في بحـــار التيـــه ، أغـــزو الكيـــف والأينـــا

ســـأدخل معمـــلي الســـحري حيـــث أشـــيد أغنيـــة !

▪▪ آسفة

وأتيت ... خلتك آتيا تحمي الحمى من كل عين

ورشفتُ من كأس المحبة قطرة ... أو قطرتين

وشعرتُ بالسم البطيء فقلت : أين أفر ... أين

ورتجت أبوابي الوثيقة بالضلوع ... وباليدين

***

فلقد وثبت إلى المداخل دون إنذار وحجة

وفتحت صندوق الجواهر كاللصوص بغير ضجة

ونثرت جوف المحتوى فوق الثرى ذهبًا ولجة

فخوى ... ولست ملومة .. أنت الذي أطفأت سرجه

***

ولقد أبيت سوى التوغل في سراديبي الخفية

ورصدت مثل الديدبان المنحنى والمشربية

ومضيت تلتقط القواقع من بحارى اللؤلئية

وقرأت أمسي وارثًا يتلو بإمعان وصية !

***

ولقد غزوت الروض في جنح الدجى وأبحت عرشه

وخدشت حرمة ساكنيه فأن في قلق ورعشة

ووطأت أعشابي الأبية وهي بالأنداء هشة

فأنفض عُشي ... لم أزل أحني الخطى للألم قشة !

***

ورجعتـــواللحن الســـجين يضــــم حــــرًا معزفـــه

والـــنفس تقتلــع الســحائب مـــن ســـماء المعرفـــة

فأنـــا لــــديَّ عـــوالمي ... لي عاطفـــاتي المرهفـــة

وأنـــا أعـــزك إنمـــا .... لســـت المحبـــة ... آســـفة !

▪▪ الدمعة السجينة

اهبطـــــي ... اهبطــــي وكـــــوني ســــخية

واســـــتقري فــــوق الســــفوح النديــــة

أيــــن يـــا دمعتـــــي العنيــــدة عمـــــر

عشـــــتُ فيــــه مــــع اللقــــاء هنيــــة

كلمــــا ... كلمــــا ترقرقــــت نشـــوى

وعبـــــرت المســـــارب الخلفيــــــة

واعتزمــــتِ الهــــروب مــــن ظلمــــة

الكهــــف ســــجينًا هفــــا إلى الحريــــة

وتـــــرددتِ في هبوطــــــكِ حيـــــرى

فارتفقــــــتِ المشــــــارف الهُدبيــــة

وتـــــدحرجتِ جمـــــرة تتلظـــــى

وحصـــــاة عـــــلى فمـــــي ملحيـــــة

ثـــــم أرخيـــــتِ للفنـــــاء زمامًـــــا

وتلاشـــــيتِ في يـــــديَّ ضـــــحية

كلمـــــا زرتنـــــي ولامســـــتِ خــــدي

وتألقـــــتِ نجمـــــة فضـــــية

صـــــفقت للقـــــاء أجنحـــــة الـــــروح

ونامـــــت أحزانهـــــا البشـــــرية

واســـــتحم الفـــــؤاد في نبعـــــك

الصـــــافي وأرخـــــى أعصـــــابه الدمويـــــة

وتعـــــرى مـــــن الهمـــــوم وليـــــدًا

وتجـــــلى قطيفـــــة مخمليـــــة

وتغنـــــي عـــــلى لقائـــــك حـــــرًا

وتعنـــــي ... ويـــــا لهـــــا أغنيـــــة !

***

فتعـــــالي ... يـــــا دمعـــــة في عيـــــوني

تتـــــأبى ... عنيـــــدة وعصـــــية

إن روضـــــي مســـــتوحش وجـــــديب

والمماشـــــي مصـــــفرة رمليـــــة

فـــــاعبري مـــــن خـــــلال قضـــــبانه الســـــود

ورفي كنســـــمة فجريـــــة

رطبـــــي ... رطبـــــي جفـــــاف زهـــــوري

وأعيـــــدي دماءهـــــا الورديـــــة

واســـــكبي طلـــــك النقـــــي عليهـــــا

وأريقـــــي عطـــــورك القدســـــية

***

لســــــت ضـــــعفًا ولســــــت دمعــــــة ذل

بـــــــل أبــــــاء وكبريـــــــاء ... حيــــــة

يـــــا لكنـــــز مـــــن الصــــفاء دفـــــين

يـــــا لنبـــــع مــــن راحــــة نفســــية

أنـــــت ريـــــحٌ تطـــــوي الهشــــيم وتُبقــــي

في رياضـــــي ... عـــــلى جـــــذوعي القويـــــة ؟

■■ من أجل كلمة

سـاءلني صـاحبُ كلمـات في لوحـة عمـري محفـورة

سـاءلني وهـو يحيينـي بيـد تـرتعش كعصـفورة

وبصـوت أغـلى مـن كنـز ذهبـي فضـي الرنـة

صـوت في الماضـي أغـراني أن أعبـر بصـداه الجنـة

سـاءلني وهـو ينـاولني مـن غصـن في الروضـة ورده

بيضـاء كأنفـاس صـباح ، تبسـم في بشـر ومـودة

سـاءلني : كـم عـام ولي وأنـا مغلـول الخطـوات

أتسـاءل مـا سـر بعـادك ؟ أسـكب عـن بعـد كلمـاتي

أتـراكِ كرهـتِ الكلمـات ... ؟

***

سـكن الصـوت وقلبـي لم يـزل يطـوي جوابـه

بغتـة ... حطـت عـلى الـوردة في كفـي ... «ذبابـه»

لم تشـوهها فقـد مـرت عـلى الوجـه كنسـمة

إنمـا رفـت جناحًـا ... وانثنـت تطبـع لثمـه

تركـت فيهـا هوانـا كنـت أدري مـا مـداه

تركـت حسـنًا زهيـدًا ... وبقايـا مـن حيـاة

***

فأجبتُ : أيا أجمل عمري ، يـا رغبـة أمسـي المحمومـة

أنا أهوى الكلمة لكنـي ... أخشـى لـدغتها المسـمومة

قد صغت الكلمة مزهـوًا ... وعلـوت بهـا نحـو القمـة

لكنــك لم تــدرك يومًــا مــا تصــنع في النــاس الكلمــة
قد يحدث أن تجري الكلمـة مـن ثغـر حبيـب يرعاهـا
وتمــر الأيــام وتمضــي ، والكلمــة تأخــذ مجراهــا
تنغـرس الكلمـة في ركـن مـن قلـب العاشـقة المرحـة
تنغـرس وتنبـت وتكـوّن بسـنان مخالبهـا ... «قرحـة»
وتقــــول كرهـــــت الكلمـــــات ؟

***

وافترقنــا ... والهــوى يبكــي بــلا صــوت علينــا
والضـــياع المـــر يبـــدو في تحيـــات يـــدينا
وانطلقنـــا ... كـــل خطـــو موغـــلٌ في لا مكـــان
هـــو في الـــذكرى ، وخطـــوى في متاهـــات الزمـــان
ومضـــينا ... كـــل قلـــب مثقـــل ... يحمـــل همـــه
هو ... من أجل غروري ... وأنا ... مـن أجـل كلمـة !

▪▪ إلى شجرة

أرجـــوك ، لا تقفـــي أمـــامي في فضـــول قاتـــل

لا تســـأليني كيــف جئــت ومـــن أنـــا ... لا تســـألي

فلســـوف أمنحــك الحقيقــة ، فاســتعدي لاســتماعي

ولســـــوف أنتـــزع القنـــاع لكـــي أراك بـــلا قنـــاع

ولســـــوف أحكـــي الآن ســـر تطفـــلي ... فـــتمهلي

***

أنــا جئــت في هــذا المســاء لكــي أعــيش مــع المســاء

أتتبــع الأشـــياء وهـــي تفـــر مـــن وجـــه الضـــياء

إني أتيـــت أفـــاجئ الصـــمت المعشـــش في الشـــجر

وأنـــام عنـــد الجـــزع راضـــية كمـــا يغفـــو الثمـــر

فلقـــد تعبـــتُ مـــن التخيـــل والتمنـــي ... والرجـــاء

***

أنــا لــيس لي في البيــت ركــن كــي أنــام عــلى فراشــي

كــل الرغـــاب هنـــاك تحتـــل المقاعـــد والمماشـــي

رغبـــات أعـــوامي الطـــوال قـــبعن في بيتـــي حيـــارى

ومشين في الحجرات جيشًـا ظامئًـا يطـوي الصـحاري

ولــذا أتيــت مــع المســاء لأســتبيح لهــا التلاشــي

***

أنــا جئــت يــا نبــع الصــفاء لكــي أعــيش مــع الســكون
لكننــي مــا كــدت أجتــاز الربــى ... تحــت الغصــون
حتــى ســمعتك تصــرخين وتصــرخين عــلى التيــاع
مــا هــذه الضوضــاء تبعثهــا الطيــور بــلا انقطــاع
فلتُســـكتي أبنـــاءك المتهـــورين الطائشـــين !

***

مــاذا بهــم هــذا المســاء فقــد تمــادوا في الصــياح
أيكــون هــذا الليــل عنــد الطيــر لــيس لــه صــباح
أم يــا تــرى جُنــوا بــذكر الحــب فــاعتزلوا الرقــاد
وتقاســموا الآمــال والأحــلام في ظــل الســهاد
ويحي ! فررت مـن الجـراح لكـي أضـم هنـا الجـراح

***

أنــا لي لــديك كمــا لهــم ركــنٌ بحضــنك يــا شــجيرة
أنــا لي هنــا حــق التعبــد راهبًــا قــد جــاء ديــره
أنــا لي التوغــل في دجــاك ولي التأمــل في فضــائك
أنــا لي الــذي قــد طرزتــه يــد الطبيعــة في ردائــك
أو لــيس لي قلــب كقلبــك نــاعم مثــل البحيــرة؟

***

أو لـيس بـي شـوق الطيـور وفي دمـي سـر الخميلـة

ومنـــي كــأوراق الغصـــون تمـــد لي كفًــا ظليلـــة

هـــي كلهــا أحــلام قلـــب مرهــف عشــق الجمــال

هـــي كلهــا أحــلام قلـــب يحتســي كــأس الخيــال

حســبي أحــس بهــا تعــيش وإن تــراءت مســتحيلة

▪▪ الطاووس

وداعًـــا ، إننـــي أهـــواك في بعـــدي وفي قربـــي
وداعًـا ، رغـم هـذا البعـد سـوف تعـيش في قلبـي
وداعًـا ، لسـت ناسـية ... فأنـت زمـاني الأجمـل
وأنـت اللحـن والقيثـار ... أنـت الفـيء والمنهـل
أجـل ، أهـواك لكنـي برمـتُ بـذلك الحـبِّ ...

***

أجـل ، أهـواك لكنـي أعـاف أكـون صلصـالًا
لتصـنعني كمـا تصـبو عـلى كفيـك تمثـالًا
فلـم تُشـعل يـد فجـري ولم تنبـت يـد غرسـي
ولم أينـع مـن الأحضـان والقـبلات والكـأس
فعنـدي كبريـاء الخلـق أقـوالًا وأفعـالًا

***

أجـل ، أهـواك لكنـي أحـب طبيعـة الغابـة
ففـي حريـة الغابـات تسـري الـروح منسـابة
وفي حريـة الغابـات عـاش الكـائن الأول
ونـام عـلى أكـف الـورد ، جـرح وجنـة الجـدول

فــلا الأشــجار لامتــهُ .... ولا قطــر النــدي عابــه ...

***

أجـــل أهـــواك لكنـــي أحـــب كرامتـــي أكثـــر

أحـــب البئـــر في الصـــحراء لا في الـــروح والجـــوهر

وأهـــوى ضـــحكة الشـــباك لا تقطيبـــة الكـــوة

وأخلـــع كـــل أقنعتـــي أمـــام الكلمـــة الحلـــوة

وتحت النصــل ـ لــو راعيــت حــق مشــاعري ـ أعبــر

***

وداعًـــا ســـيدي المغـــرور ، يـــا طاووســـي الزاهـــي

وداعًـــا يـــا انبهـــار العـــين ، يـــا إعجـــابي الـــواهي

وداعًـــا حيـــث لا أحيـــا ألبـــي رغبـــة الآمـــر

وحيــث البعــد يحمــي الشــطّ مــن طوفانــك الغــامر

فـــإن الحـــب إعطـــاء وأخـــذ ... دون إكـــراه ...

▪▪ الصباح في القاهرة

الصـــبح في ظـــل الحـــدائق عنـــد أطـــراف المدينـــة
الصـــبح منفعـــل هنـــاك وثـــائر مـــل الســـكينة
وغـــزا الريـــاض محـــررًا أرواح دنياهـــا الســـجينة

***

لكـــن قلـــب مـــدينتي عنـــد الصـــباح البـــاكر
يبـــدو كمســـلوب الإرادة دون حـــس شـــاعر
والضـــوء يطـــرق بابـــه متهيبًـــا كـــالزائر

***

فلقـــد تفتحـــت النوافـــذ بعـــد أن طـــال الظـــلام
وبكـــل حـــانوت بـــدا رجـــلٌ تراخـــى كالنيـــام
والنـــاس أشـــباح تمـــر بـــلا ضـــجيج أو كـــلام

***

وعـــلى الرصـــيف فتـــى تـــأبط ســـلة الخبـــز العتيقـــة
وخطـــى عجـــوزٍ عائـــد مـــن مســـجد يطـــوي طريقـــه
وصـــبية ... وإنـــا «فـــول» فـــوق راحتهـــا الرقيقـــة

***

الكـــل يبـــدو ناســـيًا متناســـيًا يـــوم الصـــراع
مـــا زالـــت الرغبـــات فيـــه ضـــريرة وبـــلا شـــعاع
والـــروح خاويـــة المنـــى ، والـــنفس عاريـــة القنـــاع

***

لم تعـــزف الأوتـــار بعـــد لحونهـــا ، لم تنطلـــق
لم تغـــلِ بعـــد مـــع النهـــار دمـــاؤهم لم تنبثـــق
لا لم يســـل عـــرقُ الكفـــاح عـــلى الجبـــين المحتـــرق

***

لم يبـــدأ الحقـــد البغـــيض ولا العـــداوات المريـــرة
لم يبـــدأ الـــود المنـــافق والمجاملـــة الحقيـــرة
لم يحمـــل الإنســـان بعـــد عـــلى مناكبـــه شـــروره

***

هـــي فتـــرة مـــن عمـــر قـــاهرتي تمـــر بـــلا قـــرار
مـــا بـــين أحـــلام المســـاء وبـــين أعبـــاء النهـــار
هي هدنـة وستنتهي ... هـي وقـت صـمت وانتظـار !

▪▪ المقعد الخالي

يــا لهــذا المقعــد الخــالي وكــم يبــدو حزينًــا

إنـــه مـــا زال للأمـــس وفيّـــا وأمينًـــا

لم يــزل يهفــو إلى مـــن كـــان يســترخي عليــه

للـــذي عشـــرين عامًـــا عاشـــها بـــين يديـــه

إنـــه يطـــوي لمـــن غـــاب اشـــتياقًا وحنينـــا

***

ذلـــك المقعـــد يبـــدو ســـاهمًا ، جهمًـــا ، ملـــولًا

مـــذ نأينـــاه بعيـــدًا صـــار منبـــوذًا ذلـــيلًا

غيـــر أن المقعـــد المحـــزون يســـتهوي شـــجوني

فأناغيـــه عـــلى همـــس ولمـــس وأنـــين

ويناجيني طـــويلًا وطـــويلًا ... وطـــويلًا

***

مهـــبط الـــوحي ! ويـــا هـــوة شـــمس المغـــرب

إيــــه يـــا عـــــرش مليكــــي ووســــاد المتعـــــب

كنـــت للغائـــــب دنيـــا مـــــن أمـــــان وســــلام

كنــت حصــنًا قــد تحــدى فيــك إعصــار الظــلام

كنـــت مـــأوى عقلـــه الحـــر وســـجن المـــذنب

***

كـــم هنـــا اســـتنجد يومًـــا بجناحيـــك وحلـــق

ورأى الظلمـــة نـــورًا ورأى المغـــرب مشـــرق

مســـتحمًا في أثيـــر مـــن شـــذا الأوهـــام بكـــر

راكبًـــا صـــهوة خيـــل ، عـــابرًا أقـــواس نصـــر

ثـــم أخفـــى في حنايـــاك فـــؤادًا يتمـــزق

***

ذلـــك الجســـم الـــذي كـــان هنـــا أيـــن تـــوارى

أيـــــن ولى وتلاشـــــى تاركًـــــا كونًـــــا ودارًا

يـــا لســـخرية عيشـــي ! يـــا تفاهـــات وجـــودي

أو يمســـي الفـــرد منـــا مضـــغة في حلـــق دود

والجمـــاد الصـــلب بـــاقٍ ... يتحـــدانا جهـــارًا !

***

ذلـــك الجســـم الـــذي كـــان هنـــا فـــوق الحشـــايا

لم تـــزل منـــه عـــلى الظهـــر وللـــذكرى بقايـــا

فجـــوات ونـــــدوب في حنايـــــا المســـــند

أيهـــا الأحيـــاء مهـــلًا ... فجـــراح المقعـــد

إنهـــا مـــنكم ومنـــي ... فهـــي آثـــار الضـــحايا ...

***

مخـــزن الـــذكرى ويـــا مـــن شـــارك الراحـــل زاده

كـــان في حضـــنك قلبًـــا نابضًـــا يهـــوي بـــلاده

كـــان في حضـــنك شـــيخًا فيلســـوفًا وحكيمًـــا

كـــان في حضـــنك ضـــيفًا قلـــق الـــروح ســـقيمًا

ثـــم ولى عنـــك يومًـــا ... مـــؤثرًا حضـــن «ســـواده» !

▪▪ من أجلك

مــن أجلــك قضــيت حيــاتي وأنــا في الأســر
أقتطــع الأحجــار الصــلبة ، أحملهــا فــوق الظهــر
المـــوت العشـــرون أتـــاني وأنـــا حيـــة
أتمشـــــى بـــــين الأطـــــلال
أبلـــــع في نهـــــمٍ وشـــــهية ...
العســـل المـــر وأرفـــل في الأغـــلال
فالقيـــــد بـــــلا كـــــره حريـــــة
ولأجـــــل أمانيـــــك النفســـــية
أطبقـــــت عيونًـــــا وشـــــفاه
وكتمـــــــــــــــــت الآه ...

***

مــن أجلــك هــاجرت إلى أرض المنفــى والنســيان

ورفعـــــتُ العلـــم الأبـــيض في الميـــدان

ووقفــــتُ بـــآخر صــــف للشـــعراء

أتجنــــب ضــــوء الأضــــواء

أتجنــب زهـــو الفـــن ، غـــرور الفـــن

لأقيــــك مــــن الغيـــرة الظـــن

وتلفعـــت بشـــال مغـــزول مـــن وبـــر الأغنـــام

وحلبـــت الأبقـــار وأوقـــدت الأفـــران

ومــــلأت الأبطـــــن والأفـــــواه

وبــــلا إكــــراه ...

***

مــــن أجلـــك صــــاحبت الغربـــاء

أبرمـــت معاهـــدة الصـــلح مــــع الأعـــداء

ولكـــيلا تطفـــو فـــوق الســـطح

ولكـــيلا أنـــبش فيـــك الجـــرح

ولكـــي تحيـــا في البيـــت الســـيد والربـــان

أخفيـــتْ عليـــك شـــعور الأم مـــع الأبنـــاء

ولبســـتْ قنـــاع الصـــحة ... واريـــت الـــداء

ومنحتـــك في العـــش الهـــادئ كـــل أمـــان

ورضــــيت بمـــــا قســــم الله

لكـــــــن الله...

▪▪ جاء الخريف

أتـــاك اليـــوم يـــا قلبـــي خريـــفٌ آخـــر قـــاس
كأنـــك لم تعـــد تشـــكو عـــلى الـــدنيا مـــن النـــاس
أتـــى كـــاللص منفلتًـــا ليغـــزو شـــرفة الـــدار
وهـــا هـــي أضـــلع الأبـــواب تلطمهـــا يـــد الـــريح
فتـــدنيها وتقصـــيها وتســـخر بالمفـــاتيح
وتجـــثم فـــوق أنفاســـي كـــوحش كاســـر ضـــاري

***

أتـــى ليلـــوم روضـــتنا عـــلى إســـرافها الفاضـــح
ليخنـــق في مماشـــيها فراشـــات الهـــوى الجـــامح
ويحـــرم نحلهـــا الفضـــي مـــن ترنيمـــة الرغبـــة
وينضـــو عـــن خميلتنـــا ثيـــاب العـــز والفخـــر
ويبكيهـــا كمحبـــوب يودعنـــا إلى القبـــر
أتـــى ليصـــب في ثغـــر الزهـــور مـــرارة الخيبـــة

***

أتـــاك مهـــرولًا يخفـــي شـــتاء خلـــف خطواتـــه
وهـــذا الآخـــر الآتي ســـيقلقنا بآهاتـــه
ولكـــن لا تخـــف قلبـــي فإنـــك في حمـــى كهفـــي
ســـتحملنا أكـــف الـــدار نحـــو الأمـــن والقـــوة
بعيـــدًا عـــن شـــفا جـــرف ، بعيـــدًا عـــن دجـــى هـــوه
فـــأغلى مـــن كنـــوز الأرض أن تحيـــا بـــلا خـــوف

***

ستحتفل الديار غدًا بعودة غائب مذنب

ستفسح قرب موقدها لحلمك ركنها الأرحب

غدًا ستلامس الأشياء حتى الرعشة الكبرى

أبيًا ، عاريًا ، حرًا ، بغير قناعك الأسود

وحيث الساعة اليقظى تزف جلالة الموعد

وحيث العطر يسري من خلال ستائر الذكرى

***

غدًا ستضمك الجدران في أحضانها الغضة

ستبحر من زواياها على سفن من الفضة

ومن أعماقك الخضراء يطفو نبعك الواثب

ويورق فيك أغنية الربيع الدافئ الإيقاع

فتنشرها وتطويها بآفاق المدى والقاع

وتغدو الطفل والعملاق والعربيد والراهب

▪▪ عيد الربيع

عيـــد الربيـــع وأي عيـــد ربيـــع

والأفـــق ينـــزف داميًـــا كصـــريع

غضـــبان أنـــت وحـــانق متـــذمر

متحجـــر ، بـــاك بغيـــر دمـــوع

تلـــك الريـــاح الخانقـــات أخالهـــا

أنفـــاس جـــن راكـــض مـــدفوع

أيـــن الطفولـــة في ســـناك ســـعيدة

تغـــزو الريـــاض بشـــدوها المســـموع

يـــا ويـــح قلبـــك أيهـــا العيـــد الـــذي

حنـــت إليـــه أزاهـــري وربـــوعي

أذللـــت آلهـــة الهـــوى في روضـــها

فتأوهـــــت في لوعـــــة وخشـــــوع

وطبعـــت فـــوق جبـــين كـــل وريقـــة

حـــزن الشـــجي وجهامـــة المفجـــوع

وخنقـــت آلاف الفـــراش عـــلى الربـــى

فترنحـــــت في ثوبهـــــا المصـــــدوع

وأخفـــت ســـكان الغصـــون فـــآثروا

صـــمت الجبـــان عـــلى غنـــاء شـــجيع

ومـــلأت بالرمـــل المغبـــر والقـــذى

عـــين الغـــدير ومهجـــة الينبـــوع

***

وأنـــا ؟ أنـــا ... يـــا بـــؤس مـــا حملتنـــي

مـــن وحشـــة وتغـــرب ونـــزوع

إني انتظرتـــك فـــوق شـــط ضـــائع

ران الجمـــود عليـــه وســـط صـــقيعي

لكـــن عبـــرتُ الجســـر ثابتـــة الخطـــى

أطـــوي الحـــواجز في رضـــاء قنـــوع

صـــارعت عمـــري والشـــتاء أبيـــة

وطويـــتُ عاصـــفتين خلـــف ضـــلوعي

ويبســـت فاســـتوحيت طيفـــك مقـــبلًا

يضـــفي الحيـــاة عـــلى هشـــيم جـــذوعي

وفتحـــتُ قلبـــي مثـــل قصـــر فـــاخر

طلـــق المنـــى والعاطفـــات وســـيع

حتـــى أتيـــتَ مخيبًـــا ظـــن الـــورى

فـــوددتُ لـــو تهفـــو إلى تـــوديعي

أنضـــبت في الإصـــباح نبـــع مشـــاعري

فهجرتنـــــي ســـــيفًا بغيـــــر دروع

ولهـــوت بـــي عبـــر النهـــار ســـفينة

تلهـــو بهـــا الأمـــواج دون قلـــوع

وأفضـــتني لـــيلًا فجاشـــت أدمعـــي

وتمازجـــت نيرانهـــا بشـــموعي

لم تـــدر مـــا صـــنعت يـــداك بمهجتـــي

وبكـــل قلـــب بالجمـــال ولـــوع

ضم النسـيم ومـا شـممت سـوى الـردى

عيـــد الربيـــع وأي عيـــد ربيـــع ...

▪▪ الزيارة الرهيبة

وتساءل : من يهـبط نحـوي ؟ فأجـاب الضـيف : أنـا الطيـف
صــاح المتســائل مــذهولًا : أتركــت الأحيــاء وكيــف ؟
رد الزائـر : فـيم الدهشـة ، اشـتقت إليـك ، اشـتقت إليـك
وأتيتــك في ثــوبي الأبــيض أتســلل لأنــام لــديك
أفســح لي ركنًــا مــن فضــلك فــالحجرة تتسـع لألــف!

***

عبــر الزائــر بــاب الحجــرة حتــى وافى كومــة خــرقِ
وتســاقط ريــش جناحيــه في صــوت كحفيــف الــورق
فــأحس بخفــة ســاقيه وأقــتحم المســكن في الظلمــة
لكــن القمــة صــدته ... فتحاشــى صــدمات القمــة
وانــدس بجانــب كومتــه ... وتوســد صــدر المســتلقي

***

وتكلم ... استوحي الذكرى واسترسل في الشرح وأسهب
وتكلم ... قال لصاحبه كلمات أبدًا لن تكتب
والنائم لا ينطق حرفًا ... مفترشًا في صمت أرضه
وانتبه الضيف على وخز في طرف الأصبع كالعضة
وأحس الكومة فارغة ... لا صدر هنالك ... أو منكب

***

وانتفض الزائر مذعورًا واستند إلى السقف الخائر
مفتقدًا أدراج السلم ليعود إلى البيت الآخر
وتعثر في جسم صلب فأذاه على الأرض حصاة
فلبها في الكف برفق وعلى خديه العبرات
وتساءل وهو يناجيها : واها أتكون هي الشاعر ؟

▪▪ عصفورة وعملاق

وحبـــوت في ضـــعف فقلـــدني

وحبـــا الصـــغير وراء خطـــواتي

وقويـــتُ فاســـتقوى وقاســـمني

صـــدر الوســـاد ووجـــه مـــرآتي

***

أحببتـــه حينًـــا بـــلا ســـبب

وكرهتـــه حينًـــا بـــلا داع

بســـط المـــدى ففـــردت أجنحتـــي

وطـــوى المـــدى فهويـــت للقـــاع

***

ونمـــا الغـــلام وشـــب منتصـــبًا

وأطـــل في زهـــو عـــلى ســـفحي

ومضـــيت أعـــدو كـــي أضـــلله

فتعثـــرت قـــدماي في جرحـــي

***

حتـــــى إذا طالــــــت أوازمـــــه

وغــــدت لـــه عينــــان مـــن نـــار

وبكـــــل عـــــين حفـــــرة نتـــأت

وكأنهـــــــا رأس لمســـــــمار

***

تمتمـــــت جازعـــــة فصــــارحني

«قــــدرٌ أنـــا ونـــديمك الســـاقي»

فاستســــلمت نفســــي لصـــحبته

عصـــــفورة في كـــــف عمــــلاق ..!

▪▪ الروابي الحالمة

أي ســـــر تـــــدلي بـــــه وتفـــــاخر

نبتـــــه الفجـــــر للنبـــــات المجـــــاور

وهـــــي تبـــــدو رقاصـــــة تتثنـــــى

فـــــوق عـــــود يطيعهـــــا ويســـــاير ... !

أتراهـــــا تقـــــص ليلـــــة حـــــب

قـــــد طوتهـــــا مـــــع النســـــيم الســـــاهر

حـــــين مـــــال النســـــيم يلـــــثم ثغـــــرًا

برعمـــــي الشـــــذا ، نقيًـــــا وطـــــاهر

حـــــين مســـــت يـــــداه عبـــــر دجاهـــــا

وجنتيهـــــا وضـــــم خصـــــرًا ثـــــائر

ثـــــم عـــــاد النســـــيم يهمـــــس لحنًـــــا

لا تدانيـــــه عبقريـــــة شـــــاعر ؟

***

أم تراهـــا تقـــص ليلـــة حـــب

مـــع نجـــم أتـــى الوجـــود كزائـــر

مـــل طـــول الوقـــوف في كونـــه

الرحـــب فشـــد الخطـــى لكـــون آخـــر

طـــار مـــن أفقـــه وحـــط عليهـــا

نـــاثرًا فوقهـــا ســـناه الـــوافر

فـــإذا النبتـــة الصـــغيرة تبـــدو

ثـــرة الخـــوف في تـــردد حـــائر

حـــين ذاب الهـــواء والمـــاء فيهـــا

وتلاشـــت مـــع الكيـــان العناصـــر

دغـــدغ الـــنجم جفنهـــا فتطمـــت

ثـــم أرخـــت لـــه الشـــفاه مبـــاخر

***

أم تراهـــــا تقـــــص ليلـــــة حـــــب

قـــد طوتهـــا مـــع النـــدى المتقـــاطر

مـــرَّ فـــوق الربـــى وشـــاهد حســـنًا

وتمـــلى مـــن الصـــدور النـــوافر

ورآهـــــا صـــــبية تتـــــوارى

في حيـــــاء وراء ظـــــل ســـــاتر

أي شـــــــهد وأي دورق عطـــــــر

صـــب مـــن راحتيـــه هـــذا الســـاحر

فاســـتحمت مـــع الأثيـــر أثيـــرًا

وتحلـــــت بماســـــها المتنـــــاثر

ثـــم نـــام الأبـــي تحـــت خطاهـــا

مؤمنًـــا تـــارة ... وحينًـــا كـــافرا ؟

***

أم تراهـــا في مســـمع الـــروض تلقـــى

نـــدوات عـــن ليلهـــا وتحاضـــر

أم تراهـــا تلقـــن الـــروض درسًـــا

في صـــفاء الهـــوى ونبـــل المشـــاعر

أم تراهـــا تجثـــو لـــرب قـــادر

وتصـــلي صـــلاة فجـــر حاضـــر ؟

هكـــــذا الشـــــعر يســــــتحث خيـــــالي

حـــــين أصـــحو مـــع الصـــباح البـــاكر

لهـــــف نفســـــــي أنبتــــــه تتـــــراءى

لي محيطًـــــا أخوضـــــه ... وأغـــــامر

حملتهـــــا خـــــواطري حلــــم ليـــــل

شـــــاعري ويـــــا لهـــا مـــــن خــــواطر !

▪▪ يا عاشقة

أنـــا هاهنـــا خلــف الشــجيرة والغصـــون الوارقـــة
أرنـــو إليـــك -إليكمـــا -والـــروح تـــومض خافقـــة
وأراك في بحـــــر الهـــــوى تتخبطـــــين كغارقـــــة
وأرى الأكـــف مــع الخــدود قريبـــة متلاصـــقة
وأرى بعينـــــك كلمـــــة «إني أحبـــــك» ناطقـــــة
وأراك تخشـــين العيـــون النافـــذات الخانقـــة
وترينننـــي خلـــف الغصـــون فتـــرجفين كســـارقة
لا تقلقـــي أنـــا لســـت بالحـــب المهـــيمن ضـــائقة
فالحـــب يصـــنع في الوجـــود المعجـــزات الخارقـــة

***

إني وراء شـــــــجيرة أغصـــــــانها متعانقـــــــة
أرنـــو إليـــك وأجـــتلي أحـــداث عمـــري الســـابقة
نبضـــات قلبـــك في دمـــي تجتـــاحني كالصـــاعقة
وأحـــس -رفقًـــا يـــا ابنتـــي -أنفاســـك المتلاحقـــة
لا تدهشـــي ! فلقـــد ضـــممت مـــن الزمـــان مشـــارقه
وشـــعرت بالحـــب العنيـــف صـــبية ... ومراهقـــة
شـــفتاي مثلـــك ذاقتـــا مـــا ذقتـــه يـــا عاشـــقة !

▪▪ الضيف الدائم

يــا ضــيفي القــابع في بيتــي يترصــد جهمًــا حركــاتي

يــا أول مــن يطــرق بــابي ... يــا آخــر مــن يهجــر ذاتي

يــا أعــدى أعــداء وجــودي وصــديقي ورفيــق حيــاتي

أثقلــت بأنفاســك صــدري ، طوقــت بأغلالــك عنقــي

***

آه لــو ترحــل آونــة ... أبغضــتُ الإحســاس الثــائر

أنــا فــوق المقعــد لكنــي ... في التيــه المجهــول أســافر

وبكـــل مكـــان أتمنـــى أن أغـــدو في ركـــن آخـــر

أنا بــين يــديك كعصــفور منــتفض الــريش ومختنــق ..

***

اتركنــي أحتــل كيــاني ، أغــزو روحــي ، أقطــن نفســي

دعنــي أنبثــق مــن الظلمــة وأشــق الأعمــاق بفأســي

دع عودي الأخضــر يتلــوى ، يحتــرق بألســنة الشــمس

دع تلـــك الآلـــة تتحـــرك وتـــدور وتلهـــث بـــالعرق

***

آه لــــو ترحـــل آونـــة ... لأروض نفســـي الوحشـــية

كـــي أنعـــم ببســـاطة عيشـــي وأحـــل رمـــوزي الأبديـــة

كي أضحك ... أضحك من قلبي ضحكة عذراء ريفيـة

آه لو ترحـل آونـة ... يـا ضـيفي الـدائم ... يـا قلقـي !

▪▪ إغضاء

تغاضـى فمـا أنـت بـين الأنـام سـوى حفنـة مـن رمـاد السـنين

ولينـــي ولينـــي فــإن الحيــاة لـــك اليـــوم تقســـم أن لا تلـــين

تقــولين هنــتِ ؟ وكــل الوجــود نفــوس تهــان وأخــرى تُهــين

كبــرتِ فظنـــوكِ عقـــلًا توقــف عـــن كــل رأي ســـديد متـــين

وراحــوا كبــارًا وراحــوا صــغارًا أمامــك لا يخفضــون الجبــين

حســبت النفــوس كرامًـا كنفســك ، كــلا فإنــك كنـــز ثمـــين

حبــاك الإلـــه بقلـــب مضـــيء فـــلا تفرضـــيه عـــلى الآخـــرين

فمــن ذا أحــب كحبــك أنــت ومــن ذا يحــس كمــا تشــعرين

ومــن ذا يعــيش كمـا عشـت أنــت ومــن ذا يغنــي كمـا تنشــدين

تغاضــي فإنــك فــوق الجــراح وفــوق الظنــون وفــوق اليقــين

وزفتـي أمـام المـدى كالصـباح وخفـي يخـف الأسـى والأنـين

ولا تــأملي في امـــتلاك الوفـــاء فـــإن الجحـــود طبـــاع البنـــين

وإن الأمومـــة عـــبء ثقيـــل وبـــذل كبيـــر ووهـــم حـــزين

تغاضــي فــإن الجــدال اتهـام ومـا في النقـاش سـوى مـا يـدين

ولينـــي ولينـــي فــإن الحيــاة لـــك اليـــوم تقســـم أن لا تلـــين

■■ الضحايا

انتهينــــا صـــــدئت مــــل حليــــي في الصــــوان

وغـــدا الســـيجار نصـــفًا بعـــد أن ذاق الهـــوان

والمكاتيــــب ســـــطورًا زاحفـــات كالأفـــاعي

وزوايـــا الصـــورة الصــــفراء في لـــون الضـــياع

وبقايــــا روبـــك الأزرق أبلاهـــا الزمــــان ...!

***

هـــذه الأشـــياء كانــــت لي عبيــــدًا في حيــــاتي

ســـئموا الـــرق وملـــوا أن يظلـــوا ذكريــــاتي

كــــم تنفســــت شــــذاها كلمــــا شــــط خيــــالي

وغـــزوت الســطر تلـــو الســطر في حــرب الليـــالي

ولبســـــت الـــــروب أســــتجليك في مــــرآة ذاتي

***

أيـــن أخفـــي ذلـــك المســـخ الـــذي نـــام وأطـــرق

كـــان فـــوق الثغـــر مبهـــورًا بأنفاســـك يشـــرق

إنــــه يقبـــع فـــوق الـــرف كـــالروح الســـجينة

أيـــن بعـــد اليـــوم أخفيــــه عـــن العـــين الحزينـــة

أيـــن أخفـــي جثـــة المنـــديل ... والـــروب الممـــزق !

***

أيـــن أخفيهـــا وقـــد أمســـت بمحرابـــي خطايـــا

إنهـــا أشـــلاء آمـــالي وعمـــري ... وهوايـــا

أتـــرى للشـــمس أهـــديها كأســـنان الطفولـــة

أم تـــرى للنـــار قربانًـــا لأعـــوام جميلـــة

أم لـــدهري وهـــو قـــد أودى بأحيـــائي ضـــحايا ؟

▪▪ الحلم المنتصر

انتصـــــرنا .... وامتلكنــــــاك منيعًـــــا وعصــــيًا

وحلمنــــا بـــك هـــذا الليـــل مغـــداقًا ســـخيًا

أنـــت قـــد أعطيتنـــا في الحلـــم حبًـــا عبقريًـــا

وبـــه نلنـــا منانـــا ... لم نعـــد نطلـــب شـــيا ...

***

نحـــن كنـــا قبـــل هـــذا الحلـــم ســـكان قبـــور

ونـــــواعير تغنـــــــي نائحـــــات وتـــــدور

وكهوفًـــا تمـــلأ الـــريح دجاهـــا بالصـــفير

نحـــن كنـــا راهبـــات في محاريـــب الـــدهور

***

نحـــن في الحلـــم غـــدونا كنجـــوم تتـــوهج

وعبرنـــا تحـــت أقـــواس مـــن النصـــر المتـــوج

وتـــدفقنا ســـيولًا مـــن ربيـــع متـــأرج

وتأرجنـــا نشـــاوى ، ثمـــلات فـــوق هـــودج

نحـــن هـــذا الليـــل حطمنـــا الســـدود الزائفـــة

وانحنـــى الفجـــر علينـــا كالغصـــون الوارفـــة

وصـــحونا تحـــت أنـــداء ســـماء العاطفـــة

ورفعنـــا الـــرأس مثـــل الـــزروع بعـــد العاصـــفة

***

كـــن ضـــنين الوصـــل إن الحلـــم موفـــور الوصـــال

نحـــن رغـــم العـــيش بالأوهـــام في ظـــل الخيـــال

انتهينـــا ... وامتلكنـــاك ... ومـــا عـــدنا نبـــالي

وعـــلى الهجـــر انتصـــرنا ... وعـــلى صـــمت الليـــالي !

▪▪ الأصل والصورة

قد أبكي ، قد أندب حظي ، قد تصحب يومي أحزاني

لكني حين أحط الرأس أخيرًا في فرشي العاني

أهمس في رفقٍ باسمة ، لا تخشى يا نفس هواني

في ركنٍ من هذي الدنيا يوجد إنسانٌ يهواني

***

قد يخنق سجني أنفاسي وأضيق ببيتي المتواضع

لكني إذ أدخل فرشي وأنام كمخلوقٍ ضائع

أهمس يا نفسي لا تخشى ، فالواقع لا يمحو الواقع

في ركن من هذي الدنيا ، لي قلب كالقصر الرائع

***

أنا أعلم أنك تهواني في البعد ولا تنشد قربي

لي عندك عرش وقصور وجوار تهرع وتلبي

وزهور في روضك نشوى تتنفس حبًا من حبي

وغدير كالخلد طهور ، لم يُلمس إلا من قلبي

***

أنا أعلم لكني أنشد وجهًا يتراءى لا صورة

فبدونك أبدو كالنبتة في أرض ظمأى مهجورة

وبدونك أبدو كالقشة وسط الأمواج المسعورة

وبدونك أصدأ كالآلة ، تنهار تروسي مكسورة

▪▪ الزائرة الحسناء

تـــأتيني دومًـــا زائـــرة لا تعـــرف معنـــى الأوقـــات

حســناء ولكــن تتغيــر ــ شــكلًا ــ في بعــض المــرات

أحيانًـــا تقــتحم ديــاري ، تحتــل جميــع الحجــرات

تتواثـــب ، تقفـــز كالطفلـــة ، تشـــدو بالنغمـــات

تلـــثم وجهـــي ... كفـــى ... تغمـــرني بـــالقبلات

وأنـــا أحضـــنها في شـــوق ، أمنحهـــا نـــور عيـــوني

تتوســط مائــدة الأكــل وتغــرف مــن كــل صــحوني

تمــلأ في نهــم شــدقيها ، تســتمرئ ، تلعــق شــفتيها

تتنـــاول مـــا كنـــتُ أعـــدّ لنفســـي مـــن أكـــلات ؟

***

أحيانًـــا أخـــرى تـــأتيني خجـــلى كفتـــاة عـــذراء

في حســـنٍ يأســـر نـــاظره ويثيـــر خيـــال الشـــعراء

تـــتكلم .. أقتطـــف الكلمـــات زهـــورًا مـــن بســـتان

تشــرب قهوتهــا ــ لا غيــر ــ وتقلــب وجــه الفنجــان

وتقــص عــليّ الحــب ، الشــوق ، اللهفــة والحرمــان

فـــإذا مـــا غابـــت عنـــي حينًـــا ... أتـــألم

وأظــل مــع النــاس طــويلًا .. لا أتكلــم

وأحـــس بـــأني كمصـــاب بعمـــى الألـــوان !

***

أحيانًــا أخــرى تــأتيني كــامرأة شــماء مهيبــة
أصــطدم بنفســي حــين أراهــا وكــأني في غيبوبــة
امــرأة غامضــة لا تحمــل اســمًا أو جنســية
تتهــادى عبــر دهــاليزي الخلفيــة
وتدب بكعبيها فـوق سـجاجيدي العجميـة
الكــأس المــلأى في يــدها وإذا مــا انطفــأ الســيجار
تتنــاول عــود ثقــاب وتعــاود إشــعال النــار
وإذا جلســت فالســاق تنــام عــلى الســاق
قــد تــتكلم فيمــا يجــري في الأســواق
لكــن وراء الكلمــات العابثــة علامــات اســتفهام
وإشــــارات ... وكــــلام ...

***

أحيانًـا أخـرى تقلقنـي وتـدق البـاب ... تـدق البـاب
وتقلــد في إصــرار دقــات الأصــحاب
لكنــي لا أجــرؤ أن أثنــي الشــراعة
أو ألــوى مــن بــابي ... أضــلاعه
إذ تبــدو زائــرتي في العــين الســحرية
شــوهاء .. مهلهلــة الأثــواب ... كــامرأة بوهيميــة ..

كـــامرأة هاربـــة مـــن أيـــدي الشـــرطة ... متهمـــة

كالشـــــحاذ الطالـــــب لقمـــــة ..

فأصـــيح وقـــد أخـــذتني العصـــبية

أصـــحاب البيـــت نيـــام ... لا أملـــك أن آوي أحـــدًا

لا أملـــــك في البيـــــت طعـــــام ...

***

وتمـــــر الأيـــــام تباعًـــــا وبـــــلا إبطـــــاء

وأنـــا أبعـــد عـــن بـــابي تلـــك الزائـــرة الشـــوهاء

الفاقـــــــدة المفقـــــــودة ...

وأحيـــــي في مـــــرح زائـــــرتي الحســـــناء

«أســـــــتقبل في البيـــــــت قصـــــــيدة

▪▪ العابر ... والحمار

مـــات لم يحـــزن عليـــه أحـــدُ

غيـر طيــفٍ عــابرٍ يخطــو أمامــه

نـــام فـــوق الأرض حـــرًا هانئًـــا

واســتراح الآن مــن حمــل القمامــة

ظـــل طـــول اليـــوم يعـــدو هائمًـــا

في دروب الأرض لا يـــدري مقامـــه

لســعاتُ الســوط تــدمي ظهــره

ويــدُ الراكــب لا ترخــى زمامــه

***

حـــين ولي الصـــبر عنـــه وانقضـــى

ورأى دنيـــاه ســـبًا وملامـــه

حـــين لم يقـــدر عـــلى آلامـــه

واســـتقرت فـــوق عينيـــه غمامـــه

نـــام فـــوق الأرض يبغـــي مأمنـــا

حاضـنا في المـوت أضـواء السـلامة

حطـــم القيـــد الـــذي كـــم غلـــه

وغـــدًا حـــرًا طليقًـــا كالحمامـــة

***

أيهـــا القاتـــل هــــذا المفتـــدى

لـــك رب ســـوف يصـــليك انتقامـــه

ذلـــك الســـاجي عـــلى مهـــد الثـــرى

لم يكـــن يطمـــع إلا في ابتســـامة

يـــا لعينيـــه ويـــا كـــم فيهمـــا

مـــن معـــانٍ تقتضـــي منـــا احترامـــه

نظـــرة الحـــزن التـــي غشـــتهما

تجبـــر العـــابر أن يحنـــي هامـــه

▪▪ عظمة الله

النمـــل مشـــي في رضـــى وســـلام
ويـــدب فـــوق الأرض في استســـلام
يجـــري كمـــن يخشـــى فـــوات أوانـــه
متعثـــــر الخطـــــوات دون نظـــــام
وأنـــا عـــلى الأفريـــز أرقـــب ســـيره
حيـــرى ... ينـــازعني شـــعورٌ دام
أمشـــي مقيـــدة الخطـــى ، هيابـــة
حتـــى أجنبـــه أذى أقـــدامي
يـــا نمـــل ! يـــا نمـــل اتئـــد أقلقتنـــي
أخشـــى انطـــواءك في عبـــاب زحـــامي
أنـــا ! مـــن أنـــا ؟ إني أديـــن لنملـــة
ببســـاطتي وتواضـــعي المتســـامي
وبـــذلك الثـــوب الربيعـــي الـــذي
أكســـو بـــه جـــدبي وبـــرد عظـــامي
يـــا أيهـــا النمـــل الأصـــيل أهجتنـــي
وبعثـــت فيَّ طرائـــف الأحـــلام
«إني أرى الخـــلاق جـــل جلالـــه
في نملـــة تطـــوي الطريـــق أمـــامي»

▪▪ إلى ولدي

سأظل أؤجل أشعاري حتى تتكسر أقلامي
حتى تتصلب في عجزٍ كفي وسلامي ابهامي
ما أقسى أن أصمت دهرًا عن عزف الألحان العليا
أن أشدو طيلة أعوامي لتفاهة كوني ... للدنيا
أن أترك أبهى ما أملك مختفيًا خلف الأسوار
أن ألقي للسطح بدلوي ، أتحاشى قاع الآبار
أن أحرم ولدي من شهدي وزهوري وأريج صلاتي
أن أوصد شباك نعيمي وأدير الظهر لجناتي
أن أسمع صلصلة المفتاح وأخشى فتح الزنزانة
وأخاف الكلمة من أجلك تخرج حافية عريانة
أن أخشى الواقع يصدمني وخيالك يجتاح شعوري
والجرح النائم تنبشه في الصدر مناقير طيوري
ما أقسى أن يصمت قلبي ويضن عليك بأنغامه
لا بخلًا ... لكن يا ولدي ... خوفًا من لوعة آلامه
هل أنظم شعرًا في حبك وهواك النبع لأشعاري ؟
لا أقوى ... سأظل أؤجل ... حتى تتراخى أوتاري!

■■ الكوخ الأخضر

يـــا غـــابي الشـــتوي الممتـــد وراء الجـــدران

يخفـــي خلـــف ضـــلوعي ســـره

إني ألمـــس مـــا تحملـــه مـــن أطنـــان الأحـــزان

أتوغـــــل في أنحائـــــك حـــــذره

أنكـــرك اليـــوم محبـــوك وجافـــاك الخـــلان

وضـــــمت وفي عينيـــــك الحيـــــرة

فالشـــمس ســـفينتك المـــلأى بالـــذهب الرنـــان

تهـــــبط غارقـــــة محتضـــــرة

والفجـــر الوثـــاب العـــاري فـــوق الأغصـــان

يتململـــــــل ويـــــــزم الســـــــترة

والقمـــر الفضـــي تـــوارى عـــن وجـــه الغـــدران

لا يـــــرعش دوحتـــــك الحـــــرة

وربيعـــك هـــذا الإنســـان ... ويـــا للإنســـان

يتناســـى ... بـــل نســـي العشـــرة

ومســـافاتك طالـــت ... طالـــت كالأبديـــة

وعـــراؤك ومماشـــيك وأوراقـــك ومقاعـــدك الخشـــبية

الكـــل يواجـــه في حـــزن قـــدره ...

***

لكـــن الكـــوخ الأخضـــر في حضـــن الغـــاب
مـــا زال هنالـــك مفتوحًـــا ... وعيـــون البـــاب
تضـــــــحك لي ... تـــــــومئ منتظـــــــرة

***

فبــــرغم الأشـــجار المتشـــابكة الجـــرداء
وشـــحوبك ... يـــا غـــابي ... ونضـــوب المـــاء
فســـيأتي راعيـــك الأســـمر عبـــر الأزمـــان
كـــي يشـــرب مـــن جـــدولك البكـــر ...
ويعـــانق أقـــواس النصـــر ... تحـــت الأغصـــان !
أمـــــــــا الآن ... أمـــــــــا الآن
فأنـا يكفينـي هـذا الكـوخ الـرابض تحـت الشـجرة
ويعزينـــــي ... أن بأعماقـــــك ... خضـــــرة!

▪▪ الخل الوفي

يـا مــن يتبعنــي في صــمت ويعــد بــدربي خطــواتي

يـا طيفًـا يزحـف كـالأفعى ، يـا لصًـا يسـرق حركـاتي

هل قِست بزحفك ما تملك مـن حـق في الأرض رفـاتي

ألبســت الأســود مــن أجــلي ؟

***

تفتــرش الأرض بــلا حــرج وأمــام الأحيــاء نهــارًا

وتحــوم خلفــي وأمــامي وتــدور يمينًــا ويســارًا

فــإذا أشــرفت عــلى بيتــي أزمعــت هروبًــا وفــرارًا

كــي تخفــي طيفــك عــن لــيلي

***

هــل تقفــو أثــري أم أقفــو ؟ أأنــا أم أنــت المنقــاد

أنــت المشــدود إلى خطــوي وأنــا تجــذبني الأبعــاد

أرأيــت إذن كيــف خُلقنــا ... عبثًــا تمتــزج الأضــداد

لكنــــي أصــــلك يــــا خــــلي

***

عبثًــا نمتــزج وإن كنــا نتشــابه حينًــا كــالتوأم

عبثًــا تقــوى أن تبصــرني ، عبثًــا تقــوى أن تــتكلم

فأنــا أحتضــن بتكــويني دنيــا الأقمــار مــع الأنجــم

ولــــدي القلــــب ولي عقــــلي

***

عبثًــا نمتــزج وإن كنــا جــوالًا يصــحب جوالــة

لا شـــيء ســيبعد طيفينـا غيـر الأقــدار المغتالــة

فالجســـد إذا ضـــم ثـــراه يطــوي في برديــه خيالــه

يتلاشـــى الظــل ... أيــا ظــلي !

▪▪ عذوبة الأشياء المحطمة

لا ، لا تقــل إني خــدعتك إذ طويتــك مــن حيــاتي
أنــا لم أحبــك إنمــا أحببــت أضــداد الصــفات
إني عشــقتك صــاخب الإحســاس ثــر العاطفــات
وغرقــت في دوامــة الأوهــام ... لم أشــعر بــذاتي

***

أحببــت قلبًــا هــادئ الأنفــاس لم يزفــر بأنــه
وهويــت نجمًــا خلتــه سيصــد عــن عينــي الدجنــة
وعبــرت صــحراء الحيــاة لأجــتلي أطيــاف جنــة
وأخــذت أذنًــا مــن همــومي برهــة ... وعقــدت هدنــة

***

أحببــت صــغرًا ســاحر القــبلات ، مســكي الشــفاه
وســبحت في حمــى الرغــاب وفي تفاهــات الحيــاة
ورقصــتُ حــول النــار كــالزنجي حافيــة خطــاه
وفرشــتُ قلبًــا مخمليًــا تحــت أقــدام الإلــه

***

حتـــى إذا صـــادفتُ غيـــركَ خلتنـــي كالمســـتفيق

ورأيـــتُ ريـــح الليـــل تصـــحبه وأشـــواك الطريـــق

ولمحـــتُ في عينيـــه كنـــز الحـــزن قدســـي البريـــق

وعذوبـــة الشـــيء المحطـــم تغمـــر القلـــب الرقيـــق

***

أحسســـتُ أنَّـــا توأمـــان عـــلى المـــدى لا نختلـــف

هـــو تائـــبٌ لم يجـــن ذنبًـــا في الـــدنى ... لم يقتـــرف

هـــو حـــالمٌ رغـــم التـــيقظ ، مرتـــو ... لم يرتشـــف

هـــو خـــالقٌ حتـــى يمـــوت وراكـــضٌ ... حتـــى يقـــف !

***

حتـــى إذا لمســـت يـــدي تحـــت الجـــوانح أنجمـــه

وحضـــرت عـــرس خيالـــه وســـط الليـــالي الملهمـــة

ورأيـــت أن مشـــاعر الأنثـــى لديـــه محرمـــة

آثـــرتُ أحيـــا مثلـــه ... محرومـــة ... ومحطمـــة !

▪▪ ساعات ليلي

ســــــاعات لـــــيلي في الــــــدجى متوهجـــــــة

أنفاســـــــهن تميـــــــت روح المســـــــرجة

وذراعهــــــــن طويلـــــــة وطويلـــــــــة

تمتـــــد مثــــل اللـــــص تحــــت الأنســـجة

أرنــــــو لهــــن وقـــــد ســــــخرن بوحــــدتي

وأنــــا عــــلى عتبـــات نـــــومي مولجـــــة

يلهـــــــون في عبـــــث بكــــــل مشــــــاعري

ويطــــــرن فـــــوق المركبـــــات المســــــرجة

فـــــأحس إحــــداهن تحتضـــــــن الهــــوى

تســــري بهـــا الأحــــلام جـــذلى مبهجــــة

وأحـــــس إحـــــداهن تطفـــــــر بــــــالمنى

وتـــــرف حــــولي بالشـــــذا متأرجـــــة

وأحـــــس إحــــداهن ترفـــــع رأســـــها

زهـــــوًا وترنــــــو في تحــــدٍ محدجــــــة

وأحــــسّ إحــــداهن تحتضـــــن الـــــدجى

وتـــئن وســـط دموعهـــا المتدحرجـــة

وأحـــس إحـــداهن تطـــرق جهمـــة

والـــذكريات تلفهـــا متوشـــحة

فـــأجمع الســـاعات حـــولي مثلمـــا

تتجمـــع الأشـــواك حـــول العوســـجة

وأنـــام والقلـــق الكبيـــر يضـــمني

ومشـــاعري المثلوجـــة المتأججـــة

وكـــأن شـــيئًا كـــالحرير بمهجتـــي

طعنتـــه كـــفٌ بالســـلاح مدججـــة

▪▪ لست صديقته

ومضـــى يتحـــدث في نغـــم حلـــو وبـــراءة أطفـــال

ويشير بـلا أدنـى حـرج في الـدرب وقـد وقـف حيـالي

يتحـــــدث في لا شـــــيء وفي كـــــل الأشـــــياء

وأنــا أتنــاثر ... أقفــز ... أفلــت مــن بــين الأصــداء

أتراجـــــع ... أرتـــــد وأجتـــــر الســـــنوات

وأعـــود أخيـــرًا كـــي أســـمع هـــذي الكلمـــات

***

هـــــلا قربـــــت خطـــــاك إليَّ ... رفعـــــت الأســـــتار

هـــــلا أودعـــــتِ فـــــؤادي كـــــل الأســـــرار ؟

كـــــي أحمـــــل قـــــدرًا مـــــن عـــــبء زمانـــــك

فأنـــــــا مـــــــن أجلـــــــك لا أتعـــــــب

ولكـــــــي أشـــــــعر أني مشـــــــدود لحنانـــــــك

بربـــــــــاط حـــــــــر ... ووثيـــــــــق

لي مطلـــــــــــــــب .... لي مطلـــــــــــــــب

نـــــــاديني ، إن شـــــــئت ... صـــــــديقي

***

فخفضت الرأس على صمت لم تنبس شفتاي بكلمة
لكني في ظل سكوتي وخطاي تدب مع الظلمة
تمتمت وقد ولى عني وتناءى عن دربي دربه
«أنا لست صديقة إنسان في يوم ما كنت أحبه»

▪▪ الحب الخالد

أيهــا الباحــث في مصــر عــن الحــب الوديــع

لا نقــل ضــاع فــإن الحــب فيهــا لا يضــيع

***

كــل شــيء في ربــى مصــر عطــاء وســماح

موجــة تهفــو لشــط وجبــال لريــاح

وغصــون تنســج الخضــرة كــي تكســو الجنــاح

كــل شــيء في بــلادي يتغنــى للصــباح

***

كيــف نطــوي الحــب والحــب لنــا زاد وأدرع

نحــن ذقنــا الحــب في ظــل الفنــاء والمتوقــع

وشــربناه فلــم نســأل أنبقــى أم ســنرجع

وبــذلناه دمــاء تتحــدى هــول مــدفع

***

كــان حبًــا حــين ودعنــا بــلا حــزن ذوينــا

حــين مرغنــا الوجــوه السـمر في أحضــان ســينا

حــين ســال الــدمع فــوق الرمــل وجــدًا وحنينًــا

كــان إيمانًــا ... وحبًــا ... وســموًا ... ويقينًــا ..

***

أيهـــا الباحـــث في مصـــر عـــن الحـــب الوديـــع

لا تقـــل ضـــاع فـــإن الحـــب فيهـــا لا يضـــيع

▪▪ غرور طفلة

دربـــي الشـــعرى ! مـــا زلـــت مليئًـــا بالخفايـــا ...

لم تـــــزل فيـــــك أغـــــان لم يرددهـــــا صـــــدايا

لم تـــــزل فيـــــك كهـــــوف ومســـــافات طـــــوال

وانحنـــــاءات وعمـــــق ومهـــــاوٍ وظـــــلال

آه لـــــو أعطيتنـــــي مفتـــــاح هاتيـــــك الخبايـــــا !

***

أيهـــا الـــدرب الـــذي يبـــدو وإن طـــال بدايـــة

إن درب العمـــر كـــاد اليـــوم أن يطـــوي النهايـــة

يـــا لأقـــدام عـــلى الـــدربين تمشـــي في صـــراع !

بـــين أنـــس ونفـــور ووجـــود وضـــياع

أتـــراني ســـوف أمضـــي دون أن أدرك غايـــة ؟

***

كـــان في ظنـــي أني ســـوف أســـتاف شـــذاك

غيـــر أني كلمـــا أقبلـــتُ صـــدتني يـــداك

لم أزل أجهـــل نفســـي ، لم أزل أجهـــل روحـــي

لم أرو الفكـــرة الجـــدباء مـــن نبـــع جروحـــي

آه يـــا ضـــيعة عمـــري دون أن أطـــوي مـــداك

***

آه لـــو أزرع يومًـــا وســـط بســـتانك ســـروه

آه لـــو أنشـــق يومًـــا فـــوق جـــدرانك كـــوة

آه لـــو أوحـــى بشـــعر فيـــه أفنـــى ... أتحلـــل

لـــو بســـردابك يومًـــا أتمشـــى ... أتوغـــل

لـــو بمحرابـــك أحظـــى أيهـــا الـــدرب بخلـــوة

***

كنـــت أبغـــي فيـــك أن أرتـــاد دنيـــا العبقريـــة

أرشـــق الشـــعر نجومًـــا ، لا حروفًـــا أبجديـــة

وبأفكـــاري الغـــوالي وابتكـــاراتي الخفيـــة

أمـــنح الألـــوان جســـمًا والصـــدى روحًـــا نديـــة

يـــا ضـــياع العمـــر منـــي ... لـــن أصـــر بعـــد نبيـــة

▪▪ غرام الشيوخ

وما‌لــــت عــــليَّ شـــريكة عمــــري

ونحـــــن جلـــوس ببســـــتان داري

وقالـــت : «أحســـك هـــذا المســـاء

كثيـــر الوجـــوم ، قليـــل الحـــوار»

أجــل ... كنــت أحمــل خيبــة حبــي

وكـــــان برأســــــي شـــــبه دوار

***

ورحــــــت أفكــــــر مستعرضًــــــا

غرامـــي ... وقصـــة عـــامي الأخيـــر

وكيــــف أحبــــت «منــــي» جـــارتي

خريفـــي ... وكانـــت بعمـــر الزهـــور

وراحـــــــت تفـــــتح شـــــــباكها

وتـــــومئ باســــــمة ... وتشـــــير

***

وحـــين تمــــادت عــــراني الغـــرور

وقلــــت سأصــــــدمها بالحقيقــــة

وجـاءت «منـي» تحـت جـنح الظـلام

وقــد وثبــت فــوق ســور الحديقــة

وصــــاحت ســــأبقى هنــــا ســــاعة

فــــأهلي نيــــــامٌ وإني طليقــــــة

***

فقلـــت لهـــا : يـــا فتـــاتي اعقـــلي

فإنـــــك في نـــــاظري بـــــرعمُ

ومهمـــا عملـــت عـــلى فتنتـــي

فـــــإني الخبيـــــر ولا أهـــــزم

وإني أبـــــوك فـــــإن تعشـــــقي

إليـــك الشـــباب وهـــم أنجـــم !

***

أجابـــت : أراك قليـــل الحيـــاء

أتحســـبني طفلـــة واهمـــة

تحـــدثني في احتقـــار عجيـــب

وتقـــذف بـــالتهم الظالمـــة

ألم تـــدر أن صـــراعي عنيـــف

وإني بحبـــك ... كالهائمـــة ؟

***

أجبـــتُ : أشـــك فصـــاحت «منـــى»

وفي صـــوتها نبـــرات البكـــاء

أتبغـــي دلـــيلًا ؟ إليـــك أنـــا !

وهبتُـــك نفســـي فخـــذ مـــا تشـــاء

ولســـتُ بطامعـــة في هـــواك

ولـــو بـــالتمني ... ولـــو بالرجـــاء

***

وحـــين احتوتهــا ذراعـــي بعنـــف

نســـيت عـــلى ثغرهـــا مـــوقعي

وعشـــرين عامًـــا مضـــت في هنـــاء

وزوجـــي الوديعـــة تحيـــا معـــي

كـــأن «منـــى» هـــي كـــل النســـاء

فقـــد بعثتنـــي مـــن مصـــرعي

***

وقلـــت : ارحـــلي مثلمـــا تـــزمعين

فلـــن أقبـــل اليـــوم منـــك الوصـــال

أمامـــك شـــهران قضـــيهما

عـــلى البحـــر بـــين الهـــوى والجمـــال

ستنســـينني بـــين جمـــع الشـــباب

فصـــاحت : محـــال ، محـــال ، محـــال !

***

ومـــرت ليـــال وطـــال الفـــراق

ورحـــتُ أســـائل نفســـي الغبيـــة

لمـــاذا النصـــائح وقـــت الرحيـــل

وكيـــف رفضـــتُ امـــتلاك الهديـــة

فهأنـــذا في حريـــق الحنـــين

وقلبـــي يطيـــر وراء الصـــبية !

***

وعـــــادت ... ولكنهـــــا لم تـــــبن
ولم تُبـــــد أي صـــــدى مرتقـــــب
ونـــــادى أبوهـــــا وقـــــد زرتُـــــه
«تعـالي ... مُنـى ... سـلمى» وانسحب
وهلـــت «مُنـــى» مثـــل بـــدر البـــدور
فصـحتُ : نضـجتِ ... ويـا للعجـب

***

وحـــين انصـــرافي دنـــت برهـــة
وقالـــت : أأشـــكر أم أحمُـــد؟
ومـــدت يـــدًا لفتـــى يـــافع
وقالـــت : خطيبـــي الـــذي أعبـــد
ونـادت : هـو الجـار مـا مـن غريـب
وعمـــي وعمـــك يـــا أحمـــد

***

ومالـــت عـــليَّ شـــريكة عمـــري
ونحـــن جلـــوسٌ ببســـتان داري
وقالـــت : أحســـك هـــذا المســـاء
كثيـــر الوجـــوم ، قليـــل الحـــوار
أجـــل : كنـــت أحمـــل خيبـــة حبـــي
وكـــان برأســـي شـــبه دوار

***

أجبـــتُ : لعـــليّ كبـــرتُ فـــإني

أحـــس البـــرودة في كـــل آن

فمـــدت عـــلى بســـمة ناظريهـــا

لبيـــت يجاورنـــا في المكـــان

وصـــبت لي الشـــاي هامســـة

«أجل ... قـد كبـرت ... وفـات الأوان

■■ عوراء

قطـــة عـــوراء تغـــزو شـــرفتي

لونهـــا الـــداجي بلـــون الظلمـــات

كـــل صـــبح تعـــتلي الســـور وترنـــو

لي بعـــين مـــن خـــلال الحجـــرات

فـــإذا ناديتهـــا «يـــا عـــورة»

لبـــت الصـــوت ونطـــت في ثبـــات

وإذا أدنيـــت منهـــا خطـــوتي

زعقـــت بالصـــوت مثـــل النادبـــات

تطلـــب الأكـــل بعنـــف مثلمـــا

يـــأمر الســـيد إحـــدى الخادمـــات

ولهـــا الأعـــذار إن جاعـــت وإن

بلعـــت كـــالبئر مـــن كـــل فتـــات

فهـــي طـــول العـــام حـــبلى ويحهـــا !

ســـبقت في الحمـــل كـــل الأمهـــات

لا تمـــل الحـــبَّ أو تزهـــده

فهـــو للعـــوراء معنـــى للحيـــاة

وغريـــب إن تـــرى عاشـــقها

مخلصًـــا في الحـــب ثـــرَّ العاطفـــات

أصـــفر الشـــعر و«روميـــا» لـــه

مقلـــة خضـــراء في لـــون النبـــات

حـــين يـــأتي لا يـــرى مـــن وجههـــا

غيـــر حســـن بـــاهر حلـــو الســـمات

فيناغيهـــــا بشـــــوق جـــــارف

وهـــــي تجفـــــو في دلال الغانيـــــات

هكـــذا الـــدنيا حظـــوظ شـــملت

كـــل مـــا تحـــوي الـــدنى مـــن كائنـــات

▪▪ أنا وعقلي

هـــي فتـــرة في العمـــر تـــأتي كلمـــا
ضـــاق الفـــؤاد بعبئـــه الجبـــار
فيهـــا أرى عقـــلي تبلـــد خـــاملًا
متجمـــد التفكيـــر ... كالأحجـــار
فأظـــــل في رفــــق أعـــــالج داءه
كـــيلا ينـــام كخـــائر منهـــار
وأظـــل أشـــغله فيـــدرك حيلتـــي
ويشـــيح عنـــي الوجـــه في اســـتهتار
فـــإذا لزمـــت البيـــت أصـــغي باحثًـــا
في ردهـــة الجيـــران عـــن أســـرار
ثـــم اســـتقر لـــدى النوافـــذ كاشـــفًا
عمـــا يضـــم الـــدرب مـــن أخبـــار
ثـــم اســـتوى عنـــد المواقـــد طامعًـــا
في قضـــم حلـــوى أو مـــذاق خضـــار
فـــإذا خرجـــت لكـــي أســـير فربمـــا
تجـــري الـــدماء بـــه كشـــعلة نـــار
ودلفـــتُ نحـــو حديقـــة فلعلـــه

تحـت الغصـون الخضـر والأشـجار
يحسـو الجمـال وينتشـي مـن خمـره
ويبـث فيَّ روائـع الأشـعار
ألقـى بمـا خـط الجمـال بمهجتـي
في هـوة النسـيان دون قـرار
حتـى إذا جـاء المسـاء بصـمته
ونفضـت عنـي اليـأس في إصـرار
ووضـعت رأسـي فـوق ظهـر وسـادتي
لأريـح جسـمي مـن عنـاء نهـار
مـرت مـرور قوافـل في بيـدها
ومضـت مضـيَّ سـفائن ببحـار
قطـطُ الشـوارع كلهـا في خـاطري
وكـلابُ أهـل الحـي في أفكـاري ..
هـي فتـرةٌ في العمـر تـأتي كلمـا
ضـاق الفـؤاد بعبئـه الجبـار

▪▪ الصيف في الظهيرة

هـــا أنـــا أنســـاب في حضـــن الطبيعـــة

بـــين دنيـــا ترتـــدي أغـــلى الحلـــل

غيـــر أني لســـت غضـــبى أو وديعـــة

لـــيس بـــي يـــأسٌ ولا ثـــم أمـــل

***

إنـــه الصـــيف الموشـــي بـــالخمول

ســـاعة الظهـــر ونـــوم البشـــرية

إنـــه الوقـــت الـــذي يبـــدو ملـــول

وطـــويلًا طـــول عمـــق الأبديـــة

***

كـــل شـــيء هاهنـــا حـــيٌّ ... وميـــت

كـــل شـــيء في وجـــود وضـــياع

كـــل شـــيء فوقـــه يمتـــدّ صـــمت

وعليـــه الشـــمس قـــد أرخـــت ذراع

***

الكـــروم الحمـــر تبـــدو مـــثقلات

في مخـــــاض مســـــتمر ... وألم

والينـــــابيع تأنـــــت في ثبـــــات

في انتظـــار الســـير مـــن كـــف النســـم

***

والمــروج الخضــر تحســو في تبلــد

كـــأس شـــمس تتلظـــى محرقـــة

إنهـــا في كـــل حـــين تتنهـــد

تحـــت أعبـــاء الأمـــاني المرهقـــة

***

وعــلى الأغصــان كــم طيــر تملمــل

وأحتمـــي بـــالعش مخنوقًـــا أســـير

كلمـــا زقـــزق في جهـــد تســـلل

عبــر ســمعي صــوت أنــات القبــور

***

إنـــه الصـــيف إذا انشـــق النهـــار

كـــل صـــاح فيـــه غـــافٍ وبليـــد

كـــل حـــي في جمـــود وانهيـــار

غيــر أني منــه أســتوحي القصــيد ... !

▪▪ الجرح العنيد

منـــــذ أجيـــــال وبـــــي جـــــرح كبيـــــر
عبثًـــــا أنســـــى عـــــلى الـــــدهر زمانـــــه
هـــــو منـــــي غـــــائر دام مثيـــــر
غيـــــر أني لســـــت أســـــتجلي مكانـــــه

***

ذات ليــل خلــت أن الجــرح للعــين تعــري
فتـــولاني ســـرور وارتيـــاح غيـــر أني
حينما حـدقت في الجـرح طـويلًا عـدت حيـرى
كـان كـالبئر ... عميقًـا ، مالئًـا عينـي ... وكـوني

***

وسـمعت النـاس يـروون حكايـات عجيبـة
عـــن كرامـــات «ولي» راح يشـــفي كـــل داء
فتوســـلت إليـــه في ابتهـــالات مهيبـــة
ورجعـت البيـت جـذلى ومعـي وصـف شـفائي

***

ووضعت الصحن ليلًا في النـدى فـوق السـطوح
ثـم أطلقـت بخـوري حـول أوراق حجـابي
وصببتُ الطـل مـن صـحني عـلى نبـع جروحـي

فمضـــى ينـــزو عنيـــدًا وتمـــادى في عـــذابي

***

ورأيــت النـــاس يشـــفون جراحـــات الحيـــاة

بمـــزيج مـــن عصـــارات نبـــات وثمـــر

فتســـللت إلى الغـــاب بأقـــدام حفـــاة

وعـــراء الليـــل يكســـوني وأثـــواب المطـــر

***

وبإجهـاد عصـرتُ الشـحم مـن صـلعة سـروه

وفركـتُ العصـب الأصـفر مـن أوراق زئبـق

وملأت الكـف مـن عشـب نمـا في حضـن هـوّه

ووضـعت المـرهم الرخـو عليـه ... فتـدفق

***

جئتـــه بـــالقمر الـــراقص في النيـــل العظـــيم

جئتــه بالشــمس خلــف الأفــق لم أبخــل عليــه

وسرقت المـاس كـي أرضـيه مـن عـين النجـوم

غيـــر أن الجـــرح قـــاء النـــور ... دلى شـــفتيه !

***

فتحانيـــت عـــلى جرحـــي بغـــيظ وجنـــون

ونزعـــت الجلـــد منـــه ثـــم قطعـــت لســـانه

ثـــم ثبـــت عـــلى جنبيـــه أوتـــاد عيـــوني

غيــر أني حــين وافى الصــبح لم أعــرف مكانــه !

.. أخيرًا

مضـى عـام وجـاء الصـيف في أعقابـه يجـري
وهـا أنـا جئـت في الميعـاد أنشـد خلـوة البحـر
تـرى يـا بحـر عـل بقيـت عـلى جفنـي أضـواء
وهـل بينـي وبـين هـديرك المنغـوم أصـداء
أم أني صرت لا أجلـو سـوى الظلمـات في ذاتي
ولا أصـغى لأصـداء سـوى أصـداء أنـاتي
أجل ما زلـت أسـتوحي مـن الأمـواج والرمـل
جمـال الكـون والـدنيا وسـر النـور والأمـل
أسـير طليقـة نشـوى بضـوء الفجـر والنسـم
وأمرح في الضحى وحدي مع الأمـواج والـنغم
ويـأتي الليـل منتشـرًا عـلى الآفـاق والبشـر
فأقضي الوقت في كوخ مـن الأخشـاب والمـدر
وما برحت عـلى كتـل الرمـال الصـفر أحلامـي
أجمعهـا وأبنيهـا وأهـدمها بأقـدامي
ولي في الفجـر إنشـاد يفـوق البلبـل الشـادي
فتجـري الـريح ناقلـة أهـازيجي إلى الـوادي
أجـل مـا زلـت كـالأمس أهـيم كطفلـة نشـوى
ولكن هذه النظرات ؟ تلـك الدمعـة الحيـرى؟
أجل ما زلت كالأمس ... ولكن في دجى صمتي
أحس الطوق في عنقي ... تراها قبضة المـوت؟

***

▪▪ شاطئ الحنان

حــــين تصــــحو عــــلى الحقيقــــة الواقــــع

مــــن حلمــــك الــــوثير ... المتــــرف

وتــــرى كونــــك المديــــد ولكــــن

لــــيس بــــالعين بــــل بــــروح مرهــــف

فــــإذا الكــــون مســــرح مــــن ريــــاء

وغــــرور ... وخدعــــة وتكلــــف

وإذا العــــيش والأمــــاني والحــــب

خيــــالات شــــاعر ... ومؤلــــف

وإذا الأهــــل والعشــــيرة والصــــحب

ســــراب مضــــللٌ ... ومزيــــف

وإذا الوحــــدة الكئيبــــة تنســــاب

إلى حضــــنك الكئيــــب وتــــدلف

وإذا الليــــل مــــارد يبعــــث المــــوت

بجنبيــــك ... موحشًــــا ... ومخــــوِّف

***

نـــادني ! نـــادني فمـــن آخـــر الـــدنيا
ألبـــي النـــداء ... لـــن أتخلـــف
مـــن وراء البحـــار ، مـــن خلـــف هـــذا الأفـــق
مـــن عمـــق ... عمـــق ليـــل مغلـــف
لـــن أضـــل الوصـــول فـــالطير يرتـــد
إلى العـــش آمنًـــا ومرفـــرف
فـــإذا مـــا تعـــذر الركـــب حينًـــا
فسأمشـــي بخطـــوي المتلهـــف
وإذا كلّـــت الخطـــى وتهـــاوت
فســأحبو عـــلى يـــدي ... وأزحـــف !

***

ســـتراني جـــوار قلبـــك أحنـــو
وأواســـي عذابـــه ... وأخفـــف
وســـتمتد راحتـــاك إلى قلبـــي
لتجتـــث مـــا زرعـــت وتقصـــف
فـــإذا القلـــب مخمـــلي الأمـــاني
نـــاعم اللمـــس ، كـــالحرير مهفهـــف
فســـألقي عـــلى الطريـــق بـــذلي
وعتـــابي ... وهجـــرك المتعســـف

وأوافيـــــك شـــــاطئًا مـــــن حنـــــان

وهـــــزارًا بلحـــــن حبـــــك يعـــــزف

نقطـــــع الوقـــــت في الصـــــلاة لحبينـــــا

وفي معبـــــد الهـــــوى نتصـــــوف

لـــــن نطيـــــل الكـــــلام فالحـــــب لـــــن يتـــــرك

إلا أرواحنـــــا ... تتكشـــــف

والوجـــــود الـــــذي بـــــداخلنا

يشـــــهد مـــــن نحـــــن ، مـــــن نكـــــون ... ويعـــــرف

والإشـــــارات قـــــد تحـــــرك أمســـــينا

وقـــــد ... تلمـــــس الجـــــراح فتنـــــزف ..

▪▪ النخلة الشهيدة

هــــل تــــذكر الضـــاحية النائيــــة

والبيـــــت والحديقـــــة الناميــــة

ووقفتـــــي هنـــــاك في المنحنــــى

عـــلى انتظـــار اللهفـــة الحانيـــة

أودع القطـــــــار إذ ينثنـــــــي

ليعبـــــر المحطـــــة التاليـــــة

أظـــــل أهـــــذي حزينـــــة

بمقلـــــــــــة حـــــــــائرة ....

«مـــن يـــا تـــرى قـــد أخـــره؟»

حتـــى إذا بـــدوت خلـــف البـــاب

تظـــل مـــن فرجتـــه المعشـــاب

مقهقهًـــــــــا ســـــــــاخرًا ...

أردت أن أثـــــــــــــــــأرا ...

فـــأنثني لا أبـــالي في خطـــوات ثقـــال

وبســــــــمة فـــــــــاترة

أمـــد كفًـــا ضـــنينة وأفـــتح المـــزلاج !

***

هــــل تـــذكر الشــــمس إذا مــــا ارتقـــت

ونحـــــــن في بســـــــتاننا الأوحـــــــد

نمضـــــي ... ونمضـــــي في رواء الصـــــبا

وســــاعد يحنــــو عــــلى ســــاعد

وتحـــت خطوينــــا أنـــين الصـــدى

عـــلى ســـفير الشـــجر المجهـــد

وتطفـــر الفرحـــة مـــن حولنـــا

ونبلـــغ القمـــة مـــن حبنـــا

فأحســـد الأرض التـــي تحملـــك

وذلـــك النـــور الـــذي يغمـــرك

وإذ بنــــا .... نبكـــــي منــــي

وصـــمتنا حـــين تضـــيق المعـــاني

كأننـــا شـــطان ... جاشـــا ميـــاه

ومـــا بنـــا يمـــلأ ســـمع الحيـــاة

***

ونلمـــــــح العــــــــريس في ركنـــــــه

مظلـــــــــلًا بـــــــــالكرم والريحـــــــان

فنختفـــــــــي روحـــــــين في روحـــــــه

نهتـــــك عـــــن كـــــوامن الوجـــــدان

إذ نجتـــــــوي الراحـــــــة لا نـــــــأتلي

نســـــقى يبـــــيس النبــــت والأغصـــــان

بـــــــين عـــــــروق الشـــــــجر ...

فنبعـــــــــــــث النبضـــــــــــا ...

والمـــــــاء إذ يخـــــــدد الأرضـــــــا

وانضـــــم لينـــــا وســـــرى غضـــــا

ثـــــــم اختفـــــــى .... وانـــــــدثر

كهبـــــة الـــــريح بوجـــــه الصـــــخر

***

هـــــل تـــذكر الليـــــل إذا مــــا دجـــا

ونحــــــن في الشـــــرفة بـــــين الشـــــرود

إذ يعقـــــد الطـــــرفين ســـــحر الـــــرؤى

بطـــــرف نجـــــم في ســـــمانا ... بعيـــــد

وشـــــــعري المغـــــــدودن المنتشـــــــي

في راحتيـــــــك مســـــــتبدٌ عنيـــــــد

أهتـــف وي ! مـــا بـــال هـــذي النخيلـــة

بـــــــين العشـــــــايا الجميلـــــــة

ترمقنـــــا بعينهـــــا الرعنـــــاء ... أهكـــــذا

تظل في الأجـواء ... معروقـة السـعوف والقامـة

مســــــقامة ... مصـــــــلوبة كالشـــــــهيد

■■ اللحظة الأخيرة

الليـــل يغـــري كـــل عـــين بالســـهر

ويلـــف ثـــوبُ حـــداده وجـــه القمـــر

والنـــائم الســـاجي كفاكهـــة هـــوت

مـــن نضـــجها وتوســـدت قـــدم الشـــجر

والقلـــب منـــه كطـــائر في ســـجنه

يـــتلمس القضـــبان عـــلّ بهـــا المفـــر

ومـــن الخـــدود الصـــفر يجـــري هاربًـــا

دمـــه كمجـــرى الســـيل نحـــو المنحـــدر

والفاعـــــــل الأزلي والمفعـــــــول في

شـــــدًّ جـــــليٍّ وارتخـــــاء مســـــتتر

***

هـــي لحظـــة يطـــوي الخيـــال جناحـــه

فيهـــا وتـــزدحم الحقـــائق والعبـــر

المـــوت فيهـــا للـــذي قـــد عاشـــها

لا للمفـــــارق كونـــــه والمحتضـــــر

والبـــدء فيهـــا يلتقـــي بـــالمنتهى

والصـــمت بالصـــخب الكثيـــف المنتشـــر

هـــي لحظـــةٌ كالبيـــد في ظلماتهـــا

مجهولـــة الخطـــوات ضـــائعة الأثـــر

الكـــل آتيهـــا وإن طـــال المـــدى

والكـــــل عابرهـــــا وإن غفـــــل القـــــدر

***

وأنـــــا جـــــوار فراشـــــه منهـــــارة

أصـــــغي برعـــــب للقطـــــار المنتظـــــر

أهفـــــو ... ولكـــــن المصـــــاب يشـــــلني

وأود لـــــو ســـــقطت دمـــــوعي كـــــالمطر

فـــــالبئر ناضـــــبة ومـــــا مـــــن قطـــــرة

في قاعهـــــا تـــــروي المهيـــــأ للســـــفر

لا شـــــيء غيـــــر الـــــنفس تســـــأل ربهـــــا

وتـــــدور في فلـــــك الســـــؤال المختصـــــر

«قـــــد شـــــئت فلـــــتكن المشـــــيئة إنمـــــا

مـــــا ذنبنـــــا ؟ مـــــا ذنبنـــــا .... نحـــــن البشـــــر؟»

■■ القلب اللقيط

عنــــــدما يســـــكن العيـــــون عـــــراء
القلـــب والكـــون والفضــــاء المديــــد
حيـــث لا شـــيء غيـــر «شـــارة قابيـــل»
تـــــراءت عــــلى جبــــين الوجــــود
قطـــرة مــــن دمـــاء خـــافق شـــمس
تتنـــــزى في مغـــــرب مشـــــهود
وغيـــــوم وراءهـــــا ســــاخرات
يتهامســـــن «ودعــــي ، لا تعــــودي»
عنــــدما يهـــدأ الصــــراع وتنهـــد
قــــوي الجســـم والكيــــان الزهيـــد
وتضــــيق الآفــــاق في العـــين حتـــى
تتــــراءى عـــلى مـــدى محـــدود
وتمــــر الأيــــام طافحـــة بالملـــل
المــــر ، بالأســــى والجمـــود
في ظـــلال الخمـــول ، فـــوق مهـــاد
اليــــأس ، في شـــبه ميتــــةٍ وهمـــود
مــــا تـــــراه بوســـــعه يــــا إلهــــي ؟
مــــا الـــــذي في مقـــــدور قلـــبٍ وحيـــد؟
أو تلقيـــــه هكــــــذا كلقـــــيط
عاريًـــــا مـــــن حنانــــك المنشـــود

بعيـــــــون محـــــــدقاتٍ حيـــــارى

في الظـــــلام المغلــــف الممــــــدود

جائعًـــــا .... يرضـــــع الشـــــقاء مـــــن

الأرض ويمـــــتص ثـــــدي أم حقـــــود

صـــارخًا والقلـــوب مـــن حولـــه كالصـــخر

تـــــــروي أديمهـــــــا بـــــــالجحود

أتـــــرى القطـــــرة الضـــــنينة تمتـــــد

فتطفـــــي ســـــعير هـــــذي البيـــــد

أو تجتـــــث غابـــــة الهـــــم فـــــأس

صـــــدئت في أكـــــف طفـــــل وليـــــد؟

أيهـــــذا الإلـــــه أنـــــت مـــــلاذي

كـــــن عطوفًـــــا عـــــلى قلـــــوب العبيـــــد





(٧)

لمن أغني ؟

(١٩٩٧)

إهداء
يا مصر

لقــد كــان حبــك كلمــا نغمتُــه — لحــن الصــباح المشــرق المتبســم

قــد كــان إحساسًــا نــديًّا ناعمًــا — ونشــيد أطفــال ودروس معلــم

حتــى إذا شــاهدتُ وقفتــك التــي — عانيتهـــا بعزيمـــة لم تُهـــزم

أجــت ويــا للهــول نــارك في دمــي — لتضــيء لي ليــل الــدجى المــتجهم

أرقتنــي يــا مصــر بالحــب الــذي — حملتينـــه بجـــانبي وفي دمـــي

لكننــي لم أنســى حبــك لحظــة — أنــت الهــوى واللحــن للمتــرنم

أنشـــد فيـــك ســـحر قصـــائدي — فهــواك لي ســر النــداء الملهــم

ســأعيش واهبــةً إليــك مشــاعري — وأموت واسمك كالصلاة على فمي

جليلة رضا

القاهرة في وشاح الليل

منذ وقت مضى بعيدًا بعيدًا غابت الشمس في الدروب الدجية

هبطت سلم الفضاء عروسًا تتهادى في حلة ذهبية

وتوارت فخلفت في سمائي حزن أم على فراق صبية

منذ وقت مضى وما زلت وحدي والخيالات في عيوني حية

أرقب الأرض والفضاء وليلًا من ربيع المدينة القاهرية

أي سحر وأي دورق عطر سكبته يد الملاك القاهرية

إيه يا أنت يا مدينة شعبي ومهاد الحضارة الأزلية

كل شيء عليك يبعث سحرًا وغموضًا ونشوة وحمية

ها هي القلعة الرهيبة تبدو من خلال المآذن الروحية

ضمت خلفها الجبال سجودًا لتواريخ أمة عربية

ها هو النيل قد تمطى كسولًا مستظلًا بالأنجم الفضية

إن نجمًا وراء نجم تهادى كالضحايا في ساحة حربية

والعمارات تستطيل وتكبو كعفاريت قصة وهمية

والفوانيس تستوي واقفات كتماثيل ربة وثنية

والدروب التي تضج حياة قد تراءت في وحشة قفرية

وبقايا الأشباح تمضي سراعًا قبل طيف الرجاء والأمنية

والملاهي التي تفيض ضلًا أفرغت جوفها ونامت تقية

والبساتين من بعيد تراخت واستراحت من الرؤى الآدمية

كل شيء على المدينة يغفو بين أحضان غيبة حسية

بـح صـوت العملاقـة الآن ... كلـت قـدماها ، نامـت الجنيـة
كـل شـيء ينـام غيـر غـلام يـذرع الـدرب في خطـى ملكيـة
حـاملًا سـهمه الرشـيق ، جمـيلًا وعـلى الثغـر وردة قرمزيـة
بعيـون هـدب وشـعر جثيـل ، ضـاحكًا للظـلام في سـخرية
أيهـذا المليـك حسـبك فخـرًا أن حكمـت الوجـود والبشـرية
كـل قلـب حللـت فيـه إلـه كلـه روح لمسـتها سـرمدية
الشـياطين في حمـاك اسـتحالوا منبـع الهـدى والـدروب السـوية
والغـزاة الوحـوش صـاروا عبيـدًا قـد غـزتهم سـهامك الوحشـية
وقلـوب الصـخور والشـوك لانـت وتجلـت قطيفـة مخمليـة
ولـك الله ! كـم تخطيـت يـا حـب حـدودك الأمـاكن الزمنيـة
فهـذا الكهـل في يـديك غلامًـا وغـدت جـدة الصـبي صـبية
وغـدا الـثلج والصـقيع عـلى القطـب الشـمالي نـار أفريقيـة
لهـف نفسـي لكـم أسـائل نفسـي أرقـب البيـوت حييـة
مـا الـذي خلـف هـذه الجـدر الصـم ؟ وراء النوافـذ الخشـبية
كلهـا كلهـا تخبـئ أحلامًـا ونجـوى وصـورة فنيـة
كـم حيـاة بهـا كمـوت ومـوت كحيـاة وكـم رؤى عكسـية
كـم عـزاء مقـدس وبكـاء ثمـل ، كـم مـن ضـحكة دمويـة
إنهـا قصـة الحيـاة تجلـت في ظـلال السـكون والحريـة
فـامض يـا حـب نحـو كـل بنـاء وابعـث النـور تحـت كـل حنِّيـة
أنـت أنـت الربيـع في كـل قلـب ومثـار الإلهـام والشـاعرية
هـا أنـا أسـكب التأمـل لحنًـا تحـت أقـدام ظلمـة قدسـية
إن روحي تنساب بـين شـفاهي وهـي سـكرى بالوحـدة الأبديـة !

▪▪ أنا والليل

أيها الليل ...

الذي رافق في الكون...

حياتي

أنت قد علمتني ...

الإيغال ...

في أعماق ذاتي ...

فلكم ...

وسدّتُ رأسي ...

صدرك الثر الحنان

واحتكمنا

في تجافينا ...

إلى طيف الزمان

ثم

سرنا ...

في وفاق ...

فوق درب الذكريات

***

لم تكون يا ليل ...

روحًا ...

كنت أرواحًا ... عديدة

كنت ...

تحوي الدفء

في صدرك ...

حينًا والبرودة ...

ربما ...

بالأمس

أقبلت حزينًا ...

وغضوبًا ...

ربما غادرت طيفي

مسرع الخطو ...

طروبًا ...

أو تناءيتَ ... بطيئًا ...

كالسلحفة العتيدة ...

***

غير أني

كنتُ في حضنك

أقسو وأثور...

أمر السعات

أن ترتد ...

حينًا ...

أو تسير

كان بي

بعض الخلايا

اللاهثات المستفيقة

ترفض الواقع ...

تأبى ...

أن ترى فيك الحقيقة

كان بي

غابةُ أرزٍ

كان بي

شلال نور

***

ولم نعد ...

يا ليل نحتج

كما كنا زمانًا

قد أَلِفناكَ

ظلامًا ...

وارتضيناك ...

هوانا ...

نحن قد متنا ...

مرارًا ...

حينما عشنا ...

طويلًا ...

وعرفنا ...

كيف لا نطلب ...

أمرًا ... مستحيلًا

كلما ازددنا سنينا

قلَّ

مقدار منانا

***

إنني

أغفر يا ليل

دجاك المنتظر

أغفر

الوحشة والخوف

وصمتي

والسهر

طالما تمنح قلبي

عالمًا

حرًا شفيفًا

طالما ...

ترسل بالأفكار

للعقل

ضيوفًا

طالما ...

لي فيك

خلٌّ

مخلص

يدعي القمر

***

هاتها ...

كفك ...

تمحو

هذه الحمى السقيمة

لم تزل يا ليل

محرابي

وأسراري القديمة

أنت مني

أيها الأرمل

في ثوب الحداد

فاطرد الأشباح

عني

وتوغل ...

في الفؤاد

وتذكرْ

أننا يا ليل

أبناء عمومة

***

▪▪ الإنسان والزمن

أنـــــــا

كلمـــا شـــاهدتُ أمســـي

مـــن خـــلال الـــذكريات ..

ورأيـــــتُ نفســــــي ...

طفلــــــــــــة

تلهــــــــــــــو

عـــــلى طرفـــــات ذاتي

أنـــــــا

كلمـــــا شــــــاهدتُني

أنكـــرتُ مـــن أخـــذتْ

صـــــــــــفاتي

وكأنهـــــا بنــــــتُ

ســــــواء غريبـــــةٌ

عاشـــــت حيــــاتي

هي ذي ترفٌ

تلـــــــــــــــف ...

تقفـــــــــــــــــز

فـــوق أكتـــاف الحيـــاة

وتهـــــيم

تصــــــرخ في الطريــــــق

بغيـــــــر أنــــــين

وغيـــــــــــــر آه ...

وتطيـــر مـــن نجـــم ....

إلى نجـــــــــــــــم ...

لتســــــبح في ســــــناه

هـــي ذي تغنـــي للقلـــوب ...

وللعيــــــــــــون ...

وللشــــــــــــفاه ...

***

إني أراهـــــــــــــا الآن

تجتــــاز النهايــــات

الطليقــــــــــــــــة

وتكـــاد كالـــدلو الثقيـــل

تغـــوص في البئـــر العميقـــة

نامـــت كـــأوراق الشـــتاء

عـــلى المماشـــي في الحديقـــة

وتوحـــدتْ عبـــر الحيـــاة

فـــــلا رفيـــــق

ولا رفيقـــــــــــة

***

مــــا أتفــــه الفنــــان

يقــــــــــــتحم

الحـــــدود الشـــائكة

ويصــــارع الأوهـــام

في جــوف الليــالي الحالكــة

ويشــــــــــيخ ...

والأرض الصـــــــــبية

لم تـــــزل متحركـــــة ...

والـــزرع .... تحـــت ثـــراه

ينمـــو مـــن خـــلال المعركـــة

***

هــي ذي عــلى روض الربيــع ...

تضـــم أفنـــان الشـــجر

تعـــــــــــب ...

تمـــلأ كأســـها عطـــرًا

وتســـــكبه مطـــــر ...

ونـــداء نيســـان المراهـــق

يستشـــــف المســـــتتر

هــــــــــــي ذي ..

تـــــــزين وجههـــــــا

في ظـــل بللـــــور القمــــر

***

هــــــــــــي ذي ...

عـــلى جســـر الخريـــف

وبـــين أحـــلام البحيـــرة

الجســـر منفـــرج الضـــلوع

يهزهـــا قلـــق وحيـــرة

والمـــــــــــــاء

يـــــومض ســـــاخرًا ...

ويمــــــــــــــد ...

نحـــو الشـــط ســـيره

والليـــــــــــــل

راهبهـــــا البتـــــول ...

يُبـــــيح للعـــــذراء

ديـــــــــــــره

أواه ..

مــا أقســى احتمــاء الليــل

خلــف شــعاع نــور ...

مــا أبشــع الديــدان تولــد

بـــين أحشـــاء الغـــدير

مــا أبغــض الــريح الجســور

إذا أطاحـــت بـــالزهور ...

مـــا أمكـــر الأعـــوام ...

حــــين تمـــــر ...

مـــن خلـــف الظهـــور

***

▪▪ أغنى الأغنياء

قال لي يومًا ...

وقد أرهفتُ سمعي

في انتباه ...

من سوف أحكي لك حالي ...

سوف أدلي بالحقيقة

إنني ... أسكن كوخًا

عند أطراف الحديقة

غير أني ...

لست محرومًا

ففي الكوخ مياه ...

وزهور ...

تنحني أدنو ... منها الجباه

ولي المقمر خِلٌّ

ولي الشمس صديقة

وبما أني سميرٌ ...

ونديمُ للطيورْ

فإذا أخطأتُ يومًا ...

أسرعوا كي ينصحوني

وإذا ...

ما صادفتهم مشكلات

شاوروني ...

ثم عالجنا الأمور ...

هكذا أحيا وجودًا

كل ما فيه زهيدًا ...

***

قلتُ يا حبي

ترفق

أنت بالسكنى سعيد

فأنا ...

أسكن كالناس البيوت

حيث تحيا

في السقوف العنكبوت

حيث تحبو

في سراديب الجحور

الأفاعي ...

والشرور

حيث يمتص ... الجدار ...

الأماني ...

والنهار ...

فإذا ما هل فجرٌ

أخطأ الدرب وفات ...

جر رجليه ...

عليلًا وتهاوى ...

ثم مات

هكذا أحيا حياتي ...

وهي ليل وقيود ...

***

قال : بل عندي عيوب ...

فاسمعيني من جديد

ربما ...

أمري غريب

غير أني أرتضيه ...

أعشق الآثار ...

والشيء الخرافي الوجود ...

كل ما كان غريبًا

أو محالًا ... أقتنيه

أشتري الحاضر والنفس العفيفة

والضمير الحي

والروح الشفيفة ...

والغد التائه حينًا

في تهاويم الخيال

والأماني الكبار

أشتري الأمس ودقات الزمان

والمكان المختفي

في اللامكان

هكذا أحيا وجودًا

ترتع الأحلام فيه

أشتري بالوهم مالم

أستطع أن ... أشتريه ...

***

قلت :

يا حبي ترفق ...

كل ما تحكي هراء ...

أنت تبدو الآن في عيني

أغنى الأغنياء

أنت ...

قد مُلّكتَ ضيعات مغلَّة

وعقارات

على النيل مطلة ...

وفراشًا ...

صيغ من آسٍ وزنبق

ونبيذًا ...

في دجى القبو معَّتق

وخيولًا ...

شامخات عربية ...

ورصيدًا ... في بنوك العبقرية

أعطني منها صداقي

أعطني منها الهوية

ثم خذني ...

لك زوجًا ...

تحفظ العهد وفية ...

****

▪▪ ما أبقت الأيام

لا حب بعد اليوم

يشغلنا

ويتحكر الخيالا ...

لا

لم نعد نخشى الفراق

ولم نعد ...

نرجو الوصالا

ولى زمان الحب ... يا قلبي

وحل بك الشفق

لا تترك الأعوام

تضغط جهمة

حول العنق

اليوم

ينتقم الردى منَّا

إذا صرنا كسالى

***

قد عشتَ

هل عشتَ الحياة

وما صنعتَ الحياة ؟

قضيت عمرك

والسراب

وحبك الواهي العليل

وسجنتَ نفسك ...

خلف جدران القلوب

وفي الحنايا

لم تدر ...

هل كنت الضحية

أم رميتَ ...

بهم ضحايا

وشدوتَ

مثل صرير ساقية

بأطراف الحقول

***

اليوم

عندك ما يقيك

من السآمة

والملل

ولديكَ

أسمى في الوجود

من التدله ...

في رجل ...

اليوم

تبذل للأنام

حنانك الثر الكبير

وتسامح الإنسان

والأحفاد

والقلب الحقير

اليوم ...

تسقي ...

كل من يشكو الأسى

كأس الأمل

***

اليوم عندك شعرك السامي

فشد له الجناح

وامخر عباب بحاره

لا تخش

عربدة الرياح

فالأمن فيه ومنه

وهو الجسر ...

تعبره خلودًا

وهي السبيل ...

إلى الوجود

إذا أردت ...

لنا وجودًا

وبه ...

تُرد إلى الشباب

به ...

نعود

إلى الصباح

***

حُبان

حبك للقريض

وما ...

نخط من البيان

وهواك

للإنسان

في ظل الأخوة

والحنان

هذان

ما فرض الزمان عليك

عند المغرب ...

بهما ستجتاز البقية

من ...

طريق متعب

بهما

ستطوى المنحنى

حيث الزمان

بلا زمان

***

■■ النبع وقلب الإنسان

يا نبعًا دفاقًا

يغمر بالخضرة

كل مكان ...

يا رب الأرباب ...

هنا ...

يا سيد هذا البستان

فلأجلسْ ...

قربكَ

ولتهدأ حينًا ...

خطواتي

كي أهنأ بالصمت

وأزجي صلاتي ...

آه ...

كم تمنحني الراحة ...

كم يسري ماؤك ...

في الأعراق !

أشعر أني عائدة

من سفر

شاق

أشعر ...

أني صاعدة

من عمق ...

الأعماق

أشعر ...

أني أحيا

آلاف الحيوات

وتمر عليَّ

قوافل ...

أمنيات

أنا أعلم

أنك تتفانى ...

في خدمة هذا البستان

يا معجزة العدم الحي

ويا

مبخرة الإيمان

فلقد تُسجن مخنوقًا

في قاع الهوة ...

ولقد

تتسبق مكدودًا

أحشاء الربوة

كي تشعر

بالأجسام الصلبة

والرخوة

ولقد

تكتم أنفاسك

في وجه النور

لتؤمن من ذُعر

رشقة عصفور ...

ولقد

تتأرجح

فوق العشب النامي

ذات صباح

لتُهدْ بيتًا

من شعرٍ قد تسقط

من ريش جناح

ولقد تحضر في الليل

مخاض نواة

موؤودة

لتطهر أُمًا نفساء

وترعى

المولودة

وتمر الأنجم

لتحييك

بغير توقف

لا تسأل ...

إن كنت تغني

أو تبكي

أو تنزف

***

أنا أعلم ...

أنك تتحمل ...

في الروض مشقات ...

جمة

وبأنك

عائل هذا البيت ...

ورب ...

الشورى والحكمة ...

لكني أسأل

ما جدوى هذه

الرغبة في الإنماء

ما جدوى

هذه الحمى المثلوجة

من أجل الإعطاء ... !

ما جدوى

أن تُنعش صدرًا ...

أو خصرًا ...

أو جذعًا ...

بالماء

حتى تنفلق نضوجًا ...

بالخير

وبالنعمى

كل الأشياء ...

كل الأسماء ... ؟

ما جدوى ...

هذا البذل

ونكران الذات ؟

وملايين

ملايين

الخطوات ... ؟

ما دمت إلى الآن ...

لم تغسل قلب الإنسان

لم تغسل قبل الإنسان ... ؟

****

▪▪ الإسكندرية

«مسقط رأسي»

إسكندرية ...

أيها الثغر الجميل

أنا هنا

أهفو إلى

الماضي البعيد

وأستعيدك ... موطنًا

يا لهف نفسي

كم أحن إليك

أعشق فيك أمسي

ولكم ...

ولكم ...

ناداك عبر حنينه المشبوب

حسي ...

أنا ... إن هجرتك

إنما

أحيا ... وطيفك

في خيالي

وأظل ...

أسأل

هل رأاك غدًا

وأحظى بالوصال

أنا قد أغيب

وإنما

إستاف «يؤدك»

في انتشار

وأمل عيني

من بعيد ...

نحو بحرك

في رجاء

أنا

في رباك حبيبة

من نبع المنى

تغزو الشطوط الثغر

تبني

من رمالك

مسكنًا...

أنا

في رباك

شجيرة

مُلئت عصارات الحياة

بنت الأزهر

والحدائق ...

والزوارق ...

والمياه

أنا ... كالطيور

على رباك

رفيقة الفجر ... النديْ

أحيا مع الحس المهين

والجمال

العبقري

آه ...

وآه

من نسيمك

حين يسري في ضلوعي

قلبي الذي

ألف الصراع

لديك ...

كالحمل الوديع

إسكندرية !

تحت خطوك

أفرش القلب الأمين

فخذيه

في الحصن الدفئ

وكفكفي

دمع الحزين

من أجل حبك

لم أعد

أهوى حياة ... القاهرة

يا قطعة

من قبل مصر

وكل قلب الشاعرة

■■ الجمال العبقري

تهــــادى الربيــــع خلــــوب الـــــرؤي

وطيـــــر الربـــــى حلقـــــت شـــــادية

وأشـــــرق فجـــــر دفـــــئ الســـــنا

ودب عـــــلى العشـــــب والرابيـــــة

ومـــــرَّ عـــــلى وجنـــــات الزهـــــور

وكفكـــــف أدمعهـــــا الجاريـــــة

وأهـــــوى عـــــلى شـــــفتيها طـــــويلًا

وعـــــب مـــــن الخمـــــرة الصـــــافية

وبـــــين الخمائـــــل ، تحـــــت الغصـــــون

قلـــــوبُ تبـــــث الهـــــوى شـــــاكية

شـــــبابٌ وحـــــبٌ وحٌ نضـــــير

وجنـــــة خلـــــدٍ هنـــــاك زاهيـــــة

ولكننـــــي رغـــــم هـــــذا الجمـــــال

أردد أنغـــــامي الباكيـــــة

وأهتـــــف والقلـــــب ثـــــر الحنـــــين

وفي مقلتـــــي الـــــروى الداجيـــــة

***

ربيـــــع الوجـــــود أتيـــــتَ الوجـــود

كـــــأكرم ضـــــيف يـــــزور البرايـــــا

حملـــــتَ تباشـــــير فصـــــلٍ ســـــعيد

وحُمّلـــــتَ أغـــــلى صـــــنوف الهـــــدايا

كســـــوتَ صـــــدور الربـــــا بـــــالورود

وبالحضـــــب بطـــــن الحقـــــول العرايـــــا

وأنعشـــــت بالـــــدفء ثغـــــر الميـــــاه

ولألأت وجـــــه الغـــــدير مرايـــــا

وبعثـــــرت ألحانـــــك الراقصـــــات

عـــــلى الكـــــون تعـــــزف للحـــــن آيـــــا

فمـــــرت بطيـــــف النســـــيم ربابًـــــا

وبالغصـــــن دُفًّـــــا وبـــــالطير نايـــــا

وأطلقـــــت مـــــن ســـــجنها الكائنـــــات

ووردت بالحـــــبِّ خـــــد الصـــــبايا

فيـــــا مـــــن حملـــــت الهـــــوى والجمـــــال

عـــــلى راحتيـــــك كـــــريم الســـــجايا

حنانـــــك أيقظـــــت في الشـــــعور

وجـــــددت في القلـــــب ذكـــــرى هوايـــــا

فـــــإني وقلبـــــي وروحـــــي الســـــليب

ضـــــحايا جمـــــال الربيـــــع ضـــــحايا !

***

▪▪ الدوحة الحزينة

«إلى التي تزوج أبناؤها الستة فأقفر البيت»

يا دوحة

عبثت بها الأقدارُ

حين انتأى

عن حضنها ... الأطيار

هجروك ؟

لا ...

بل تلك سنة خالقٍ

ومشيئة

لوجودنا ... وقرار

شربوا حنانك

في غرور جاهلٍ

فحنانهم

لك عشرة ...

وجوار

عهد ...

إذا نسي الصغير

جماله

هو الكبير

على المدى تذكار

هو الكبير

نعيمه

ووجوده

وهو الشذا

والفيء ...

والأنوار

عبروا الطفولة

في حماك

وأينعوا

وأتى الشباب

وكله أخطار

وأتى الشباب

ويا له من ساحر

فيه المشاعر

ماردٌ جبار

سهروا على حلم

وأحلام الصبا

ظمأ

وجوع قاتل

ودوار ...

سهروا على حلم

وأحلام الصبا

لا تستباح

أمامها الأعذار

وأتى الشباب

وآثروا أن يبعدوا

ليضمهم

إلف لهم

وديار ...

يا دوحة الأحزان

يا طود الأسى

أهناك طود راسخ

ينهار

ماذا عليك

إذا سعدت

بسعدهم

ورضيت

ما شاؤوا لهم

واختاروا

كم طائر

بالأمس

قد عصفت به

سؤل إلى المجهول

واستفسار

ولكم

جناح فوق غصنك

خلتيه

يغفو

وكان يهزه

الإعصار

أحسبت

أنك بالحنان

ملكته

والحب ...

ويحك

سيِّد مختار

أحسبت ...

بالجدل العنيف

طويته

والصمت عند العاشقين

حوار

أحسبت

أنك بالحصار

غزوته

ومتى تحاصر في القلوب

النار

***

فلتفرحي

إن الطيور وفية

وهمُ

على طول المدى روار

وغدًا سيأتي فرحهم

وفراخهم

ولسوف تشكو حملها

الأوكار

سيعود للغصن الصموت

غناءه

ويعود فيه

ربيعه ... المعطار

وإذا تلألأ

في سمائك مقمر

ستضيء

حولك

في غد أقمار

هجروك ؟

لا ... لم يهجروك

وإنما

هي سنة

وشريعة

وقرار

***

▪▪ النيل الخالد

جاء الدنى

من ظلمة الأحشاد

ومن الصخور الصم ...

في العلياء ...

رشفتْهُ ...

من ثغر السماء مطهرًا

وهو ارتوى ...

من عزمها المضاء

وحبا الصغير ...

على بساط ... من حصى ...

متهامسًا ...

في رقة وصفاء ...

متدحرجًا ... نحو الوجود بفرحة

مترفرفًا ...

كالفضة البيضاء

***

فإذا رأى الدنيا تمد أمامه

صدرًا رصيبًا

واسع الأرجاء

وثبتْ خطاه

كأن وحشًا ضاريًا

ينقض فوق فريسة عزلاء

ومضى مع الأمواج ...

يغزو قمة ...

ويضم هاوية على استحفاء

منكسرًا حينًا ...

وحينًا هادرًا

مترنحًا ...

ثملًا

على استحياء

حتى إذا عبر الفلاة وقيظها

واجتاز واديه

بلا إعياء

وجرى على أرض ... الكنانة ...

آمنًا ...

وانساب ...

عبر حقولها ... الخضراء

هدأت على مرأى السنابل روحة

واشتاق

للضحكات ... والأصداء

وتباطأت

خطواته ... طوافة

تحبو القرى

بالخير والنعماء

وإذاه تقيم المدينة شامخًا

في كبرياء

ثرة معطاء

وإذا

بقاهرة المعز ... تعزهُ

وتضم رب البيت

في خيلاء

وإذاه في أحلامه

يغفو على صدر الحبيب

في هوى ووفاء

فتضمهُ ... وتضمهُ ... وتضمهُ

وتبوح بالأسرار والأنباء

وترف أجنحة الصباح

وضيئه

ويفيق نهر ... النيل ...

من إغفاء

ويحن للدلتا ...

فيهجر حبهُ

متملصًا ...

من فتنة الغراء ...

وإلى الشمال ...

يسير حرًا ... واهيًا

في سيره

جزءًا من الأجزاء

ويسير ...

والأقدار ... تحدو خطوه

والبحر ...

يدعوه ...

بلا إبطاء

ويسير ...

والتاريخ ينشر مجده

نحو المصب ... على رضاء وإباء

حتى إذا بلغ المصير

رأيته ...

قد ضاعف الأمواج

في استهزاء

ورنا طويلًا ...

نحو أفق سمائه ...

متأملًا ...

في نظرة الحكماء

ثم أنثني

مستسلمًا

لقضائه ...

متسربلًا بالخلد

كالشهداء ...

***

▪▪ نهاية الأشياء

ما زال نايي يستحث غنائي

وسراج ليلي

وافر الأضواء

فاعزف ...

وغرد يا فؤادي

طالما ...

تهفو إلى الإنشاد

كالشعراء

فرب نجم ...

شع أسطع ومضة

قبل الذبول ...

وصفرة الإغماء

ولرب عود...

قد ترنم شاديًا

عند السقوط ...

بأعذب الأصداء ...

اعزف لحاضرنا

وغرد

إنما إياك أن تشدو ...

لماضٍ ناء

***

يا قلب

إنك طائر

رحالة

تمضي هنا

وهناك ... دون بقاء

لم تبن يومًا

فوق غصن مسكنًا

في الروض

بل

حلقت في الأجواء

وعبرت شطآن البحار

مرفرفًا

ضممت في مسراك

نبع الماء

فلم التلفت للوراء

وما به

غير الهوان ...

وفرقة الأبناء

ولم التلفت للوراء

وقد بدت

ذكراه

كالسكين في الأحشاء

ولم الجنوح ...

إلى غدٍ

وغدٌ لنا

جبل من الأوهام

والإيحاء

وغدٌ

هو الدور الأخير ... بمشهد

مثلته

كبقية الأحياء

وغدٌ

هو الشوط الأخير ... بملعب

لم يبق شبرُ ...

فيه ... للعداء

أواه

***

يا قلبي

وتلك حقيقة

لابد تدركها

بلا إبطاء

شيء جهلتُ مداه

ثم علمتُه

حين انطوى زمني

وحان مسائي

لا شيء يبدو مرعبًا

ومخوفًا

في الكون

مثل نهاية الأشياء

***

■■ لمن أغني ؟

انتهينا ...

كتب الحزن على بابي كتابه

هاهنا داري ...

وهذا البيت لي حصن الكآبة

انتهينا

وتحالفنا بلا أدنى اعتراض

واستقر الرأي حرًا

واستفاض

جاءني بالأمس ضيفًا متكلف

وعلى البهو توقف

ثار في وجهي وأرعد ، ثم أرغى وتوعد

لِمَ تخفين وجودي ...

مثلما يُخفي العشيق ؟

إنني أكثر من زوج

وأغلى من شقيق

أنا لي كل الحقوق

فلمن هذا العقوق ؟

سوف أمضي

تاركًا أمسي ونجوى ذكرياتي ...

صحت في يأس ممض

إن تدعني فلمن أحيا حياتي

أنت لي المعجزة الكبرى التي تروي الشجر

أنت نوري المستتر

أنت أحلام انتظاري

وشعوري المنفعل

وإذا أعرضت عني ... فلمن قلبي يغني

وهو يستجدي الأمل ؟

هكذا عدنا ...

وقسمنا حياتي

فلي الفن كفني

وله عمري وذاتي

وانتهينا ...

كتب الحزن على بابي كتابه

هاهنا داري وهذا البيت لي حصن الكآبة

***

▪▪ الجنة العذراء

يا رب

هب لي من زماني

فترة ...

أحيا بها ... في ريفنا الوضاء ...

ثقلت على قلبي ... المدينة كلها

وبما حوت

من قسوة وجفاء

إني ...

سئمتُ ضجيجها

وزحامها

وشتائم الأحياء ... للأحياء

وزهدتُ

كل الزهد ... في من أتقنوا حيل الخداع ...

وصنعة الإطراء

وغدوت أهفو للطبيعة

مثلما

تهفو الروابي الخضر

للأنداء ...

وغدوت أهفو للجمال ...

وقد بدا

في ريف مصر ... كجنة عذراء

فمتى

متى أنساب ... عبر مروجه

وأشم عطر الورد والحناء

لو جاد دهري

لاستكنت سعيدةً

في قرية

مجهولة الأسماء

سأعيش بنت الشمس

في أحضانها

أطوي البقية لي

مع البسطاء

ولسوف أحيا مثلهم

قروية ...

الزرع همي ...

والحصاد رجائي

وعلى ضفاف النهر

أملأ جرتي ...

وأعود أرفل

في سني الخيلاء

ولسوف أطلق في النهار

مشاعري ...

تغزو جمال الريف

في إغراء

حتى إذا وافى المساء

أويتها في داخلي

كالمهد للأبناء

وأنام

والأمن الكبير ... يحيطني

ونقاء أحلامي

وصفاء سمائي

كم أشتهي عند الظهيرة

جلسة

في ظل حقل

واسع الأرجاء

قدماء ... غافيتان

في حرية ...

محتدتان هناك ...

في استرخاء

والظهر مستند ...

إلى صفصافة

حملت على أكتافها

أعبائي

وقفتْ ...

كشيمة أهلها

في نخوة

تهب الشذى ... والظل

للغرباء

ومراوح الأغصان

تنعش مهجتي

وتعيث في خجل

بذيل ردائي

والطير لحني

والجدول

معزفي ...

والأرض ... فرشي

والسماء ...

غطائي

والجبن والبتاو ...

داخل صرةٍ

وعلى مدى كفي

قُلة ماء ...

***

▪▪ لحن الخلود

وتصايحوا

ـ والعام قد ولى ـ

لقد مات الهزاء

قد غاب وا أسفاه

لا ندري ...

لغيبته قرار ...

ما عاد يسكب ألف فجر

في مآقينا الحزينة

ويرف فوق رؤوسنا

جذلان ...

يخترق المدينة

ما عاد ...

يشدو للطبيعة ...

للجمال ...

وللنهار

***

فأجابهم ... صوت بعيد

رن في رفق ولين

لا ... لم يمت ...

هذا الهزار ...

وإنما عبر السنين

عرف الحقيقة حين ولت

عنه أطيار عديدة ...

وأمام طيف الموت حامت ...

حوله سؤل عنيدة ...

ماذا وراء الغيب ؟

ما هذا الوجود؟

ومن نكون ؟

***

حتى إذا عرف الجواب

أراد أن يعلو الأفق

وأبى أراجيح الغصون

ومل ...

رفات الورق

ومل ...

القيام أو القعود

بعشه الهاني المريح

عبر النهار المشمس

المأمون

من مطر وريح

وبحضن ليل دافئ الأحلام

فواح عميق

***

يا ويحه !

عاش الحياة

بغير معنى ...

أو أثر ...

كانت له أيامه الجوفاء

ملأى بالصور

يصحو ليلتقط الحبوب

بلا عناء أو عذاب

يصحو ... فتستهويه ...

فوق الروضا

آلاف الرغاب ...

متنقلًا ...

بين الخمائل ...

والأزاهر ... والشجر

***

قد عاش ...

لا يدري ... فروقًا

بين أرض أو سماء ...

فإذا علا ...

أقصى حدود علوه

سطح البناء

وإذا شدا أحلى اللحون لديه

ألحان الهوى

يشدو بها ...

منغومةً ...

مشبوبةً ...

وإذا ارتوى ...

كان ارتواء بالمياه ...

وليس من نبع الضياء ...

***

واليوم ...

قد ضاق الهزار ...

بروضه مستنكرًا ...

وأراد أن يعلو ...

ويعلو ...

عن تفاهات الورى

فلقد تنكر للحقول ...

ولا بنهارات السنابل ...

ولقد تنكر

للكؤوس المسكرات

من الجداول

مستنكرًا ...

بئس الجناح ...

إذا تشبث بالثرى !

***

لا ...

لم يمت

هذا الهزار ...

وإنما

عبر الوجود

نحو الفضاء اللا نهائي المدى ...

واللا حدود

ترك الهوى ...

والعاطفات ...

على الغصون الوارفة

ليكون يومًا

كالشراع ...

أمام وجه العاصفة

ويصوغ ...

تحت القبة الزرقاء

ألحان الخلود

***

▪▪ فجر الإنسانية

يسي ...

والقرآن في يمناكا

صان الإلهُ ...

كتابه ورعاكا

من قبل بدء الخلق

نادى «فلتكن»

وأُمرت

فاستُدعيت في دنياكا

ومضى الزمان

وجئت تُنقذ أمةً

لولاك

كيف مصيرها

لولاكا

لك

مولدك الكريم

بمشرق ...

شق الدجى

متسربلًا بسناكا

جملتْ

بك الدنيا ...

يا حسن ما اجتلى

راءٍ جمالًا

باسمًا ضاحكًا

الكون فيه

غدا

ربيعًا عابدًا

والطير ...

في ترتيلها

نُساكا

وشببت يا ... !

يا لليتيم

وبؤسه ...

يخطو الصخور ...

ويعبر الأشواكا

لكنما ...

الرحمن جل جلاله ...

حاشاه

أن يرضى

وأن ينساكا

****

يا أيها الأُمي ...

«اقرأ» لا تخف

فالغار يسمع خاشعًا

نجواكا ...

وهداك ربي ...

فاستقيت ... من الهدى

خلقًا

علا

وتجاوز الأفلاكا

يا أعزل الكفين

راحجت العدى

بالعقل

سيفًا ... باترًا ... فتاكا

لا تستلين

ولا يروغك كيدهم

إذ ...

أضمروا لك

في الظلام هلاكا

رُضت الأمور ...

صغيرها

وكبيرها ...

وحكمت عدلًا

هاهنا ...

وهناكا

دانت لك الدنيا ...

ولكن ...

لن ترد ...

بالزهد ...

ولا ملاكا

ولا أملاكا

إلا بقايا

من عشاش في الثرى

تُنبى الغريب

بأن ذا مأواكا

وغنىً

عن الدنيا ... الرحيبة

كلها

بكنوز قلب

يرفض الإشراكا

***

لي يا رسول الله

رغبة خافق

يشتاق أن

يخطو وراء خطاكا

أنا ...

إذ قرأتك سيرةً

وضاءةً

أدركتُ معنى الخير

في معناكا

لم أخش

بعد الله

مثلك في الدنى

لم أهو

ـ بعد الله ـ

مثل هواكا

فوسيلتي لك

أن أنال رضاكا

إني اتخذْتُك واحة

في ظلها

أستاف عطر الدين

من ذكراكا ...

وبرغم ما أصبو إليه

من التقى

أنا لست يا خير الأنام

ملاكا ...

يا موئل الملهوف ...

يوم قضائه ...

كن لي شفيعًا ...

في رحاب سناكا ...

لله ذكرى مولد ...

في عامنا ...

بشراك

يا هذا الورى

بشراكا

***

▪▪ تراتيل صوفية

جل يا إلهي

في دجى قلبي

واغمره

بالأضواء والحب

جل فيه

كي ينساب

في دعه

نبعًا ...

يفيض بذكراك ...

العذب ...

جل فيه ...

نورًا ساطعًا

ألِقًا

يطوي جيوش الغيم

والسحب

وانشر سناك ...

بكل منعطفٍ

وبكل منعرج

على دربي

***

جُل

في دمي ...

يا رب عاصفةً

تذرو رياح الشك ...

والريب

***

جُل

في دمي ...

نهرًا

يطهرني

من كل فكر ...

آسنٍ عطب

جُل ...

فيه نار النار

تحرقني

وتحد من سخطي

ومن غضبي

جُل

في رياض

أنت مثمرها

لكنها ... تهفو

إلى الجدب ...

لا تُبق ...

في أرجاء رابيتي

غير الشذا ...

والماء ...

والعشب

***

جُل

في دمي

أمنًا ومرحمة

واصحبهما

بالعطف

والحدب

دعني ...

أواجه ما يصادفني

بعزيمة

في المهمة الصعب

يا رب

نورًا منك

يغمرني

ويفيض إيمانًا

على قلبي

أولتني نعمًا

بلا عددٍ

وأنا التي أسرفت

في الطلب

فإذا دعوتُ اليوم

راجيةً

من ذا سواك

يجيب

يا ربي

***

■■ ميلاد روح

في ظلمة الكون

لا ضوء به سار ...

ولا صدى ... آدميّ

عابر جار

كأن طيف الردى

قد مس ساعده

وعانق الأرض

في عمق وإصرار

فالأفق مكتئب

والنجم متحجب

والسحب هاطلة ... تهمى بمدرار

في ليلة

من ليالي الدهر حاملة ...

ثوب البسيطة

من هم وأكدار

جئت الحياة

وفي عيني ظلمتها

جئت الحياة وخلفي

طيف أقداري ...

***

وخيم الصمت فوق الدار

منعقدًا ...

وفي جوانبها

في شبه أستار

كأنما الدار ...

مما حل في خجل

تود لو تختفي عن كل أنظار

كذا النساء

تهاوت في مقاعدها

راحت تهامس ...

في ريب

وإنكار ...

ما السر ؟

ما خطبها ؟

هل كنت ميتةً

لا لم أكن

غير بنت ...

تلك أسراري

ما كان أحوجني

يا أم ناظرة

تظل ضوء غدي

في ليلي الساري

***

وهل

طيف أبي في الدار

منفعلًا

وفي جوانحه ...

جمرُ على نار

وقد توهم ...

أن الأرض قاطبة

في راحتيه

وقد زينت بأقمار

حتى ... إذا ما انحنى

فوقي يداعبني

رأى الحقيقة

في رعب ...

وإحقار

فراح يهذي

لمن شب الرماد

لظىً

وأيقظ الميت ...

في آيات رنشار

«بنت ؟

إلهي

وما أرجو سوى ولد

يا وصمة ... في دمي

يا ذلة العار ... !

***

وهل ... في إثر ذاك لليل

منسرحًا

فجرٌ جديدٌ ... زها

من غير إنذار

ورحتُ في صحراء العمر

ضاربةً

تحنو عليَّ بصدر ...

ثائر ناري

في معصمي قيود البؤس

خالدة ...

والطوق في عنقي ...

أشدو بأشعاري

***

وعراء الليل يكسوني

وأنداء المطر

***

وبإجهاد

عصرتُ الشحم

من صلعة سروه

وفركتُ العصب الأصفر

من أوراق زنبق

وملأت الكف

من عشب نجا في

حضن هوه

ووضعت المرهم الغض

عليه فتدفق

***

جثته

بالقمر الراقص

في النيل العظيم

جئته

بالشمس

خلف الأفق

لم أنجل عليه

وسرقت الماس

كي أرضيه

من عين النجوم

غير أن الجرح

قاء النور ...

دلى شفتيه !

فتحانيت على جرحي

بغيظ وجنون

ونزعت الجلد منه

ثم قطعت لسانه

ثم ثبتُ على جنبيه

أوتاد عيوني

غير أني

حين وافى الصباح

لم أعرف مكانه !

***

▪▪ جرح وليل

منذ إجيال وبي جرح كبير

عبثًا أنسى

على الدهر زمانه

هو مني غائر

دام مثير

غير أني لست أستجلي مكانه

ذات ليل

خلتُ أن الجرح للعين

تعرى

فتولاني سرور

وارتياح غير أني

حينما حدقت في الفوهة حينًا

عدت حيرى

كان كالبئر عميقًا

مالئًا عيني ... وكوني ...!

وسمعت الناس

يروون حكايات عجيبة

عن كرامات ولي

راح يشفي كل داء

فتوسلت إليه

في ابتهالات مهيبة

ورجعت البيت جذلى

ومعي وصف شفائي

***

ووضعت الصحن ليلًا

في الندى فوق السطوح

ثم أطلقت بخوري

حول أوراق حجابي

وصببت الطل

من صحني

على نبع جروحي

فمضى ينزو عنيدًا

وتمادى في عذابي

***

ورأيت الناس

يشفون جراحات الحياة

بمزيج من عصارات نبات وثمر

فتسللتُ إلى الغاب

بأقدام حفاة

الفهرست